جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

تَجَلِّيات الثقافَة الجاهلية في لُغَة السُوَر المَكِيَّة

إعداد
منال يعقوب عبد الرحيم يعقوب

إشراف
أ. د. يحيى عبد الرؤوف جبر

قُدِّمَت هذه الأُطروحة استكمالاً لمُتَطَلَبات الحُصول على دَرَجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بِكُلِيَّة الدِراسات العُليا في جامعة النَجاح الوَطنية في نابلس، فلسطين.

2012م

تَجلِّيات الثقافَة الجاهلية في لُغَة السُوَر المَكِيَّة

إعداد

منال يعقوب عبد الرحيم يعقوب

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2012/9/20م، وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
1. أ. د. يحيى عبد الرؤوف جبر / مشرفاً ورئيساً	....
2. أ. د. حسن السلوادي / ممتحناً خارجياً	....
3. أ. د. إحسان الديك / ممتحناً داخلياً	....

الإهداء

إلى الرَحمَة المُهداة والنِعْمَة المُسْداة نبَيّي وشَفيعي محمد _عليه الصَلاة والسَلام _

إلى روح والدي رحمه الله، الذي غَرَس فيّ معاني المُثابرة والعِزَّة والكَرامَة

إلى الشَمعة التي أدعو الله ألاَّ تَنْطَفِئ

إلى أمي الحَبيبة التي أمَدَّتني بوَقودِ دَعَواتِها الصادِقَة

إلى زَوجي الذي عايَشَني هذا الحُلم، وتحَمَل في سَبيل ذلك الكَثير

إلى فَلَذات كَبِدي الذين صَبروا طِوال فَتْرَة الدِراسَة،وكانوا خَير مُعين أبنائي

* علاء الدين * و * آية *

إليهِم جَميعاً أهدي هذا العَمل المُتَواضِع

الشُكْر والتَقْدير

الشُكرُ دائماً لله وحده، المُتَفَضِل بالإحسانِ على عِباده، فبِفَضلِه وتَوفيقه – سُبحانه- كان هذا الجُهْد المُتواضِع، وأبصرَ النور، لكني أستَذكِرُ ما قاله رَسولنا الكريم: " لا يَشْكر الله من لا يَشْكُر النّاس "، لذا فلا يَسَعني إلا أن أُزجي خالِص شُكري وتقْديري إلى المُرَبي الفاضل، أ.د يحيى عبد الرؤوف جبر، الذي تفَضَلَ بالإشراف على هذا البَحْث، وأكرَمَني بعِلْمِه، ونَصائِحه الجَليلة، أسأَل المَولى عزّ وَجل أن يَجزيه خَير الجَزاء، وأن يرفَع دَرَجَته في الدُنيا والآخرة، إنه سَميعٌ مجُيب الدُعاء.

الشُكر مَوصول إلى جَميع أساتِذَتي في قِسم اللغة العَربية الذين ما تَوانَوا لحَظَة عن تَوجيهي، وإمدادي بالنُصْحِ والإرشاد.

كذلك أشكُر عُضْوَي لجنَة المُناقَشَة الأساتذة الأفاضل أ. د إحسان الديك،وأ.د حسن السلوادي، اللذين تَفَضلا مَشكورين لمُناقَشَة بَحثي وإثرائه بآرائهم السَديدة، وتَوجيهاتهم الصائبَة، والتي سَألتَزِم بها إن شاء الله.

لا أنسى أن أشكَر مُوَظفي مَكتبات البلديات العامة في كل من مدينة نابلس، والبيرة، وجنين، بالإضافة إلى مُوظفي مكتبة جامعة النجاح الوطنية، وموظفي مكتبة جامعة القدس المفتوحة لما قَدَّموه من عَون.

وجزى الله الجَميع خَير الجَزاء

الإقرار

أنا الموقعة أدناه مقدمة الرسالة التي تحمل عنوان:

تَجَلِّيات الثقافَة الجاهلية في لُغَة السُوَر المَكِيَّة

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء مـا تمـت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيـل درجـة علمية أو بحث علمي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Students name:	اسم الطالبة:
Signature:	التوقيع:
Date:	التاريخ:

فهرس المحتويات

تَجلِّيات الثقافَة الجاهلية في لُغَة السُوَر المَكيَّة

إعداد

منال يعقوب عبد الرحيم يعقوب

إشراف

أ. د. يحيى عبد الرؤوف جبر

الملخص

يَدورُ هذا البَحْث حَول تَجَلِّيات الثَقافَة الجاهِلِيَّة في لُغةِ السُورِ المَكيَّة، وقد تَوزَعَت مُسْتَوياته على مُقدمة وتَمهيد يَليه أربعة فُصول، تَحَدَّثْتُ في التَمْهيد عن مفاهيم الثَقافَة لُغة واصطِلاحاً، وماهِيَّة المَوضوع الذي يَتَناوله البَحث، وعن مفهوم الجاهِلِيَّة بين اللغة والاصطلاح، وتحدثت في المُقَدِّمة عن أسباب اختِياري لهذا البَحث، وعن أهمية البَحث وأهدافه المُتَوخاة، وكذلك المَنهَج الذي اعتَمَدتُه، والصُعوبات التي واجهَتني في إعداده.

أما الفَصل الأول فقَسَّمْتُه إلى مَبحثَين تَحدَثت في الأول عن الحَياة الجاهِلِيَّة بأنواعها المُختَلِفة الدينية والسِياسية والعَقلية والاجتِماعية والاقتِصادية، وما تخلل تلك الحياة من أنماط ثقافية وجدت لديهم، وتَحَدَثت في المبحث الثاني عن التَواصُل الثَقافي: وسائله وأوجهه، وكيف عملت تلك الوسائل على تَسَرُّب العديد من الأنماط الثَقافية إلى العَرَب من غيرهم من الأمم والشُعوب، وقد خصَّصْتُ الفَصل الثاني للحَديث عن ألفاظ البيئة الطَبيعية الصامِتة ومُكوناتها كالجِبال والنَّخِيل وتَجَلِّياتها في السُور المَكيّة، وأفردت الفَصل الثالث للحَديث عن ألفاظ البيئة الطَبيعية الحَيَّةُ ومُكوناتها سَواء ما تَعَلَّق منها بالإنسان كالنُّصُب والقَرابين وُالتَّطَيُّر، أو ما تَعَلَّق بالحَيوان كشُرب الهِيم، وتَجَلِّياتها في السُور المكية، وأخيراً جاء الفصل الرابع للحَديث عما يَتَّصل بالهَيئة والأنواع والأجرام السَماوية من ألفاظ كاليَمين والشمال، والليل والنَهار وكَيْفية تَجَلِّيها في السُور المَكِيَّة.

وأخيراً أنهَيتُ بخاتِمة أوجَزتُ فيها نَتائج البَحث، وما تَوَصَلتُ إليه من مُلاحَظات رأيتُ أنها قَريبة من الصَواب.

المُقَدِّمة

الحَمْد لله رَب العالمين، والصلاة والسلام على النبيّ المُصطفى الأمين، وعلى آله وصَحْبِه أجمَعين، ومن تَبِعَهُم واقتَفى أثَرَهم بإحسانٍ إلى يَوم الدين أما بعد:

لَطالما بُهِرْت وأنا أقرأ القرآن الكريم لذلك الإعجاز الفائق، والبَلاغة التي حاوَرنا بها، وقدم لنا شَرائعنا، وحَدَّد لنا سُلوكياتنا، ولم يَقْتَصر هذا الأمر عليّ، فكل من يَقرأ كتاب الله العزيز يُدرِك الشيء ذاته، لكن الأَمر كَبُرَ في داخلي بعدما غُصْت من خلال قراءاتي المُتواضعة في حَياة العَرَب قبل الإسلام، وما كانوا عليه من ثَقافات مُختلفة، وكان الفضْل لأساتذتي الأفاضل الذين أزالوا من عُيوننا ما مُنِيَ به هذا العَصْر من العَماية والجَهالة والتَخَلُّف، فكان تَفْنيد المَزاعم البَاطلة حول العَصْر الجاهلي، وما أصابَ هذا العَصْر من البِدائية، وقِلة المعرفة، ما حَفَّزَني لإجراء هذه الدِّرَاسَة، إضافة إلى شَغَفي بكِتاب الله عزَّ وجلّ، هذا الكتاب المُعجز الذي **" لا يَأتيه الباطِل مِن بَيْنِ يَدَيه ولا مِنْ خَلفِه تنزيل من حَكيم حَميد " (**فصلت |42). والذي تَميز ببَلاغته وفَصاحة ألفاظه، وإعجازه، وبقائه إلى يوم تقوم الساعة، فعلى الرغم من أنه جاء بلُغة العَرَب، وألفاظهم، وعاداتهم اللغوية التي تَعارفوا عليها؛ فإن الله _عزَّ وجلّ_ تَحدّى العَرَب أن يأتوا بآية من مِثله، إضافة إلى كَوْنه مَصدراً لا سبيل إلى الشَك فيه.

ونحن إذا أردنا أن نتَعرَّف أحوال الحَياة الجاهِلِيَّة وتفكيرهم في تلك الحقبة فلا بُد لنا من الرجوع إلى القرآن الكريم؛ إذ إنه المُقدم على سائر المَراجع العَرَبية والإسلامية، وأقدَسها، وهو أصدق المَصادر وأصحها على الإطلاق، فهو مُوثوق السَنَد، ذو وثاقة تاريخية، لا تقبل الجَدل، بالتالي كان القرآن الكريم خير منهل لتقصي دلالات الجاهِلِيَّة.

وأيقنت أنه لو صَدَق ما مُنِيَ به هذا العَصْر من اتهامات زائفة لما نَزل فيهم كتاب بهذا الإعجاز، فالله _عزَّ وجلّ_ عندما أنزل كِتابه العزيز كان يَعلم تَماماً حال أولئك القوم، وما هُم عليه من تَشَتت أحياناً، وخُرافات أحيانا أخرى، لكن ذلك لا يمنع من وجود بعض العلوم الفِطرية التي وهَبهم إياها سُبحانه وتعالى؛ ليَتعايشوا مع بيئتهم القاسية، إضافة إلى ما اكتَسبوه من ثقافات تَسَرَّبَت إليهم بطرق مُختلفة، ومن هنا كانت البِذرة، لذا فقد طَرقت أبواب المَكتبات، وسبرت غور أمهات الكُتب، كالمُفَصَّل في تاريخ العَرَب قبل الإسلام لجواد علي الذي ما تَرك شارِدة ولا

واردة في حياة العَرَب قبل الإسلام إلا وتَطَرق لها، إضافة إلى كتاب بُلوغ الأرب الذي تَحَدَّث فيه الألوسي بتَفصيلٍ عن سُلوكِيات حَياة العَرَب قبل الإسلام، وما حَوَت من طُقوس ثَقافية ومُمارسات، كما رَجَعْت إلى عَدَدٍ من كُتب التَفسير التي عَزَّزَت ما يَنمو بداخلي مِثل تَفسير البَحر المُحيط لأبي حيان التَوحيدي، والجامع الصحيح للقرطبي، وبعد أن بدأت البذرة بالنُمو وجدت الدَعم من أستاذي الفاضل الدكتور يحيى جبر الذي كان دائماً خير مَنهل ومُعين، يرشدني إلى الكُتب التي تُقَوِّي بَحثي، ويُصَحِّحُني إذا زلَّت، ويُصَوِّب مَساري، جزاه الله كل خَير.

ولقد كان من دَواعي سُروري في هذه الدِّرَاسَة أن أجمع بين دِعامَتين ضَخْمَتين من الدَعائِم التي تُفاخِر بها الأمة الإسلامية والعَرَبية باقي الأمم وهما:

القُرآن الكريم المُنَزَّه عن التَحْريف والزَلل أولاً، الذي تَمَيَّز في قُدْرَته على سَبْرِ أغوار الجاهليين والغَوص في أعماق العَقْلِيَّة الجاهِلِيَّة، ومُحاكَمَتها وإبطال مُعتَقداتها الخاطئة، وتأكيد الصائِب منها، والثَقافَة الجاهِلِيَّة الغَنيَّة ثانياً .

تَكمُن أهمية هذه الدِّرَاسَة في أنها تَتَجاوز الدراسات التاريخية والوَصفية التي تَناولت العَصْر الجاهلي قَبل الإسلام، بحيث تُحاول استِقصاء الثَقافات التي كان عليها العَرَب قبل الإسلام من خلال القرآن الكريم، وتُحاوِل في الوقت ذاته تَأصيل تلك الثقافات، وتتبع منابعها، رابطة بين الثقافات المُتشابِهة لدى الأُمم والحَضارات التي التَقَت أو تَقاربت لسَبَبٍ من الأسباب، الأمر الذي أدَّى إلى حُدوث هذا التَواصُل الثَقافي، وقد قَصَرتُ البَحث على السُور المَكيَّة بعد أن تَتَبَعتُ بطَريقة إحصائِية بسيطة أنواع الثقافات المَطروحة في القرآن الكَريم، والتي وجَدتُ أن أكثَرها وجد ضِمن السُور المَكيَّة، ويُعَزِز ذلك أن السُور المَكِيَّة نزلت قبل الهجرة فتعرض إلى ما كان عليه العَرَب آنذاك من أحوال أكدَّ القُرآن الكَريم بَعضها، وانتَقَد بعضها الآخر ورَفَضه.

ويهدف بَحثي هذا إلى التَأكيد على أن القرآن الكريم عندما نزل على العَرَب لم يَنزل بلُغَتهم العَرَبية فقط، بل نَزَل كذلك بمَعارِفهم وثقافاتهم إما مُؤَيداً أو مُعارِضاً، ولَعَلَّنا إذا أردنا دِراسة حياة العَرَب قبل الإسلام (في الجاهِلِيَّة) فالقرآن الكريم هو خير مَنهل لذلك، حيث استَطاع التَغَلُب عليهم ودَحض آرائهم من خلال ثقافاتهم، وهنا يَكْمُن إعجازه، كذلك يَهدف البَحث إلى

الربَط بين الطُقوس الثَقافية المُختلفة التي وُجِدَت عند العَرَب في الجاهِلِيَّة، وعند غَيرهم من الأُمم، والتَأكيد على أن المَوروث الإنساني مَوروث جَمْعي.

وتَحقيقاً لهذه الأهداف فقد عُرِضَت هذه الدِّرَاسَة في مقدمة ثم تَمهيد وأربعة فصول، يَحتوي التَمهيد على مفهوم الثَقافَة لُغَة واصطِلاحاً، وكذلك مَفهوم الجاهِلِيَّة، أما الفصل الأول فقَسَّمْته إلى مَبحثين تحَدَثت في الأول عن الحَياة الجاهِلِيَّة بأقسامِها المُختلفة: الدينية، والسياسية، والعقلية والاجتماعية، والاقتصادية، و في المَبحث الثاني تحَدَثت عن التَواصُل الثَقافي وسائله وأوجهه، وجاء الفصل الثاني للحَديثِ عن ألفاظ البيئة الطَبيعية الصامتة ومُكوناتها، وأفردت الفَصل الثالث للحَديث عن ألفاظ البيئة الطَبيعية الحَيَّةُ ومُكوناتها، وأخيراً جاء الفصل الرابع للحَديث عما يَتَّصل بالهَيئة والأنواع والأجرام السَماوية من ألفاظ.

وقد اعتَمَدَت الدِّرَاسَة على المَنهج التَكاملي، مُسْتَفيدةً من علم الميثولوجيا، إضافة إلى اعتماد البَحث على الدِراسات التاريخية والاجتِماعية في مَعرفة طَبيعة العَصْر.

وجدير بالذكر أن الفَتْرة الزَمَنية التي دارت حولها تِلك الدِّرَاسَة لم تَقِف عند حُدود العَصْر الجاهلي الذي انتَهى بظُهور الإسلام، بل امتَدَّت إلى صَدر الإسلام لذا فقد اشتَملت الدِّرَاسَة على بعض شِعر المُخَضرَمين الذين اكتَمَلَت قَرائِحهم الشِّعْرية في صَدر الإسلام باعتِبار شِعرهم كان امتِداداً للحَياة الأدبية الجاهِلِيَّة.

أما صُعوبات البَحث فتَكْمُن في البَحْث ضِمن دِعامتين كَبيرتين قامت عليهما الحَضارة الإنسانِية، وهما القُرآن الكريم، الذي بات البَحْث فيه كجَمْعِ اللآلىء من أعماقِ المُحيطات، والثَقافَة الجاهِلِيَّة الغَنِيَّة بِمواردها الثَقافية المُتَنَوعة.

وإذا كان لا بد من كَلِمة، فهي أن هذه الدِّرَاسَة ليْسَت إلا التَجْرِبة الأولى للباحِثة على طَريق البَحث العِلمي الحَقيقي، فإن وُفِّقْتُ فيها فالفَضل لله، وإن أخطَأت فَمِن نَفْسي والشَيطان، جَنَّبَنا الله الزَلَل، والله من وَراء القَصد، وبه الهِدايَة والتَوفيق.

التمهيد

مفهوم الثَقافَة

الثَقافَة لغةً: " الحِذِق، يقال ثَقِفَ الكلام ثقافة، أي حذقه وفهمه بسرعة"[1]. أما الثَقافَة في الاصطلاح: "فهي المعرفة التي تؤخذ عن طريق الإخبار والتلقي والاستنباط كالتاريخ، واللغة، والفقه، والأدب، والتفسير، والحديث، فالتاريخ هو التفسير الواقعي للحياة، والأدب هو التصوير الشعوري للحياة، والفلسفة هي الفِكر الأساسي للحياة، الذي تبنى عليه وجهات النظر، والتشريع هو المُعالجات العملية لمشاكل الحياة، والإدارة التي يقوم عليها تنظيم علاقات الأفراد والجماعات"[2].

وجاء في تعريف المنظمة العَرَبية للتَربية والثَقافَة والعلوم أن الثَقافَة: " تعني سُرعة التعلم والحذق والفِطنة وثبات المعرفة بما يحتاج إليه المرء، كما أنها تَشمل كل فعالية للإنسان تميزه عن أفعال الطبيعة؛ فكل نشاط ذهني أو مادي يقوم به لرفض التقبل السلبي للطبيعة هو ثقافة، والثَقافَة تنتظم جميع السمات المُميزة للأمة من مادية وروحية وفِكرية وفنية ووجدانية، وتشمل المَعارف والقيم، والالتزامات الأخلاقية المُستقرة فيها، وطَرائق التَفْكير والإبداع الجمالي، والفني، والمعرفي والتقني، وسبل السلوك والتصرف والتعبير و وطرز الحياة " [3].

يتَّضِح مما سبق أن الثَقافَة هي كل ما تَوصل إليه الإنسان من قِيَم ومَعرفة وأدوات، وأن لها جانبين: جانِباً مَعنوياً، وجانِباً مادياً، ويتَمَثل الجانب المَعْنوي، في مَجموع القِيم والنظريات، والعادات والتَقاليد والسلوك، أما الجانب المادي فيَتَمثل في كل ما هو مَلموس من أدوات وتَقنيات مادية يستخدمها الإنسان في حياته. وهي غالباً لا تأتي قَصداً وإنما يكتسبها الإنسان من بيئته وبناءً على هذه الثَقافَة المُكتَسبة يَحكُم على كل ما يحيط به.

---

[1] ابن منظور، محمد بن مكرم الإغريقي المصري: **لسان العَرَب**، ط1،بيروت، دار صادر، د ت، مادة ثقف. (ابن منظور، اللسان، فيما بعد).

[2] الزين، سميح عاطف: **الثَقافَة والثَقافَة الإسلامية**، ط1، بيروت، دار الكتاب العَرَبي،1973، ص31. (الزين، الثَقافَة، فيما بعد).

[3] المنظمة العَرَبية للتربية والثَقافَة والعلوم: **الخطة الشامِلَّة للثقافة العَرَبية**، ط2، تـونس، إدارة الثَقافَـة، 1990. ص43. (المنظمة، الخطة الشامِلَّة، فيما بعد).

موضوع الدِّرَاسَة التي سأُجريها هو: (تجليات الثَقافَة الجاهِلِيَّة في لُغة السور المكية) والمَقصود بتجليات الثَقافَة: هو مَظاهر هذه الثَقافَة وصورها المُختلفة، سواء ما تَعلق منها بالجانب المادي أم الجانِب المَعنوي المُتَمثل بالقِيم، والعادات والتَقاليد والمُعتقدات؛ وذلك في حقبة (الجاهِلِيَّة)، وهي الفترة السابقة لظهور الإسلام، التي تَمَيَّز فيها المُجتمع الجاهلي بمجموعة من الصِفات الإيجابية والسَلبية، وكل تلك الصِفات تَنْدرج ضِمن المفهوم العام للثقافة.

مفهوم الجاهِلِيَّة بين اللُغة والاصطِلاحْ

فُسِّرَ الجَهْل لُغَوياً "بأنه ضِد الحلم من جهل وجهالة، وأرض مجهل إذا كانَت لا يُهتَدى بها، وكل شيء استخففته حتى تَنزقهُ فقد استجهلته، والمجهلة الأمر الذي يحملك على الجَهْل "[1]. ويُضيف الزمخشري: "جاهَلَه سافَهَه وهو يَجهل على قومه، يَتسافَه عَليهم "، ومن ذلك قول عمرو بن كلثوم:

(الوافر)

ألا لا يَجْهَلَـــــنْ أحــــدٌ علينـــــا فنَجْهــلَ فــوقَ جَهْــل الجاهِلينـــا[2]

ومن المجاز: استَجْهَلَت الريح الغصن: حَرَّكته ومنه قول النابغة الذبياني :

(الطويل)

دَعــاك الهــوى واســتَجْهَلَتك المَنــازل وكيف تصــابي المَــرء والشــيب شــامل[3]

والمقصود أن المنازل استَخَفَّتْك واستفزتك [4].

[1] ابن دريد، محمد بن الحسن الأزدي القحطاني: **جمهرة اللغة**، تحقيق رمزي بعلبكي، بيــروت، ط1، لبنــان، دار العلــم للملايين، 1987، مادة جهل. (ابن دريد، جمهرة اللغة، فيما بعد).

[2] الزوزني، أبو عبد الله الحسين بن أحمد : **شرح المعلقات السبع**،تحقيــق لجنـــة التحقيــق فــي الــدار العالميــة، د ط، الدارالعالمية للنشر، ص 120. (الزوزني، شرح المعلقات السبع، فيما بعد).

[3] الذبياني، النابغة: **الديوان**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، القاهرة، دار المعــارف، د ت، ص 115.(الــذبياني، الديوان، فيما بعد).

[4] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر: **أساس البلاغة**، د ط، دار الفكر، 1979. مادة جهــل. (الزمخشــري، أســاس البلاغة، فيما بعد).

وقد جاء في لسان العَرَب أن الجاهِلِيَّة: زمن الفترة ولا إسلام، والمجهل المَفازة لا أعلام فيها يقال: ركبتها على مَجهولها، قال سويد بن أبي كاهل:

(الرمل)

فركِبْناهـــــا علــــــى مَجْهولِهـــــا بصِـــــلاب الأَرْض فِـــــيهنّ شَـــــجَعْ[1]

والشَّجَع مُحرّكةً في الإبل: سُرعَةُ نَقْلِ القَوائِمِ، شَجَعْ أي بصِلابِ القَوائمِ يقال: جَمَلٌ شَجِعُ القوائمِ ككَتِفٍ وناقةٌ شَجْعَاءُ [2].

وعن ذلك يقول السيوطي: "أن لفظ الجاهِلِيَّة اسم حدث في الإسلام للزمن الذي كان قبل البعثة "[3]. أما جرجي زيدان فيرى "أن لجاهلية العَرَب عصرين: الجاهِلِيَّة الأولى في عهود من أمم العَرَب البائدة، ومن خلفهم في اليمن وغيرها، والجاهِلِيَّة الثانية هي حالة جزيرة العَرَب لا سيما الحجاز قبل الإسلام بقرون عدة. وأن العَرَب في الجاهِلِيَّة الثانية قد تَمدنوا في كل من جنوبي الجزيرة وفي شماليها، بينما ظل أهل الحجاز في أواسطها على بَداوتهم، لجَدْب أرضهم، وجَفاف تُربتها، مع بُعدها عن الاحتكاك بالدول المُتحضرة، لتَوسطها في الصحراء ووعورة المَسالك فيها" [4].

وقد أكد أحمد أمين في كتاب فجر الإسلام، على" أن الجاهِلِيَّة ليسَت من الجَهْل الذي هو ضد العِلم؛ ولكن من الجَهْل الذي هو السَفه والغَضَب والأَنَفَة، مشيراً إلى قول رسول الله _عليه الصلاة والسلام _ لأبي ذر وقد عَيَّر رَجلاً بأمه " إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ " أي فيك روح الجاهِلِيَّة"[5].

---

[1] ابن منظور: **لسان العَرَب**، مادة جهل.

[2] الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني: **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق مجموعة من المحققين، د ط، دار الهداية، د ت، مادة (شجع)، (الزبيدي، تاج العروس فيما بعد).

[3] السيوطي، جلال الدين: **المزهر في علوم اللغة والأدب**، حققه فؤاد منصور، ط1، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 240.0/1،1998 السيوطي و المزهر، فيما بعد).

[4] زيدان، جرجي: **تاريخ التمدن الإسلامي**، د ط، بيروت، دار مكتبة الحياة، د ت، 24/1. (زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، فيما بعد).

[5] أمين، أحمد: **فجر الإسلام**، ط 10، بيروت، لبنان، دار الكتاب العَرَبي، 1969، ص 69. (أمين، فجر الإسلام، فيما بعد).

وإن في قول النبيّ الكريم _عليه الصلاة والسلام _ " ليس مِنَّا من ضَرَبَ الْخُدُودَ وَشَقَّ الْجُيُوبَ وَدَعَا بِدَعْوَى الجاهِلِيَّة " [1] إشارة وافية إلى أن المقصود بالجاهِلِيَّة لم يكن الجَهْل المنافي للعلم؛ إنما الجاهِلِيَّة هي الحقبة الزمنية السابقة لبُزوغ فجر الإسلام، والتي ظهر فيها العديد من المَذاهب الباطلة، والحالة الخُلُقية السيئة التي كانت حاضرة في نُفوس العَرَب آنذاك، كالحَمِيّة والعَصَبِيَّة الزائدة، التي طالما كانَت سَبَباً في نُشوء حروب أتَت على كَثير من الأرواح وأزهقتها، حيث المَبدَأ السائد انصُر أخاك ظالِماً أو مَظلوماً، والتَهَور والاندِفاع، دونما تَريث ولا تَفكير لمُجَرد الظَن، والتَفاخُر بالأحسابِ والأنساب.

والأمر الذي يُؤيِّد أن المَقصود بالجاهِلِيَّة الجَهْل المُنافي للحلم، لا الجَهْل المُنافي للعِلم، هو ما كان عليه العَرَب آنذاك من العِلم والدِراية، والحَذق في كَثير من الأُمور؛ فهم أهل الفِراسَة والقِيافة، ولهم في كَثير من العُلوم حَظ وافر.

ويروي ابن عبد ربه ما يؤَكِّد أن المَقصود بالجاهِلِيَّة الحقبة الزمنية، إذ قيل لبَعض أصحاب رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ " ما كنتم تَتَحَدثون في مَجالسكم؟ قال: كنا نَتَناشد الشِّعْر، ونتَحدث بأخبار جاهِليتنا " [2].

وتُستَخدم لَفظة الجاهِلِيَّة للدلالة إما على الحالة الخُلُقية التي كانت تُسَيْطر على العَرَب في ذلك العَصْر_ وهو ما ذكرته سابقا_ أو الدلالة على العَصْر كحقبة زَمنية من ذلك قوله _عليه الصلاة والسلام _ " الناس مَعَادِنُ خِيَارُهُمْ في الجاهِلِيَّة خِيَارُهُمْ في الْإِسْلَامِ إذا فَقُهُوا "[3] فالنبيّ الكريم هنا أشار إلى الجاهِلِيَّة باعتبارها فترة زمنية، ومنه قولنا كذلك شاعر جاهلي إشارة إلى الفَترة التي عاش فيها. أما عن مصطلح الجاهِلِيَّة في القرآن الكريم فيبدو أنه استُمِدّ من الطَيش والتَهوّر، والسَفه، والإعراض عن الحَق، وليس من جَهل يُنافي العِلم. من ذلك قوله تعالى: **" إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ الحَمِيّة حَمِيَّةَ الجاهِلِيَّة فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى**

---

[1] البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي: **الجامع الصحيح المختصر**، تحقيق مصطفى ديب البغا، ط3، دلر ابــن كثير، اليمامة، بيروت، 1987، حديث رقم 1235، 436/1.(البخاري، صحيح، فيما بعد).

[2] الأندلسي، أحمد بن محمد بن عبد ربه: **العقد الفريد**، ط 3، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العَرَبــي، 1999، 113/5. (الأندلسي، العقد الفريد فيما بعد).

[3] البخاري: **صحيح**، حديث رقم 3203، 1238/3.

الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُواْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً " (الفتح |26) .

وقد جاء في مُفردات القرآن أن الجَهْل يكون على ثَلاثة أضرُب:

الأول: خُلو النَفس من العلم وهذا هو الأصل.

الثاني: اعتقاد الشَيء بخلاف ما هو عليه.

الثالث: هو فِعل الشَيء بِخلاف ما حقه أن يفعل، سواء اعتقد فيه اعتقاداً صَحيحاً، أو فاسِداً كمن يَترك الصَلاة مُتَعَمداً وعلى ذلك قوله تعالى: **" وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُواْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ "** (البقرة | 67) فجعل فعل الهزو جهلا [1].

أما الأصفهاني فقد أشار إلى منازل الجَهْل وهي أربع:

الأولى: من لا يَعتقد اعتقاداً لا صالحاً ولا طالِحاً، فأمره في إرشاده سَهل؛ إذ كان له طبع سليم فإنه كلوح أبيض لم يَشغله نقش، ويقال له باعتبار العلم النَظري (غَفِل), وباعتبار العلم العَملي (غمر) ويقال له سَليم الصَدر.

الثاني: مُعتقد لرأي فاسِد لكنه لم يَنشأ عليه، ولم يَتَربَّ، واستِنزاله عنه سَهل، وإن كان أصعب من الأول فإنه كلَوح يحتاج فيه إلى مَحْو وكِتابة، ويقال له: غاو وضال.

والثالث: مُعتقد لرأي فاسد قد (ران على قلبه)، وتَراءت له صِحته، فركن إليه لجَهْلِه وضعف نَحيزته، فهو مِمن وصَفه الله تعالى بقوله **" إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون "** (الأنفال|22)، فهذا ذو داء أعيا الأطباء (فما كل داء له دواء) فلا سبيل إلى تَهذيبه.

والرابع: معتقدٌ اعتقاداً فاسِداً عرف فَساده أو تمكن من مَعرفته، لكنه اكتَسب دنية لرأسه وكرسياً لرئاسته، فهو يُحامي عليها، فيجادل بالباطل ليَدْحَض به الحق، ويذمُ أهل العِلم ليَجُّر إلى نفسه

---

[1] الحسين بن محمد، أبو القاسم: **مفردات القرآن**، تحقيق محمد كيلاني، د ط، بيروت، لبنان، دار المعرفة، د ت، 1/ 102. (الحسين بن محمد، مفردات القرآن، فيما بعد).

الخلق، ويقال له فاسق ومُنافق، وهو من المَوصوفين بالاستِكبار والتَكَبر"[1] في نحو قوله تعالى:**" إِلَـهُكُمْ إِلاهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالاٌّ خِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ "** (النحل|22).

وتؤيد الباحثة ما ذهب إليه ناصر الدين الأسد عندما أشار إلى أن حياة العَرَب في الجاهِلِيَّة كانت بعيدة كل البعد عما يَتَوهمه بعض الواهمين أو يقع فيه بعض المُتَسرعين الذين لا يتوقفون ولا يَتثبتون، فيَذهبون إلى أن عرب الجاهِلِيَّة لم يكونوا سوى قَوم بدائيين يَحيون حياة بدائية في مَعزل عن غَيرهم من الأمم [2]. بل إن العَرَب كانوا على اتصال بمن حَولهم مادياً وأدبياً، وكان من أهم طرق هذا الاتصال التجارة وإنشاء المدن العَرَبية المُتاخمة لفارس والروم، إضافة إلى البِعثات اليهودية والنصرانية التي كانت تَتَغلغل في جزيرة العَرَب.

---

[1] الأصفهاني، أبو القاسم: **الذريعة في مكارم الشريعة**،، تحقيق أبو اليزيد العجمي، ط1، القاهرة، دار الســلام، 2007، ص 165_166.(الأصفهاني، الذريعة، فيما بعد).

[2] ينظر،الأسد، ناصر الدين: **مصادر الشِّعْر الجاهلي**، ط2، مصر، دار المعارف، 1962، ص 18.(الأسد، مصادر الشِّـعْر الجاهلي، فيما بعد).

الفصل الأول

المبحث الأول: الحياة الجاهِلِيَّة

المبحث الثاني: التَواصُل الثَقافي وطرقه

المبحث الأول

الحياة الجاهلِيَّة

الحياة الدينية

كانت دِيانة العرب في الجاهلية طَرائق قددا، شَأنها شَأن الأُمم البدائية كلها " فاعتَقدوا – كما اعتَقد غيرهم– أن الطَبيعة مَلأى بقوى أعظم من قوة الإنسان، يَتَوسَّل إليها في كَسب الخَير ودَفع الشَر، ثم ارتَقوا فاعتَقَدوا بِحلول هذه القُوى في الأشجار والكُهوف، واليَنابيع والحِجارة " [1].

وعقيدة البدوي بسيطة وسَطحية فهو لا يهتَّم بالدين، والدليل على عدم اهتمامه بالدين أن الشِّعْر الذي تركه في المعلقات_خاصة وأنها عَكَست العَديد من مَناحي حياتهم المُختَلفة _لا نجد فيه أثراً للدين، كما أننا لم نَسمع عن حروب بين القبائل بِسَبب الدين – مع كثرتها–.

إن العَرَب من عدنان وقحطان كانوا قبل ظُهور عمرو بن لُحَيّ الخزاعي فيهم على بَصيرة من أمرهم يَتَعَبدون بشَريعة خليل الرحمن سيدنا إبراهيم _عليه الصلاة والسلام_، وهي الحنيفية[2]، التي جاء بها محمد –عليه الصلاة والسلام– فكانوا يَعتقدون أن الله واحد لا شريك له، موصوف بصِفات الكمال من الحَياة والقُدرة والعِلم وغيرها من الصِفات، التي أثبَتها لنَفسه في كتبه، وجاءت على لِسان رُسله [3]

قال تعالى: **" إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَاكِراً لأنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ وَءاتَيْنَاهُ فِى الْدُّنْيا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِى الأٌ خِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّة إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ "** (النحل|120_123) **" وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُواْ الصَّلَواةَ وَيُؤْتُواْ الزكاة وذلك دين القيمة "** (البينة|5)

---

[1] الحوفي، أحمد: **الحياة العَرَبية من الشِّعْر الجاهلي**، د ط، بيروت، لبنان، دار القلم، **د ت**، ص 382.

[2] الحنيف لغة هو المستقيم، وقال أبو عبيدة من كان على دين إبراهيم فهو حنيف عند العَرَب، فلما جــاء الإســلام ســموا المسلم حنيفاً. للمزيد أنظر، ابن منظور: **اللسان**، مادة (حنف).

[3] الألوسي: **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العَرَب**، شرحه وصححه وحققه محمد الأثري، د ط، بيروت، لبنان، دار الكتــب العلمية، د ت، 194/2. الألوسي، بلوغ الأرب فيما بعد).

ويُفَسِّر القرطبي { حُنفاء } أي مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام وكان ابن عباس يقول: حنفاء: على دين إبراهيم عليه السلام وقيل: الحنيف: من اختتن وحج قاله سعيد بن جبير قال أهل اللغة: وأصله أنه تحنف إلى الإسلام أي مال إليه [1].

إذن الحَنيفية هي دين إبراهيم الذي أوحي إليه فبشر به، وأقام على أساسه الكعبة، تعرض إلى التحريف والتغيير بعد وفاة إسماعيل من قبل القبائل التي حكمت مَكَّة، وهي حَسَب ترتيبها الزمني جرهم فخزاعة ثم قُرَيْش، وقد ورث العَرَب ذلك الدين عن النبيّ إبراهيم، ونتيجة لمؤثرات خارجية وداخلية، انحرف العَرَب عن دين التوحيد، وامتزجت بعقيدتهم أفكار الشرك والزندقة وشعائر اسطورية كثيرة، ومع ذلك بقي الجاهليون يُطلقون على أنفسهم حنفاء، وهو المعنى ذاته الذي أطلقه القرآن الكريم على الموحدين [2].

وليس الإسلام أول من دعا إلى رفض عبادة الأصنام؛ فقد كان في بلاد العَرَب المُتحنفون، _وذلك بعد أن هاجر إبراهيم إلى الحجاز_ يقيمون الصلاة لإله واحد، قال جَرَّان العود:

(الطويل)

وَأَدركَنَ أَعجـازاً مِـنَ اللَيـلِ بَعـدَ مـا   أَقـامَ الصَـلاةَ العابِـدُ المُتَحَنِّـفُ [3]

أما عن الظُروف التي هيأت لولادة الحنيفية، فيقول حسين مروة: "إن وجود الديانتين اليهودية والمسيحية، كان عامِلاً مُساعداً في تغير الوعي الديني هناك (أي في شبه الجزيرة العَرَبية) باتجاه النظر التجريدي نحو مشكلة الوجود، مُتجاوزاً النظرة الوثنية الحِسيّة الساذِجة فقد كان طبيعياً، خلال التَعايش زَمناً طويلاً بين التَصورات الوثنية، والأفكار اليهودية والمسيحية بشأن وجود العالم، أن يَحدث التفاعل بين هذه وتلك، وأن يَشيع الجَدل في مسائِل الخَلق

---

[1] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: **الجامع لأحكام القرآن**، د ط، القاهرة، دار الشعب، د ت،134/2.(القرطبي، الجامع فيما بعد).

[2] قصي: **الأساطير العَرَبية**، ص 167.

[3] جرَّان العود النميري: **الديوان**، رواية أبي سعيد السكري، ط 1، مطبعة دار الكتب المصرية، 1931.(جرهم العود، الديوان، فيما بعد). والحوت: **في طريق الميثولوجيا عند العَرَب (بحث مسهب في المعتقدات والأساطير العَرَبية)**، ط 1، بيروت، مطبعة دار الكتب، 1955، ص23، (الحوت، في طريق الميثولوجيا فيما بعد).

والألوهة، وطبيعة الآلهة حتى مسائل البعث والقيامة والنُبوة أيضاً، ثم أن ينتج التفاعل الطويل الأمد، وأن تُنتج اختماراته في ذاكِرة الوعي، ظُهور فريق من الناس في مُجتمع الجاهِلِيَّة، بمَوقف مُتَميز حِيال كل تلك المسائل الكَونية، أي موقف ليس بوثَني ولا يهودي ولا مَسيحي، بل مُتَفرِّد باتجاه الرُؤية التأملية، كعلامة على ولادة أمر جَديد من رَحم الأمر القديم نفسه، ذلك هو الفريق الذين أُطلِقَت عليهم صفة (الحنفاء) [1] .

ومما يَجْدُر ذكره أن العَرَب في الجاهِلِيَّة " كانوا يَحُجُّونَ البيت ويعتَمرون ويُحرمون ويطوفون بالبيت سَبعاً، ويَمسحون بالحجر، ويسعون بين الصفا والمروة، وكانوا يُلبون؛ إلا أن بعضهم كان يُشرك في تَلبيته في قوله: إلا شريك هو لك تَملِكه وما مَلَك، وكانوا يَقِفون المواقف كلها، وكانوا يَهدون الهدايا ويَرمون الجِمار، ويحرمون الأشهر الحرم، فلا يغزون، ولا يُقاتلون فيها إلا طيّء وخثعم، وبعض بني الحارث بن كعب؛ فإنهم كانوا لا يَحُجُّونَ، ولا يَعتَمرون، ولا يُحرمون الأشهر الحرم، ولا البلد الحرام. وذكر الشهرستاني كذلك " أن العَرَب في الجاهِلِيَّة كانوا يداومون على طَهارات الفِطرة التي ابتلي بها إبراهيم – عليه السلام – وهي الكلمات العشر، خمْس في الرأس، وخمس في الجَسد، فأما اللواتي في الرأس: فالمَضمضة، والاستِنشاق، وقَصّ الشارب، والفرق، والسِواك، وأما اللواتي في الجَسد فالاستِنجاء، وتَقليم الأظافر، ونَتف الإبط وحلق العانة، والخِتان، فلما جاء الإسلام أقَرَّها سُنَّة من السُنن " [2].

وقد صنف الشهرستاني في كتابه المِلل والنِحل معطلة العَرَب إلى ثلاثة أقسام:

(1) مُنكرو الخالق والبَعث والإعادة، وقد أنكر هؤلاء الخالق والبَعث والإعادة وقالوا بالطبع المُحيي والدهر المُفني، وهم الذين أخبر عنهم عزَّ وجلّ بقوله **" وَقَالُواْ إِنْ هِىَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ "** (المؤمنين |37).

---

[1] مروة، حسين: **النزعات المادية في الفلسفة العَرَبية**، بيروت، دار الفارابي، 1978، ص 309.(مروة، النزعات المادية فيما بعد).

[2] الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم: **الملل والنحل**، د ط، بيروت، دار المعرفة، 1979، 2/ 247_249. (الشهرستاني، الملل والنحل، فيما بعد).

(2) مُنكرو البَعث والإعادة، وهؤلاء أقروا بالخالق وابتداء الخلق وأنكروا البعث والإعادة، وهم الذين أخبَرعنهم القُرآن الكريم بقوله تعالى **" وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِىَ خَلْقَهُ قال من يحيي العظام وهي رميم "** (يس|78)

(3) مُنكرو الرُسل عباد الأصنام، وهم الذين أقروا بالخالق وابتداء الخلق ونوع من الإعادة، وأنكروا الرسل وعبدوا الأصنام، وزعموا أنهم شفعاؤهم عند الله في الدار الآخرة، وحجوا إليها، ونحروا لها الهدايا وقربوا القَرابين وتقربوا إليها بالمَناسك والمشاعر، وأحلوا وحرموا، وهم الدهماء من العَرَب إلا شرذمة منهم [1] وهم الذين أخبرَ عنهم القرآن الكريم في قوله تعالى: **" وَقَالُواْ مَا لِهَاذَا الرَّسُول يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى الأٌ سْوَاقِ لَوْلا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُوراً "** (الفرقان|7).

يقول الكلبي عن بدايات عبادة الأصنام: " إن اسماعيل بن إبراهيم لما سكن مَكَّة، وولد له بها أولاد كُثر حتى ملؤوا مَكَّة، ونفوا من كان بها من العماليق ضاقَت عليهم مَكَّة، ووقعت بينهم الحُروب والعداوات، وأخرج بعضهم بعضاً فتفسحوا في البلاد، وكان الذي سَلَخ بهم إلى عبادة الأوثان والحجارة؛ أنه كان لا يَظعن من مَكَّة ظاعن إلا احتَمل معه حَجَراً من حِجارة الحَرَم؛ تَعظيماً للحَرم، وصَبابة بمَكَّة فحَيثما حلوا وضَعوه، وطافوا به كطَوافهم بالكَعبة، تَيمناً منهم وصبابة بالحرم، ثم سَلَخ ذلك بهم إلى أن عَبدوا ما استَحبوا، ونسوا ما كانوا عليه بدين إبراهيم وإسماعيل، فعَبدوا الأوثان وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم من قبلهم. وكان أول من غير دين إسماعيل _عليه السلام_ فنصب الأوثان وسيب السَّائبة، ووصل الوصيلة وبحر البَحِيرَة، وحَمى الحامية عمرو بن ربيعة وهو لحي بن حارثة بن عمرو بن عامر الأزدي. وقد كان للعرب في الجاهِلِيَّة العَديد من الأصنام التي عبدوها، وتَقربوا لها بالنُذور والقرابين منها: إساف ونائلة فأصبحوا فَوجدوهما مسخين، فأخرجوهما، وقد عَبدتهما خزاعة وقُرَيْش، ومن حجَّ البيت بعد من العَرَب. وقد اتخَذت هذيل بن مدركة سِواعاً، واتخذت كلب ودا، واتخذت خيوان يعوق، واتخذت حمير نسراً، وكان من أصنامهم كذلك: مناة واللاَّتَّ والعُزَّى، ولقُرَيْش أيضا أصنام في جوف الكعبة وحولها، وكان أعظمها عندهم هبل. وكان لأهل كل دار من مَكَّة صنم في دارهم يعبدونه

[1] الشهرستاني: **الملل والنحل**،2 /235.

فإذا أراد أحدهم السفر كان آخر ما يصنع في منزله أن يتمسح به، وإذا قدم من سَفره، كان أول ما يَصنع إذا دخل منزله أن يتمسح به [1]. وإلى جانب الأصنام هناك من عَبد الكواكب، فمِنهم من من عبد القَمَر، وزعموا أنه ملك من المَلائكة يستحق التَعظيم والعِبادة، وإليه تدبير العالم السُفلي، ومن دينهم أن يسجدوا له ويعبدوه، وأن يَصوموا النِصف من كل شهر، لا يفطروا حتى يَطلع القَمَر، ويَسألون حَوائجهم. وهناك من عَبد الشمس، حيث زعموا أن الشَمس مَلك من الملائكة، ولها نفس وعقل ومنها نور الكواكب، وهي مَلِك الفلك، فتَستَحق التَعْظيم والسُجود والدُعاء، وهؤلاء يُسمون (الدينيكيتية) أي عُبَّاد الشَمس، ومن سُنتهم أن اتخذوا لها صَنماً، وله بيت خاص باسمه يُقدِّمون له القَرابين، ويُصلّون فيه، ويأتيه أصحاب العِلل والأمراض فيَصومون له ويُصلّون، كما أنهم عَبَدوا الشِّعْرى [2]. قال تعالى **" وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرى "** (النجم|49).

كما أن هناك من العَرَب من كان يُؤمن بالله يَجعل له شَريكاً من الجِنّ أو من الملائكة، وكان يرى أنها بنات الله، فقد رُوي" أن بني مليح من خزاعة كانوا يَعبدون الجِنّ" [3]." ومن العَرَب من عبد الجِنّ وتَسمى بأسمائها مثل عمرو بن عبد الجِنّ بن عائذ" [4].

يتبين مما سبق أن ديانة العَرَب قبل الإسلام كانت تتميز بالتشتت والتجزء، نظراً لكونها ديانات قبلية، تعتمد في المقام الأول على المَعبود الخاص بكل قبيلة، سواء كان متمثلاً في الأصنام والأوثان، أو في الكواكب والظواهر الطبيعية، أو في الأرواح التي تسكن هذه الأشياء، ومعنى هذا أن العَرَب لم يكن لديهم إحساس ديني عام، يمكن أن يجمَعهم ويقْتَرب بهم من درجة التَوحيد الديني، أو حتى الالتِفاف حول عدد مُحدد من المَعبودات، قال أبو الرجاء العطاردي: كنا نعبد الحجر في الجاهِلِيَّة، فإذا وجدنا حجراً أحسن منه نلقى ذلك ونأخذه، فإذا لم نجد حجراً جمعنا حفنة من تراب، ثم جئنا بغنم فحلبناها عليه ثم طفنا به، وقال أيضاً كنا نعمد إلى الرمل، فنَجمعه ونحْلب عليه فنعبده، وكنا نعمد إلى الحجر الأبيض فنعبده زماناً ثم نلقيه.

---

[1] ينظر: الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب: **الأصنام**، تحقيق أحمد زكي باشا، ط2، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، 1924، ص 6_ 33. (الكلبي، الأصنام، فيما بعد)

[2] الشهرستاني: **الملل والنحل**، 257/2_258.

[3] الكلبي: **الأصنام**، ص 34.

[4] الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم: **جمهرة أنساب العَرَب**، د ط،تحقيق عبد السلام هارون، مص، دار المعارف، المعارف، د ت، ص 451.(القرشي، جمهرة أنساب العَرَب، فيما بعد).

ويتبين مما سبق أن عرب الجاهِلِيَّة تَعاملوا باستِهتار تِجاه مَعبوداتهم، فقد كانوا ينكرون هذه الآلهة لأتفَه الأسباب، ويرتدون عن عِبادتها، ولا بأس من أكلها إذا كانت مَصنوعة من مادة غِذائية، كما فَعل بنو حنيفة بإلههم وكان مَصنوعاً من حيس [1] فقال تميمي:

(الخفيف)

أكلــت ربهــا حنيفــة مــن جــوع قــديم بهــا ومــن إعــواز[2]

ولذلك فإن العاطفة الدينية التي سيطرت على العَرَب في الجاهِلِيَّة، تشبه إلى حد بعيد تلك العاطفة الدينية التي سَيطَرت على أفئدة المُجتمعات البَشرية الأخرى، في طَور بَداوتها وبدء تَحَضُرها.

الحياة السياسية

كان العَرَب في الجاهِلِيَّة مُجتمعاً مُفَتَتاً، من الناحية السياسية، إلى وحدات مُتَعدِّدة قائمة بذاتها، تمثل القبائل المُختلفة؛ إذ إن العَصَبِيَّة القَبلية قَضت فيه على فكرة التَرابط السياسي، "وقد كانت القَبيلة هي الوحدة السياسية عند العَرَب في الجاهِلِيَّة؛ ذلك لأن القَبيلة جماعة من الناس ينتَمون إلى أصل واحد مُشتَرك تَجمَعهم وحدة الجَماعة، وتَربطهم رابطة العَصَبِيَّة القَبلية للأَهل والعَشيرة، ورابطة العَصَبِيَّة هي شُعور التَماسك والتَضامن والاندِماج بين من تَربطهم رابطة الدم، وهي على هذا النَحو مَصدر القُوة السِياسية والدفاعية التي تَربط بين أفراد القَبيلة "[3].

وكان للقبائل العَرَبية دُستور عُرفي عام يَشْتَرك فيه كل أفراد القَبيلة، وهذا الدُستور ينحَصِر في كلمة واحدة هي العَصَبِيَّة، وإذا كان الدستور هو القانون الأساسي، فإن قواعده كلها انبَنَت على العَصَبِيَّة [4]. والحُكومة في الجاهِلِيَّة متشابهة عند سائر أهل البادية، فإن المناصب كلها تَجتمع عندهم في شَخْص شيخ القَبِيلة، فالشَيخ هو المَلِك، والقاضي، وصاحِب بيت المال، وقائد

---

[1] الحَيْس الخَلْطُ ومنه سُمِّيَ الحَيْسُ هو تَمْرٌ يُخلَطُ بسَمنٍ وأَقِطٍ فيُعجَن، للمزيد أنظر: **تاج العروس** مادة (حيس).

[2] الجارم، نعمان: **أديان العَرَب في الجاهِلِيَّة**، ط1، مصر، مطبعة السعادة، 1923، ص 158. (الجارم، أديان العَرَب، فيما بعد).

[3] علي، جواد: **المفصل في تاريخ العَرَب قبل الإسلام**، ط1، بيروت، دار العلم للملايين،1971، /1365. 0 (علي، المفصل، فيما بعد).

[4] الشريف، أحمد إبراهيم، **مَكَّة والمدينة في الجاهِلِيَّة وعهد الرَّسُول**، د ط، دار الفكر العَرَبي، د ت، ص 71. (الشريف، مَكَّة والمدينة فيما بعد).

الجنّد، وكانوا يَختارون لهذه الرياسة أقواهم عَقلاً، وأكثرهم دهاءً بلا تَواطؤ أو تَعَمُّد، وإذا تساوى عدّة منهم في القُوة والدهاء، اختاروا أكبَرهم سِنّاً وأوسَعهم جاهاً، وإذا اجتمَعت عدة قبائل في مُحالفة على حرب، واحتاجوا إلى من يَرأسهم جميعاً، اقترعوا بين أهل الرئاسة، فمن خرج سهمه رأسوه، كبيراً كان أو صغيراً. ذلك كان شأن العَرَب الرُّحَل، أهل الغزو والسَطو، أما الحَضَر وهم أهل مَكَّة، فقد كانت السِيادة فيهم لسادن الكَعبة، ولمَّا أفضَت السدانة إلى قُرَيْش، صارت السِيادة لهم في كل شَيء[1].

يصف جرجي زيدان في كتاب العَرَب قبل الإسلام حالة العَرَب السِياسية بالفَوضى، قائلاً: "وكانت العَرَب في الجاهِلِيَّة في شَرّ حال من الفَوضى والاضطِراب، سواء في نِظام الحكومة أو سِياسة البيت، فكانت النُفوس في كل حين عُرضة للسَفك، والأموال في كل وقت مُعرَّضة للسَلب والنَهب؛ لأنهم كانوا شُعوباً وقبائل تَغلي صُدورهم بالأحقاد، وكل قَبيلة إما مُقاتلة أو تَسْتَعد لأخذ ثأر لمَقتول قتل عَمداً أو خَطأ، أو لهَفوة لم يَتَناولها الصَفح ولم يغفرها العَفو "[2].لذا فقد كانت حياة العَرَب في الجاهِلِيَّة قتال في قتال، دِماء تُسفك، وأرواح تُزهق.

وقد تعَدَدَت أسباب الغَزو عند العَرَب، وعن تلك الأسباب يقول جواد علي: " فبعض القَبائل كانت ترى الغَزو أمراً طبيعياً؛ لتسود وتُسَيطِر، وتَستأثر بالرِئاسة والسُؤدد، أو لتَتَخَلص من حُكم أجنَبي، وقد يكون الهَدف اقتِصادياً؛ فإن ضيق أسباب الحياة في الجزيرة العَرَبية أوجد حركة مُستَمرة نحو الماء والمرعى، والتَسابق على مَوارِد المِياه، ومَنابِت العُشْب كان سَبباً في قيام الحَرب بين المتسابقين " [3].

أما التَنظيم العَسْكري والحَربي لدى البدو في تلك الحقبة، فلم يكن عند العَرَب المُتَبدية جيوش مُنَظِّمة، ولكن جَميع أفراد القَبيلة شيوخاً وشُباناً كانوا يلبون نداء القَبيلة عندما يَستَنفرهم رئيسهم[4]

---

[1] زيدان، جرجي: **تاريخ التمدن الإسلامي**، 28/1.

[2] زيدان، جرجي: **العَرَب قبل الإسلام**، ط2، مصر، مطبعة الهلال،1922، /1 206. (زيدان، العَرَب قبل الإسلام، فيما بعد).

[3] علي، جواد: **المفصل**، 214/4. وسوسة، أحمد: **المفصل في تاريخ العَرَب واليهود (حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الأثرية)**، ط 5، الجمهورية العراقية، دار الرشيد للنشر، 1981، ص 294.

[4] ينظر: سالم، عبد العزيز: **تاريخ شبه الجزيرة العَرَبية**، د ط، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة و 1999، ص 366، (سالم، تاريخ شبه الجزيرة العَرَبية، فيما بعد).

الحياة العقلية

تعد الحياة العقلية عند العَرَب في العَصْر الجاهلي شبيهة إلى حد بعيد بالحَياة العقلية عند جميع الشُعوب والمُجتَمعات في طَور بداوتها، من قبل أن تَصِل إلى طَور النُضْج الفِكري، والتكامل العَقلي، حيث نجد أن العادة هي المُسَيطرة على عقله. وقد أشار أحمد أمين إلى أطباع العَرَب ونَمط تفكيرهم، يقول: " يتَجلى لدى العَرَبي أحياناً شيء من ضعف التعليل، وهو عدم القُدرة على فهم الارتباط بين العلة والمَعلول، والسَبب والمُسبب فهماً تاماً إذا مرض أحدهم فيَصِفون له عِلاجاً، فيُفْهم نوعاً من الارتباط بين الداء والدواء؛ ولكن لا يَفهمه فهم العقل الدقيق الذي يتَفَلْسَف، يفهم أن عادة القَبيلة أن تتناول هذا الدواء عند هذا الداء أو أن سَبب المرض روح شريرة حلت فيه فيداويه بما يَطرد هذه الأرواح، أو أنه إذا خِيف على الرَجل من الجِنّون نجسوه بتَعليق الأقذار، وعِظام المَوتى، ولا يَسْتنكر شيئاً من ذلك ما دامت القَبيلة تَفعله، لأَن مَنشأ الاستِنكار دِقَّة النَظر، والقُدْرة على بحث المَرَض وأسبابه وعوارضه، وما يُزيل هذه العَوارض، وهذه درجة لا يَصل إليها العَقل في طَوره الأول" [1]. وشارك الحوفي أحمد أمين في ضُعف التَعليل الذي يتفَشى عادة في الأمم البدائية، ومنهم العَرَب، يقول: " يتفشى في الأمم البدائية والشُعوب الجاهِلِيَّة رَبط المُسَببات بغير أسبابها الطَبيعية، فيُؤمن الناس بالسِحر، ويَعتَمدون على التَمائم في جَلب النَفْع ودَفْع الضَرر؛ إلا أنه أشار إلى أن البيئة العَرَبية لم تَخل من عقلاء يَستَخفّون هذه العَقيدة، قال المرقم:

(مجزوء الكامل)

لا يمنَعَنَّــــــــكَ مـــــــــن بَغـــــــــا ءِ الخيـــــــرِ تعقيــــــدَ التمــــــائم[2]

ولعل هذا الضعف في التعليل هو الذي يشرح لنا ما ملئت به كتب الأدب من خرافات وأساطير كانت تعتقدها العَرَب في جاهليتها، ولم يكن هذا شأن العَرَب وحدهم؛ بل شاركهم فيه غيرهم من الأمم في طور مثل طورهم، كاليونان، وأصبحت هذه الأشياء وغيرها موضوعاً لما يسمى (الميثولوجيا) [3].

---

[1] أمين، أحمد: **فجر الإسلام**، ص39.

[2] لحوفي، أحمد: **الحياة العَرَبية من الشِّعْر الجاهلي**، ص 506_508.

[3] الميثولوجيا (mythology) هي قصة الأساطير، أو علم الأساطير، للمزيد: أنظر: عبودي، هنري س: **معجم الحضارات الحضارات السامية**، ط 2، طرابلس، لبنان، جروس برس، 1991م، ص 825، (عبودي، معجم الحضارات فيما بعد).

وحقيقة أن من يُمعِن النَظر في كُتب التأريخ والأدب الجاهلِي، يَجِدها حافلة بالعديد من المَذاهب الباطلة، والخُرافات التي كان عليها الجاهليون، والتي تُؤكد انغِلاق العَقل الجاهِلي عن التَعليل الدَقيق، وربَط الأسباب بمُسَبِباتها الحَقيقية. من تلك الخُرافات أن العَرَب كانت تَعتَقد أن دم الرَئيس يَشفي من داء الكَلَب (السُّعار)، يقول أبو البرج القاسم بن حنبل المري في زفر بن مسعود بن سنان:

(الوافر)

بُنــــاةُ مَكـــــارمٍ وأســــاةُ كَلـــــمٍ   دِمــــاؤهمُ مِــــنَ الكلَــــبِ الشــــفاء[1]

وللخوف من الجان في أذهانهم حيز كبير " فالعَرَب تزعم أن الطاعون رِماح الجِنّ ". قالت فاختة بنت عدي:

(الوافر)

لَعَمْــركَ مـــا خَشــيتُ علـــى أُبـــيٍّ   رِمــــاحَ بنـــي مُقيِّـــدة الحمــــارِ

ولكنــــي خَشَــــيت علـــى أُبـــيٍّ   رِمــــاحَ الجِـــنّ أو إيــــاكَ حــــارِ[2]

تقول لم أكن أخاف على أبيٍّ مع منَعته وصرامته أن يقتله الأنذال. ولكني إنما كنت أخافك عليه فتَكون أنت الذي تَطعنه أو يَطعنه طاعون الشام.

ومن الأمور التابعة لخَوفِهم من الجان الاستعاذة به؛ لاعتِقادهم بالقُوة الكامنة فيه، والقادرة على حِمايتهم، يقول الألوسي: كان الرجل مِنهم إذا ركبَ وخاف على نَفسه من طوارق الليل عمد إلى واد ذي شجر، فأناخ راحلته في قرارته، وعقلها وخَطَّ عليها خطاً، ثم قال: أعوذ بصاحب هذا الوادي. وقد أخبر القرآن الكريم عن ذلك في قوله تعالى **"وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الجِنّ فَزَادوهُمْ رَهَقاً وَأَنَّهُمْ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَداً "** (الجِنّ 6\)، وقد استعاذ رجل منهم ومعه ولد فأكله الأسد فقال:

---

[1] الألوسي، محمود شكري : **بلوغ الأرب** 319/2.

[2] الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: **الحيوان**، تحقيق عبد السلام هارون، ط 3، بيــروت، لبنــان، دار إحيــاء التــراث العَرَبي، 1969. 212/6_219(الجاحظ، الحيوان، فيما بعد).

(رجز)

قـــد اســـتعذنا بعظـــيم الـــوادي مـــن شَـــرِ مـــا فيـــه مِـــنَ الأعـــادي
فلـــــم يجرنـــــا مـــــن هزبـــــر عـــــادي[1]

ويبدو أن صِفة الخَوف من المُستقبل، ومن الأمور المُبهمة كانت هي الغالِبة على عقلية العَرَب في الجاهِلِيَّة، وإن في مُعتقداتهم ومذاهبهم ما يُنبئ عن معنى هذا الخَوف، فعندما خاف الإنسان في الجاهِلِيَّة من الفَقْرِ أو العار، أو من عَيْبٍ خَلْقِي لَجَأ إلى الوأْد، وعند خوفه من خسارة تُمنى بِها تِجارته لَجأ إلى التَّطَيُّر. وهو في الأصل نوع من الزجر بالطير، يقوم على مراقبة حركات الطيور، فإن تيامنت دل تيامنها على فأل، وإن تَياسَرت دل تياسُرها على شُؤم، وسموا السانح منها ما يمر من اليسار إلى اليمين [2]. وأن كثيرا من أهل الجاهِلِيَّة كان إذا أراد الحاجة أتى الطَير في وكرها، فنفَّرَها فإذا أخذت ذات اليَمين مَضى لِحاجَته، وهذا هو السانح عِندهم، وإن أخذت ذات الشِمال رَجع، وهذا هو البارح عندهم. وقد كان للتطير شأن كبير في حياة الجاهليين. وعن أصل التَّطَيُّر يقول الجاحظ: " إنما كان من الطَير ومن جِهة الطَير إذا مر بارحاً أو سانحاً أو رآه يَتفلى ويَنتِف، حتى صاروا إذا عاينوا الأَعور من الناس أو البَهائم أو الأعضَب أو الأبتَر، زجروا عند ذلك وتَطَيَّروا كما تَطَيَّروا من الطَير إذا رأوها على تلك الحال، فكان زَجر الطَير هو الأصل، ومنه اشتقوا التَّطَيُّر، ثم استعملوا ذلك في كل شيء " [3]. وللجاهليين في الخَرزات والأحجار والرُّقي والعزائم مَذاهب، والخرزة مَعروفة، وقد تكون حَجَر أملس صغير يمتاز بلَون أو أكثر، ويُحركونها على نحو معين، ويرددون كلاما مَسجوعاً كسَجع الكهان، بعضه مَفهوم وبعضه طَلاسِم أو تَكاد. وهذا الكلام المَسجوع يُعرف بالرُقْيَة، وهي التَمائِم مما كانوا يَدَّعون تنفع في الوِقاية من عَوارض الحَياة، ويتضح ذلك في قول أبي ذُؤيب الهذلي:

(الكامل)

وإذا المنيـــة أنشـــبت أظفارهـــا ألفيـــت كـــل تميمـــة لا تنفـــع[4]

---

[1] الألوسي: **بلوغ الأرب**، 2/325_326.

[2] ابن منظور: **اللسان**، مادة طير.

[3] الجاحظ: **الحيوان**، 1/438.

[4]: **ديـــوان الهـــذليين**، د ط، القـــاهرة، الـــدار القوميـــة للطباعـــة والنشـــر،1965، 1 /3. (المجلس الأعلى، ديوان الهذليين فيما بعد).

وفيما يلي جمِلَّة من خرزاتهم وأحجارهم، وهي:

1. خرزة الهَبْرَة، أصلا القطعة الكبيرة من اللحم الخالص. ورقيتها: يا هبرة اهبريه، من استِهِ إلى فيه وماله وبنيه.

2. خرزة الهِمْرة، ويقال لها الهَمرة أيضا. ورقيتها: أخذته بالهِمْرة ولقطات الهذرة، ونفثت كيد السحرة، لبرزة مذكرة. وتُسمى خرَزة الحُب.

3. خرزة الهنَّمْة، ورقيتها: أخذته بالهنَّمْة، بالليل بعل وبالنهار أمة، أي بالليل رجل وبالنهار أنثى. وهدف هذه الخرزة استعطاف قلوب الرجال.

4. خرزة الفطسة، ورقيتها: أخذته الفطسة، بالثؤبا والفطسة، فلا يزال في نعسة، من أمره ونفسه، حتى يزور رمسه.

5. ومن رقى الحجارة قولهم: يا حجر اعطف عليه، صب فصب عليه، أرق فارق عليه.

6. خرزة الكَرَار، ورقيتها: يا كَرَار كريه، إن أقبل فَسُرِّيه، وإن أدبَر فَضُرِّيه. وهدفها الاستِعطاف.

7. وخرزة الينْجلبُ، بوزن المضارع من انفعل. ورقيته: اخذته بالينجلب، فلا يرم ولا يغب، ولا يزال عند الطُّنب. والطُّنب الحبل الذي يشد به بيت الشِّعْر إلى الأرض، والهدف من هذه الخرزة الرجوع بعد الفرار والعطف بعد البغض.

8. الدّردَبيس [1]، ورقية هذه الخرزة: أخذته بالدَّردبيس، يدُرُّ العرق اليبيس، ويذر الجَديد كاليبيس كاليبيس . وهي سوداء تستعطف بها قُلُوب الرجال [2]. وقال شاعرهم في هذه الخَرَزة:

---

[1] الدَّردبيس: أصلها الداهية. وجاء في اللسان الدردبيس خرزة سوداء كأن سوادها لون الكبد إذا رفعتها واستشفقتها رأيتها تشف مثل لون العنبة الحمراء، تتحبب بها المرأة إلى زوجها توجد في قبور عاد. للمزيد أنظر: ابن منظور: اللسان، مادة (دردبس).

[2] جبر، يحيى عبد الرؤوف: **خرزات العَرَب**، العراق، مجلة التراث الشعبي، عدد12/11، 1984. (جبر، خرزات، فيما بعد).و غيث، خالد يوسف محمد: **الطقوس في الشِّعْر الجاهلي**، رسالة ماجستير، إشراف إحسان الديك، جامعة القدس، فلسطين، 2005، ص 101.

(الوافر)

قطعــت القيــد والخَــرزات عنــي فمــن لــي مــن عِــلاج الــدَّردَبيس[1]

ويلخص شاعرهم بعض الخَرزات التي كانت تَستَخدمها النساء لاستِجلاب قُلوب الرجال:

(الكامل)

جَمَّعْــنَ مــن قَبَــلٍ[2] **لَهُــنَّ وفَطْسَــةٍ والــدَّردَبيس تَمائمــاً فــي المَــنْظَمِ**[3]
فانْقــادَ كــل مُشَــذَّبٍ[4] **مَــرِسٍ**[5] **القُــوى لحِبــالهنَّ وكُــلُّ جَلِــدٍ شَــيْظَمِ** [6]

كذلك كان لكل من الكَهَانَة والعرافة حُضور في نُفوس الجاهليين وعُقولهم، وقد أشار الأصفهاني إلى أن " الكَهَانَة مُختَصة بالأمور المُستَقبلية، والعرافة مُختَصة بالأمور الماضية، وكان ذلك في العَرَب كثيراً، وآخر من وُجِد وروي عنه الأخبار العَجيبة سَطِيح، وسَوَاد بن قارب"[7].

وعن أصل الكَهَانَة وباعثها يقول المسعودي: " الكَهَانَة أصلها نَفْسي لأنها لَطيفة باقية، ومُقارنة لأعجاز باهِرة، وهي تَكون في العَرَب على الأكثر وفي غيرهم على وَجه النُدْرة؛ لأنه شيء يَتولَّد على صَفاء المزاج الطبيعي، وقوة مادة نور النَفس، وإذا أنت اعتَبَرْت أوطانها رأيتها مُتَعلَقة بعِفَة النَفْس، وقمع شَرها بكَثْرة الوحدة، وإدمان التَفَرّد، وشِدّة الوَحشة من الناس، وقلة الأنس بهم؛ وذلك أن النَفس إذا هي تَفَرَّدَت فَكَّرَت، وإذا هي فَكَّرَت تَعَدّت، وإذا تَعدَّت، هَطَل عليها سُحب العِلم النَفسي، فنَظرت ب العَيْن النُورية، ولَحَظَت بالنور الثاقِب ومضَت على الشريعة المُستَوية، فأخبرت عن الأشياء على ما هي به وعليه، وربما قَويت النفْس في الإنسان، فأشرَفَت به على دِراية الغائِبات قبل وُرودها " [8]

---

[1] الألوسي: **بلوغ الأرب**، 6/3.
[2] القبل: جمع قبلة.
[3] المنظم: الخيط.
[4] المُشذَّب: الشارد الطويل الحسن الخلق.
[5] المرس: الشديد المراس.
[6] المرجع نفسه، 6/3.
[7] الأصفهاني: **الذريعة**، ص 148.
[8] المسعودي، أبو الحسن: **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، د ط، الشركة العالمية للكتاب، مكتبة المدرسة، دار الكتاب العالمي، الدار الإفريقية العَرَبية، د ت , 123/1.(المسعودي، مروج الذهب، فيما بعد).

وجدير بالذكر أن الكَهَانَة وأمثالها تكاد تكون نِظاماً مُقرراً لكل قبيلة.على الرغم مما سَبق ذكره إلا أننا لا نستطيع إغفال بعض الجوانب المُنيرة التي برَع فيها العَرَب، بل تَمَيَزوا بها إذ كان لهم بعض العُلوم الفِطرية، والمَعارِف الطَبيعية، التي تَدلُ على حِدة أذهانهم، وقُوَّة فِطنَتهم، وسَلامة نحائِزهم، من تلك العُلوم:

علم القِيافة والعيافة، وقد ذكر الألوسي أن القِيافة على قسمين: " قيافة الأثر، ويقال لها العيافة، وقيافة البَشر، أما العيافة فهو علم باحث عن تَتبع آثار الأقدام والأَخفاف والحوافر في المُقابلة للأَثر، ونفع هذا العلم بَيِّن، إذ القائِف يَجد بهذا العِلم الفار من الناس، والضال من الحيوان، بتَتَبع آثارها وقوائمها بقوة الباصرة، وقُوة الخَيال والحافِظة، حتى يحكى أن بعضهم يُفَرِّقُ بين أثر قدم الشاب والشيخ، وقدم الرجل والمرأة، والبِكر والثيب. وأما قِيافة البشر فهي الاستدلال بهَيئات أعضاء الشخصين، على المشاركة والاتحاد بَينهما في النَسب والولادة، وفي سائر أحوالهما وأخلاقهما[1]. "وخَصَّ الله من العَرَب بالقِيافة بنو مدلج، وقيل إن ذلك بمناسبة طبيعية لا بتَعلم"[2]. وعن مكانة القِيافة عند العَرَب في العَصْر الجاهلي يقول الألوسي: " من عَجيب أمر بعض قبائل العَرَب في الجاهِلِيَّة أنهم لا يُزوجون بَناتهم إلا من اتصف بصفات منها معرفته للزجر والعيافة؛ حيث إن هذه المَعارف عندهم من الصِفات العُليا" [3].

ويشير المسعودي إلى أن القِيافة والعيافة والسانح والبارح، كل تلك المَعاني من خواص العَرَب، وما تفَرَّدت به دون سائِر الأمَم في الأغلب منها، وإن كانت الكَهَانَة قد وجدت في غيرها، فإن القِيافة والزجر والتفاؤل وُ التَّطَيُّر ليس لغيرها في الأغلب من الأمور وليس هو مَوجوداً في سائر العَرَب، وإنما هو للخاص منها الفطن والمتدرب الظَنِن. ويذكر المسعودي أن الكَهَانَة لليمن، والزَجر لبني أسد، والقِيافة لبني مدلج وأحياء مضر بن نزار بن معد [4].

ومن العلوم التي برعوا فيها لفرط حاجتهم إليها وطول المدارسة علم الأنواء ومطالع النجوم، يقول الجاحظ: " وعرفوا الأنواءَ ونُجوم الاهتداء لأنَّ كلَّ من كان بالصَّحاصح[5]

---

[1] الألوسي: **بلوغ الأرب**، 3/ 260.

[2] الأصفهاني: **الذريعة**، ص 147.

[3] الألوسي: **بلوغ الأرب**، 329/3.

[4] المسعودي: **مروج الذهب**، 473/1_476.

[5] والصَّحْصَح والصَّحْصاحُ والصَّحْصَحَانُ " كلّه ": ما استَوَى من الأَرْضِ " وجَرِدَ والجَمْـعُ الصَّحاصِـحُ. والصَّحْصَـحُ: الأَرْضُ الجَرداءُ المُستَويةُ ذاتُ حَصىً صِغارٍ. للمزيد أنظر: تاج العروس مادة صحح.

الأماليس[1] حيث لا أمارة ولا هادي مع حاجَته إلى بعد الشَّقَّة مُضطرٌّ إلى التِماس ما ينجيه ويُؤْديه.

ولحاجته إلى الغَيث وفِراره من الجَدْب وضنِّه بالحَياة، اضطرَته الحاجة إلى تعرُّف شأنِ الغَيث، ولأنه في كلِّ حالٍ يرى السَّماء وما يَجري فيها من كوكب، ويرى التَّعاقُب بينها والنّجوم الثَوابت فيها، وما يَسير منها مُجتَمعاً وما يَسير منها فارِداً، وقد وصف أعرابيٌّ لبعض أهل الحاضرة نُجوم الأنواء ونجوم الاهتداء، ونجوم ساعات اللّيل والسُّعودِ والنُّحوس فقال قائلٌ لشيخ عباديٍّ كان حاضِراً أما ترى هذا الأعرابيَّ يعرف من النُّجوم ما لا نَعرف، قال: ويل أمِّك منْ لا يعرف أجذاع بيته؟! " [2].

ويذكر جواد علي أن العَرَب في الجاهِلِيَّة قد استعانوا بالنُجوم للاهتداء بها في البر والبحر، يقول: "وقد اتخذ الجاهليون النجوم دليلاً لهم يهتدون بها في في ظلمات البرّ والبحر، ولا بد للاهتداء بها من الوقوف عليها ووضع أسماء لها وتعيين البارز منها، ووضع مَعالم لها ليكون في الإمكان مَعرفتها ومعرفة اتجاهات السير بها، والاستعانة بها، وبالجهات الأربع في معرفة الإتجاه المؤدي إلى المكان المراد، فكانوا إذا سألهم سائل عن طريق قال (عليك بنجم كذا وكذا)"[3] وقد أُشير إلى ذلك في القرآن الكريم في قوله تعالى **" وَأَلْقَى فِى الأَّ رْضِ رَوَاسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْـهَاراً وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَـهْتَدُونَ وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ "** (النحل | 16) .

ويبدو أن بيئة العَرَبي في البادية لعبت الدور الرئيس في إكسابه مثل تلك المَعارف، وذلك للتغلب على تلك البيئة والتَعايش في ظلها. ويؤَكِّد الخربوطلي دور البيئة في توجيه الأفراد قائلا: "وقد أكسبت الطبيعة البدوي صفات تُناسب بيئته، فهو ضعيف الوزن، نحيف البدن، قوي نشيط، يتحمل التعب والمشقات، وعظيم الصبر والاحتمال، يكفيه طعام قليل متواضع وصفات البدوي هي نفس صفات الجِنّس السامي: الفِطنة، والذكاء، والدهاء، وسُرعة البديهة، والخَيال المُتَوقد، ويتَميز بالكبرياء وعِزّة النفس" [4].

---

[1] الأَمَاليسُ: الأَرْضُ الَّتِي لَيْسَ بها شَجَرٌ ولا يَبِيسٌ ولا كَلأٌ ولا نَبَاتٌ ولا يَكُونُ فيها وَحْشٌ والواحِدُ: إمْلِيس.

[2] الجاحظ: **الحيوان**، 6/30_31.

[3] علي، جواد: **المفصل**، 8/426.

[4] سوسة، أحمد: **المفصل في تاريخ العَرَب واليهود**، ص 295.

أما عن مَعارفهم الطبية فقد كان للعرب في العَصْر الجاهلي باع طويل في هذا الباب؛ إلا أن معارفهم هذه اكتَسبت غالباً من التَجربة والمُمارسة التي تُثبْت صِحة هذا الدواء أو ذاك، وقد أشار ابن خلدون إلى طبيعة الطب لديهم قائلا: " للبادية طِب يَبنونه في غالب الأمر على تجربة قاصِرة على بعض الأشخاص، مُتوارثة عن مَشايخ الحَي وعَجائزه، وربما يصح منه البعض؛ إلا أنه ليس على قانون طَبيعي ولا على مُوافقة المزاج بعقاقير وأدوية من نباتات وأغذية، يحصل لغالبهم البر العاجل باستِخدامها، وكان عند العَرَب من هذا الطب كثير، وكان منهم أطباء معروفون كالحارث بن كلدة وغيرهم" [1].

وحقيقة إن من يقرأ بعض الأخبار المروية عن الأطباء الذين اشتَهروا في الجاهِلِيَّة يدرك أن وصفاتهم الطِبية تجمع بين خبرة ومُمارسة وتجارب أثبت الزمن صِحتها، إضافة إلى بَراعة في الكلام، وطَلاقة في اللسان، وذهن صاف، من ذلك ما ألقاه الحارث بن كلدة الثقفي حين وقف بين يدي كسرى أنو شروان إذ سأله كسرى " عن أصل الإنسان ماهو؟ قال: أصله من حيث شرب الماء يعني رأسه. قال: فما هذا النور الذي في العَيْنين؟ قال: مركَّب من ثلاثة أشياء فالبياض شَحم، والسواد ماء، والناظر ريح،. قال: فما تقول في الشَراب؟ قال: أطيبه أهناه وأرقه أمراه وأعذبه أشهاه، لا تشربه صرفاً، فيورثك صُداعاً، ويُثير عليك من الأدواء أنواعاً. قال: فأي اللحمان أفضل، قال: الضأن الفتي، قال: فما تقول في الفَواكه، قال: كلها في إقبالها وحين أوانها، واتركها إذا أدبَرت وَولت وانقضى أزمانها. وأفضل الفواكه الرمان والأُترج. قال فما تقول في شُرب الماء، قال: هو حياة البدن وبه قوامه ينفع ما شرب منه بقدر الحاجة وشُربه بعد النَوم ضَرر. أفضله أمراه وأرقه أصفاه " [2].

ومن العلوم التي حاز عليها العَرَب في العَصْر الجاهلي (علم الريافة)، وأظن أن حياة القَحط والجَدْب التي عاشها الإنسان في العَصْر الجاهلي حيث النَزر اليَسير من الماء، وحيث كانت قلة الماء سَبباً أساسياً في هلاك العَديد إما عطشاً، وإما عَطشاً وتَعباً في رحلة البَحث عن الماء. في ظل هذه الحياة القاسية كان لا بد من أن يَهِب الله هذا الإنسان عِلْماً يُمكِّنه من البحث عن أساس حياته وسِر وجوده. "وعلم الريافة هو مَعرفة استِنباط الماء من الأرض بِوساطة بعض

---

[1] ابن خلدون: **المُقَدِّمة**، د ط، مصر، مطبعة التقدم، د ت، ص 493.(ابن خلدون , المُقَدِّمة , فيما بعد).

[2] الألوسي: **بلوغ الأرب**، 3/338_339.

الإمارات الدالة على وجوده؛ فيعرف بعده وقربه بشَمِّ التُراب، أو برائحة بعض النَباتات فيه أو بحَركة حيوان مَخصوص، وهو نوع من الفِراسَة، وهي مَوجودة في بعض أعراب نَجْد، إذ كان بعض هؤلاء يَضَع أذنه على الأرض، فيُخبر بما يَتبَيّن له من وجود الماء وعَدَمه، وقُربه وبُعده. فإذا حَفروا وجدوا الأمر كما وَصَف" [1]. ويُسمى من له هذه الفِراسَة (بالنصّات) أو (القناقن)[2].

ومن جوانب الحياة العقلية التي لا يمكن إغفالها، الحياة الأدبية والفكرية بأقسامها المتنوعة، كالشِّعْر، والخَطابَة، والأمثال، والقصص. والشِّعْر كان أحد أبرز هذه الجوانب التي تَفَوَّق فيها العَرَب؛ وليس ذلك بغريب ولا مُستهجن على قوم هم مَهد الفَصاحة والبَيان، أنتجت لنا سلائِقهم الصافية، وقرائِحهم النَقية العديد من النُصوص الشِّعْرية المُتميزة، التي ما زالت تُدرس حتى الآن، كنماذج شِعرية قوية في ألفاظها، بليغة في مَعانيها، مَتينة في تراكيبها. وقد أشار جرجي زيدان إلى " أن العَصْر الجاهلي قد شَهد حركة شِعرية ناشِطة، إذ كان الشِّعْر فيهم فطرياً، ويندُر أن تجد من لا يَستطيعه، وقد حث العَرَب أبناءهم على إتقان الشِّعْر ونَظمه " [3].

وقد أشار ابن رشيق إلى مَكانة الشاعر عند العَرَب في الجاهِلِيَّة، يقول: " ومن مَظاهر تَمجيد العَرَب للشُعراء أن القَبيلة كانت إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهَنأتها، ووضَعت الأطعمة واجتمع النساء يلعبن بالمَزاهر كما يَصنَعون بالأعراس، ويتباشر الرِجال والولدان لأنه حماية لأعراضهم، وذب عن أحسابهم وتخليد لمآثرهم، وإشادة بذِكرهم، وكانوا لا يُهَنئون إلا بغلام يولد أو شاعر ينبغ فيهم أو فرس تنتج " [4]. ويبدو أن الشِّعْر كان أحد الأمور التي ولدتها الحاجة، فقد احتاجَت العَرَب إلى التَغني بأيامها، ومَناقبها، وفُرسانها، وطيب أعراقها. وعن مدى حِرصهم على تَنقية أشعارهم، والوصول بها إلى أعلى مَستَويات البلاغة والفصاحة، يقول البغدادي: " إن العَرَب كانت في الجاهِلِيَّة يقول الرَجل منهم الشِّعْر في أقصى الأرض فلا يُعبأ به ولا يُنشده أحد حتى يأتي مَكَّة في مَوسم الحَج، فيَعرضه على أندِية قُرَيْش؛ فإن استَحسَنوه روي وكان فَخْراً

---

[1] الألوسي: **بلوغ الأرب**، 3/ 353.والقيسي، نوري حمودي: **الطبيعة في الشِّعْر الجاهلي**، ط 1، بيروت، لبنان، دار الارشاد، 1970، ص 47. (القيسي، الطبيعة فيما بعد)

[2] القناقن: البصير بالماء في حفر القنى، وقيل هو البصير بالماء تحت الأرض، فيعرف مقدارالماء في البئر قريباً أو بعيداً من السماع. للمزيد أنظر: الزبيدي: **تاج العروس**، مادة (قن).

[3] زيدان: **تاريخ التمدن الإسلامي**، د ط، د ت، 31/2.

[4] القيرواني، **ابن رشيق: العمدة في محاسن الشِّعْر وآدابه ونقده**،، حققه محمد عبد الحميد، ط1، القاهرة، دار الطلائع، 2006، 55/2.(القيرواني، العمدة، فيما بعد).

لقائِله، وعلق على رُكن من أركان الكَعبة، حتى يُنظَر إليه وإن لم يستَحسِنوه طُرِحَ ولم يُعبَأ به "[1]. وعن أهمِّية الشِّعْر في حياة العَرَب في الجاهِلِيَّة، يقول السيوطي: " كان الشِّعْر في الجاهِلِيَّة عند العَرَب ديوان عِلمهم، ومُنتهى حِكمتهم، به يأخذون وإليه يَصيرون " [2].

وإلى جانب الشِّعْر بَرَزَت الخَطابَة، وهي وجه آخر من أوجه النشاط الفكري عند الجاهليين، وعن مكانة الخطيب لديهم يقول الجاحظ: " وكان للخطيب عندهم مقام كبير، فهو الذي يذبّ عن قومه بلسانه الفَصيح، يتَكلم باسمهم، حتى غدا الخُطباء ألسِنة أقوامهم، ولقد ارتَفَعت منزلة الخَطابَة حتى غدت علامة من عَلامات السِيادة، وكان بين الخطباء من جَمع بين الشِّعْر والخَطابَة، منهم عمرو بن كلثوم التغلبي، ولبيد بن ربيعة، وزهير بن جناب " [3].

أما الأمثال فهي وجه آخر من أوجه النشاط الفكري الذي استَطعنا من خلاله أن نَستَشِف صور الحياة الجاهِلِيَّة، وطرائِقهم في التَفْكير، ونَظرتهم إلى الأمور، حيث تُعَدُّ الأمثال مِرآة لعَقْليّة زمانها وثَقافته.

"والأمثال مادة مُهمة غَنية في الأدب الجاهلي والإسلامي، وهي عند الجاهليين نوع من أنواع الحِكمة السائرة بين الناس يقولها السَيد والمَسود، البارز والخامل، وقد كان لحُفاظ الأمثال مقام عندهم لأنهم ممن وهبوا بَياناً ناصِعاً، وقوة في اللسان، تَمَكن صاحبه من ضَرب المَثَل في مَوضعه ومن قوله في مكانه، وقد أُلِّفَت العديد من الكتب الجامعة للأمثال التي قيلت في العَصْر الجاهلي، منها:

- كتاب أمثال العَرَب: للمفضل الضَبِّيِّ
- كتاب الأمثال: لأبي فيد مؤرّج السّدوسي
- والأمثال: لأبي عبيد القاسم بن سَلام

---

[1] البغدادي، عبد القادر بن عمر: **خزانة الأدب**، تحقيق نبيل طريفي، ط 1، إميل اليعقوب،، بيروت، دار الكتب العلمية، 1998، 1/ 137.(البغدادي، خزانة الأدب، فيما بعد).

[2] السيوطي: **المزهر**، 2، /401.

[3] الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: **البيان والتبيين**، تحقيق فوزي عطوي، د ط، بيروت، دار صعب، /1 194. (الجاحظ، البيان والتبيين فيما بعد)

- والأمثال: لأبي عكرمة
- والفاخر: للمفضّل بن سَلمة
- والزاهر: لابن الأنباري
- والعقد الفريد: لابن عبد ربه الأندلسي
- والدرة الفاخرة: للأصفهاني
- وجمهرة الأمثال: لأبي هلال العَسكري
- والتمثيل والمحاضرة: للثَعالبي
- والوسيط في الأمثال: للواحدي
- وفصل المقال: للبَكري
- ومَجْمَع الأمثال للميداني النَيسابوري
- والمستقصى في أمثال العَرَب: للزمَخشري
- وتمثال الأمثال: للعبدري

ولعل في كثرة الكتب التي وضعت في الأمثال دَلالة على ما كان لها من قيمة في نَظَر أهل الجاهِلِيَّة حَفظوها حِفظهم للشِعر أكثر من الشِّعْر" [1].

وإن من يقرأ أمثال العَرَب في العَصْر الجاهلي يدرك أن تلك الأمثال صَوَّرت بشكل جَلي حِكمة العَرَب في ذلك العَصْر، وأنماط تَفكيرهم، فمَثَلاً عند قولنا (أعدى من الشَّنْفَرى) [2]. فإن هذا المثل يقودنا إلى مُعالجة ظاهرة الصَعلَكة التي تُعتبر مَحطة المفارقات في بُنية العلاقات

---

[1] علي، جواد: **المفصل**، 8/356_357.

[2] الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد: **مجمع الأمثال**، تحقيق محمد محيي الدين، د ط، بيروت، دار المعرفة، د ت، 46/2.(الميداني، المجمع، فيما بعد).

الاجتماعية الجاهِلِيَّة؛ وباعثها الأول كان الاضطِهاد والفَقر المُدقع، والنِضال في سَبيل استرداد الأَنا من مُغتَصبيها، تلك الأنا التي خَلعَت من كيان صاحِبِها حين خُلع من القَبِيلة " [1].

والقصص كذلك مَظهر من مَظاهر الفِكر الجاهلي، أُشير إليه في القرآن الكريم، وكان شائِعاً عند الجاهليين، وقد أشار أحمد أمين إلى ذلك حيث قال: " كان للعرب قصص، وهو باب كبير من أبواب أدَبهم، وفيه دلالة كبيرة على عَقليتهم " [2].

وقد أشار جواد علي إلى غايات العَرَب في الجاهِلِيَّة من الاستماع إلى القصص، قال: " وللجاهليين غايات من الاستماع إلى القَصص منها: العبرة والاتعاظ، وإلى ذلك أشير في القرآن الكريم **" لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لاوْلِى الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَاكِن تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لْقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ"** (يوسف | 111)، ومن القصص قصص الملوك والأبطال وسادات القبائل، وفي قصص أهل الأخبار المنسوب إلى الجاهِلِيَّة قصص عن الأسفار، ومَشَقات السَفر، وعن الأهوال التي كان يلاقيها المُسافرون في ذلك العَهد، والجِنّ والسعالي، وفي أبواب القصص، باب للمُجون والخَلاعة، ومن قصاص الجاهِلِيَّة (النضر ابن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف) وكان من شياطين قُرَيْش أي أذكيائهم " [3]. وقد كان للعرب الجاهليين أسواق ومَجالِس وأندية، يَستَمتِعون فيها برواية القِصص وسَماعها، وكانت في مُعظَمها مُرتَبطة بدِياناتهم، ومُعتَقداتهم وحياتهم القَبَلية.

الحياة الاجتماعية

تُعتَبر القَبِيلة أساس الحَياة الاجتماعية في المُجتمع البَدوي، وهي عبارة عن أُسرة كبيرة تَتألف من ثلاث طبقات : " أبناؤها وهم الذين يربط بينهم الدم والنسب وهم عمادها وقوامها، ثم العَبيد، وهم رقيقها المَجلوب من البلاد الأجنبية. والمَوالي، وهم عُتقاؤها ويدخل فيهم الخلعاء الذين خلعتهم قبائلهم، ونَفَتْهُم عنها لكَثرة جَرائرهم وجِناياتهم "[4]." وكانت رابِطة الدم فيها أقوى

---

[1] ينظر: توفيق أبو علي، محمد: **الأمثال العَرَبية والعَصْر الجاهلي**، ط1،بيروت، لبنان، دار النفائس، 1988، ص69. (توفيق أبو علي، الأمثال العَرَبية، فيما بعد).

[2] أمين، أحمد: **فجر الإسلام**، ص 66.

[3] علي، جواد: **المفصل**، 8/372_373.

[4] ضيف، شوقي: **تاريخ الأدب العَرَبي (العَصْر الجاهلي)**، ط 24، القاهرة،مصر، دار المعارف، 2003، ص67.(ضيف، تاريخ الأدب العَرَبي و فيما بعد).

وأوضَح من الرابطة القَومية؛ لأن العَصَبِيَّة تَدعو إلى نصرة الفرد لأفراد قبيلته ظالمين كانوا أو مَظلومين. وتقوم العَصَبِيَّة على النَسَب، وهي لذلك تَختَلف باختلاف الالتِحام بالأنساب"[1]. وقد أشار جواد علي إلى أن العَصَبِيَّة عند العَرَب كانت على قسمين: عَصَبية الدّم، وهي أساس القَرابة في البيت الواحد، ومَصدَر التَرابُط الوثيق بين أفراد القَبيلة كما لو كانوا أُسرة، وعَصَبية الانتماء إلى أب بعيد أو جد مُشتَرك، من نَسله تَكَوَّنت القَبيلة أو القبائل المُنتَمية إليه [2].

واتصف العَرَب في العَصْر الجاهلي بمجموعة من السِمات منها المقبول ومنها المَرفوض؛ فالعَرَبي عاش في الصَحراء القاحِلة طَبَعته وأعطَته من قساوتها وخُشونتها؛ إلا أن ذلك لم يَحُل دون ظُهور مجموعة من الفَضائل والخِصال الحَميدة التي مَيزت العَرَب عن غيرهم من الشُعوب، منها الوفاء، إذ كان العَرَبي يَعْتَدُّ بالوفاء،" وكان الوفاء من أخلاق العَرَب، وكان الغَدر مَعَرَّة يتجافون عنها، وإذا ما غدر أحدهم رفعوا له لواء بسوق عكاظ ليُشَهِّروا به"[3] وفي ذلك يقول قطبة بن أوس بن جرول: إنهم لم يغدروا، وإنهم لا يأتون ما يشكك حليفهم فيهم:

(الكامل)

فَسُمَيَّ وَيحَــكِ هَــل سَــمِعتِ بِغَــدرَةٍ رُفِعَ اللِــواءُ بِهــا لَنــا فــي مَجمَــعِ[4]

والعفة كذلك من الصفات التي طالما افتخر بها العَرَبي في شعره، حتى غدت شرطاً من شروط السؤدد، وقد رأينا كم كانت مراثي الخنساء لأخيها صخر زاخرة بالحَديث عن عفته، وبعده عن كل ما يُدنسه، من ذلك قولها:

(البسيط)

لــم تَــرَهُ جــارَةٌ يَمشــي بســاحَتِها لريبــةٍ حــينَ يخلِــي بيتــهُ الجــارُ[5]

---

[1] الشريف: **مَكَّة والمدينة**، ص 50.

[2] علي، جواد: **المفصل**. 212/1

[3] الحوفي: **الحياة العَرَبية**، ص 358.

[4] _ ابن المبارك، محمد بن ميمون: **منتهى الطلب من أشعار العَرَب**، تحقيق محمد نبيل الطريفي، د ط، بيروت، دار صادر، 1999، 365/6. (ابن المبارك، منتهى الطلب فيما بعد).

[5] تماضر بنت عمر، الخنساء: **الديوان**، شرحه حمدو طماس، ط 2، بيروت، لبنان، دار المعرفة، 2004، ص 82.(الخنساء، الديوان فيما بعد)

يضاف إلى ما سبق شجاعة العَرَبي التي طالما اتصف بها، فالعَرَبي شَديد البأس شُجاع، لا يبالي بالموت إما دفاعاً عن قبيلة أو ذباً عن الحَريم، وصوناً لهن من المهانة وذُل السَبي، لا يَتَورَّع عن المَوت؛ في سبيل الحِفاظ على كرامته وأنَفَته التي يَعتز بها؛ إلا أنه أحياناً يغلو في شَجاعته حتى تتحول إلى حِمية وتَهور. أما الكرم والسخاء، فهما من الخِصال التي أشاد بها العَرَبي؛ فالعَرَبي كريم، يُفْرِطُ أحياناً في كرمه حتى يَغدو مُسرفاً، كما أنه يَعُدُّ الكرم إحدى مظاهر التَسيد " وقد كان لحَياة الصحراء القاسية وما فيها من إجداب وقَحْط، أثر في بعث مثل تلك الصِفة في نُفوسهم، فالغني بينهم يَفْضُلُ على الفقير، وكثيراً ما كان يَذبح إبله في سني القحط، ويُطعمها للفُقراء في عَشيرته، ومن سُننهم أنهم كانوا يوقدون النار لَيلاً على الكُثبان والجِبال؛ ليهتَدي إليهم التائِهون والضالون في الفَيافي، فإذا وفدوا عليهم أمنوهم حتى لو كانوا من عَدوهم" [1]. وقد اشتهر منهم كثير من الكُرماء الذين ذاع صيتهم، مثل حاتم الطائي، الذي ضُرِبت ضُرِبت الأمثال بكرمه وإيثاره الغَير على بيته وعياله، حتى جاء شعر الفخر لديهم حافلاً بهذه السمة، فهم يَفتَخرون أن كلابهم لا تَنبح على الضُيوف؛ لِما تَعوَّدت عليه من كثرة الرائحين والغادين.

على الرغم مما تقَدّم من الخِصال الحَميدة التي اتصف بها العَرَب في العَصْر الجاهلي؛ إلا أن ذلك لم يَمنع من وجود بعض المَذاهب والآفات الباطلة التي كانوا عليها، من تِلك الآفات المَيْسِر، والمَيْسِر القِمار، واشتقاقه إما من اليُسر؛ لأنه أخذ مال الرَجل بيُسر وسُهولة من غير كَد ولا تَعب، أو من اليَسار لأنه سلب يساره، وعن ابن عباس _ رضي الله عنه _ كان الرجل في الجاهِلِيَّة يُخاطِر على أهله وماله، وقد كان المَيْسِر من مَفاخر العَرَب لأنهم كانوا يَفعلونه في أيام الشدة وعدم اللين وأيام الشتاء [2].

ومن الآفات الأخرى الخَمْر التي جَرت على كل لسان، تَفننوا في الحديث عنها وافتَخروا، تحدثوا عن مجالسها، وكُؤوسها، وحَوانيتها، حتى عدوها من مظاهر التَسيد والثَراء، وكان بعضهم يدمن عليها، لدرجة تجعله يَنغمس في الرذائل حتى تَنفر منه قبيلته وتَخلعه.

---

[1] ضيف، شوقي: **العَصْر الجاهلي**، ص 68.

[2] الألوسي: **بلوغ الأرب**، 56/3.

وقد كان للخَمْرِ حَيِّز كبير في أشعارهم، من ذلك قول المرقش الأكبر[1] يفتخر بقُدرتِه على امتِلاك النِساء الحِسان، ومُعاقرة الخَمْر، قال:

(الكامل)

يــا خــول مــا يــدريك ربــت حــرة　　　خــــود كريمــــة حيهــــا ونســـــائها

قـــد بـــت مالكهـــا وشـــاربَ ريَّـــةٍ　　　قبـــل الصـــباح كريمـــة بســـبائها[2]

وبلغ من تعلقهم بالخَمْر أنهم كانوا ينضحون قبر العزيز عندهم بالخَمْر [3]، قال قُسّ بن ساعِدةَ :

(الطويل)

أَصُـــبُّ علـــى قبريْكمـــا مـــن مُدامـــةٍ　　　فـــإلاّ تَـــذُوقا أُرْوِ منهـــا ثَراكمـــا[4]

إلا أن هناك من حرم الخَمْر على نفسه في الجاهِلِيَّة، كقيس بن عاصم التميمي، وصفوان بن أمية بن محرث الكناني [5]. وقد قيل للعباس بن مرداس في جاهليته: لم لا تَشرب الخَمْر، فإنها فإنها تزيد في جُرأتك، فقال: ما أنا بآخذ جهلي بيدي، فأدخله في جوفي، وأصبح سيد قومي، وأمسي سفيههم. وقد قيل له بعد ما أسنّ وأسلم: قد كَبِرت سِنُّك، ودقَّ عَظمك، فلو أخذت من هذا النبيّذ شَيئاً يقوِّيك! فقال: أُصبح سَيد قومي وأمسي سَفيههم ! وآليت أن لا يدخل رأسي، ما يحول بيني وبين عقلي[6].

---

[1] المرقش الأكبر هو ربيعة بن سعد بن مالك (وقيل عمرو) بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس، من بني بكر بن وائـــل، وهو شاعر جاهلي من المتيمين الشجعان، من شعراء الطبقة الأولى، والمرقش لقب غلب عليه لقوله:

الدار قفر والرسوم كما　　　رقش في ظهر الأديم قلم.

للمزيد أنظر: عبد الله بن مسلم، ابن قتيبة: **الشِّعْر والشِّعْراء**، تحقيق عمر الطباع، ط1، بيــروت، لبنـــان، دار الأرقـــم، 1997، ص 133. (ابن قتيبة، الشِّعْر والشِّعْراء فيما بعد).

[2] الضَبِّيَّ، المفضل بن أحمد : **المفضليات**،، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هـــارون، د ط، بيـــروت، لبنـــان، ص 133. (الضَبِّيَّ، المفضليات، فيما بعد)

[3] الجارم: **أديان العَرَب**، ص 95.

[4] الأصفهاني، أبو الفرج: **الأغاني**، تحقيق سمير جابر، ط 2، بيروت، دار الفكر، د ت، 239/15. (الأصفهاني، الأغـــاني فيما بعد).

[5] الشهرستاني: **الملل والنحل**، 243/2.

[6] ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم: **الأشـــربة**، تحقيق حسام البهنساوي، تقديم رمضان عبد التـــواب، د ط، القـــاهرة، مكتبة زهراء الشرق، د ت، ص 135، (ابن قتيبة، الأشربة، فيما بعد).

كما شاع بين العَرَب في الجاهِلِيَّة الاستِقسام بالأزلام، ومعنى الاستِقسام، طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم بالأزلام، حيث كانت العَرَب في الجاهِلِيَّة إذا أرادوا سفراً أو تجارةً أو نِكاحاً، أو اختلفوا في نسب أو أمر قتيل، وغير ذلك من الأمور العَظيمة جاؤوا إلى هبل وهو أعظم صنَم لقُرَيْش وهو بمَكَّة، ومعهم مائة ألف درهم، فأعطوها صاحب القِداح حتى يحيلوها لهم، وكانت أزلامهم سبعة قداح مَحفوظة عند سادِن الكعبة، وهي مُستَوية في المِقدار وعليها أعلام وكِتابة، قد كتب على واحد أمرني رَبي، وعلى واحد منها نهاني ربي، وعلى واحد منكم، وعلى واحد من غيركم، وعلى واحد ملصق، وعلى واحد العقل، وعلى واحد غفل، أي ليس عليه شيء، فإذا أرادوا الوقوف على مستقبل الأمر الذي تصدوا له، ومعرفة عاقبته أخيراً أم شراً استَقْسم لهم أمين القداح بقدحي الأمرِ والنَهي، فإذا خرج قدح الأمر ائتَمروا وباشروا، فيما تَصدّوا له من حَرب أو سَفر أو زواج أو غير ذلك، وإن خَرج قدح النَهي أخروا ذلك العمل إلى سَنة، فإذا انقَضت أعادوا الاستقسام مرة أخرى، وهكذا في المُنازعة في النَسب، وفي دية المَقتول، وقد حرَّم الله الاستقسام من جُمِلَّة ما حرَّم [1].

ومن الآفات الأخرى التي سرى عليها العَرَب في الجاهِلِيَّة وحاربها الإسلام، وأد البنات،" فقد رغب كثير من العَرَب عن البنات، وذاع بُعضهم، واشتهروا بها، "والموؤدة اسم كان يُطلق على من كانت العَرَب تدفنها حية من بناتها، وبعضهم قال الموؤدة وهو الثِقل، كأنها سميت بذلك لأنها تثقل بالتُراب حتى تموت، وقد كانت مذاهب العَرَب مُختلفة في الوأْد وقتل الأولاد فمنهم من كان يئد البنات خشية لحوق العار بهم من أجلهن، ذلك أن بعض نسائهم وبناتهم كانت قد فضلت سابيها على زوجها أو أبيها، وذلك مما يلحق العار بهم. ومنهم من كان يئد البنات من كانت زرقاء أو شيماء أو برشاء أو كسحاء تَشَاؤماً منهم بهذه الصِفات، ومنهم من كان يقتل أولاده خشية الإنفاق وخَوف الفَقر، وهم الفقراء من بعض قبائل العَرَب، وكيفية الوأْد كانت أن الرجل إذا ولِدَ له بنت، فأراد أن يَستحييها، ألبسها جُبة من صوف أو شعر تَرعى له الإبل والغَنم في البادية، وإن أراد قَتلها تَركها حتى إذا كانت سُداسِية فيقول لأمها طَيِّبيها وزَيِّنيها حتى أذهب بها إلى أحمائها، وقد حَفرَ لها بئراً في الصَحراء، فبلغ بها البِئر ثم يَدفعها ويهيل التُراب عليها "[2]

---

[1] الألوسي: **بلوغ الأرب**، 3/ 70_72.

[2] المصدر السابق، 3/41_43.

وهذا ما نهى عنه الله تعالى في قوله: **"وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا "** (الإسراء|31).

ولا يستبعد أن تكَون كراهية البنات والنُفور من ولادتهم، أحد مُخلفات اليهودية في عرب الجاهِلِيَّة _وسيأتي لاحقاً الحديث عن أثر اليَهودية الواسع، واتصالهم بالعَرَب في شبه الجزيرة العَرَبية_ فالمرأة اليهودية في الزمن القديم كانت تعيش حياة ذَليلة، تخضع من خلالها خُضوعاً تاماً للرجل، ويمكن لهذا الرجل أن يبيعها، فالمرأة اليهودية كانت أحد مكونات البيت اليهودي، بالإضافة إلى العبد والأمة والثور والحمار والأشياء الأخرى [1]. والرجل هو سيد البيت، بل إن المرأة اليهودية لا تخاطب زوجها باسمه، وإنما تناديه بسيدي؛ لهذا كله يعتبر مولد البنت شيئاً لا يستوجب الفرحة، بقدر ما يجلب الأسى والحسرة، أما الفرحة فكانت تعم البيت كله مع ميلاد الذكور فقط [2].

وقد تَعَدَّدَت الحكايات والأخبار التي نقلت عن وأد البَنات في الجاهِلِيَّة، وكراهية العَرَبي مِنهم بأن تلد له بنت، يقول الجاحظ: وقد هَجر أبو حمزة الضَّبِّيَّ خَيمة امرأته حين ولدت بنتاً، وكان يقيل ويبيت عند جيرانه، فمر بخبائها يوما فسمعها تتغنى لابنتها بقولها:

(الرجز)

مـــــــالأبي حمــــــــزة لا يأتينـــــــا ... يظــــل فـــــي البيـــت الـــذي يلينـــا
غضـــــــبان ألا نلـــــــد البنينـــــــا ... تـــــالله مـــــا ذلـــك فـــــي أيـــدينا [3]

فثاب إلى رشده، وولج الخباء، فقبل رأس زوجته، وقبل ابنته.

أما الحياة الأسرية فلم يبتعد نِظامها كثيراً عما هو موجود لدينا الآن؛ باستثناء بعض المُخالفات التي نَهى عنها الإسلام، وبيَّن وضعَها الصَحيح؛ فالرجال في البَيت قَوَّامون على النساء أما المَرأة فهي للبيت، والرجل هو رب البيت وسيده المَسؤول، وهو المَسؤول كذلك عن

---

[1] ينظر: **سفر الخروج، الإصحاح** /22.

[2] الفوال، صلاح مصطفى: **سوسيولوجيا الحضارات القديمة(آفاق سوسيولوجية من الشرق والغرب)**، دار الفكر العَرَبي، القاهرة، 1982، ص 262. (الفوال، سوسيولوجيا فيما بعد)

[3] الجاحظ: **البيان والتبيين**، 1/ 108.

إعالة زوجه وأولاده، والزَوجة تَبَع لبعلها، وعليها إطاعة أوامره ما دامَت أوامره لا تُنافي العُرف المَألوف، ومن تلده الزوجة يَكون للبَعل في ولايته وله رعايته، ولهذا لم تُمانع شَرائع الجاهليين في وأد البنات، ولم تعد من يئد ابنته أو ابنه قاتلاً، ولم تُؤاخذه على فعله، حتى الأمهات لم يكن من حَقهن منع الآباء وأد بناتهن، لأن الزوج هو وحده صاحب الحق فيمن يولد له، وله أن يفعل به ما شاء.

وبخصوص الزواج فقد كان هنالك مراعاة لعلاقة الأصل بالفرع، فلا يجوز نكاح الأب لابنته ولا الجد لحَفيدته، ولا يجوز للأم أن تتزوج ابنها، ولا للأخ أن يتزوج أخته مراعاة لعلاقة الدم، ومن يفعل ذلك يكون آثماً مؤاخذاً على فعله، ومن القَبيح عندهم الجمع بين الأختين.أما أشكال الزواج فقد تعددت لدى عَرَب في الجاهِلِيَّة " فكان في الجاهِلِيَّة زواج المَهر، وهو الشكل الذي قبله الإسلام فيما بعد، وزواج السبي، وزواج الاسترقاق (بالشراء)، وزواج المتعة (الزواج المؤقت)، وزواج المقت، حيث كان الرجل إذا مات ورث أولاده نساءه على ألا يتزوج أحدهم أمه التي ولدته، وكان هناك زواج الاستبضاع الذي لا يَختلف كثيراً عن الزِنا في شيء، وذلك أن يُعجب رجل بفارس أو بطل أو شريف، فيَسْمح لإحدى نسائه أن تَسْتَبْضع منه " [1]. وقد شاع لدى العَرَب في الجاهِلِيَّة تَعَدّدُ الزَوجات، إذ لم يكن لهم عَدد يَنتهون إليه، وقد ذكر ابن حبيب بعض من جاء الإسلام وعنده عَشر نسوة، وهم كلهم من ثقيف منهم (مسعود بن معتب (إأبو عقيل)، وسفيان بن عبد الله، ، وغيلان بن سلمة، وقد نزل غيلان وسفيان وأبو عقيل للإسلام عن ست، وأمسكوا أربعا " [2].

ومما يجدر ذكره أن المرأة لم تكن في الغالب مُهمَّلة أو مسلوبة من حقوقها؛ بل كان لها قدرها وكان لها حق التَصرف في المال ولعل السيدة خديجة _رضي الله عنها_ خير مثال على ذلك، حتى في حُروبهم فقد كان للنساء حُضور مميز إذ كان الرجال يَصحبوهن معهم في الحرب ليشددن من عزائمهم بأناشيدهن الحَماسية، حتى إذا قتل فارس نَدْبْنَه أحر الندب، وحَثَثْن على الثأر له.

---

[1] فروخ، عمر: **تاريخ الأدب العَرَبي**، د ط، د ت، ص 6. (فروخ، تاريخ الأدب العَرَبي، فيما بعد).

[2] ابن حبيب: **المحبر**، د ط، بيروت، المكتب التجاري، د ت، 1942، ص 357. (ابن حبيب، المحبر، فيما بعد).

الحياة الاقتصادية

عند الحديث عن الحياة الاقتصادية لدى العَرَب في العَصْر الجاهلي فلا بد لنا أولاً من الوقوف على الأوضاع المُناخية في الجزيرة العَرَبية، إذ تؤدي... هذه الأوضاع دَوراً هاماً في رسم المَلامح الاقتصادية لتلك المنطقة، سواء أكان ذلك على الصَعيد الزراعي أو التجاري أو الصناعي، وقد أشار جواد علي إلى مَلامح المُناخ في الجزيرة العَرَبية حيث يقول: " إذا ثبتنا مواضع المياه على خارطتها نجد أنها قليلة لا يتناسب توزيعها ووجودها مع هذه المساحة الشاسعة، وقد نشأ عن هذا الوضع، ضيق في مساحة الأرض المزروعة؛ لشح الماء وعَدَم كفايته لإرواء الإنسان، ولإرواء ماشيته وإسقاء أرض واسعة، وقد أثر ذلك في شكل تكوين المجتمع العَرَبي، فلم يسمح بظهور المُجتمعات الكثيفة في جزيرة العَرَب، ومن ثم جعل اقتصادها اقتصاداً بدائياً لا تَعقيد فيه ولا تطوير، وهذا الضيق جعل العَرَب يَكْرهون الزراعة ولو كانت للعرب مياه فائضة وأمطار غزيرة لما كَرهوا الزراعة، ولهذا اختلف عنهم أهل اليمن وبقية العَرَب الجِنوبية، ومن وجد عندهم الماء فغَرسوا وزرعوا، وجو جزيرة العَرَب من أجواء البلاد الحارة الجافة، أمطاره قليلة، وتتَساقط الأمطار في العَرَبية الغربية والعَرَبية الجِنّوبية، ولكن سقوطها ليس مُنتظماً وعلى طول أيام السنة " [1].

أما عن الصناعة، فإننا نتحدث عن صِناعات بسيطة لم ترق إلى المُستوى المَطلوب ولم تصل إلي درجة الإتقان، بل هي في الغالب صناعات دعَت إليها الحاجة، وعن صناعات العَرَب في العَصْر الجاهلي يقول الألوسي: "وهي من أسباب المَعائش المَحمودة، وكان في العَرَب صَنائع تقوم بما تمس إليه حوائجهم، منها صناعة البناء، ومنها النجارة، ومنها الحدادة، وكذلك الخياطة والحياكة"[2]. ومن قبيل الصناعة تحدث جرجي زيدان عن التعدين وهو استخراج المعادن من باطن الأرض، يقول: " وقد اشتهرت بلاد العَرَب بمَعادنها وجواهرها عند القدماء، وكان فيها كثير من مَناجم الذهب والفِضة والحِجارة الكريمة؛ وكان ذلك من أهم أسباب طَمع الفاتحين فيها في ذلك العهد " [3].

---

[1] علي: **المفصل**، 1978، 6/7_7.

[2] الألوسي: **بلوغ الأرب**، 406/3_425.

[3] زيدان، جرجي: **العَرَب قبل الإسلام**، ص 140.

وبناء على ما سبق من ضعف فُرصة نجاح الزراعة في أغلَب مناطق الجزيرة العَرَبية، باستثناء بعض الرقع، أدى ذلك إلى اتجاههم نحو التِجارة لضمان العيش الكريم، " وكانت قُرَيْش حضراً أهل تجارة، وأكثر تجارتهم قائمة على الحجاج الذين يردون مَكَّة في المواسم، وفي جملَّة ما حث القبائل على زيارة الكعبة، أنه كان لكل قبيلة منها صَنَم خاص بها، تأتي في المواسم لزيارته، والذبح له، حتى زاد عدد الأصنام في الكعبة على ثلثمائة صنم " [1] " وكانت متاجرهم من فارس والحبشة واليمن إلى الشام والعراق ومصر، وأشهر مُدنهم التجارية كانت أم القرى (مَكَّة) والطائف ويثرب ومدين، وهذه في الحجاز، ثم دومة الجِنّدل في نجد، وسواها" [2]. وقد ظلت تجارة قُرَيْش مَحصورة في مَكَّة، حيث كان الأعاجم يفدون عليهم ويبيعونهم السلع، ومن ثم يتبايعها العَرَب فيما بينهم ومن حولهم من العَرَب إلى أن حدث ما سمي (بالإيلاف) وهو يقابل ما نُسمِّيه اليوم بالمُعاهدات التِجارية، وكان أول من بدأ فكرة الإيلاف هو هاشم بن عبد مناف، يقول الثعالبي عن الإيلاف : " إنما هو شيء كان يجعله هاشم لرُؤساء القبائل من الربح، ويَحمل لهم مَتاعاً مع متاعه، ويَسوق إليهم إبلاً مع إبله ليَكفيهم مَئونة الأسفار، ويكفي قُرَيْشاً مَئونة الأعداء، فكان ذلك صَلاحاً للفَريقين، إذ كان المُقيم رابحاً والمسافر مَحفوظاً، فأخصَبت قُرَيْش وأتاها خير الشام واليمن والحبشة، ولما مات هاشم قام بذلك المطلب، ولما مات قام بذلك عبد شمس ولما مات قام به نوفل"[3].

"وقد أنشأ العَرَب أسواقاً لهم يتبايعون فيها، ذكر القلقشندي منها: " دومة الجِنّدل وكانوا ينزلون فيه في أول يوم من ربيع الأول، وسوق هجر من البحرين في شهر ربيع اللآخر، وعمان من البحرين، وأدم وقرى الشحر من اليمن، وعدن من اليمن، ويَشترون منه اللطائم وأنواع الطيب، وحضرموت، وصنعاء ويَجلِبون منها الخَرز والأدم والبرود، وعكاظ، ويرتَحلون إليه في الأشهر الحرم فتقوم أسواقهم ويتَناشَدون الأشعار ويتَحَاجُون، ومن له أسير سَعى في فِدائه ومن له حُكومة ارتفَع إلى من له الحكومة "[4].

---

[1] زيدان، جرجي: **تاريخ التمدن الإسلامي،** 28/1 .

[2] فروخ: **تاريخ الأدب العَرَبي،**65/1.

[3] الثعالبي، أبو منصور بن عبد الملك: **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، د ط، القاهرة، دار المعارف، د ت، 116/1. (الثعالبي، ثمار القلوب، فيما بعد).

[4] القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد: **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**،، تحقيق عبد القادر زكــار، د ط دمشــق، وزارة الثَقافَة، 1981، 468/1. (القلقشندي، صبح الأعشى، فيما بعد).

المبحث الثاني

التَواصُل الثَقافي وطرقه

لا يمكن أن نتَخيل شَعباً بلا مَوروث ثقافي، ينْطلق منه في شَتَّى مَناحي حَياته، " والثَقافَة هي النَماذج التي ينشئها المُجتمع، أو يستعيرها من مُجتمع آخر، ليستَعين بها في حياته الاجتماعية"[1].

وعند محاولة تحديد بداية الثَقافَة العَرَبية فإننا قد نقع في لبس وحيرة، هل نُحَددها بالعَصْر الجاهلي مثلاً؟ أم أن حُدودها تَمتَد إلى ما هو أعمَق.

ويعد الجابري ممن رفضوا حَصر بداية الثَقافَة العَرَبية بالعَصْر الجاهلي، حيث يرى أنها نقطة بداية ضيقة، تقطع الثَقافَة العَرَبية عن جذورها، وتحرمها من مَجالها الحَيوي التاريخي وأن الحياة الثقافية والفكرية الجاهِلِيَّة ليست إلا جزءاً من كل، وامتداداً خافتاً لحقل ثقافي باهت واسع وعميق تمتد جذوره إلى السومريين، والمصريين القدماء، والفنيقيين، واليمنيين القدماء والسريانيين، وسكان المغرب العَرَبي [2]. ويؤَكّد فيليب حتي بطريقة أو بأخرى ما قاله الجابري، حيث يشير لتَأثر العَرَب في العَصْر الجاهلي بثقافات سابقة ومعاصرة، ويقول: "ولم يُنشئ العَرَب إمبراطورية فحَسب؛ بل أنشأوا ثقافةً زاهرةً، فقد ورثوا المدنية القديمة التي ازدهرت على ضفاف الرافدين، وفي وادي النيل، وعلى شواطئ البحر المتوسط الشرقية، وكذلك تشربوا واقتبسوا أهم معالم الثَقافَة اليونانية والرومانية " [3].

يستدل مما سبق نَفي أن يكون العَصْر الجاهلي هو نُقطة البِداية التأسيسية للثقافة العَرَبية. وقد أشاد حتي بقُدرة أهل البادية على هَضم الثَقافات الأخرى وامتِصاصها، حين سنحت الفُرص لذلك[4].

---

[1] الشيخ، حسين: **العَرَب قبل الإسلام**، د ط، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1993، ص 23. (الشيخ، العَرَب قبل الإسلام، فيما بعد)

[2] ينظر:الجابري، **محمد عابد: المسألة الثقافية**، ط1،بيروت، لبنان، مركز دراسات الوحدة العَرَبية، 1994، ص 35_36. (الجابري، المسألة الثقافية، فيما بعد)

[3] حتي، فيليب: **تاريخ العَرَب (مطول)**. ترجمة إدوارد جرجي وجبرائيل جبور، د ط، بيروت، دار الكشاف، 1952، ص 2. (حتي، تاريخ العَرَب فيما بعد)

[4] ينظر:المرجع نفسه، ص 37.

وقد كان هنالك غير طريق لتسرب الثقافات الأخرى إلى العَرَب في العَصْر الجاهلي، وحدوث ما نسميه (بالتَواصُل الثَقافي)، فقد تم بوساطة تلك الطرق دخول العديد من الأنماط الثقافية، وتشرب العَرَب لها بطريقة أو بأخرى، فانعكس ذلك على مُعتقداتهم الدينية، والاجتماعية، والعقلية، وغيرها من مَناحي الحياة المختلفة، ومن أهم تلك الطرق:

1. التجارة

احتلت التِجارة مَكانة بارزة ضِمن أعمال العَرَب في العَصْر الجاهلي، فإلى جانب اشتِغالهم بتصريف منتجاتهم الزراعية والصناعية كانوا (سواء اليمنيون أو القرشيون أو الأنباط أو التدمريون أو المناذرة) يعملون وسطاء للتجارة بين الهند وبلاد العراق والشام ومصر، فعن طريقهم كانت لآلئ الخليج الفارسي وحرير الصين وسُيوف الهند وتوابلها، والعاج الإفريقي، والذَهب الأثيوبي تصل إلى مصر والشام والعراق [1]. وقد لعِبت التِجارة دَوراً أساسياً في تَشكيل الحَياة الاقتصادية بما لها من تداخلات أخرى (اجتماعية وسياسية ودينية) في مجتمع شبه الجزيرة العَرَبية قبل الإسلام، وكان للتجارة عاملان أساسيان أَسهما في إِثرائها وازدهارها: أحدهما هو الطيوب والتوابل التي تنبت في جنوبي شبه الجزيرة، لتَجد طريقها براً وبحراً إلى مصر وسورية، ثم من الشواطئ السورية عبر المُتوسط إلى الشواطئ الأوروبية في بلاد اليونان والرومان، أما العامل الثاني فهو المَوقع المتوسط الذي تُمثله شبه الجزيرة العَرَبية بين الشرق والغرب، لتَمر بها الخطوط التجارية التي تربط بينهما [2].

وقد كان لِتَوافر بعض المنتجات والسلع في أجزاء من الجزيرة العَرَبية، دور في تَوطيد علاقاتها مع المناطق القريبة والبعيدة، فمثلا كان لتجارة اللبان دور كبير في توطيد العلاقات بين جنوبي الجزيرة ومصر، حيث كان اللبان من أهم ما يجذب المصريين إلى جنوبي الجزيرة، خاصة وأنهم يستخدمونه في تحنيط موتاهم، وكذلك يحرقونه في هياكلهم [3].

---

[1] ينظر: سالم، عبد العزيز: **تاريخ العَرَب في العَصْر الجاهلي**، ص 137_140.(سالم، تاريخ العَرَب، فيما بعد).

[2] عبد الوهاب، لطفي: **العَرَب في العصور القديمة**، د ط، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ص 307.(عبد الوهاب، العَرَب في العصور القديمة، فيما بعد).

[3] ينظر :فيليب حتي: **تاريخ العَرَب (مطول)**، ص 42.

وتؤكد سلوى العايب بدورها وجود نوع من الاتصال المباشر بين الجاهليين واليونان، مستدلة على ذلك بورود كلمة العَرَب عند المؤرخين اليونان، وكانوا يَعنون بها الجزيرة العَرَبية، والبادية الشمالية التي يسكنها العَرَب[1]. ويذهب قصي الشيخ عسكر إلى ما ذهبت إليه سلوى العايب، ويقول:" إن في ذكر الجزيرة العَرَبية من قبل المُؤرخين اليونانيين ما يدل على اهتمامهم بجزيرة العَرَب، ويؤَكِّد ذلك علاقة سبأ باليونانيين، وما نتَج عن تلك العلاقة من تَشابه عقائدي في مجال الآلهة"[2]. وبما أن مَكَّة كانت قد ذاع صيتها التِجاري، فكان من الطبيعي أن تَرتَبط بعلاقات تجارية مع الإمبراطوريتين اللتين عاصرتهما، وهما الإمبراطورية الفارسية، والإمبراطورية البيزنطية، إضافة إلى دولة الحبشة[3]. ولا يَخفى الأثر المُتَأتي من ذلك الاتصال المُباشر مع تلك الإمبراطوريات، وما سَيلحقه من تبعات ثقافية، وتواصل على المستوى الفكري والثقافي، إضافة إلى تسرب العديد من العقائد والخلفيات الثقافية المختلفة.

ومن الأمور التي ترتبت على كَون مَكَّة مركزاً تِجاريا ًمَرموقاً؛ أن اتجهت أنظار بعض الجاليات الأجنبية والعَرَبية للعَيش ، والإفادة من العمل التجاري فيها، خاصة بعد سقوط الدولة الحميرية في اليمن وتراجع اليمن كمركز اقتصادي، فوجدت الجاليات اليهودية والنصرانية، والحبشية والرومية وغيرها، بحيث غدت مَكَّة مركزاً تجارياً وثقافياً في آن واحد، وشهدت ألواناً من الحضارات واللغات والثقافات [4]. ومع مرور الزمن " أخذت مَكَّة تتحول من مركز تجاري فحسب، إلى مركز مالي مهم تتم فيه عمليات مالية النطاق، وقد عرف الكتاب اليونان مَكَّة التجارية، ودعوها في كتبهم باسم (مكورابا) أي المقدَّسة بلُغة حمير، كما عرف البيزنطيون أهمية مَكَّة التجارية فحاول (ايليوس غالدس) احتلالها، وهو في طريقه إلى اليمن، وكان المناذرة إبان قوتهم، قد مدوا نفوذهم التجاري إلى أوسط الجزيرة وغربها، وأرسلوا قوافلهم إلى الأسواق التجارية كعكاظ، كذلك كان نشاط المكيين واسعا مع بلاد الشام، فقد كانوا يأتون إليها حاملين

---

[1] ينظر:العايب، سلوى بالحاج صالح: **المسيحية وتطوراتها من نشأتها إلى القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، دار الطليعة للطباعة والنشر، 1998**، ص 12.(العايب، المسيحية وتطوراتها فيما بعد)

[2] عسكر، قصي الشيخ: **الأساطير العَرَبية قبل الإسلام وعلاقاتها بالديانات القديمة**، ط 1، سوريا، دمشق، 2007، دار معد، ص 46. (عسكر، الأساطير العَرَبية، فيما بعد).

[3] ينظر:عاقل، نبيه: **تاريخ العَرَب القديم وعصر الرَّسُول**، د ط، د ت، ص 253. (عاقل، تاريخ العَرَب، فيما بعد).

[4] ينظر:عبد الحكيم، شوقي: **موسوعة** الفولكلور والأساطير العَرَبية، القاهرة، مطبعة أطلس، ص 205.(عبد الحكيم، موسوعة فيما بعد)

بضائع الهند، ويعودون منها، ومعهم الحُبوب والزيت والخُمور والأسلحة والمَنسوجات والجَواري"[1]. وهذا ما تَرجمه القرآن الكريم في سورة قُرَيْش، حيث تحدثت عن الرِحلتين التجاريتين اللتين كانت قُرَيْش تقوم بهما، إلى اليَمن في الشتاء، وإلى الشام في الصيف. قال تعالى: **" إِيلَافِ قُرَيْش إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَآءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَاذَا الْبَيْتِ الَّذِى أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ "** (قُرَيْش|4).

2. العقائد والديانات

أ- الديانات التوحيدية (المسيحية واليهودية)

كان لكل من الديانتين المسيحية واليهودية أثر كبير في تسريب كثير من الأفكار والثقافات والمعتقدات إلى الجزيرة العَرَبية، " فقد وجدت اليهودية طريقها إلى بعض المناطق في العَرَبية الشمالية، و العَرَبية الجِنّوبية، حيث انتشرت بشكل خاص في ظل المملكة الحِميرية الثانية، ووصل انتشارها إلى أقصاه في هذه الفترة المُبكرة من القرن السادس الميلادي، وقد يرجع انتشارها في شبه الجزيرة العَرَبية في نسبة منه إلى فرار عدد من العبرانيين إلى القسم الشمالي من شبه الجزيرة العَرَبية بوجه خاص على أثر تدمير الوالي الروماني تيتوس لأورشليم (القدس)، ولم يختلف الوضع في اليمن كثيراً عما هو عليه في المناطق الشمالية" [2]. وعلى الرغم من التحفظ والانغلاق المحكم الذي تميز فيه بعض اليهود، حيث كانوا يَنعَزلون في حصون وقلاع خاصة بهم، مثل حِصن السموأل وخيبر، فقد كان هناك من العَرَب عشائر بكاملها تتهود، أو دول مثل اليمن تتخذ من اليَهودية دينا رَسْميا لها [3] .

وقد أدت الطقوس الثقافية المختلفة التي كانت تؤديها الجاليات اليهودية دوراً كبيراً في اجتذاب العَرَب، خاصة وأنها كانت تتم على مرأى من أعينهم، فكان تأثيرها قريباً.

وعن مدى الاحتكاك الذي كان بين العَرَب واليهود في الجزيرة العَرَبية يقول جواد علي: "لقد عاش اليهود في جزيرة العَرَب معيشة أهلها، فلَبِسوا لباسهم، وتَصاهروا معهم، فتزوج اليهود

---

[1] عاقل، نبيه: **تاريخ العَرَب القديم وعصر الرَّسُول**، ص 229_230.

[2] عبد الوهاب، لطفي: **العَرَب في العصور القديمة**، د ط، الإسكندرية، د ت، ص 389.(عبد الوهاب، العَرَب فيما بعد).

[3] ينظر :قصي: **الأساطير**، ص 56_58.

عربيات، وتزوج العَرَب يهوديات، ولعل كون بعض اليهود من أصل عربي، هو الذي ساعد على تَحطيم القيود التي تحول بين زواج اليهود بالعَرَبيات وبالعكس "[1].

ومما لا شك فيه أن الزواج وسيلة لا يُمكن التقليل من دورها في إحداث عملية نقل الثقافات، وكذلك التأثر والتأثير المتبادل بين أصحاب الديانتين الذين ارتبطوا برابطة الزَواج والمصاهرة.

وجدير بالذكر "أن اليهودية حلت بجزيرة العَرَب بعد أن تأثرت بالثَقافَة اليونانية تأثراً كبيراً، لأنها ظلت قروناً تحت الحُكم اليوناني الروماني، ولأنها كانت منتشرة في الإسكندرية، وعلى شواطئ البحر الأبيض حيث الثَقافَة اليونانية " [2].

أما المَسيحية فقد تعددت طرق دخولها وتسربها إلى داخل الجزيرة العَرَبية " فقد انتشرت في العراق والشام حيث دولتا الغساسنة والمناذرة، وشَملت قبائل كثيرة، وأحياء معروفة في الجزيرة العَرَبية، وقد وجد هنالك جالية كبيرة من المسيحية في مَكَّة "[3].كما كانت مملكة الغساسنة إحدى الطرق المُؤدية إلى دخول المسيحية وانتشارها، وقد دخلت إليهم جَرَّاء مُجاورتهم للروم، ولدخولهم تحت إمرتِهم أحياناً [4]. ويُرجح بعضهم أن تكون المسيحية قد وصلت إلى الجزيرة العَرَبية، إما عن طريق سوريا، وإما عن طريق الحبشة، حيث أخذ المسيحيون بتشييد الكنائس في مدن كثيرة من اليمن [5]. ومنها كعبة نجران التي أقيمت لصرف العَرَب عن الكعبة في مَكَّة " وكعبة نجران هذه يقال إنها بيعة بناها بنو عبد المدان بن الديان الحارثي على بناء الكعبة وعظموها مضاهاة للكعبة وسموها كعبة نجران وكان فيها أساقفة معتمون " [6]. يضاف إلى ما سبق " أن الأحباش طوال مدة مَكثهم في اليمن سعوا إلى نشر عقيدتهم بين الناس فكانت النصرانية دائبهم وديدنهم، يعْملون جاهدين لترسيخها، وما تركوا وسيلة إلا اتبعوها، فالمبشرون

---

[1] علي: **المفصل في تاريخ العَرَب قبل الإسلام**، 532/6.

[2] أمين، أحمد: **فجر الإسلام**، ص 29.

[3] العايب، سلوى: **المسيحية العَرَبية وتطوراتها**، ص 85.

[4] ينظر:سالم، السيد عبد العزيز: **تاريخ العَرَب قبل الإسلام**، 198.

[5] ينظر:فخري، أحمد: **دراسات في تاريخ الشرق القديم**، ط 2، القاهرة، مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، 1963، ص 128_ 129. (فخري، دراسات، فيما بعد).

[6] الحموي، ياقوت بن عبد الله: **معجم البلدان**، بيروت، دار الفكر 268/5. (الحموي، معجم البلدان، فيما بعد).

يجوبون الأصقاع، والبناؤون يشيدون الكنائس بأمر من ولاة الأمر" [1] . وقد أشار جواد علي إلى إلى أن طريقة دخول النصرانية إلى الجزيرة العَرَبية قد اختلفت نوعاً ما عن طريقة دخول اليهودية، فبينما دخلت اليهودية إلى الجزيرة العَرَبية عن طريق الهجرة والتجارة، فإن النصرانية دخلت بالتَبشير، وبدخول بعض النساك والرهبان، وبالرقيق الأبيض، الروم والفُرْس، ومن الروميات والصقليَّات والجرمانيَّات، من صرن أمهات لأولاد عدوا من صميم العَرَب، وقد كان أكثرهن على النصرانية . مما يدعم فرصة دخول النصرانية بتعاليمها الدينية، وثقافاتها إلى قلب الجزيرة العَرَبية [2].

وكان من نتائج هذا الاختلاط الكبير بين عرب الجزيرة وأتباع الديانة المسيحية أن اطلعوا على عادات النصارى وتقاليدهم، وها هو النابغة الذبياني يتحدث في شعر يمدح به أحد ملوك غسان النصارى، عن (عيد السَعانين)، وهو أحد الأعياد التي كان النصارى يحتفلون فيه متبعين في ذلك طقوساً خاصة، وقد نعته النابغة بعيد السباسب.[3] وفي يوم السباسب يحيون مع تقديم الريحان وكانت التحية خاصة بالملوك بدعاء " حياك الله " غالبا [4]، يقول:

(الطويل)

رِقــــاقُ النِّعـــــال طَيِّـــــبٌ حُجُـــزاتُهُمْ[5] يُحَيَّـــوْن بالريحـــانِ يـــوم السَّباسِـــب[6]

السَّباسِـــــــــــــــــــــــــــب[6]

كما كان في الألفاظ المتجلية بوضوح في شعر بعض الشِّعْراء الجاهليين، ما يؤَكِّد هذا التمازج، فامرؤ القيس عندما يصفُ جمال صاحِبته، يُشَبِّهها بمَنارة الراهب:

(الطويل)

تُضـــيءُ الظَـــلامَ بِالعِشـــاءِ كَأَنَّهـــا مَنـــارَةُ مُمســـى راهِـــبٍ مُتَبَتِّـــلِ[7]

---

[1] جرجس، داود: **أديان العَرَب قبل الإسلام ووجهها الحضاري والاجتماعي**، ط 1، بيروت، لبنـــان، المؤسســـة الجامعيـــة للدراسات والنشر، 1981، ص 60. (جرجس، أديان العَرَب، فيما بعد).

[2] ينظر: علي، جواد: **المفصل**، 6/ 587_589.

[3] ينظر: ابن منظور: **اللسان**، مادة سبسب.

[4] الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر: **أحكام القـــرآن**، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، بيروت، دار إحياء التراث العَرَبـــي، 1405، 185/3.(الجصاص، أحكام القرآن، فيما بعد).

[5] الحجزات جمع حجزة وهو موضع التكة من السراويل. واستخدم التعبير للدلالة على أن فروجهم عفيفة .

[6] الأصفهاني، أبو الفرج: **الأغاني**، 15ط 2، بيروت، دار الفكر،155/15.

[7] امرؤ القيس: **الديوان**، اعتنى به وشرحه عبد الرحمن المصطاوي، ط 2، بيروت، لبنان، دار المعرفة، 2004، ص 46. 46. (امرؤ القيس، الديوان فيما بعد). والمتبتل هو المنقطع إلى الله بنيته وعمله.

وعندما يتحدث عن ضوء البرق ولمعانه، يشبهه بمصابيح الراهب، يقول:

(الطويل)

يُضـــيءُ سَـــناهُ[1] أَو مَصـــابيحَ راهِـــبٍ   أَهانَ السَـليطَ[2] فـي الـذَبالِ[3] المُفَتَّـلِ[4]

كذلك فقد جاء في شعر العَرَب من النصارى بعض المفاهيم الدينية، التي تنم عن اعتقاد وإيمان بمعتقدات سماوية، فها هو عدي بن زيد _الشاعر النصراني_ يُذَكِّر النعمان بن المنذر بزوال الدنيا، وأن هناك من سبقنا، ونحن لهم لاحقون، وذلك بغية الوعظ وحمله على ترك عبادة الأوثان، يقول:

(مجزوء الرمل)

أيُّهـــا الركـــبُ المخِبُّونـــا   علـــى الأرض المجـــدُّونْا

كمـــا أنـــتُمُ كـــذا كُنَّـــا   وكمـــا نحـــن تكونُونْـــا[5]

وها هو في موضع آخر يتحدث في شعره عن قصة الخلق الأولى:

(البسيط)

اســمع حــديثا لكــى يومــا تجاوبــه   عن ظهــر غيــب إذا مــا ســائل ســألا

ان كيف أبــدى إلــه الخلــق نعمتــه   فينـــا وعرَّفنـــا آياتـــه الأولا

كانـــت ريـــاحٌ ومـــآءَ ذا عُرانيـــة   وظلمـــة لـــم تَـــدَعْ فتقـــا ولا خلـــلا

فـــأمر الظلمـــة الســـوداء فانكشـــفت   وعــزل المـــآء عمـــا كـــان قـــد شـــغلا

وبســـط الأرض بســـطا ثـــم قـــدرها   تحت الســـمآء ســـوآء مثـــل مـــا فعـــلا

وجعل الشـــمس مصـــيرا لاخفـــآء بـــه   بين النهـــار وبـــين الليـــل قـــد فضـــلا

---

[1] السنا: الضوء.

[2] السليط: الزيت.

[3] الذبال: جمع ذبيلة، وهي الفتيلة.

[4] امرؤ القيس: **الديوان**، ص 64.

[5] عدي بن زيد العبادي : **الديوان** , تحقيق محمد جبار المعيبد , د ط , بغداد , دار الجمهورية للنشر , 1965 , ص 180 . والبيت الأول جاء على مجزوء الرمل أما الثاني فوجدته مختلاً لا يصح على مجزوء الرمل إلا بإضافة واوين فـي أول صدره وأول عجزه.

قضـــــى لســـــتة أيـــــام خلائقـــــه وكان آخــر شـــىء صـــور الـــرجلا[1]

نلاحظ من الأبيات السابقة أن شِعر الشِّعْراء النصارى كان وسيلة مهمة لإدخال العديد من التجليات الثقافية الدينية، فقد قدم الشاعر تصوراً واضحاَ ومفصلاً لبدء الخلق بمراحله المُختلفة.

وعن ذلك يقول جواد علي: " ويروي رواة الشِّعْر وأهل الأخبار شعرا لعدي بن زيد العبادي ولأُمَيَّة بن أَبي الصَّلْت، ولنفر آخر من للشعراء في أحداث وأمور توراتية. وهذه الأشعار إن صح إنها لهم حقاً، دلت على وقوف أولئك الشِّعْراء على التَوراة، أو على بعض أسفارها، أو على قصص منها. أما عَدي بن زيد، فلا أستَبعد وقوفه على التوراة، فقد كان نصرانياً قارئاً كاتباً بالفارسية والعَرَبية، وربما كان كاتباً بلغة بني إرم كذلك، لغة المُثقفين في العراق يومئذ. وقد كان هو نفسه من المثقفين ثقافة عالية بالقياس إلى زمانه، وفي شعره زهد وتصوف وتدين وتأمل وتفكر، فلا يستبعد إذن أخذه من التوراة ومن الأناجيل. وأما "أُمَيَّة بن أَبي الصَّلْت"، فقد كان واقفاً على كتب اليهود والنصارى كما يذكر أهل الأخبار، قارئاً " كتب الديانتين، مطلعاً على العبرانية أو السريانية أو على اللغتين معاً، إن كان واقفاً أي حائراً بين الديانتين، فلم تدخل في أمية ديانة منهما، و إنما كان من الأحناف على حد تعبير أهل الأخبار "[2].

بالتالي فقد كان لكل من الديانتين المسيحية واليهودية تواجدٌ في بعض أنحاء الجزيرة العَرَبية وكان لهما أماكن عبادة يَؤمها النصارى واليهود، وكان لهما شَعائر وطقوس دينية يؤدونها. ويبدو أنه كان هنالك شيء من الاتفاق والتواصل بين العناصر الروحية للديانات القديمة لشِبه الجزيرة العَرَبية، وإن كان هناك بعض الاختلاف في الطُقوس؛ بسبب التَطورات الاجتماعية التي تعرضت لها الجزيرة العَرَبية[3]. وهذا ما أكده فراس السواح على مُستوى الديانات الإنسانية بشكل عام، فهو يقول: " لعل أهم ما يتعلمه الباحث في تاريخ الأديان، من دِراسته لأديان الثقافات الإنسانية عبر الزمان واختلاف المكان، هو تلك الوحدة التي تَجمع أديان الإنسان إلى صورة فُسيفسائية مُترابطة، وبَديعة التَكوين، لا يُمكن حذف قطعة منها دون الإخلال

---

[1] عدي بن زيد : **الديوان** , ص 158 .

[2] علي، جواد: **المفصل**، ص 150.

[3] ينظر:نيلسن، ديتلف : **التاريخ العَرَبي القديم**، د ط، ترجمة فؤاد حسنين، القاهرة، مصر، مكتبـــة النهضـــة المصـــرية، 1958، ص 257. (نيلسن، التريخ العَرَبي، فيما بعد).

بذلك التكوين، الذي تأخذ كل قطعة فيه جَماليتها من علائقها ببقية القطع، ومن تلك التَرابطات والتبادلات التي تعطيها المعنى والغاية [1].

نستنتج مما سبق أن الأديان السماوية الموحى بها (المسيحية واليهودية) كان لها صَدى في أنحاء الجزيرة العَرَبية كافة، وقد تجلى أثرها في بعض عادات العَرَب، وتقاليدهم وأنماط حياتهم، بحيث ارتَبطت أهم العادات والتقاليد عند العَرَب قبل الإسلام بمعتقداتهم الدينية.

ب- الديانات الوضعية (المجوسية)

هي من العقائد التي تسربت إلى العَرَب عن طريق الفُرْس، والمجوس هم القائلون بالأصلين: النُّورُ والظُّلْمَةُ ويَزْعَمُون أَنَّ الخَيْرَ مِن فِعْلِ النُّورِ وأَنَّ الشَّرَّ من فِعْلِ الظُّلْمَةِ [2]. ولعل في ذكر القرآن الكريم للمجوس ما يؤَكِّد معرفة العَرَب بهم، قال تعالى **"إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ "** (الحج|17).

كما جاء في الحديث الشريف أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: " كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ على الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أو يُنَصِّرَانِهِ أو يُمَجِّسَانِهِ كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْبَهِيمَةَ هل تَرَى فيها جَدْعَاءَ"[3].

وقد أشار جواد علي إلى احتكاك العَرَب بالفُرْس في معظم مناطق الجزيرة العَرَبية، ولفترات طويلة مما يُسوِّغ فرصة انتقال العديد من معتقداتهم، وطقوسهم الثقافية إلى العَرَب. ويدلل بأن ذكرهم في القرآن الكريم دلالة على معرفة أهل الحجاز بهم، وكيف لا يكون لهم علم بهم، ووقوف عليهم، وقد كان لأهل مَكَّة اتصال وثيق بالحيرة، وكذلك كان لأهل الحجاز[4]. ويضيف بأنه كان هناك في اليمن مجوس من الفُرْس الذين أرسلهم كسرى لطرد الحبش من اليمن، أما مجوس عمان وبقية أنحاء العَرَبية الجِنّوبية، فقد كانوا من الفُرْس كذلك من تجار ومن مقيمين من بقية الفُرْس، الذين كانوا استولوا على هذين الأرضين، أما مجوس البحرين فكانوا

---

[1] السواح، فراس: **مدخل إلى نصوص الشرق القديم**، دمشق، دار علاء الدين، 2006. ص 76.(السواح، مدخل إلى نصوص فيما بعد).

[2] ينظر: **تاج العروس**، مادة (مجس).

[3] البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي: **الجامع الصحيح المختصر**، حديث رقم 1319، 465/1.

[4] ينظر:علي: **المفصل**، 691/6.

أكثر عدداً، وأكبر نفوذاً من اخوانهم في عمان، وكان باليمامة قوم من المجوس عاشوا فيها واشتغلوا بالزراعة والتعدين [1].

وجاء في رواية بعض الإخباريين ما يفيد بتَمجُّسِ بعض العَرَب، يقول المَقدَّسي " كان فيهم من كل مِلَّة ودين وكانت الزندقة والتعطيل في قُرَيْش والمزدكية والمجوسية في تميم واليهودية والنصرانية في غسان والشرك وعبادة الأوثان في سائرهم واتخذ بنو حنيفة إلها من حيس وعبدوه دهراً ثم أصابتهم مجاعة فأكلوه " [2].

ومن الأمور التي وصلت إلى العَرَب بفعل التأثر بالفُرْس نيران العَرَب وقد ذكر الألوسي بأن العَرَب كانوا قد أولعوا بإيقاد النيران، وكان لديهم منها عدد كبير:" كنار التحالف، حيث كانوا إذا أردوا التحالف أوقدوا ناراً، وعقدوا حلفهم عندها، ودعوا بالحرمان والمَنع على من ينقُض العَهْد. ونار السلامة، ونار الغَدر، ونار الطَرد وغيرها الكثير" [3].

ومن الأدلة التي تُشير إلى معرفة العَرَب بنيران المَجوس وتعاليمها ما جاء في تاج العروس من شِعر على لِسان امرىء القيس والتَّوْأَمُ اليَشكري، حيث قال امرؤ القيس:

(الوافر)

أصاحِ تَرَى بُرَيْقاً هَبَّ وَهْنَاً

فأكمل اليشكري:

"كنَارِ مَجُوسَ تَسْتَعِرُ استِعارا [4]

هذا وقد ذكر الألوسي "أن هناك أشتاتاً من العَرَب كانوا قد عبدوا النار، وكأن ذلك سرى إليهم من الفُرْس والمجوس"[5]. وأشار المسعودي إلى ذلك، حيث يقول: " انتقلت عبادة النار من بلاد الفُرْس إلى حليفتهم الحيرة التي تقع في شرق بلاد العَرَب، ذلك أن فريقاً من المؤمنين بعبادة النار انتقلوا إلى الحيرة، ومارسوا طقوسهم في عبادتها، فلما رأى أهلها ناراً تعظم وهم عاكفون

---

[1] علي، **المفصل**، 6/693_694.

[2] المقدَّسي: **البدء والتاريخ**، 4/31_32.

[3] الألوسي: **بلوغ الأرب**، 2/ 162_163.وينظر: الفوال، صلاح مصطفى: **سوسيولوجيا الحضارات القديمة**، ص 246.

[4] الزبيدي: **تاج العروس**، مادة مجس.

[5] الألوسي: **بلوغ الأرب**، 2/233.

على عبادتها سألوهم عن خبرها، ووجه الحكمة في عبادتها، فأخبروهم بأشياء اجتذبت نفوسهم إلى عبادتها، وأنها واسطة بين الله، وبين خَلقه، وأنها من جنس الآلهة النورية ".[1] ولم تكن عبادة النار وحدها التي انتقلت من الفُرْس إلى بعض عرب الجاهِلِيَّة، إنما انتَقلَت إليهم أيضا عِبادة الشَمس، حيث كانوا يَسجدون لمُختلف حالات ظُهورها، عند الشُروق وعند الغروب، وعندما تَتَوسط كَبد السماء، ومن هؤلاء سبأ وقَومها، وبعض شِعاب حمير كتميم وكثير، وقد كان عرب الجاهِلِيَّة يَتوسلون للشَمس حتى تَقضي مَصالحهم [2]. وقد تصدى القرآن الكريم لعَملية السجود التي كان عرب الجاهِلِيَّة يمارسونها، ونَهاهُم عنها، فقال تعالى: **" وَمِنْ ءَايَاتِهِ الَّيْلُ وَالنَّـهَارُ وَالشَّمْسُ وَالقَمَر لاَ تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُواْ لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ "** (فصلت|37).

ولعلّ مُمارسة الصِغار لحد الآن لطَقْس التَوجه نَحو الشَمس، والدُعاء لَدى سُقوط سِنه امتداد لمُمارسات قديمة، بالتَوجه إلى الشَمس، والدُعاء بقَضاء الحاجات.

وعلى صعيد النُظم الاجتماعية فقد تشابه عرب الجاهِلِيَّة مع الفُرْس في بعض النظم، وخالفوهم في بعضها، فقد تشابهوا في بعض مسائل الزواج، لا سيما تَعدد الزوجات والمحظيات والخليلات، كما اتفقوا في الفرح بولادة الذكور، والهلع عند ولادة البنات _وهذا ما وجد كذلك عند اليهودية_ [3].

3. الموقع

أ- علاقات الجوار

جزيرة العَرَب: "هي أفضل البلاد المعمورة من شق الأرض الشمالي، جنوبها اليمن، وشماليها الشام، وغربيها شرم أيلة[4] وما طردته من السواحل إلى القلزم (القلزم:كانت مدينة على ساحل البحر الأحمر من أرض مصر، وبها سمي بحر القلزم البحر الأحمر)، وفسطاط [5] مصر،

---

[1] المسعودي: **مروج الذهب**، 470/1.

[2] الفوال: **سوسيولوجيا الحضارات القديمة**، ص 246.

[3] ينظر: الفوال: **سوسيولوجيا الحضارت القديمة**، ص 246.

[4] أيلة بالفتح: مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام، وقيل هي آخر الحجاز وأول الشام إيلياء بعده. قال أبوزيد: أيلة وقال أبو المنذر: سميت بأيلة بنت مدين بن إبراهيم _عليه السلام_، وقال أبو عبيدة: أيلة مدينة بين الفسطاط ومَكَّــة علـــى شاطيء بحر القلزم تعد في بلاد الشام، للمزيد أنظر: الحموي: **معجم البلدان**، 292/2.

[5] الفُسطاط بيت من شعَر، لكن المقصود هنا مدينة في مصر، للمزيد أنظر: ابن منظور: **اللسان**، مادة فسط.

مصر، وشرقيها عمان والبحرين وكاظمة والبصرة، وموسطها الحجاز، وأرض نجد والعروض، وتسمى جزيرة العَرَب لان اللسان العَرَبي في كلها شائع [1]. وقد نقل ياقوت الحموي عن أبي المنذر هشام ابن محمد السائب الكلبي، مُسنداً إلى ابن عباس، قال: " اقتسمت العَرَب جزيرتهم على خمسة أقسام، وإنما سُميت بلاد العَرَب جزيرة؛ لإحاطة الأنهار والبحار بها من جميع أقطارها وأطرافها، فصاروا منها في مِثْل الجزيرة من جُزُرِ البحر، وقد توالدوا فيها على خمسة أقسام عند العَرَب في أشعارها وأخبارها: تُهامة والحِجاز، ونَجد، والعروض، واليمن " [2].

وقد أضفى موقع شبه الجزيرة العَرَبية عليها إمكانات واسعة في مجال التجارة البحرية، "لأن شبه الجزيرة العَرَبية تشغل موقعا وسطا بين بحرين هما البحر الأحمر من الغرب، والخليج من الشرق، كما أن نهري دجلة والفرات في شمال الخليج، ونهر النيل عبر البحر الأحمر بإمكاناتهما في مجال النقل، يشكلان امتدادين لهذا الموقع التجاري الوسيط، أما من الناحية التاريخية، فشبه الجزيرة العَرَبية كان يحيط بها دائماً قوتان حَضاريتان كبيرتان، إما حضارة الآشوريين والبابليين، أو الفُرْس في الشرق، وإما المصريون أو البطالمة أو الرومان في الغرب"[3].

كذلك فقد ربطت علاقة الجوار بين عرب الجزيرة العَرَبية والأحباش؛ إذ لم يكن يَفصل بينهما سوى البحر الأحمر الذي عُرِف قديماً (بالبحر الأرتيري)، مما يُعَزز فُرصة انتقال الثَقافَة، والتواصل بين الشعبين[4].

بالتالي نلاحظ أن الجزيرة العَرَبية كانت طِوال الوقت تَحتل موقعاً استراتيجياً، وتقع في ملتقى نشوء الحضارات الكبرى، فكان من الطبيعي أن يَتسرب إليها كثير من ثقافة تلك الأمم بشكل أو بآخر.

---

[1] الهمداني، لسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب: **صفة جزيرة العَرَب**، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، ط1، صنعاء، اليمن، 1990، ص 39. (الهمداني، صفة جزيرة العَرَب، فيما بعد).

[2] الحموي،: **معجم البلدان**، 137/2.

[3] عبد الوهاب: **العَرَب في العصور القديمة**، ص 324.

[4] ينظر: جرجس، داود: **أديان العَرَب قبل الإسلام ووجهها الحضاري والإجتماعي**، ط 1، بيروت، لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 1981، ص 53.(جرجس، أديان العَرَب فيما بعد).

ولقد تحدث فيليب حتى مُستدلاً بمعرفة اليونان والرومان للعَرَب على إمكانية التأثر والتَواصُل الثَقافي بين الفريقين، فقال " ولقد أحاط اليونان والرومان علما بأحوال الجزيرة والعَرَب؛ لأن هذه البلاد على طريقهم إلى الهند والصين، وكانت تُنتج السلع المرغوبة في أسواق الغرب، وقد قسَّم اليونان والرومان جزيرة العَرَب إلى ثلاثة أقسام: العَرَبية السعيدة، والعَرَبية الصخرية، والعَرَبية الصحراوية " [1]. ويرى الدواليبي أن العمران الحضاري الذي شاهده مؤرخو اليونان والرومان في جنوبي شبه الجزيرة العَرَبية، وما شاهدوه فيها من رخاء عجيب هو الذي حدا بهم إلى أن يُطلقوا على تلك المِنطقة وما جاورها اسم (البلاد العَرَبية السعيدة) [2].

كذلك نَشأت عَلاقات كثيرة رَبطت اليَمن ببلاد الرافدين و حيث اتصل السومريون ببلاد العَرَب منذ فجر التاريخ، وما هذا بغريب فبلاد العَرَب هي الجار الغربي للعراق، وباستِثناء البادية لا يوجد هناك حَواجز طبيعية تعوق الاتصال [3]. أما عن العلاقة بين الجزيرة العَرَبية ومصر وبابل فيذكر حتي " أن جزيرة العَرَب كانت إسفيناً يفصل بين مركزي الثَقافَة القديمة _مصر وبابل_، وعلى الرغم من أن الجزيرة لم تقع تحت سلطان الثَقافَة التي ترعرعت وازدهرت في وادي النيل وبلاد الرافدين، فإنها لم تَستطع أن تَتخلص من تأثيرهما " [4].

وقد تبين أن هناك أدلة تاريخية تُثبت وجود اتصال بين المِصريين القدامى والعَرَب، "فقد عثر العالم(بتري) على قِطعة من العاج في ضريح ملكي للسلالة الفرعونية الأولى نحت عليها اسم رجل سامي، مكتوب على الرسم (آسيوي)"[5].

أما عن صلة العَرَب بالعبرانيين فيذكر حتي " أن اليهود كانوا من الناحية الجغرافية جيران العَرَب الأقربين، وكانوا من الناحية الجِنّسية أقرب الشعوب نسبا إليهم " [6]. "وقد سكن اليهود بلاد العَرَب من جراء تنقلهم المستمر، ومن جراء تعرض دولتهم للسَبي على عهد أشور

---

[1] حتي: **تاريخ العَرَب (مطول)**، ص 56.

[2] الدواليبي، معروف: **دراسات تاريخية عن مهد العَرَب وحضاراتهم الإنسانية**، ط 2، بيروت، لبنان، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، 1983، ص 19. (الدواليبي، دراسات فيما بعد)

[3] ينظر: فخري: **دراسات في تاريخ الشرق القديم**، ص 133.

[4] حتي: **تاريخ العَرَب (مطول)**، ص 40.

[5] داود جرجس: **أديان العَرَب**، ص60.

[6] حتي: **تاريخ العَرَب (مطول)**، ص 51.

وبابل، وكذلك بعد خراب أورشليم عام 70م على يد الرومان فتَوغلوا حتى وصلوا تيماء ويثرب ومَكَّة، ومن هناك في الحجاز إلى اليمن وغيرها من مَمالك الجِنّوب؛ ولحَتمية تَماسهم المُستَمِر من جراء هذا التنقل بينهم، والسُكنى معهم، لا بد أن يكونوا تركوا طابعاً دينياً، وفكرياً عند العَرَب، وتأثروا هم بدورهم بعادات العَرَب ومآثرهم "[1]. كذلك فقد أشار سميح دغيم إلى الأثر الذي تركه اليهود والذي كانوا قد اكتَسبوه بعد أن تعرضوا للسبي على يد نبوخذ نصر في القرن السادس ق.م، وسكنهم في بابل الذي أكسَبهم الكثير من العادات والتقاليد، والتي قاموا بِدَورهم بنقلها إلى العَرَب، بعد أن عادوا إلى بلاد العَرَب واستوطنوها [2].

وقد امتد التأثر الثقافي حتى ظهر صداه في القرآن الكريم،" وليس ذلك بِغريب إذا عرفنا أن مَكَّة عند ظهور الإسلام كانت تحتوي على عدد كبير من العبيد، من جملتهم الأحباش النصارى، وقد ترك هؤلاء أثراً في لغة أهل مَكَّة تدل على أثرهم في المجتمع "[3].

وها هو السيوطي يعقد فصلا من كتابه الإتقان في علوم القرآن للحديث عما ورد في الكتاب العزيز من غير لغة العَرَب، وقد ذكر جُملة من الألفاظ الدالة على ذلك منها:

- سقر: ذكر الجواليقي أنها أعجمية [4] **" إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَالٍ وَسُعُرٍ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ "** (القَمَر|47_48)
- سندس: قال الجواليقي هو رقيق الديباج بالفارسية [5] **" أُوْلَائِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ الأَنْـهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَآئِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً "** (الكهف|31)

---

[1] داود، جرجس داود: **أديان العَرَب قبل الإسلام**، ص 35.

[2] ينظر: دغيم، سميح: **أديان ومعتقدات قبل الإسلام**، ط 1، بيروت، لبنان، دار الفكر اللبناني، 1995، ص 38. (دغيم، أديان ومعتقدات، فيما بعد)

[3] داود: **أديان العَرَب قبل الإسلام**، ص 81.

[4] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن: **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق سعيد المندوب،ط 1، بيروت، لبنان، دار الفكر، 1996، 401/1. (السيوطي، الإتقان، فيما بعد).

[5] السيوطي: **الإتقان في علوم القرآن**، 401/1.

- سجيل:أخرج الفريابي عن مجاهد قال سجيل بالفارسية أولها حجارة وآخرها طين، وذكر أبو حاتم في كتاب الزينة أنه غير عربي.[1] **" فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِى مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ "** (هود|82) وهناك ألفاظ كثيرة وردت في القرآن الكريم، ليست في أصلها عربية.

وبما أن اللغة تعد أحد أبرز العناصر الفكرية فكان من البَدهي، أن تَتأثر بفعل عوامل الاتصال والتواصل التي تَمَّت بين العَرَب والشعوب الأخرى، فقد ظَهرت آثار هذا الاتصال بشكل جَلي على كافة المُستويات الدينية والأدبية والفِكرية والاجتماعية.

ولقد اتصلت الجزيرة العَرَبية قبل الإسلام بالحَضارات المجاورة،: المِصرية القديمة، والبابلية في العراق، والفارسية والرومانية، واقتَبسوا منهم الكثير مما ناسبهم، وكان لقيام إمارتي الحيرة والغساسنة على أطراف الدولتين الفارسية والرومانية، أثره في تأثير امتزاج العَرَب بحَضارة هاتين الدَولتين [2].

نستَنتج مما سبق أن اتصال العَرَب بالشعوب المجاورة كان بمثابة حلقة الوصل التي أفضَت إلى دخول كثير من الاعتقادات والثقافات إليهم.

ب- رحلات الشِّعْراء

وفي سياق التَواصُل الثَقافي فقد كان للشُعراء نَصيب وإسهام في ذلك، وذلك إما عن طريق وِفادة بَعضهم على ملوك الفُرْس والحبشة وغيرهم من الملوك، أو من خلال اطِّلاعهم على كُتُب الديانات الأخرى كالمسيحية واليهودية، وتَضمينهم لبعض ما جاء في هاتين الديانتين من قصص وأخبار في أشعارهم. ويذكر ناصر الدين الأسد " أن شعراء العَرَب ورؤساءهم وتُجارهم كانوا يَفدون على غسان وبلاد الروم" [3].

---

[1] السيوطي: **الإتقان في علوم القرآن**، 400/1.

[2] حتى: **تاريخ العَرَب (مطول)**، ص 202.

[3] الأسد، ناصر الدين: **القيان والغناء في العَصْر الجاهلي**، ط 2، القاهرة، مصر، دار المعارف، 1968، 132. **(الأسد، القيان، فيما بعد)**.

وبالفعل فقد عرف عن بعض الشِّعْراء تَنَقلهم المُستَمر إما للبَحث عن الشُهرة، أو طَمعاً في الرفد والعطاء. فالأعشى مثلاً كان من الشِّعْراء كثيري التنقل والوفود على ملوك العَرَب والفُرْس، وقد وسعت هذه الأسفار آفاق نظره، وأَطلَعَته على ثقافات الشُعوب المُتنوعة، من بينها النصرانية، فقد عرف عنه اتصاله الدائم بِحُكَّام الفُرْس، وقد حمل في طَيَّات شِعره بعضاً من أفكارهم ومعتقداتهم. وقد حَمله اختِلاطه بالنصارى العَرَب على الإشارة إلى بعض طُقوسهم، وأحوال عباداتهم في شِعره، وها هو يشير في شِعره مادحاً قيس بن معد يكرب الكندي إلى عادة النصارى في الطَواف حول الصَليب، أو تمثال المسيح [1]، يقول:

(المتقارب)

يطـــــــوفُ العُفــــــاةُ بأَبوابِــــــه كطَــوْفِ النّصـــارى ببَيْــتِ الـــوَثَنْ[2]
الـــــــــــــــــــــــوَثَنْ[2]

ثم نراه يُشير إلى الصليب الذي نصبه الراهب في الهيكل بعد أن زيَّنه بالصور، وتلك عادة كان النَصارى العَرَب يتَّبِعونها بحيث يُزينون كنائسهم بنَقش الصور، ونَصب التَماثيل، فيَكْرِمونها نسبة إلى ما تمثله لهم من أولياء الله وفضائلهم، يقول :

(المتقارب)

وَمـــــا أَيبُلِـــــيٌّ عَلـــــى هَيكَــــلٍ بَنـــــاهُ وَصَـــــلَّبَ فيـــــهِ وَصـــــارا[3]

وقد ظَهر انبهار الأعشى وغَيره من الشُّعراء الذين كانوا يَتَردَدون على بلاد الفُرْس والروم، بالتَطاول في بِناء القُصور الشاهِقة، وفي هذا يقول الأعشى واصِفاً قَصراً بُنِيَ في العَرض:

(الطويل)

أَلَم تَــرَ أَنَّ العَــرضَ أَصــبَحَ بَطنُهــا نَخـــيلاً وَزَرعـــاً نابِتـــاً وَفَصافِصـــا
وذا شـــرفات يقصـــر الطيـــر دونـــه ترى للحمـــام الـــورق فيـــه قرامصـــا [1]
1

---

[1] ينظر: علي،. جواد: **المفصل**، 670/6.

[2] الأعشى: **الديوان**، تحقيق فوزي عطوي، د ط، بيروت، لبنان، الشركة البنانية للكتـــاب، 1968، ص 167. (الأعشـــى، الديوان فيما بعد).

[3] الأعشى: **الديوان**، ص 116. وشيخو، لويس: **النصرانية وآدابها**، ط 2، بيـــروت، لبنـــان، دار المشـــرق، 1989، ص 204. (شيخو، النصرانية فيما بعد).

ومن الشِّعْراء الذين وصفوا تلك القصور، وشدة ارتفاعها، عَدي بن زيد، إذ يقول:

(الخفيف)

شـــــادَهُ مَرمَــــــراً وَجَلَّلَــــــهُ كِـــــلْ　　ســــا فَلِلطَيـــــرِ فــــي ذُراهُ وُكــــورُ[2]

ولم يقتصر تأثر الأعشى بثقافة الفُرْس على حَمل أفكارهم ومُعتقداتهم حَسْب، بل دخل إلى شِعره العديد من ألفاظهم ومُصطَلحاتهم، فهو يقول:

(الطويل)

بكَـــــأْسٍ وإبْرِيــــقٍ كـــــأَنّ شَـــــرابَهُ　　إذا صُبَّ فـــي المِصْـحاةِ خـــالَطَ بَقَّمَـــا[3]

وليس من أحد ينكر أثر الشِّعْراء وتأثيرهم على عقول العَرَب في الجاهِلِيَّة وقلوبهم، فالشِّعْراء لسان قومهم، المدافعون عن الأعراض والأحساب، لا يقل أثر ألسِنتهم عن أثر السلاح في الدفاع عن أقوامهم، يَملِكون من قوة التأثير في الآخرين ما لا يَملك غيرهم من الناس، وقد سبق وأشرت ضمن التمهيد إلى مَكانة الشِّعْراء لدى العَرَب في العَصْر الجاهلي، ومَراسم الاحتفال التي كانوا يُجْرونَها عندما ينبُغ مِنهم شاعر.

هذا ولم يَقتصر وفود الشعراء على ملوك الفُرْس والروم وغيرهم من المُلوك فحسب؛ بل هنالك بعض الراغبين في المَعرفة، والتَفقّه في أمور الدنيا، وكان هذا ولا شك وسيلة من وسائل الاطلاع على الثقافات الأخرى، والتأثر بها، فها هو النضر بن الحارث، الذي عرف بعداوته الشديدة للنبي _عليه الصلاة والسلام _ كان قد قدم الحيرة وتعلم أحاديث ملوك الفُرْس، وأحاديث رستم واسفنديار، وكان إذا جلس رسول الله _عليه الصلاة والسلام _ مجلساً، فذّكر فيه بالله، وحذَّر قومه مما أصاب من قَبلهم من الأمم من نَقمة الله، خلفه في مجلسه إذا قام ثم قال: أنا والله

---

[1] الأعشى: **الديوان**، ص 195.

[2] الأصفهاني: **الأغاني**، 132/2.

[3] الأعشى: **الديوان**، ص 157.

يا مَعشر قُرَيْش، أحسن منه حديثاً فهلمّوا إلي فأنا أحَدثكم أحسن من حديثه. ثم يحَدثهم عن ملوك فارس، ورستم واسفنديار، ثم يقول: بماذا محمد أحسن حديثا مني . [1]

بالتالي نلاحظ أن النضر بن الحارث الذي ذهب للتَّعلم عند الفُرْس اطَّلع على تاريخ حافل بالقصص والأخبار والثقافات المُتَنوعة، ثم حمل في جُعبته كل ذلك وعاد به إلى موطنه الأصلي، فكان في ذلك شَيء من التَواصُل الثَقافي.

حتى فيما يتعلق بعبادة الأصنام فقد ذكر ابن هشام " أن عمر بن لحي خرج من مَكَّة إلى الشام في بعض أموره فلما قدم مآب من أرض البلقاء وبها يومئذ العماليق – وهم ولد عملاق. رآهم يعبدون الأصنام فقال لهم: ما هذه الأصنام التي أراكم تَعبدون؟ قالوا له: هذه أصنام نعبدها فنستمطرها فتمطرنا ونستنصرها فتنصرنا فقال لهم: أفلا تعطونني منها صنماً فأسير به إلى أرض العَرَب فيَعبدوه؟ فأعطوه صنماً يقال له هُبل، فقدم به مَكَّة، فنَصبه وأمر الناس بعبادته وتَعظيمه " [2]. نلاحظ مما سبق أنه حتى في ديانة العَرَب قبل الإسلام كان هناك تأثير خارجي واضِح، لم يَقتَصر على بعض العادات الثقافية فحسب، بل شَمل كذلك الأمور الدينية .

ج– مناطق النفوذ الأجنبي (الغساسنة، المناذرة، كندة)

لقد كان لإنشاء بعض الإمارات العَرَبية على أطراف جزيرة العَرَب أثر واضح في تمرير بعض الثقافات، وإحداث نوع من التَواصُل الثَقافي، إذ كانت تلك الإمارات عبارة عن مناطق للنفوذ الأجنبي كالإمبراطورية البيزنطية والإمبراطورية الفارسية، وكان الهَدف من وجودها حِماية الطرق التجارية، إضافة إلى تأمين حُدود تلك الإمبراطوريات من هَجَمات البدو، وكذلك تَقديم العَوْن لها في حالة الحرب، وإمدادها بالجيوش اللازمة لذلك, من تلك الإمارات:

– إمارة الغساسنة

جاء في معجم البلدان " أن أصل الغساسنة يرجع إلى قبائل الأزد التي هاجرت من جنوب بلاد العَرَب بعد حدوث سيل العرم، وانهيار سد مأرب فلما استقرت إحدى تلك القبائل إلى

---

[1] ينظر: ابن هشام، عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري: **السيرة النبوية**، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، ط 1، بيروت، لبنان، دار الجيل، 1411 ه، 138/2. (ابن هشام، السيرة، فيما بعد).

[2] ابن هشام: **السيرة النبوية**، 202/1.

جوار ماء اسمه غسان في تهامة، نسبت إليه بعد أن أقاموا عليه، وشربوا منه "[1]. وقد تحالف الغساسنة مع الروم كما تحالف أبناء عمومتهم المناذرة مع الفُرْس. وعن خلفيات العلاقات التي ربطت الغساسنة بالرومان يقول شوقي ضيف: " ويظهر أن الرومان وخُلفاءهم البيزنطيين اتخذوا من الغساسنة في الشام، إمارة تَحجز بينهم وبين البدو وغاراتهم وتساعدهم في حُروبهم ضِدّ الفُرْس، ومن كان يُؤيدهم من عرب المناذرة أو الحيرة في العراق "[2].

وبالفعل إن القارئ لتاريخ العَلاقات بين الإمبراطوريات الكُبرى وتلك الإمارات يجد أنها علاقات تَحُدّها المصالح السِياسية والتِجارية، لصالح الطَرف الأول " فقد اتخذ الروم من الغساسنة حُرَّاساً لحدودهم الشرقية ضِد غارات البدو، الذين كانوا ينزِلون على أطراف الإمبراطورية الرومانية، كما عَقدوا معهم اتفاقاً يَقضي بإمداد الروم للغساسنة بأربعين ألف مُحارب، مقابل أن يمدهم الغساسنة بعشرين ألفاً إذا حاربهم الفُرْس "[3].

- إمارة الحيرة (المناذرة)

وجاء في معجم البلدان أن " الحيرة مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النجف"[4]. وكانت بين المناذرة والفُرْس كما كانت العلاقة بين الروم والغساسنة، يقول جمال سرور: "وكانت العلاقة بين دولة الفُرْس ومملكة الحيرة قائمة على أساس أن يقدم عرب الحيرة لكسرى فارس، وهو يولي عليهم أميراً من بينهم"[5]. ويقول شوقي ضيف: "اتخذ الساسانيون ملوك الفُرْس من دولة المناذرة درعاً تحميهم من غارات البدو، وجنوداً تقف في صفوفهم في أثناء حروبهم ضد الرومان والبيزنطيين والغساسنة "[6]. والظاهر أن عملية التَواصُل الثَقافي لم تكن في كل الأحوال تتم طواعية، وبشكل عَفوي؛ حيث كان الفُرْس مثلاً

[1] الحموي، ياقوت: **معجم البلدان**، 203/4_204.

[2] ضيف، شوقي:**العَصْر الجاهلي**، ص 40.

[3] سرور، جمال: **قيام الدولة العَرَبية الإسلامية في حياة محمد عبيه الصلاة والسلام**، القاهرة، دار الفكر العَرَبي، 1946، ص36.

[4] الحموي: **معجم البلدان**، 328/2.

[5] سرور، جمال: **قيام الدولة العَرَبية**، ص 32.

[6] ضيف، شوقي: **العَصْر الجاهلي**، ص 40.

يحاولون كثيراً فرض مُعتقداتهم على عرب الحيرة المناذرة، لذلك فقد وجد التأثير المتبادل بين العَرَب المناذرة والفُرْس في كثير من العادات والتقاليد والمعتقدات والعبادات والتقاليد [1].

[1] ينظر: دغيم، سميح: **أديان ومعتقدات**، ص 39_40.

- إمارة كندة

"وكِندة هي إحدى القبائل القحطانية التي تُنسب إلى ثور بن عفير بن عدي بن مرة"[1]. أما عن موقع إمارة كندة " فقد قامت في شمالي نجد، وكانت تدين بالولاء فيما يبدو لملوك اليمن الحميريين: ملوك سبأ وذي ريدان ويمنات"[2]. وقد أشار حسين الشيخ في كتاب العَرَب قبل الإسلام إلى تقسيم تاريخ كندة إلى مرحلتين: الأولى تمثلت في الهجرة من اليمن إلى نجد، والثانية تمثل مرحلة استقرار الكنديين في مواطنهم الجديدة، وكيف كونوا لهم إمارة في نجد، أما عن الهدف من إقامة تلك الإمارة فيذكر بأن التبابعة هدفوا من وراء ذلك إلى السيطرة على الطرق التجارية الشمالية التي كانت تَرتادها قوافل اليمن التجارية، حتى يأمنوا اعتداء قبائل البدو الشمالية عليها، خاصة أن الدول الكبرى القائمة على تخوم الصحراء وقتذاك، كانت تحاول تأليف القبائل لحِماية حدودها من غَزواتها، وتعمل على إمدادها بالجُند والسَير معها في الحروب مُتحالفة على أعدائها [3].

نلاحظ مما سبق أن تلك الإمارات لم تكن أكثَر من مراكز حراسة لحماية حدود ومصالح الدول الكبرى، إلا أننا لا نستطيع إغفال الأثر الذي أحدثته تلك الإمارات على المستوى الفكري والثقافي لعرب الجزيرة العَرَبية قبل الإسلام، حيث أسهَمت في دَمج العَديد من الثقافات، ومن ثم نقله إلى عَرب الجَزيرة العَرَبية بِشكل أو بآخر.

4. الحروب

لم يكن أثر الحروب أقل من غيرها من وسائل التَواصُل الثَقافي الأخرى لا سيما إذا عرفنا أن الجزيرة العَرَبية كانت طوال الوقت مَطْمعاً خَصباً، تتجه نحوه أنظار الطامعين؛ وذلك لأسباب عديدة، لعل أهمها المَوقع الاستراتيجي الذي تقع الجزيرة العَرَبية ضِمنه، فهي ملتقى الطرق التجارية الداخلية والخارجية، وقد كانت طوال الوقت منطقة تنافس بين الفُرْس والروم والأحباش، فكان من الطبيعي أن تكون عرضة للعديد من الحملات العسكرية التي تهدف إلى السيطرة عليها، ومن ثم السَيطرة على الطُرق التِجارية، وما سيَتبع ذلك من أرباح على

---

[1] الأندلسي: **جمهرة أنساب العَرَب**، ص 419.

[2] ضيف، شوقي: **العَصْر الجاهلي**، ص 40.

[3] ينظر: الشيخ، حسين:**العَرَب قبل الإسلام**، ص 166.

الصعيدين السياسي والاقتصادي، ففي القرن السابق لبُزوغ فجر الإسلام، كان هناك صراع قائم بين فارس الزردتشية، والحبشة للسَيطرة على سِيادة اليمن. وقد عَمِلت هذه الحروب والحملات العسكرية، على نَشر العديد من أفكار المُحتل وطُقوسه الثقافية، سواء الدينية أو الاجتماعية منها، وذلك بطرق وكيفيات مُتعددة منها الرقيق، والسبايا، من تلك الحملات على سبيل المثال لا الحَصر " حملة (Aeliius Gallus) (اليوس جللوس) في 24 ق. م، حيث شن هذا القائد الروماني حملة ضد بلاد العَرَب الجِنّوبية وذلك بغية الاستيلاء على طرق النقل التي احتكرها عرب الجِنّوب، والاستيلاء على خيراتها من التمر واللبان والبخور، واستغلال مرافق اليمن ومواردها لمصلحة روما، وقد دارت بينه وبين العَرَب معركة، كما قام بغزو العديد من المدن وتدميرها، وبعد أن مضت شهور على توغل حملة اليوس في الجِنّوب صادفت من العقبات ما اضطرها إلى النكوص بعد أن فتَكت بها الطوارئ فانقلبت إلى نجران، ثم اتجهت إلى البحر الأحمر فعبرته إلى الساحل المصري، كذلك الاحتلال الحَبَشي الذي لم ينقض دون أن يترك أثراً في عقائد البلاد في منتصف القرن الرابع الميلادي، والذي عندما حاول العَرَب التخلص من هَيمنته لجؤوا إلى التحالف مع الفُرْس، لتَشد أزرهم، واستطاعوا بمعونة (خسرو الأول) من القضاء على أبرهة، ونجح العَرَب في استخلاص حريتهم من الاستعمار الحبشي، ولكن الفُرْس استمرؤوا المرعى، وأقاموا في البلاد فترة تقرب من الستين عاما، إلى أن ظهر دين الحق فحَرَّر البلاد من أقصاها إلى أقصاها من الاستعمار الأجنبي [1]. وقد أشار جرجس داود إلى التأثير الذي تركه الرومان في بلاد العَرَب، وبخاصة في طرق العبادة، حيث يرى أن عبادة الأصنام وتأليه الشمس الذي كان عليه العَرَب، ربما يكون بتأثير من الرومان الذين كانوا يعبدون الأصنام، ويُؤلِّهون الشمس وغيرها[2]. من ناحية أخرى فقد " لعبت الهجرات التي كان العَرَب يضطَرون إليها مُتجهين شمالاً لأسباب كثيرة، منها سعيهم الدائب لإيجاد المراعي الخصْبة، حيث الماء والكَلأ الوافر لمواشيهم، مما أدى إلى توسعهم في بلاد الشام، ودُخولهم إلى أرض الرافدين، كما تقدموا إلى طور سيناء فشواطئ نهر النيل"[3]. ويضيف داود جرجس قائلاً: "أنه في أثناء تلك

---

[1] ينظر: نيلسون، ديتلف: **التاريخ العَرَبي**، 300_305. حتي: **تاريخ العَرَب (مطول)**، ص 58.وعلي: **المفصل في تـاريخ العَرَب قبل الإسلام**، ص 45/2_46.

[2] ينظر: داود جرجس: **أديان العَرَب قبل الإسلام**، ص 66_67.

[3] علي، جواد: **المفصل**، 620/1.

الهجرات لا بد للعرب وأن يكونوا قد دخلوا أراضي كانت خاضِعة لنفوذ الفُرْس، خاصة وأن علاقة العَرَب بالفُرْس لم تكن في معظمها سَيئة "[1].

ومن بين ألوان الثَقافَة التي تَسَرَّبَت إلى العَرَب نتيجة لهذه الصراعات والحُروب، فنون الحَرب الفارسية التي تسرَّبت إلى العَرَب من الجنوب، وكذلك من الشمال عن طريق بلاد العَرَب وعاصمتها الحيرة، ومن الأمثلة على دخول بعض تلك الثقافات والإفادة منها قصة سلمان الفارسي الأصل الذي عُرِفَ بحنكته في معرفة أساليب الحرب، والذي أشار على النبيّ _عليه الصلاة والسلام _ بحفر الخندق حول المدينة وتحصين ما بداخلها، حيث أخذ النبيّ بنصيحته، وعمل على حفر الخندق [2]. ويؤكَد جرجس داود على إمكانِية التَأثر الحاصل بين العَرَب والفُرْس، يقول:" إن العَرَب وقد عاشوا مع الفُرْس هذه القرون الطويلة لا بد وأن يكونوا قد تأثروا بهم اجتماعياً، وحضارياً. فمن الناحية الاجتماعية دخل العَرَب في ديانة الفُرْس وتزَندقوا معهم، ومن الناحية الحضارية بنوا المُدن وسَكنوا القصور"[3] .

5. البعثات التبشيرية

كانت البعثات التبشيرية من الوسائل المُتَّبعة للترويج لأفكار الدين الجديد، ونشر مبادئه، ولا شك أنها كانت أحد أهم وسائل التَواصُل الثَقافي، إذ لم يقتَصر دورها على الترويج للدين الجديد وحسب، بل كانت تحْمل في طياتها العديد من الأفكار والخلفيات الثقافية، وكانت من أنجع الوسائل في نشر العادات والتقاليد، والتأثير في عُقول العَرَب، على الصُعد كافة، منها على سبيل المثال، البعثات التبشيرية المسيحية التي لَعِبت دوراً لا يقل أهمية عن البعثات التعليمية؛ حيث عملت هذه الحملات بوساطة المبشرين والرهبان والأديرة، على إدخال العديد من الأفكار والمُعتقدات الثقافية إلى جِوار المُعتقدات الدينية، وجاء الأثر الأكبر لهذه الحَملات عن طريق الأديرة الكثيرة التي كانت مُنتَشرة في بلاد العَرَب، وتُمارِس دَوْر التبشير إضافة إلى الدور الإنساني الذي كانت تلك الأديرة تمارسه، كتقديم الطعام لبعض الناس في وقت الحاجة والعلاج

---

[1] داود: **أديان العَرَب**، ص 48.

[2] ينظر:حتي: **تاريخ العَرَب (مطول)**، ص 149.

[3] داود: **أديان العَرَب**، ص 51.

والعون الصحي، كل ذلك حتماً كان سَيُحدِث نتائج فِكرية لصالح ثقافة تلك الحملات ومعتقداتها[1]. من ذلك على سبيل المثال الأحباش " الذين كانوا طوال فترة مكوثهم في اليمن يسعون إلى نَشر عقيدتهم النصرانية بين الناس، فكان المبشرون بالنصرانية يجوبون الأصقاع، والبناؤون يُشَيِّدون الكَنائس، وقد اشتَهَرت العديد من الكنائس، منها: كنيسة نجران، وصَنعاء وظفار"[2].

كذلك كانت هذه الأديرة بالإضافة إلى كَونها مَراكز للتَبشير ونشر الديانة المسيحية، تُقدِّم للقوافل التجارية كل وسائل الراحة والاستِمتاع خلال رحلاتهم التجارية، فكانَت بيوتاً للخَلوة، والانقطاع لعبادة الله، و مَواطن للرَّاحة واللهو[3].

دَور الشِّعْر في تفسير القرآن الكريم

كان الشِّعْر سجِلّاً حافلاً، سجل فيه الشِّعْراء الجاهليون أخبار عَصرهم، فلم يَقْتَصر على التَعبير عن الخيال والوجدان فحسب، بل شَمل ذكر المَفاخر والمَناقب، ووصف المعارك وشتَّى صور الحياة الجاهِلِيَّة، وقد امتاز بمَتانة تراكيبه، وفصاحَة ألفاظه، وبَلاغة تعابيره. وعن فصاحة قُرَيْش قال الجاحظ: " قال معاوية يوماً: من أفصح الناس؟ فقال قائل: قوم ارتفعوا عن لَخلخانية الفرات، وتيامنوا عن كَشكشة تميم، وتياسروا عن كسكسة بكر، ليست لهم غمغمة قضاعة، ولا طمطانية حمير، قال: من هم؟ قال: قُرَيْش."[4]

وعن أهمية اللغة في تصوير الحياة العَقلية لكل أمة، قال أحمد أمين: " تدل اللغة على الحياة العقلية من ناحية أن لغة كل أمة في كل عصر، مَظهر من مظاهر عقلها، فلم تخلق اللغة دفعة واحدة، ولم يأخذها الخلف من السلف كامِلَّة، إنما يخلق الناس في أول أمرهم ألفاظاً على قدر حاجتهم، فإذا ظهرت أشياء جديدة خلقوا لها ألفاظاً جديدة " [5].

لقد كانت لغة قُرَيْش من أفصح اللهجات وقت نزول القرآن الكريم. وقد نزل القرآن بتلك اللغة(اللغة الفصحى)، وهي أيضا لغة الشِّعْر الجاهلي، تلك اللغة التي حَظيت بالسيادة بنزول

---

[1] ينظر:قصي: **الأساطير**، ص 70.

[2] شيخو: **النصرانية وآدابها**، 65/1.

[3] علي، جواد: **المفصل**، 589/6.

[4] الجاحظ: **البيان والتبيين**، 491/1.

[5] أمين، أحمد: **فجر الإسلام**، ص 51.

القرآن الكريم بها؛ فازدادت بذلك قوة ومتانة وسيادة. وعن تلك اللغة قال ابن فارس: " أجمع علماؤنا بكلام العَرَب والرواة لأشعارهم، والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومجالسهم، أن قُرَيْشاً أفصح العَرَب ألسنة، وأصفاهم لغة، وذلك أن الله جل ثناؤه اختارهم من جَميع العَرَب واصطفاهم واختار منهم نبي الرحمة محمدا، ولم تزل العَرَب تعرف لقُرَيْش فضلها عليهم وتسميها (أهل الله) لأنهم الصَريح من ولد إسماعيل عليه السلام، وقد كانت قُرَيْش مع فصاحتها وحُسن لغاتها، ورِقَّة ألسنتها، إذا أتتهم الوفود من العَرَب تَخيّروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم، وأصفى كلامهم، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نحائزهم وسلائقهم التي طبعوا عليها، فصاروا بذلك أفصَح العَرَب " [1].

ومن القرآن الكريم نستطيع أن نتَعرف على لُغة الجاهليين، فهو نزل بلُغة العَرَب، وهذا مُؤكد في عدد من آيات الذكر الحكيم، وفي أكثر من موضع قال تعالى " **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا** " (يوسف|2)، قال تعالى " **وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَاذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ** " (النحل|103)، وهناك الكثير من الآيات الكريمة التي تؤكد أن اللغة التي نزل بها القرآن الكريم هي لغة عربية خالصة [2]. ونصه لا يحتَمل الشك، هذا الكتاب الذي بَهر عقول الجاهليين، وسلَب ألبابهم، ببلاغة فاقَت مُستوى البشَر، كما أنه مَصدر موثوق به تاريخياً، بالتالي فهو خير مَنهل لتقَصِّي صور الحياة الجاهِلِيَّة وثقافاتها في شَتَّى مَناحيها.

وفي سبيل دراستي لتَجليات الثَقافَة الجاهِلِيَّة ومظاهرها المختلفة، عَمَدْتُ إلى القرآن الكريم واثقة بأنه خَير مرآة تعكس الحياة الجاهِلِيَّة وثقافتها، خاصة أنه لا سبيل إلى الشَكِ فيما ورد فيه، ولأنه مُنَزَهٌ عن التحريف والزَلَل، وكان من عمله نَقضها والتأسيس لحياة جديدة. وفي طريقي للوصول إلى هَدفي المذكور وهو رصد الثَقافَة الجاهِلِيَّة في آيات السور المكية، وجدت بعض هذه التَجليات فقمت بدراستها من خلال المُقارنة بين ما جاء في القرآن الكريم وما جاء في شعر الشِّعْراء الجاهليين، وكانت فاتِحة الطريق أمامي ما نَوَّه إليه أبو زيد القرشي، في كتابه الجَمهرة عندما عرض لبعض الأمثلة من الشِّعْر الجاهلي، مقارناً إياها بآيات من القرآن الكريم؛ بسبب اشتراكهما في بعض الألفاظ، رغبة منه في التأكيد على أن القرآن الكريم خاطب العَرَب

---

[1] ابن فارس، أبو الحسين أحمد: **الصاحبي في فقه اللغة وسنن العَرَب في كلامها**، حققه مصطفى الشويمي، د ط، بيروت، لبنان، مؤسسة بدران للطباعة والنشر، 1963، ص 52، (ابن فارس، الصاحبي، فيما بعد).

[2] **القرآن الكريم:** فصلت/3، الشورى/7، الزخرف/3، الشِّعْراء 192_195، الرعد/37، طه/113، الزمر/28.

في العَصْر الجاهلي من صُلب ثقافتهم، وأساليبهم اللُغوية، ومفرداتهم، وهو ذاته الهدف الذي أسعى من خلال دراستي هذه للوصول إليه إلا أن هناك بعض الألفاظ التي وردت في القرآن الكريم جاءت مُحتفظة بالمفهوم ذاته الذي حَمَلَتْه في الشِّعْر الجاهلي، وأخرى اكتسبت معاني جديدة، أو طابعاً دينياً جَعَلها تُغاير ما كانت عليه في العَصْر الجاهلي. وقد أفدت في هذا الصَدد من دراستين عَثرت عليهما بعد أن كنت قد بدأت بجمع المادة الشِّعْرية والآيات القرآنية ودراستهما، وهما كتاب (غريب القرآن في شعر العَرَب، سؤالات نافع بن الأَزْرَق إلى عبد الله بن عباس)، وهو عبارة عن أسئلة كان نافع بن الأَزْرَق يوجهها إلى عبد الله بن عباس، عن بَعض المُفردات التي وردت في القرآن، فيردّ عليه ابن عباس بالشِّعْر، رَغبَة منه في إثبات استخدام العَرَب في العَصْر الجاهلي لهذه المُفردات وتداولها بينهم، إما بالدلالة نفسها، أو بثوب دلالي جديد، أو بِصبغة دينية لم تَعهدها هذه المفردات في العَصْر الجاهلي. وكتاب مسائل نافع ابن الأَزْرَق [1]عن عبد الله بن عباس. ولم يكن ابن عباس ليلجأ إلى الشِّعْر الجاهلي في تفسير غريب القرآن الكريم إلا ثقة منه بمِصداقية هذا الشِّعْر في عكس الحياة الجاهِلِيَّة وثقافاتها. وكانت طَريقة ابن عباس التي سلكها وحث عليها بقوله: " إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتَمِسوه في الشِّعْر؛ فإن الشِّعْر ديوان العَرَب " [2]. هي أنه كان يسأل عن القرآن فيُفَسِّر، ثم يَستَشهِد على ما قاله من التفسير بشاهد من شعر العَرَب، وليس في ذلك غرابة بالنسبة لابن عباس، الذي كان يحفظ ما يسمع ويَعِي ما يحفظ. ولعل مما يؤيد موقف ابن عباس هذا وطريقته في التفسير ما قاله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب _رضي الله عنه_عندما كان يسأل أصحابه عن معنى قول الله تعالى **" أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ "** (النحل|47)، وهو على المنبر فقال له رجل من هذيل: التَخَوف عندنا: التنقص. فيقول له عمر هل تعرف العَرَب ذلك في أشعارها. فيقول له نعم، ويروي قول تميم بن أُبي:

---

[1] نافع بن الأَزْرَق الحنفي البكري الوائلي الخارجي الحروري، أبو راشد (ت65ه)، كان أمير قومه وفقيههم، وهو رأس الأزارقة، وإليه نسبهم، للمزيد أنظر: الزركلي: **الأعلام**، ط 4، دار العلم للملايين، 1979.(الزركلي، الأعلام فيما بعد).

[2] السيوطي: **الإتقان في علوم القرآن**، 347/1.والدالي، محمد: **مسائل نافع بن الأَزْرَق عن عبد الله بن عباس**، تحقيق محمد أحمد الدالي، ط 1، الجفاز والجابي للطباعة والنشر، 1993، ص 8. (الدالي، مسائل نافع فيما بعد)

(البسيط)

تَخَـــوَّفَ السَّـــيْرُ مِنْهَـــا تامِكـــاً قَـــرِداً كمَا تَخَـــوَّفَ عُـــودَ النَّبْعَـــةِ السَّـــفَنُ[1]

فيقول عمر لأصحابه: " أيها الناس تمَسَكوا بديوان شِعركم في جاهليتكم؛ فإن فيه تَفسير كتابكم"[2]. وهذ ما نوه إليه كذلك يحيى بن نضلة المَدينى عندما قال: " سمعت مالك بن أنس يقول يقول لا أوتى برجل يُفسر كتاب الله غير عالم بِلغة العَرَب إلا جَعَلْته نكالا " [3].

إلا أن الفرق بين ما قام به ابن عباس، وبين الذي أود الوصول إليه أنه اقتَصر على الغريب من الألفاظ الموجودة في القرآن الكريم، وتفسيرها بالشِّعْر الجاهلي، أما أنا فتكمن أهدافي في الكشف عن تَجليات الثَقافَة الجاهِلِيَّة ومظاهرها من خلال القرآن الكريم وتحري هذه الثَقافَة في الشِّعْر الجاهلي. إضافة إلى مُحاولة تَحري أبعاد تلك الثَقافَة عَبر المُستَوى الإنساني والحَضاري للأُمم الأخرى. آمِلة من الله التوفيق.

قبل الخوض في تَناول بعض الأمثلة، أود التأكيد أنه وعلى الرغم من أن القرآن الكريم نزل بلغة العَرَب التي نظموا بها أشعارهم، واستَعملوها في حَياتهم العامة، فإن لُغة القرآن الكريم تَميَّزت عن الأولى، في عَدد لا حَصر له من السِمات منها:أن الشِّعْر الجاهلي وإن بدا مُحكم الصِياغة، يتَّسِم بالبَلاغة والفَصاحة، فهذا لا يُمكن تَعميمه على الشِّعْر الجاهلي بكامله، حيث نَجِد منه البَليغ الفَصيح، والرَكيك الرديء، في حين أن القرآن الكريم يتَّسِم بالفصاحة والبلاغة، وإحكام الصِياغة والتَعبير، وجزالة الألفاظ من الألف إلى الياء، يُضاف إلى ذلك أن قارئ الشِّعْر الجاهلي يَصطَدم أحياناً بألفاظٍ وعرة وخَشِنة، غير مُستساغة على السَمع، وهذا _ ولا شك_

[1] السَّفَنُ الحديدة التي تُبْرَدُ بها القِسِيُّ أَي تَنَقَّصَ كما تأْكلُ هذه الحَديدةُ خشَبَ القِسيّ وكذلك التخْويفُ يقال خَوَّفَه وخوَّفَ منه منه قال ابن السكيت يقال هو يَتَحَوّفُ المال ويَتَخَوّفُه أَي يَتَنَقَّصُه ويأْخذ من أَطْرافِه. للمزيد أنظر ابن منظور: اللسان، مادة خوف.

[2] الشاطبي، أبو إسحاق: **الموافقات في أصول الشريعة،** ط2، مصـــر، المكتبـــة التجاريـــة الكبـــرى، 1975، 2/ 87_88 (الشاطبي، الموافقات، فيما بعد).

[3] الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله: **البرهان في علوم القرآن،** تحقيق محمد أبو الفضل، د ط، بيروت، دار الجامعة، الجامعة، 1391 ه 292/1.(الزركشي، البرهان فيما بعد).

انعكاس لحَياة البَداوة التي عاشها العَرَب في العَصْر الجاهلي، فانعكست على ألفاظهم، أما القرآن الكريم فالعَكس تماماً، حيث تميَّز بالانسجام الصوتي الذي يَشمله كله، وهذا أحد دلائل إعجازه، كما أن القرآن الكريم استَطاع التَفريق بين دلالة الكلمات التي يبدو أنها مُترادِفة، فبينما استعمل المَطر في حالات العذاب والعقاب في الدنيا، استعمل الغَيْث في مَعاني الخَيْر والنَماء [1]. ولعل هذا التَميز اللغوي الذي تَفرّد به القرآن الكريم طبيعي، ذلك أنه ليس كما هو الشِّعْر وسيلة للتخاطب بين البشر، إنما هو أسمى من ذلك وأجل، فهو وسيلة الخِطاب والتواصل بين الذات الإلهية والبَشر، لذا فقد تميز بخصوصية في الأسلوب والتراكيب، واختيار الألفاظ.

وقد عَرَضْتُ لعدد من النماذج والأمثِلة التي تُدعِّم ما أسعى للكَشف عن تَجلِّيات تلك الثَقافَة في كتاب الله عزَّ وجلّ، مما أسهَم بدَوره في تَقريب المَعنى إلى قلوب العَرَب وألبابهم، والتَغلُّب عليهم من صُلب ثقافاتِهم.

[1] ينظر: أبو محيي الدين، وائل عبد الله: **دلالة النص الشِّعْري في تفسير النص القرآني**،(رسالة ماجستير)، 2004، ص 72_75. (أبو محيي الدين، دلالة النص فيما بعد).

الفصل الثاني

البيئة الطَبيعية الصامِتة ومُكَوناتها

_ الجِبال

_ الجنة

_ النَّخِيل

_الأَلْوان

الفصل الثاني

البيئة الطَبيعية الصامِتة ومُكَوناتها

الجِبال

تَبلغ مَساحَة شِبه الجزيرة العَرَبية ثلاثة مَلايين كيلو متراً مُربَعاً، وهي أكبَر شبه جزيرة في العالم، إذ ليس في خَريطة الأرض شبه جزيرة تُضاهيها حَجْماً [1]. وتَمتازُ بلاد العَرَب بِكَثرة الجِبال الجُرْد، كما تُعَدُّ السِلسِلة الجَبَلية المُستَطيلة والمُمْتَدة من أقصى الشَمال إلى أقصى الجِنّوب من أعلى المَناطق ارتِفاعاً، وتَضمُّ هذه السِلسِلة قِمَمَاً يَبلغُ ارتفاعها أحياناً ثَلاثة آلاف متر فوق سَطح البَحر[2]. وتُعَدُّ سلسلة جِبال السراة المُمْتدة من اليمن جَنوباً إلى أطراف بادية الشام شمالاً، من أعلى المناطق ارتفاعاً، وتَبرزُ في ذُرا هذه السِلسلة مَراقب عالية، اتَخذَ منها الصَعاليك والذُؤبان مَلاذاً يَأوون إليه للاستِراحة، أو الاستِخفاء، ولم تَكن هذه السِلسِلة وحدها في الجَزيرة، وإنما هُناك سَلاسِل أخرى تُحيطُ بها من سائرِ أقسامها [3].

وجاء في اللسان أن الجَبَل اسم لكل وَتِدٍ من أَوتاد الأَرض إذا عَظُم وطال من الأَعلام، والأَطواد، والشَّناخِيب، وأَما ما صَغُر وانفَرد، فهو من القِنان، والقُور، والأَكَم، واسْتُعير لفظ الجَبَل للمَجْدِ والشَّرَف فقال أبو النَجم العجلي:

(الرجز)

وجَـــبَلاً طَـــالَ مَعَـــدّاً فاشْـــمَخَر   أَشَـــمَّ لا يَســـطِيعُه النَّـــاسُ الـــدَّهَر

والجَبَل سيد القوم وعالِمُهم، ورجل مَجْبُول عَظيم على التشبيه بالجَبَل[4]. ويقال فلانٌ جَبَلٌ من الجِبال إذا كان عَزيزاً، وعِزٌّ فلانٍ يُزاحِمُ الجِبال [5]، وأَنشد صريع الغواني:

---

[1] ينظر: حتي، فيليب: **تاريخ العَرَب (مطول)**، ص 15.

[2] فيليب حتي: **تاريخ العَرَب مطول**، ص 1_21.

[3] القيسي، نوري: **الطبيعة في الشِّعْر الجاهلي**، ص 23.

[4] ابن منظور: **اللسان**، مادة (جبل).

[5] المصدر نفسه، مادة (نيب).

(الطويل)

أَللبــــأْسِ أَمْ لِلْجُــــودِ أَمْ لمُقـــــاوِمٍ من العِــزِّ يَــزْحَمْنَ الجِبــال الرَّواسِــيا[1]
الرَّواسِـــــــــــــــــــــــــيا[1]

نلاحظُ مما سبق أن الجَبَل في المَعنى اللغوي قد اقتَرن بالعَظَمَة والرِفْعَة والشَرَف.

عند عَودتنا إلى القرآن الكريم نَجِدُ أن لَفظة الجَبَل|الجِبال، قد تَكَرَّرَت في السُوَر المَكيَّة 32 مرة[2]. وكلها تَتَراوح بين التَدْليل على قُدْرة الله _عزَّ وجلّ_ من خلال مَخلوقاته في هذا الكَون، ومنها الجِبال،، التي كان العَرَب يَضْرِبون المَثل فيها في ثَباتِها، وخُلودها، ومَنَعَتها بل رَبطوا بينها وبَين كل ما عَدُّوه باقِياً في الحَياة، أو من خلال الحَديث عن عَلامات اليوم الآخر، وما سَيكون من ارتِباك ورَهبة تَهْتَزُ لها أقوى المَخلوقات، وأكثَرها شُمُوخاً.

فعِندما أراد عزَّ وجلّ التدْليل على مُعجزة القرآن الكريم، ومَدى وَقْع هذا الكلام البَليغ في نَظْمه، المُعْجِز في مَعانيه قال لهم: **" لَوْ أَنزَلْنَا هَاذَا الْقُرْءَانَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَّ مْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ "** (الحشر|21)

فالجَبَل معروف بسكونه وجُموده وضَخامته، فهو لا يَتلقى كتباً أو أوامر، وإذ يَتحول في الآية الكريمة عن كَونه الأصلي، فذالك لإفادة أمر يَتَعلق بِمُقتَضى المَثل، فالعَرَب لم يَحصل لديهم الخُشوع والتَصدُّع من خشية الله إذ أنزل عَليهم القرآن، بينما الجَبَل يَحدثُ له ذلك، والعَرَب بَشر أحياء، لهم أهواء وأحلام وعُقول، بينما الجَبَل جَماد، وعلاقة العَرَب بالجَبَل علاقة تَعْظيم لضَخامَته وقَساوته وغِلظَته، ويَعرِفون أنه جَماد لا حِراك فيه إلا أنهم يرونه على جانب كبير من الشِدة والقُوة، وجاء أن الخَشية: خَوف يَشوبه تَعظيم وأكثر ما يكون ذلك عن عِلم بما يُخشى منه، ولذلك خُص العُلَماء بها في قوله **" إنما يخشى الله من عباده العلماء "** (فاطر|28) وقال **" وأما من جاءك يسعى وهو يخشى" (عبس|8_9)**[3].

ومن الآيات التي جاء ذكر الجِبال فيها، قوله تعالى: **" وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبال "** (إبراهيم|46) ويذكرُ المُفسرون هنا أن الجِبال المذكورة في الآية الكريمة، يُراد بها

---

[1] الأصفهاني: **الأغاني**، 62/19. وابن منظور: **اللسان**، مادة (نيب).

[2] **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، ص 163_164.

[3] الأصفهاني: **المفردات في غريب القرآن**، ص 149.

الشَرائع والنُبوات، شبُّهت بالجبال في ثُبوتها، والمعنى تَحقير مكْرهم، لأنه لا تَزول مِنه تلك الجِبال الثابتة الراسِخة [1].

وعند الحديث عن علاماتِ يوم القيامة، وما سَيَحْدث عندها من أهوال، كانت الجِبال في طَليعة الأشياء التي تَحَدَّث _عزَّ وجلّ_ عما سَيَلحق بها من زَلزلة واضطِراب، فقال تعالى: **"يَوْمَ تَرْجُفُ الأٌرْضُ وَالجِبال وَكَانَتِ الجِبال كَثِيباً مَّهِيلاً "** (المزمل|14)

ومنها قوله تعالى: **" وَإِذَا الجِبال نُسِفَتْ "** (المرسلات|10)

وقوله: **" وَإِذَا الجِبال سُيِّرَتْ "** (التكوير|3)

وقوله: **" وَتَكُونُ الجِبال كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ "** (المعارج|9)

وقوله: **" وَبُسَّتِ الجِبال بَسًّا فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا "** (الواقعة|5_6)

كما كانت الجِبال أحد أبرز الأشياء التي وجَّهَنا الله –سُبحانه وتعالى– للنَظَر إليها، والتَأمل في كَيفية انتصابها ثابِتة راسِخة لا تَزال، شامِخة، إذ قال تعالى: **"وَلَن تَبْلُغَ الجِبال طُولاً"** (الإسراء|37) وكل ذلك بِهدف التَدليل على قُدرَة الخالق وعَظَمته، فمن هو قادر على خَلَق وإنشاء مثل تلك الظَواهر الطَبيعية الضَخْمة، التي تَهتز لرَهْبَة شُموخِها القُلوب والأبصار إلا هو _سُبحانه وتعالى _ فقال داعياً إيانا إلى إمعانِ النَظَر، وايقاظ القُلوب والعُقول الغارقة في سُبات عَميق : **" أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الجِبال كَيْفَ نُصِبَتْ "** (الغاشية|17_19)

ويقول الزمخشري راداً على من قد يَتساءل عن سَبب ذِكر الله _عزَّ وجلّ_ للإبل، والسماء، والجِبال، في نَسَقٍ واحد ظَناً بأنه لا انتِظام بينهما، " فإن قلت كيف حَسُن ذِكر الإبل مع السماء، والجِبال، والأرض، ولا مُناسَبة، قلت: قد انتَظَمَ هذه الأَشياء نَظَر العَرَب في أودِيَتهم وبَواديهم؛ فانتَظَمَها الذِكرعلى حَسَب ما انتَظَمَها نَظَرُهم، ويُوّجِهُنا لأن نَنْظرَ إلى الجِبال كَيْفَ نُصبِتْ نَصْباً ثابتاً؛ فهي راسِخة، لا تَميل ولا تَزول [2].

---

[1] الكلبي: **التسهيل لعلوم التنزيل**، 142/2.

[2] الزمخشري: **الكشاف**، 747/4.

ويجدُر الذكر هنا أن تَوجيه الأنظار والقُلوب، نَحو التَمَعُّن في مَخلوقات الله _عزَّ وجلّ_ لإدراكِ عَظَمَة هذا الخالق، هي أحد أبرَز ما لاحَظْته في السور المكية، إذ وجَدتها كثيراً ما تَتَّكئ على الظَواهر الكَونية والمَخلوقات للاستِدلال على عَظَمَة الخالِق، أكثرَ من السور المَدَنية، ولعل هذا يقفُ ضِمن دَوافِعي لحَصر دِراستي في السور المَكيَّة.

وانني وجدت في ما ذكره الزرقاني من خصائص السور المَكيّة، ما يؤَكِّد ذلك، يقول:

إن الله _عزَّ وجلّ_ فتَح عُيونَهُم على ما في أنفُسهم من شَواهدِ الحَق، وعلى ما في الكَون من أعلام الرُشد، ونوَّع لَهُم في الأَدلَّة، وتَفَنَّن في الأساليب، وقاضاهُم إلى الأوّليَّات والمُشاهَدات ثم قادَهُم من وراء ذلك قِيادَة راشِدة حَكيمة، إلى الاعتِرافِ بتَوحيد الله [1].

ومن الألفاظ المُرادفة لكَلِمة الجَبَل والتي ذُكِرَت في القرآن الكريم كَلمة وَتد، وتد: الوتِدُ بالكسر والوَتْدُ والوَدُّ ما رُزَّ في الحائِط أَو الأَرض من الخَشَب والجَمع أَوتادٌ [2]. قال تعالى: " **وَالجِبال أَوْتَاداً** " (النبأ|7)

وكذلك فقد جاء في الشِّعْر الجاهلي ما يُنَبِّئُ عن مَعرِفَتهم بالوَتد، يقول الأفوه الأودي :

(البسيط)

وَالبَيــــتُ لا يُبتَنَـــــى إِلّـــا لَــــهُ عَمَـــدٌ   وَلا عِمــــادَ إِذا لَـــم تُـــــرسَ أَوتـــــادُ[3]

يقولُ الشاعر الحَكيم: إن المَنزل لا يُمكِن أن يُبْنى من غَير أن يَرسخ في وسَطه عَمود، وهذا العَمود لا يَثْبت مَكانه من غَير أن يُشدُّ إلى الأوتاد من أطرافه، ويَقصِد بعِماد المَنزل، نَصيحة شُيوخ القوم، وبالأوتاد اجتِماع الكَلِمَة [4].

يقول المُثَقِّبِ العَبْدِي:

---

[1] الزرقاني: **مناهل العرفان في علوم القرآن**، 142/1.

[2] ابن منظور: اللسان، مادة (وتد).

[3] الأفوه الأودي: **الديوان**، شرح وتحقيق محمد التونجي، ط 1، بيروت، دار صـــادر، 1998، ص 65.(الأفــوه الأودي، الديوان فيما بعد).

[4] ينظر: الأفوه الأودي: **الديوان**، ص 65.

(السريع)

ضَـــرَبَت دَوسَـــرُ[1] فينـــا ضَـــربَةً أَثبَتَـــت أَوتـــادَ مُلـــكٍ مُســـتَقِر[2]

كذلك اقتَرَنت لَفظَة الجِبال في القرآن الكريم بِكَلمة رَواسي، والرَّواسِي من الجِبال الثَّوابتُ الرَّواسخُ[3]، من ذلك قوله تعالى: **" وَهُوَ الَّذِى مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِىَ "** (الرعد|3) وقوله تعالى: **" وَأَلْقَى فِى الأَرْضِ رَوَاسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ "** (النحل|15) وكذلك قال: **" وَالجِبال أَرْسَاهَا "** (النازعات|32) وقال تعالى: **" وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا"** (المرسلات|27)، وقد جاء في أشعار الجاهليين ما يُقارب ذلك في المَعنى، من ذلك قول عنترة بن شداد يَفتَخر بِهِمَته العالية، مُشَبِّهاً إياها بالجِبال الراسِيات:

(الخفيف)

إنَّ لـــي همـــةً أشـــدُّ مـــن الصَــخ ر وأقْـــوى مـــنْ راســـياتِ الجِبـــال[4]
الجِبـــــــــــــــــــــال[4]

وعَبَّروا بالجِبال عن الثَبات كما جاء في مَرثية الخَنساء:

(الطويل)

ســـأبكيهما واللهِ مـــا حـــنَّ والـــهٌ وما أَثْبَـتَ اللَّـهُ الجِبـال الرّواسِـيَا[5]
الرّواسِـــــــــــــــــــيَا[5]

واقترن الجَبَل بمَجموعة من الكلِمات والألفاظ عند العَرَب في العَصْر الجاهلي، إلا أن تلك الكَلمات لم تَرد في القرآن الكريم، من تلك الكلِمات كلمة (نَجْد)، والنَّجْدُ من الأَرض قُفافُها وصَلاَبَتُها، وفي قوله: قِفافها وصَلابتها، ما غَلُظَ منها وأَشرَفَ وارتَفَعَ واستَوى، والجمع أَنْجُدٌ وأَنجادٌ ونِجاد ونُجُودٌ، ويقال فلان طلاَّع أنجد، وطلاَّع الثَنايا إذا كان سامِياً لمَعالي الأُمور [6].

---

[1] دوسر: إحدى كتيبتي النعمان بن امرئ القيس.
[2] المُثَقِّب العَبْدِي: **الديوان**، ص 74.
[3] ابن منظور: **اللسان**، مادة (رسا).
[4] عنترة: **الديوان**، ص 161.
[5] الخنساء: **الديوان**، ص 124.
[6] ابن منظور: **اللسان**، مادة (نجد).

يقول علقمة الفحل:

(الطويل)

وَقَــد يَعقِــلُ القُــلُّ[1] الفَتَــى دونَ هَمَّــهِ وَقَد كانَ لَــولا القُــلُّ طَلّــاعَ أَنجُــدِ[2]

هَمَّــــــــــــــــــــــــــهِ أَنجُــــــــــــــــــــــــــدِ[2]

يقول: إن الفَقْر وقِلة المال يَمنَعان الفَتى الشُجاع من أن يَصِلَ إلى غايَته، ويَرتَقي إلى القِمَم والأعالي.

ومنها كلمة ثنايا، والثِّنْي من الوادي والجَبَل مُنْقَطَعُه [3]. يقول سُحَيْم الرياحي[4]:

(الوافر)

أَنـــا ابِـــنُ جَـــلا وَطَـــلاعِ الثَنايـــا مَتـــى أَضَـــعِ العِمامَـــةَ تَعرِفـــوني[5]

يقول الكُمَيْتُ الأَسَدِي:

(الطويل)

وَإِنّـــي لَقَـــوّالٌ لِكُـــلِّ قَصـــيدَةٍ طَلـــوعِ الثَنايـــا[6] لَـــذَّةٍ لِلمُشَـــبِّبِ[7]

---

[1] القل: الفقر وقلة المال.

[2] علقمة الفحل: **الديوان**، ص 34.

[3] ابن منظور: **اللسان**، مادة (ثني).

[4] سُحَيم الرياحي40 ق. هـ – 60 هـ / 583 – 680 م، سُحَيم بن وثيل بن عمرو الرياحي اليربوي الحنظلي التميمي.شاعر مخضرم، عاش في الجاهِلِيَّة والإسلام، وناهز عمره المائة، كان شريفاً في قومه نابه الذكر.. قال ابن دريد: عاش أربعين سنة في الجاهِلِيَّة وستين في الإسلام أشهر أشعاره أبيات مطلعها: أنا ابن جلا وطلاع الثنايا

للمزيد ينظر: الجمحي، أبو عبد الله محمد بن سلام: **طبقات فحول الشِّعْراء**، د ط، القاهرة، مطبعة المدني، 1874، 578/2.(الجمحي، طبقات فحول الشِّعْراء فيما بعد). ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي: **الاشتقاق**، تحقيق عبد السلام هارون، د ط، بغداد، مكتبة المثنى، 1979، 73/1.(ابن دريد، الاشتقاق فيما بعد). والأصفهاني: **الأغاني**، 149/13.

[5] الأصفهاني: **الأغاني**، 13 /149.

[6] الثنايا: جمع ثنية، وهي الطريق في الجَبَل، وأراد أنه ينظم النسيب في المرأة، ويطلع الثنايا، وأراد بأسه وشدته.

[7] ابن المبارك، محمد بن ميمون: **منتهى الطلب من أشعار العَرَب**، 96/8

كذلك كان من الكَلِمات التي تُعْطي مَعنى الجَبَل كلمة القَرْن، وجاء في اللسان أن القَرْن الجُبَيْلُ المنفرد، وقيل هو قِطعة تَنفَرد من الجَبَل، وقيل هو الجَبَل الصَغير، وقيل الجُبَيل الصَغير المُنفرد، والجَمع قُرُونٌ وقِرانٌ [1].

[1] ابن منظور: **اللسان**، مادة (قرن).

قال أَبو ذؤيب الهذلي:

(الطويل)

تَــوَقَّى بـــأَطْرافِ القِـــرانِ[1] وطَرْفُهـــا كطَـــرْفِ الحُبَـــارَى أَخطأَتْهـــا الأَجـــادِلُ[2]

وطَرْفُهـــــــــــــا الأَجـــــــــــــادِلُ[2]

ومنها أيضاً كلمة شَمَّاء، وجبل أَشَمُّ طويلُ الرأْسِ [3]. من ذلك ما قاله المُتَنَخِّل:

(البسيط)

رَبّـــاءُ شَـــمّاءُ لا يَـــأوى لِقُلَّتِهـــا[4] إلّـــا السَـــحابُ وَإِلّـــا الأَوبُ وَالسَـــبَلُ[5]

وَالسَـــــــــــــبَلُ[5]

كما كانت كلمة عَلَم من الكلمات التي استُخْدِمَت في القرآن الكريم، وفي الشِّعْر الجاهِلي بمعنى الجَبَل، إذ جاء في اللسان أن العَلَمُ شيء يُنْصَبُ في الفَلَوات تَهْتَدي به الضالَّةُ، والعَلَمُ العَلامةُ، والعَلَمُ الجَبَل الطَويل [6].وقد ذُكِرَت الأعلام في قَوله تعالى: **" وَمِنْ ءَايَاتِهِ الْجَوَارِ فِى الْبَحْرِ كَالأَعْلَامِ "** (الشورى|32)، ذلك في سِياق التَدليل على قُدرته _عزَّ وجلّ_ كما ذُكرِت في قوله تعالى: **" وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَئَاتُ فِى الْبَحْرِ كَالأَعْلَامِ فَبِأَىِّ ءَالاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ"** (الرحمن|24).

وقد عُرِفَت كَلِمَة عَلَم واستُخْدِمَت عند العَرَب في العَصْر الجاهلي، فجاء في شِعرهم ما يؤَكِّد ذلك، من ذلك ما قاله عَبيد بن الأَبْرَص:

(البسيط)

وَمَهمَـــهٍ[7] مُقفِـــرِ الأَعـــلامِ[1] مُنجَـــرِدٍ نائي المَناهِـــلِ جَـــدْب القـــاعِ مِنـــزاحِ[2]

مُنجَـــــــــــــرِدٍ مِنـــــــــــــزاحِ[2]

---

[1] القران: الجبال الصغار، والواحد قرن.

[2] **ديوان الهذليين**، 82/1.

[3] ابن منظور: **اللسان**، مادة (شمم).

[4] قلتها: رأسها، أي لا يعلو هذه الهضبة من طولها إلا السحاب.

[5] **ديوان الهذليين**، 37/2.

[6] ابن منظور: **اللسان**، مادة (علم).

[7] مَهمَه: صحراء واسعة.

وعن شموخ تلك الأعلام التي يضْرب بها المَثَل في الخُلود والثَبات، يؤكد المهلهل أن أيام أولئك القَوم، من المُمْكِن أن تَعود في حالة واحدة، وهي زَوال تِلك الشَوامِخ من الجِبال، قال:

(الكامل)

لَيسَــــت بِراجِعَـــةٍ لَهُـــم أَيـــامُهُم   حَتّـــى تَـــزولَ شَـــوامِخُ الأَعـــلامِ[3]

والمُلاحَظَة التي تَلفتُ الانتباه هُنا، أننا وَجَدنا مِثلَما أن كلمة الجَبَل حَمَلَت مَعنى الجَبَل (التكوين الطبيعي) الذي خَلَقه الله _عزَّ وجلّ_ ورَمَزت أيضاً إلى الجَبَل الرَجل العَظيم، عالي المَنزِلة، كذلك لم يَخْتَلف الأمر كَثيراً بالنِسبَة لكَلِمَة عَلَم، فقد استُخْدِمَت بمَعنى الجَبَل الطَويل الشامِخ، كما أننا إن أرَدْنا التَحَدُّث عن شَخْصٍ لَه مَنْزِلته وصَفْناهُ بالعَلَم.

وارتَبَطَ الجَبَل عند عَرب الجاهِلِيَّة بالعَديد من مَظاهِر حَياتهم، ومَظاهِر عِباداتهم، منها عِبادة الأصنام، إذ وضَعَت القَبائل العَرَبية أصنامها في الجِبال، وكانت تَحجُّ إليها، وقد كانت هُذيل تقول في تَلبيتها: لبيك اللهم لبيك، لبيك عن هذيل، قد أدلجت بلَيل، تعدو بها ركائب إبل وخيل، خَلَّفَت أوثانها في عرض الجُبيل [4]. وكانت قبيلة كندة تَذكر جبل ثبير في تَلبيتها، فتقول:

لبيك ما أرسى ثبير وحده

وما أقام البحر فوق جده

إن التي تدعوك حقا كنده [5]

ويبدو أن ارتباط الإنسان بالجَبَل قديم قِدَم الإنسان نَفسه، فقد كانت بِداية البَشَرية المُتَمثلة بآدم _عليه السلام_ على الجَبَل، كما ظَهرت ذرية آدم كذلك على الجَبَل، إذ ذكر أهل الأخبار أنه أُهبط بالهند على جَبَل يقال له نوذ من أرض سرنديب وحَواء بِجدة، ولما أُهبط آدم على جبل نوذ كانت رِجلاه تَمسُ الأرض ورأسه بالسماء، يَسمع تَسبيح الملائكة، فكانت تَهابه، فسألت الله أن

---

[1] أي ليس فيه ما يهتدي المسافرون به من جبال.

[2] عَبيد بن الأَبْرَص: **الديوان**، ص 43.

[3] المُهَلْهِل بن ربيعة: **الديوان**، ص 77.

[4] قطرب، أبو علي محمد بن المستنير: **الأزمنة وتلبية الجاهِلِيَّة**، ط 2، تحقيق حاتم الضامن، مؤسسة الرســالة، بيــروت، 1985، ص .قطرب، الأزمنة فيما بعد).

[5] المرجع نفسه، ص 43.

يُنْقص من طوله، فنَقَص طوله إلى سِتين ذراعاً، فحَزِن آدم لما فاته من الأُنس بأصوات الملائكة وتَسبيحهم، فقال: يا رب كنت جارك في دارك، ليس لي رب غيرك، أدخلتني جنتك، آكل منها حيث شِئت، فأهبَطتني إلى الجَبَل المقدَّس، فكُنت أسمع أصوات المَلائكة، وأجد ريح الجِنّة، فحَطَطَتني إلى سِتين ذراعاً، فقد انقطَع عني الصَوت والنَظر، وذهَبت عني ريح الجِنّة، فأجابه الله تعالى: بِمَعصيتك يا آدم فعلت بك ذلك [1]. بالتالي تأتي قُدسية الجَبَل عند العَرَب، من كونه صِلة الرَبط بين السَماء والأرض، من خلال نُزول آدم عليه السلام على جبل نود، ودخوله كذلك في بِناء البُيوت المقدَّسة، فقد بنى آدم _عليه السلام_ البيت من خمسة أجبل هي: طور سيناء [2]، وطو زيتا [3]، ولبنان [4]، والجودي، وبنى قواعده من حراء [5].

أما دغيم فيَربطُ بين تَقديس العَرَب للحِجارة (الأصنام)، وبين عَلاقة الحَجَر والجَبَل في بِناء البُيوت المقدَّسة، أو لأنها نَزَلت من السَماء، كما قيل في الحَجَر الأسوَد أنه نَزلَ من السَماء مع آدم، فوَضَعه في جَبَل أبي قبيس[6]، فاستَمَدَ قُدسِيَته من عَلاقَته بالسَماء[7].

وقد ارتَبَطَت الجبال عند العَرَب بِظاهرة دينية أُخرى هي الحَج، حيث يَحجُ المُتَعَبدون إلى المُرتفعات للتَعَبُدِ والتَبَتُل، ومن تلك المُرتَفعات حِراء، وأبو قبيس، وثبير، يقول الشاعر عن جبل حِراء:

(الوافر)

---

[1] ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، 34/1.

[2] اسم موضع بالشام يضاف إليه الطور فيقال طور سيناء وهو الجَبَل الذي كلم الله تعالى عليه موسى بن عمران عليه السلام ونودي فيه وهو كثير الشجر، للمزيد أنظر: الحموي: **معجم البلدان**، 300/3.

[3] جبل بقرب رأس عين عند قنطرة الخابور، على رأسه شجر زيتون، عذي يسقيه المطر؛ ولذلك سمي طور زيتا، وفي فضائل البيت المقدَّس وفيه طور زيتا، وقد مات في جبل طور زيتا سبعون ألف نبي؛ قتلهم الجوع والعري والقمل، وهو مشرف على المسجد، للمزيد أنظر: الحموي: **معجم البلدان**، 47/4_48.

[4] لبنان جبل مطل على حمص يجيء من العرج الذي بين مَكَّة والمدينة حتى يتصل بالشام، للمزيد أنظر: الحموي: **معجم البلدان**، 11/5.

[5] ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، 35/1.

[6] اسم الجَبَل المشرف على مَكَّة، وجهه إلى قعيقعان ومَكَّة، بينهما أبو قبيس من شرقيها، وقعيقعان من غربيها، قيل: سمي باسم رجل من مذحج كان يكنى أبا قبيس لأنه أول من بنى فيه قبة، للمزيد أنظر: الحموي: **معجم البلدان**، 80/1.

[7] دغيم: **أديان ومعتقدات العَرَب قبل الإسلام**، ص 181.

فـــــإني والــــذي حجـــت قُــــرَيْش مَحارمـــــه ومـــا جَمعـــت حـــراء[1]

وكان النبيّ _عليه الصلاة والسلام_ يَتَعَبد في غار مَوجود في هذا الجَبَل، وقد جاء أن النبيّ ارتقى ذروته ومعه نَفر من أصحابه، فتَحَرّك الجَبَل، فقال رسول الله: اسكُت يا حِراء، فما عَليك إلا نَبي أو صدِّيق أو شَهيد [2].

كما أن البيوت التي عظَّمَها العَرَب وُجِدَ أغلبها على قِمَمِ الجبال، ومنها (رئام) المقدَّس، وهو مُتَنَسَك كان يَنسك عِنده، ويُحَج إليه، وهو في رأس جَبَل (أقوى) من أرض همدان، حيث كانوا يُعَظِّمُونه ويَنحَرون عنْده[3]. وكذلك الطائف التي كانت تُعَدُّ المَركز الديني الثاني عند العَرَب، كانت تَقعُ على ظَهر جَبَل غزوان [4]من جبال السراة [5]. ولقد قَدَّس أهل السراة قِمَم الجِبال، فجَعلوا فيها مَعابِد لعِبادة الآلهة، مثل معبد (أوم) [6].

ولأن الشِّعْر كان المِرآة التي يَعكِسُ من خلالها العَرَب مَظاهِر حَياتهم كافة، ومُعْتَقداتهم، وثقافتهم، فمِن الطبيعي أن يَحْتل الجَبَل مَكانة بارِزة في أشعَارهم، وهذا ما كان حَقاً، فقد تَرجموا من خِلال الشِّعْر مُعتقداتهم تِجاه الجِبال، فجاء فيها أن الجِبال تَمْتلك صِفة الخلود، وهذا ما افتقدوه، فكان العَرَب يَضْرِبون المَثل بخُلود الجِبال ومن ذلك قول لبيد:

(الطويل)

بَلينـــا وَمـــا تَبلـــى النُجــومُ الطَوالــعُ وَتَبقـــى الجِبـــال بَعـــدَنا وَالمَصـــانِعُ[7]

وَالمَصـــــــــــــــــــــانِعُ[7]

إن الصورة المُجَسَمة التي وَلَّدَتْها صورة الجَبَل في نفس الشاعر الجاهلي هي الخُلود، وقد صاحَبَت فكرة البَقاء والخُلود التي أدرَكها نَفَرٌ مِنهم، فِكرة بقاء هذه الجِبال، فَكل شَيء عِندهم

---

[1] الزبيدي: **تاج العروس**، مادة (حرو).

[2] الحموي: **معجم البلدان**، 233/2_234.

[3] زكي، أحمد كمال: **الأساطير دراسة حضارية**، ص 77.

[4] وهو الجَبَل الذي على ظهره مدينة الطائف، للمزيد أنظر: الحموي: **معجم البلدان**، 202/4.

[5] دغيم: **أديان ومعتقدات العَرَب قبل الإسلام**، ص 175.

[6] علي: **المفصل**: 405/6.

[7] لبيد بن ربيعة العامري: **الديوان**، ص 45.

يَزول ويَنتَهي وله أمَد إلا هذه الجِبال، التي يَرونها صَباح مساء، والتي شاهَدت مَوت آبائهم وأجدادهم، وهي لم تَتَغَير أحوالها، ولم تَتَبَدل أشكالها[1]، يقول لبيد:

[1] القيسي، نوري: **الطبيعة**، ص 239.

(الخفيف)

إن يَكُن فـــي الحَيـــاةِ خَيــرٌ فَقَــد أُن ظِــرتُ لَـــو كـــانَ يَنفَـــعُ الإِنظـــارُ[1]

عِشـــتُ دَهـــراً وَلا يَـــدومُ عَلـــى ال أَيّـــامِ إِلّـــا يَرَمـــرَمٌ أَوتِعـــارُ[2]

وقد أدرك العَرَب في الجاهِلِيَّة أن الجِبال هي الثابت الوَحيد المُقاوِم، يقول عَدي بن وداع الأزدي:

(الوافر)

أَرى الأَيّـــامَ لا يَبقـــى عليهـــا سِـــوى الأَجبـــالِ والرَمـــلِ الرِقـــاقِ[3]

الرِقـــــــاقِ[3]

ويؤَكِّد زهير الحَقيقة ذاتها:

(الطويل)

أَلا لا أَرى عَلـــى الحَـــوادِثِ باقِيـــا وَلا خالِـــداً إِلّـــا الجِبـــالَ الرَواسِـــيا[4]

الرَواسِـــــــيا[4]

ويُضيف القيسي أن فِكْرة الخُلود التي تَوَسَّمَها في الجَبَل، وفِكرة المَوت التي أحسَّها في نَفسه تَدفَعُه إلى أن يَتَحَداها، فكانت الجِبال مأوى الوُعول المُمْتَنعة، وكأنها تَحسُ أن ذلك يَمنعها من الموت، أو يُخْفيها عن أنظاره[5].

ولم يكن الخوف من الموت، والبحث الدائم عن الخُلود مُقتَصِراً على العَرَب في العَصْر الجاهلي، بل تَجلَّى ذلك على مُستوى الأساطير، حيث نقرأه في الخطاب الذي وَجَّهه جلجامش إلى صديقه أنكيدو بقوله:

"يا صديقي من يستطيع أن يرقى إلى السماء

[1] لبيد بن ربيعة: **الديوان**، ص 78.

[2] يلملم وتعار: جبلان من جبال تهامة.

[3] الجبوري، يحيى: **قصائد جاهلية نادرة**، ط 2، مؤسسة الرسالة، 1988، ص 239.(الجبوري، قصائد جاهلية فيما بعد).

[4] زهيرُ بن أَبي سُلمى: **ديوان زهير**، ص 77.

[5] القيسي: **الطبيعة**، ص 240.

فالآلهة وحدهم هم الذين يعيشون إلى الأبد مع (شمش)

أما البشر فأيامهم معدودات " [1]

كما اتضح ارتباط الجَبَل بالخلود في قصة لقمان بن عاد وأنسره السبعة، حين اختار لقمان عُمْرَ سبعة نسور، وهو بجبل أبي قبيس، وحين ناداه مناد في كل مرة أن يأخذ فرخ كل منها من قمة جبل [2].

كذلك فقد قرنوا بين الحديث عن الجِبال وخصبهم أو جَدْبهم، ومنه قول لبيد:

(الكامل)

فَالضَيفُ وَالجارُ الجَنِبُ كَأَنَّما هَبَطا تَبالَةَ مُخصِباً أَهضامُها[3]

ولقد أثارت الجِبال الشامِخة بألوانها المُتباينة، وأشجارها التي تَكْتنف سُفوحها، في النَفْس شُعوراً يَشوبُه الخَوف، ويُمازِجُه الإجلال، لهذا الوَقار الهادئ، والرَزانة المُسْتَديمة [4]. وقد ضَربوا المَثَل في الحُلم والرزانة بِتلك الجِبال، يقول لبيد مُفتخراً بقُدرة قومه على الحلم:

(الكامل)

قَومي أوُلئك إنْ سألتِ بِخيمِهِمْ ولكلِّ قومٍ في النوائبِ خِيمُ[5]

ولهمْ حُلومٌ كالجِبال وسادةٌ نُجُبٌ وَفَرْعٌ ماجِدٌ وأرومُ[6]

وكذلك قول بشر بن أبي خازم :

(البسيط)

---

[1] باقر، طه: **ملحمة جلجامش،** بغداد، وزارة الثَقافَة والإعلام، ص 97.

[2] عكاشة، ثروت: **الفن العراقي (سومر وبابل وآشور)**، ط 1،القاهرة، المؤسسة العَرَبية للدراسات والنشر، ص 66. (عكاشة، الفن العراقي فيما بعد)

[3] لبيد بن ربيعة: **الديوان،** ص 236.

[4] القيسي، نوري: **الطبيعة في الشِّعْر الجاهلي،** ص 26.

[5] الخيم: الخلق والطبيعة.

[6] لبيد بن ربيعة: **الديوان،** ص 192_193.

لـــو يوزنـــون كِيـــالاً أو مُعـــايرةً مالوا بِرضـــوى ولـــم يَعْـدِلْهمُ أُحُـدُ[1]

أُحُـــــــــــــــــــــــــدُ[1]

وإن ضَخامَة الجِبال وعِظَمَها في نُفوسهم، دفعَ العَرَب إلى أن يَضْرِبوا بها المَثل في الصبْر على النَوازِل، يقول الحارث بن حلزة:

(مجزوء الكامل)

ولَـــوَ اِنَّ مـــا يَـــأوي إِلَـــيَّ أُصـــابَ مِـــن ثَهـــلانَ[2] **فِنـــدا**[3]

عرف العَرَب الجاهليون عن الجَبَل صَلابته وقوته، يقول عنترة:

(الوافر)

وَتَطلُـــبُ أَن تُلاقينـــي وَسَـــيفي يُـــدَكُّ لِوَقعِـــهِ الجَبَـــلُ الثَقيـــلُ[4]

ويقول:

(الوافر)

وَآخُـــذُ مالَنـــا مِـــنهُم بِحَـــربٍ تَخِـــرُّ لَهـــا مُتـــونُ الراسِـــياتِ[5]

كذلك فقد ربط العَرَب بين الجِبال وقوة القَبيلة لديهم، فحسان بن ثابت عندما يفتَخر بقَومه، لم يجد أثبتَ من الجِبال، ليَستَحْضرها ويُدَلل على ثَبات قَومه وصَلابتهم، إضافة إلى ما اتَسَموا به من المَجْد وطيب الأخلاق. يقول :

(البسيط)

شـــمُّ الأُنـــوفِ لَهُـــم مَجـــدٌ وَمَكرَمَـــةٌ كانَت لَهُـــم كَجِبـــالِ الطَـــودِ أَركـــانُ[1]

أَركـــــــــــــــــــــانُ[1]

---

[1] بشر بن أبي خازم: **الديوان**، ص 57.

[2] ثهلان: جبل باليمن وقيل جبل بالعالية.

[3] الحارث بن حلزة: **الديوان**، ص 45.

[4] التبريزي: **شرح ديوان عنترة**، ص 116.

[5] المصدر نفسه، ص 39.

كما قَرَن العَرَب في الجاهِلِيَّة بين الجِبال وعزهم ومآثرهم التي يَفتَخرون بها، يقول عنترة:

[1] حسان بن ثابت: **الديوان**، ص 99.

(الطويل)

فَإن يَـكُ عِـزٌّ فـي قُضـاعَةَ ثابِـتٌ   فَـإِنَّ لَنـا بِرَحرَحـانَ وَأَسـقُفِ[1]

عنى إنه إن كان لقضاعة عز ثابت، ومآثر مَذكورة فإن لنا مثل ذلك برحرحان وأسقف.

ورَبط الشعراء بين الجِبال والعُظَماء من الناس، بل شَبَّهوا العُظَماء بالجِبال، تقول الخَنساء:

(البسيط)

وَإِنَّ صَخراً لَتَأتَمَّ الهُداةُ بِهِ   كَأَنَّهُ عَلَمٌ فـي رَأسِهِ نـارُ[2]

وقد ارتَبَط الجَبَل في الشِّعْر الجاهلي بمَجْموعة من القَضَايا ذات الأَثَر المُباشِر في حياة الجاهليين، الدينية، والاجتماعية، كما فقد تَطَوَّر المَعنى الدلالي للجَبَل من مُجرد ظاهرة طَبيعية صامِتة، ليدُل على كَثير من المَعاني التي ضَمَّنَها الشِّعْراء في قَصائدهم، فلم يَعُد الجَبَل كُتلة من الحِجارة والتُراب فقَط، لكنه أصبَح يَحمِلُ كَثيراً من المَعاني، حيث استَعاره الشِّعْراء للدَلالةِ على الشَرَف، ورِفْعة الشأن، كما شبهوا به الرَجل العَظيم القَوي [3].

ولأن حياة العَرَب في الجاهِلِيَّة تَراوحت بين الكَر والفَر، وهذا ما فَرَضَته عليهم ظُروف حياتهم، فقد وَجَد العَرَب في تِلك الجبال أماكن آمنة تُحَصِنهم، وتُمَكِّنهم من مُراقَبة أعدائهم على أكمَل وَجه، والتَرَّصُد بِهم،، فَأنشؤوا المَراقب، يقول أبو كبير الهذلي مُتَحدثاً عن المَراقب:

(الكامل)

وَعَلَوتُ مُرتَبِئاً عَلى مَرهوبَةٍ   حَصّاءَ لَيسَ رَقيبُها في مَثمِلِ
عَيطاءَ مُعنِقَةٍ يَكونُ أَنيسُها   وُرقَ الحَمامِ جَميمُها لَم يُؤكَلِ[4]
يُؤكَلِ[4]

---

[1] التبريزي: **شرح ديوان عنترة**، ص 103.

[2] الخنساء: **الديوان**، ص 46.

[3] محمود سمارة محمد صالح، **الجَبَل في الشِّعْر الجاهلي** (رسالة ماجستير) ، نابلس، جامعة النجاح الوطنية، 1999، ص 5.(محمود سمارة، الجَبَل في الشِّعْر الجاهلي فيما بعد).

[4] **ديوان الهذليين**، 2/96_97.

بل عَدَّ العَرَب ارتقاء تلك المَراقِب من المَفاخِر التي يَفتَخِرون بها، يقول أَبو المُثَلَّم الهُذَلي:

(البسيط)

رَبّـــاءُ مَرقَبَـــةٍ مَنّـــاعُ مَغلَبَـــةٍ   رَكّـــابُ سَـــلهَبَةٍ قَطّـــاعُ أَقـــرانِ[1]

ذكرنا أن الجِبال احتلت مَكانة مُمُيزة عند العَرَب في الجاهِلِيَّة، تحَصَّنوا بها من عَدوهم في الحُروب، راقبوا العَدو من عَلَيها وأغاروا عَلَيه، فكان لَديهم العَديد من أيامهم المَشْهورة التي ارتبطت بالجِبال، وتَسَمَّت بأسمائها كَيوم (طفخة)[2]، ويوم (رحرحان)[3] ويوم (فيف الريح)[4]ويوم (خزاز)[5] ويوم النسار[6].. وغيرها كثير.

إن نَظرة العَرَب في الجاهِلِيَّة إلى الجَبَل لم تَكُن نَظرة سَطحية جافة، بل أضفوا عَلَيه العَديد من الصِفات الحِسية، كالصَبْر، والخُلود والثَبات والعَظَمَة والقُدسية.

ونظراً لأهمية الجِبال في حياة العَرَب، فقد تَسَموا بالجَبَل، فمِن أسمائهم مُعاذ بن جبل، وجبل بن لهماذ، كما كان من أسمائهم جَبَل وجُبيل وحُجير وصَخر، وكذلك سُمِّيَت الجِبال بأسماء الأشخاص، كأَجأ، وثبير، وسلمى، وأبي قبيس[7].

---

[1] المرجع نفسه، 239/2.

[2] طخفة: جبل أحمر طويل حذاءه بئار ومنهل وفيه يوم لبني يربوع على قابوس بن المنذر بن ماء السماء، للمزيد أنظـر: الحموي: **معجم البلدان**، 23/4.

[3] رحرحان: اسم جبل قريب من عكاظ خلف عرفات قيل هو لغطفان وكان فيه يومان للعرب أشهرهما الثاني وهـو يـوم لبني عامر بن صعصعة على بني تميم. للمزيد أنظر: الحموي: **معجم البلدان**، 36/3.

[4] الفيفا: جبل طويل من جبال خثعم يقال له: فيفا الريح، وكان الصبر فيه والشرف لبني عامر، وقد اجتمعت كلها إلى عامر ابن الطفيل على قبائل مذحج، للمزيد أنظر: القيرواني: **العمدة**، 213/2.

[5] خزاز: جبل لبني غاضرة خاصة وقال أبو زياد هما خزازان وهما هضبتان طويلتان بين أبانين جبل بني أسد وبين مهب الجنوب على مسيرة يومين بواد يقال له منعج وهما بين بلاد بني عامر وبلاد بني أسد وغلط فيه الجوهري غلطا عجيبـا فإنه قال خزاز جبل كانت العَرَب توقد عليه غداة الغارة فجعل الإيقاد وصفا لازما له. للمزيد، أنظـر: الحمـوي: **معجـم البلدان**، 265/2.

[6] النسار: بالكسر قيل هي جبال صغار كانت عندها وقعة بين الرباب وبين هوازن وسعد بن عمرو بـن تمـيم فهزمـت هوازن. للمزيد ينظر: الحموي: **معجم البلدان**، 283/5.

[7] الهمذاني: **صفة جزيرة العَرَب**، ص 124.وعبد الحكيم: **موسوعة الفولكلور والأساطير العَرَبية**، ص 159.

كذلك ارتبط الجَبَل عند العَرَب في الجاهِلِيَّة، بِسرٍ من أسرار حَياتهم، به يكونُ لَهم البَقاء والحَياة، وبِدونه يَكون هَلاكهم، إنه الماء، ونظراً لأهَمية المَطَر فقد " سَعى الإنسان القَديم إلى استِرضاء القوى الخَفية التي تَتَحَكم في سُقوط المَطَر، وإلى التَّوَسُّل والتَضَرّع وتَقديم القرابين والصَلَوات [1].

وقد مارسَ العَرَب طُقوس الاستسقاء، وكان الجَبَل رُكناً أساسِياً في هذه الطقوس، فقد جاء في الأخبار الواردة عنهم، أن العَرَب إذا أصابهم قَحْط ارتقوا أبا قبيس ، وطَفق القوم يدفون حوله ما إن يدرك سَعْيهم مهلة، حتى قروا بذروة الجَبَل، واستكفوا جنابيه فقام عبد المطلب فاعتضد ابن ابنه محمدا _صلى الله عليه وسلم_ فرَفَعه على عاتقه وهو يَومَئذ غُلام قد أيفَع، أو قد كرب ثم قال: اللهم سادَّ الخَلَّة وكاشِف الكَربة أنت عالم غير مُعَلم ومسؤول غير مُبخل وهذه عبادك وإماؤك بعذرات حرَمك، يشكون إليك سَنَتَهم، فاسمعن اللهم وأمطرنَّ عَلينا غيثاً مريعاً مغدقاً؛ فما راموا _والبيت_ حتى انفجرت السماء بمائها وكظ الوادي بثجيجه [2]. ومن الجِبال التي التي صَعدوا إليها واستسقوا فيها جبل ثبير، إذ كانت قُرَيْش تَأخذ بيد عبد المطلب، فتخرج به إلى ثبير[3] تستسقي المطر [4].

وبلغ من قدسية الجِبال عندهم أن أقسموا بها، إذ يذكر الجاحظ أنهم كانوا يقولون في أيمانهم و في الحِلف: الدَّمُ الدَّمُ والهدَمُ الهدَمُ، لا يزيده طُلُوعُ الشَمس إلا شَدًّا، وطولُ اللَّيالي إلاَّ مَدّاً، ما بلَّ البحر صوفة، وما أقام رضوى في مكانه إن كان جبلهم رَضْوَى، وكلُّ قومٍ يذكرون جَبَلَهم والمشهورَ من جبالهم [5]. من ذلك قول أوس بن حجر[6]:

---

[1] أبو سويلم، أنور: **المطر في الشِّعْر الجاهلي**، ط 1، دار الجيل للطبع والنشر، 1987، ص 58. (أبو سويلم، المطر في الشِّعْر الجاهلي فيما بعد).

[2] السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي : **الروض الأنف في شرح السيرة النبوية**، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، د ط،، دار الكتب الإسلامية، 1967، 139/1.(السهيلي، الروض الأنف فيما بعد). وعلي، جواد: **المفصل**، 221/6.

[3] ثبير من أعظم جبال مَكَّة، وروى أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال:لما تجلى الله تعالى للجبل تشظى، فصارت منه ثلاثة أجبل فوقعت بمَكَّة، وثلاثة أجبل وقعت بالمدينة، فالتي بمَكَّة حراء، وثبير، وثور، والتي بالمدينة أحد، وورقان ورضوى. للمزيد أنظر: الحموي: **معجم البلدان**، 73/2.

[4] علي: **المفصل**، 4/ 75.

[5] الجاحظ: **الحيوان**، 470/4_471.

[6] أوس بن حجر: **الديوان**، ط 3، تحقيق محمد يوسف نجم، بيروت، دار صادر، 1979، ص 7.

حلفتُ بربِّ الدّامياتِ نحورُها وما ضمّ أجمادُ اللُّبينِ[1] وكبكبُ[2]

ومن المَعلوم أن الإنسان لا يُقسِم إلا بِما هو مُقدَس برَأيه، بل ما يَسمو عنده ليَكون مَعبوداً، لذلك لا أستَبعد أن يَكون قَسمُ العَرَب بالجبال، امتداداً لعُبوديةٍ ما تِجاه هذا الجَبَل، ويُدَّعِم اعتقادي ما ذَكره صدقة من انتشارِ عِبادة الجِبال في الديانات القَديمة [3].

كما أنهم كانوا يَحرِصون على التَحالُف عند الجِبال إيماناً منهم بقُدْسيَّة هذا الجَبَل، والتَبَرُك من إتمام التَحالف جِواره، فقد روى الحربي من طَريق عبد الله بن حسن، قال:" جاء ضميرة إلى النبيّ_صلى الله عليه وسلم_، فقال له: أحالفك؟ قال: حالف. قال أحالفك مادام الصالِف[4] مكانه. قال: حالف ما دام أحد مَكانه، فهو خَير"[5].

زَعموا أن كل من أكل على جَبَل أبي قبيس اللحم المَشوي يأمَن من وجَعِ الرَأس [6]. واتَخَذوا من جَبَل (خودقور) مَوْضِعاً يَتعَلَّمون فيه السِحْر، بل قالوا إنه هو نفسه يُعَلِم السِحر [7].

كان العَرَبي يَبحث عن رَبه في كل مكان، وقد نَسَجَ الأساطير المُختلفة حَول الجِبال والآبار والأشجار، حيث كانت الجِبال في نَظر العَرَب مَسكُونة بالأرواح التي تُسَبِبُ الأذى لِمن لا يَعمَل على اتِقاء أذاها، وتَرضِيتها بالشَعائَر والتَعاويذ والدُعاء وتَقْديم القَرابين [8]. ويُعتَبَرُ الجِنّ من أهم الكائنات التي ارتَبَطت بالجِبال، " وإن الاعتِقاد بالجِنّ قَديم جداً، وتَكادُ الميثولوجيا العالمية لا تَخْلو من هذا الاعتِقاد، إذ إنه مُنذ أن خَشِي الإنسان خَوافي الطَبيعة والأرواح

---

[1] اللبين: جبيل قريب من جبل كبكب.

[2] كبكب: اسم جبل خلف عرفات مشرف عليها، قيل هو الجَبَل الأحمر الذي تجعله في ظهرك إذا وقفت بعرفة. للمزيد أنظر: الحموي: **معجم البلدان**، 434/4.

[3] صدقة، جان: **رموز وطقوس (دراسات في الميثولوجيا القديمة)**، ص 63.

[4] الصالف: جبل كان يتحالف أهل الجاهِلِيَّة عنده.للمزيد ينظر: البكري: **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**. 824/3.

[5] البكري، عبد الله عبد العزيز الأندلسي أبو عبيد: **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، تحقيق مصطفى السقا، ط 3، بيروت، عالم الكتب، 1403، 824/3.(البكري، معجم ما استعجم).

[6] القزويني، زكريا بن محمد: **آثار البلاد وأخبار العباد**، بيروت، دار صادر، ص 119.(القزويني، آثار البلاد فيما بعد). وزكي، أحمد: **الأساطير دراسة حضارية مقارنة**، ص 96.

[7] زكي، أحمد: **الأساطير دراسة حضارية مقارنة**، ط 2، بيروت، دار العودة، 1979، ص 96. ومعلوف، شفيق: **عبقر**، ط3، البرازيل، سان باولو، منشورات العصبة الأندلسية للطباعة والنشر، 1949، ص 19.(وهنا جاء اسم الجَبَل قود)

[8] النعيمي: **الأسطورة في الشِّعْر العَرَبي قبل الإسلام**، ص 168.

المُحتَجبة[1]. وبناء على خَوف العَرَب من الجنّ، وخِشيَتهم منه، فقد تَصَوروا له مَساكِن تَكْتَنفها الرَهبة والخُوف، فتَصَوَرا أن الجنّ يَسكن الأماكن المَهْجورة، والمَفاوِز البَعيدة، والجِبال والأودية والفَلوات، ومن الأماكن التي ذكرها الجاحظ مَسكناً للجن عند العَرَب جَبَل سواج [2].

كانت الجِبال في نظر العَرَب مَسكونة بالأرواح، التي قد تُسَبِبُ الأذى لِمن لا يَعمَل على اتقاء أذاها، وتَرضيتها بالشَعائر والتَعاويذ [3]. ولو عُدنا إلى التفسير اللغوي، لوَجدنا أن في قولهم أَجَنَّ اللهِ جِباله، جاء أن مَعْناه أَجَنَّ الله جِبْلَته، أَي خِلْقته وقال غيره: أَجَنَّ الله جباله أَي الجِبال التي يَسكنها، أَي أَكثر الله فيها الجنّ جِبْلَةٌ [4]. ويؤكَّد ذلك أن العَرَب آمنوا بحُلول القُوى الخَفِيَة في في مُعظَم مَظاهر الطَبيعة، ومما رُوي عن اللات مَثلا أنه قيل: إن رَبكم كان اللات فدَخل في جَوف صَخْرة، إذ اعتقدوا أن الإله يَحل بالحَجَر [5].

عرفنا مما سَبَق ثَقافة العَرَب عن الجِبال، ونَظْرَتهم إليها التي غُلِّفَت بِطابع من التَقديس، فهي نظرة يَشوبها الخَوف والرَهْبة أحياناً، ويَغلُب عَليها التَعْظيم والتَقديس أحياناً أخرى، ومن الطبيعي أن العَرَب لم يكونوا مُنعَزلين بتَفكيرهم عن التَيارات الفِكرية الوافِدة من الأُمم والحَضارات الأخرى، وذلك بِسَبب اتصالهم بتِلك الأُمم. ولقد كادت نَظْرة العَرَب إلى الجِبال تَتَطابق مع نظرة الأُمم الأخرى، من حَيث دَورها في نَشأة الكَون، وكَونها مَقَراً للعِبادة والتَقرُب إلى الآلهة.

فلو رجعنا إلى الفِكر السومري لوجدنا أن الجَبَل في الفِكر السومري هو بِداية الخليقة، حيث تَمَثَّلت البدايات بِظهور جزيرة من اليابسة على هَيئة جَبَل قُبته السَماء، وقاعِدته الأرض[6].

---

[1] النعيمي: **الأسطورة**، ص 59.

[2] الجاحظ: **الحيوان**، 218/6_219.

وسواج: هو جبل فيه تأوي الجنّ قال بعضهم:

أقبلن من نير ومن سواج بالقوم قد ملوا من الإدلاج

للمزيد أنظر: الحموي: **معجم البلدان**، 271/3.

[3] النعيمي: **الأسطورة في الشِّعْر العَرَبي قبل الإسلام**، ص 168.

[4] ابن منظور: **اللسان**، مادة (جبل).

[5] عجينة، محمد: **موسوعة أساطير العَرَب عن الجاهِلِيَّة ودلالاتها**، ط 1، بيروت، لبنان، العَرَبية للنشر والتوزيع، دار الفارابي، 1994، 194/1.. (عجينة، موسوعة أساطير العَرَب فيما بعد).

[6] السواح: **مغامرة العقل الأولى**، ص 34.

كما اعتقدوا أن هنالك علاقة تربط الآلهة، بالرياح القادمة من الجِبال، دافعة أمامها السُحب المُمْطرة، التي ينشأ منها ظواهر الطوفان في بعض الأحيان [1].

وقد استَمدت الرابية قُدسية خاصة، ومَعنى دينياً، وفقا لنَظْرة القَداسَة المُتَصِلة بالإله، وبناءً على ذلك، فقد استَمَد المَعْبد المُقام عليها قُدسيته من قُدسية المَكان، لأنهم كانوا يَعتَقدون عندما يُؤَسِسون مَعْبداً جَديداً أن إمكانية القُدسية في مَوقِع البِناء، قد تَحَقَقت وكَشَفَت عن نَفسها [2].

وتَتَضح قُدسية المَوقع عند قُدماء المصريين، من خِلال القُبور المَلكية، التي جاءت مُطابقة للرابية الأولى، مَركز قُوى الخلق، حَيث بدأت الحَياة المُنَظَمة في الكَون، والرابية هي أفضَل مَكان يَعِدُ بالفوز في عُبور أزمة المَوت، لذا فقد كان ضَريحُ المَلِك يُبنَى في شَكلِ هَرَم والهَرَم هو التَشْكيل الفَني للرابِية الأُولى لَدى أهل هليوبوليس [3].

وجاء في الميثولوجيا اليهودية أن آدم ولد في الفِردوس المَوجود في الوسط الكوني، وبحسب التُراث اليهودي يقع الفردوس على جبل أعلى من كل الجِبال، وفيه كذلك ، يُمَثِّل الجَبَل رمز اللقاء بين السَماء والأرض، وقد أحاطَتْه الميثولوجيا اليهودية بالأسرار، حتى أصبح (يهوه) في المُعتقدات اليهودية إله الجِبال، وقد جاء في صلوات العهد القديم ما يؤَكّد قُدسية الجِبال، إذ يقول داوود في أحد مزاميره " إني رافع عينيّ إلى الجِبال إلى حيث تأتي منها نُصرتي، و" صهيون جبل قدس الرب ".. [4].

وقد تَطَورت النَظرة للجِبال، فأصبَحَت الجِبال مَوطِناً للآلِهة، كجَبَل الأَرز الذي يُعَدُّ من الأماكِن الأُسطورية في مَلحَمة جلجامش بوَصفِه مَسكَن الآلهة [5]. وقد نَظَروا إلى الجِبال نظرَة يَشوبُها الخَوفُ والرَهبة، فجَبَل (ماشو)، من الجِبال الأُسطورية، حَيث يُراقَبُ مَشْرِق الشَمْس

---

[1] أ. توكاريف، سيرغي: **الأديان في تاريخ شعوب العالم**، ص 340.

[2] فرانكفورت، هنري وآخرون: **ما قبل الفلسفة (الإنسان في مغامراته الفكرية الأولى)**، تحقيق جبرا إبراهيم جبرا، ط 2، المؤسسة العَرَبية للدراسات والنشر، 1980، ص 35. (فرانكفورت، ما قبل الفلسفة فيما بعد).

[3] المرجع نفسه، ص 35.

[4] صدقة: **رموز وطقوس**، ص 67.

[5] السواح: **كنوز الأعماق (قراءة في ماحمة جلجامش)**، ط 1، نيقوسيا، قبرص، سومر لدراسات والنشر والتوزيع،1987، والتوزيع،1987، ص 140. (السواح، كنوز الأعماق فيما بعد).

ومَغربها، وطريقه مَحْفوف بالمَخاطِر، لم يتَمَكن أحَد من الوصول إليه قَبل جلجامش الذي وصَل إليه بمُساعَدة الآلهة، في بحثِه عن الخُلود [1].

لقد شاع الاعتقاد بأن الجِبال مَوطن الآلهة عند مُعظَم الشُعوب السامية، ف (بعل) إله الخِصْب والحياة عند الكَنعانيين، تَمَكَّن من القَضَاء على الإله مَوت، ومَضى إلى جَبَل صفون، حيث كان يُديرُ شؤون العالم من عَليائه [2].

وكانت أماكن العِبادة لدى العبرانيين فوق المُرتَفعات، وهي أماكن مُقدَّسة ترَدد عليها الإسرائيليون أحقاباً طَويلة، لتَقدِمَة الأضاحي والقَرابين، وطَمَعاً في برَكة تِلك الأماكِن المقدَّسة [3]. ولقد ارتبط الجَبَل في الفِكر العِبراني بالإله من خِلال العلاقة بين الله وبين بني إسرائيل، ففي الجَبَل كلَّم الله بَني إسرائيل بعد خُروجهم من مصر [4]. ويَخلُصُ صدقة للقول بأن الجَبَل هو أقرب الأشياء الطَبيعية إلى السَماء، وهذه الصِفة تَكفي كي يَمْتَلِك الجَبَل مِسحة مُقَدَّسة، فمن جهة يَشتَرِكُ في الرمز الفضائي للتصاعديَّة الروحيَّة، ومن جِهة ثانية، إنه المَسرح الأفضل للمقدَّسات الفَضائِية، وتالياً مركز الآلهة [5].

ويشير صدقة إلى جُملة من المُعْتقدات في الدِّيانات السِّاميِّة التي تؤكد الحلة المقدَّسة التي ارتداها الجَبَل لديهم، منها بعض المحظورات التي حظر الإتيان بها على قِمم الجِبال كملاحقة الصياد لفريسته، وقطع الحطاب للشجر، وممارسة الأعمال الجِنّسية، فالمجرم الذي يلجأ إلى هذا المكان المقدَّس، تحميه قداسة المكان، وكل حيوان يَدخل المكان لا يعود يملكه صاحبه، بل يدخل ملكية البقعة المقدَّسة [6].

ظهرت الجِبال في القرآن الكريم ظَهَرت أوتاداً، رَوَاسِي، لا تَزولُ ولا تَرجِفُ بِسهولة، مُنتَصِبة، شامِخة، صَلبة، استُخدِمت للتَدليل على هَوْل يوم القِيامة، وما يُرافِق ذلك من أمورٍ تَدُبُّ الرُعبَ في القُلوب المَيتة، كما استُخدِمَت لتَوجيه أنظارنا وقُلوبنا نَحو عَظَمَة الخالِق _عزَّ وجلّ_،

---

[1] النعيمي، أحمد اسماعيل: **الأسطورة في الشِّعْر العَرَبي قبل الإسلام**، ط 1، القاهرة، سينا للنشر، 1995، ص 165.

[2] السواح: **مغامرة العقل الأولى**، ص 117.

[3] فريزر، جيمس: **الفولكلور في العهد القديم**، ترجمة نبيلة إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974، 109/2.

[4] ينظر: **العهد القديم، الإصحاح**: 10/9، 11 /193_294.

[5] صدقة: **رموز وطقوس**، ص 63.

[6] صدقة: **رموز وطقوس**، ص 63.

التي تَجَلَّت في عَظَمة مَخلوقاتِه، ولم يَكن استِخْدام الجِبال في القُرآن الكَريم، إلا دَلالة على بَلاغَته وحِكْمَته في الخَيار، فقد اتَكَأَ في ذلك على ثَقافة عَميقة عن الجِبال لدى عرب الجاهِلِيَّة، إذ رَبطوا بَينَها وبَين عُظَمائهم، نَظروا إليها نَظرة يُغَلِّفُها التَقْديس، وتَشُوبها الرَهْبَة، احتَلَّت في فَتْرة من التاريخ لدَيهم مَكانة دينية، حتى على المُستَوى الاجتِماعي، فقد عدوا ارتقاءها مَفْخَرَة لا يَطالها إلا الشُجْعان والأبطال مِنْهم، اعتَبَروها تَمتَلك ما لا يَمتَلِكونه وهو الخُلود. حيث ظهرت مُقاربة كَبيرة بين ما كان للجَبَل في المَوروثِ الثَقافي الجاهلي، وما كان لَدى ثَقافات الأُمم الأُخرى، إذ امتلك الجَبَل حَيِّزاً واسِعاً في ميثولوجيا الحَضارات الأُخرى، لا سِيما السامية منها، كما برَزَ باعتباره مِنطَقة مُفْعَمَة بالقَداسةِ والروحانِية. ولم تَبْتَعد الجِبال في مَعناها اللُغوي عن المَعْنى المُتداوَل في حَياة العَرَب في الجاهِلِيَّة، وكذلك في القرآن الكريم، فارتَبَطَت بالثَبات، والشُموخ، والانتِصاب، والعَظَمَة والرِفْعَة.

الجنّة

"جنّ: الجيم والنون أصل واحد وهو الستر والتستر "[1]، "وجَنَّ الشيءَ يَجُنُّه جَنّاً سَتَره وكلُّ شيء سُتر عنك فقد جُنَّ عنك، وجَنَّه الليلُ يَجُنُّه جَنّاً وجُنوناً، وجَنَّ عليه يَجُنُّ جُنوناً، وأَجَنَّه سَتَره، وبه سمي الجِنّ لاسْتِتارِهم واخْتِفائهم عن الأبصار، ومنه سمي الجنينُ لاسْتِتارِه في بطنِ أُمِّه، وجِنُّ الليل وجُنونُه وجَنانُه شدَّةُ ظُلْمتِه وادْلِهْمامُه، وقيل اختلاطُ ظلامِه لأَن ذلك كلَّه ساترٌ"[2]. ومنه قوله عزَّ وجلّ: **" فلما جَنَّ عليه الليلُ رأَى كَوْكباً"** (الأعراف|76) . "ويقال لكل ما سَتر جنَّ وأَجنَّ وجَنَّ المَيّتَ جَنّاً وأَجَنَّه ستَره. والجَنَنُ بالفتح هو القبرُ لسَتْرِه الميت، والجَنَنُ أَيضاً الكفَنُ، وأَجَنَّه كفَّنَه. والجنينُ المقبورُ. والجننُ الميت، وقيل الجِنانُ رُوعُ القلب، وذلك أَذْهَبُ في الخَفاءِ وربما سمّي الرُّوحُ جَناناً لأَن الجسم يُجِنُّه،، ويقال جُنَّتِ الرِّيَاضُ جُنُوناً إذا اعْتَمَّ نَبتُها، وجُنُونُ النَّبْتُ التِفَافُه، ويقال للنَّخْلِ المُرتفع طُولاً مَجْنُونٌ "[3].

السؤال الذي يواجهنا هو، هل سُميت الجِنّة بهذا الاسم لأنها مأخوذة من الستر والتَغْطية، باعتبارها عُرِفَت عند العَرَب على أنها بُسْتان الأشجار المُلتفة بالنَّخِيل والأعناب، التي تغطي ما بداخلها وتخفي، نتيجة لتكاثف أشجارها وتظليلها بالتفاف أغصانها؟ _وهذا ما ذَكَرْته سابِقاً في

[1] ابن فارس: **معجم مقاييس اللغة**، مادة (جنّ).

[2] ابن منظور: **اللسان**، مادة (جنن).

[3] الأزهري: **تهذيب اللغة**، مادة (جنن).

حديثي عن النَّخِيل _بأن العَرَب كانت تُسمِّي كل بُستان مَزروع بالنَّخِيل بالجِنّة، فقالوا جنّة يَثرب، وجنّة مَلهَم، أم أنها سُمِّيت بذلك كما يقول الرازي: " وعللوا تَسميتها بالجَنّة لأنها ثواب ادخَره الله لأوليائه وأهل طاعَته، وهي مَستورة عنهم، وهو مَأخوذ من أجنّ الشَيء إذا سَتَره " [1].وهو ما أخبر عنه سبحانه وتعالى في قوله: **" فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ "** (السجدة |17)

ويعزز ذلك المَعنى ما جاء في الحديث الشريف من قول الرَّسُول الكريم: " قال الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عَين رأت ولا أذن سمعت ولا خَطر على قلب بشر" [2].

وإنني لأميل للأخذ بالرأيين السابقين معاً، فمن الطَبيعي أن يكون القرآن الكريم قد عَمِل على توظيف مفهوم العَرَب للجنًة بأنها بستان كثيف الأشجار، خاصة إذا علمنا المكانة العظيمة التي احتلتها البقاع الخضراء من نفس العَرَبي آنذاك، بِسَبَب تَوقه إلى الماء والخَضْراء في صحرائه القاحِلة، ووسَط ذلك الجَدْب الذي كان يُعانيه بالإضافة إلى المناخ القاري المُضطَرب. من الطَبيعي إذن أن تكون تلك الجِنّة هي أعز ما يَتَمنَّى العَرَبي ويَتوق إليه.

وقد ورَدَت لَفْظَة الجِنّة بالمَعنى المُعجمي في القُرآن الكَريم في غَير مَوضِع حَيث عَنَت بُستان النَّخِيل والأعناب والأشجار المُلْتَفة، كقوله تعالى: **" وَاضْرِبْ لهُمْ مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَّحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا "** (الكهف|32)

ويذكر المُفسرون أن الجِنّة هنا هي البُستان الذي سترت أشجاره أرضه، وكل شيء ستر شيئاً فقد أجنَّه، ومن ذلك الجَنّة والجِنّة والجِنّ والمجن والجِنّين، وكل بستان فيه ظل، وقيل كل أرض كان فيها شجر ونخل فهي جنَّة [3]، وهو ذات المَعْنى الذي حَمَلَته لَفظة الجِنّة عند عَرَب الجاهِلِيَّة، والذي جاءت به أشعارهم، كقول زهيرُ بن أَبي سُلمى:

---

[1] الرازي، أبو حاتم محمد بن ادريس: **الزينة في الكلمات الإسلامية العَرَبية**، ط 2، مصر، دار الكتاب العَرَبي، 1957، 197/2.

[2] البخاري: **الجامع الصحيح المختصر**، 1185/3، حديث رقم 2072.

[3] الأندلسي: **تفسير البحر المحيط**، 251/1.

(البسيط)

كَـــأنّ عَيْنَـــيّ فـــي غرْبَـــيْ مُقَتَّلَـــةٍ[1] منَ النّوَاضِـــحِ تســـقي جَنّـــةً[2] سُـــحُقَا[3]

كما ظَهرت لَفظَة الجنّة في القرآن الكريم مُرتَدية ثَوباً دلالياً جَديداً، لم تَحْمِله من قبل، وهو أنها دار الثَواب التي أُعِدَّت للمُتَّقين الفائزين برِضا الله. منها قوله تعالى: **" إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ "** (الحجر|45) وقوله: **" قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِى وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيراً "** (الفرقان|15)

كذلك فقد ذكرت الجنّة في القرآن الكريم بأسماء أخرى منها:

دار السلام: قال تعالى: **" لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ "** (الأنعام|127)

وجنة النعيم: قال تعالى: **" واجعلني من ورثة جنة النعيم "** (الشّعْراء|85)

وجنة الفردوس: قال تعالى: **" إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ "** (الكهف|107)

وعدن: قال تعالى: **" وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْـهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذالِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ "** (التوبة|72)

ودار الخلد: قال تعالى: **" ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد "** (فصلت|28)

وجنة المأوى: فال تعالى: **" عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى "** (النجم|15)

وعليين: قال تعالى: **" كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَّ بْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ "** (المطففين |18)

---

[1] المقتلة: التي ذللت بكثرة العمل.

[2] الجنّة: البستان.

[3] زهيرُ بن أَبي سُلمى: **الديوان**، ص 36.

وترى شادية زيني أن كلِمة الجَنّة في القرآن الكريم اصطلاح قرآني لم تَعرفه العَرَب، ولم يرِد في العَرَبية قَبل الإسلام، وتعلل ذلك بأن آيات وَصف الجِنّة بأنها دار النَعيم والثواب في القرآن الكريم قد وصفت الجنّة بأن فيها بالإضافة إلى كَثافةِ الأشجار والتِفاف الأغصان وامتداد الظِل أنواعاً أخرى من ألوان المَتاع الحِسي كالطَعام والحلي، والمَساكِن والنساء، وفيها أنواع من النَعْيم الروحي كالتَرْحيب بأهلها والسلام عَليهم، ونزع الغل والأضغان من قُلوبهم، وفي هذا الجَمع بين المَعنى اللغوي للَفظ الجِنّة والمَفهوم الإسلامي الذي أضافه القرآن الكريم، إثبات بأن الجَنّة اصطِلاح قُرآني بَحْت [1].أما أنا فـأرجح أن لفظة الجنة كانت موجودة عند العرب قبل الإسلام على أنها بستان النخيل والأشجار الملتفة _ وهذا ما أُكد في أشعارهم_ ثم بعد نزول القرآن الكريم ارتدت هذه اللفظة ثوباً دلالياً ذو طابع إسلامي باعتبارها دار الثواب التي أعدت لعباد الله الصالحين .

النَّخِيل

جاء في اللسان في مادة (نخل) "أن نَخَل الشيءَ يَنْخُله نَخْلاً، وتَنَخَّله وانتَخَله صَفَّاه واختارَه، وكل ما صُفِّيَ ليُعْزَل لُبابُه فقد انتُخِل وتُنُخِّل، والنَّخْلة شَجَرَة التَّمْر، الجَمْع نَخْل ونَخِيل وثَلاث نَخَلات"[2].

يُعَدُّ النَّخِيل من أقدَمِ الأشجَار التي عَرَفَها الإنسان، وقد اقتَرَنَ وجوده في الجَزيرة العَرَبية بأماكن وجود الماء، وإن كان بكَمِية قَليلة، لأنه يَمْتازُ بِقُدْرَته على مُقاوَمة العَطَش، والاكتِفاء بالقَليلِ من الماء [3]. ولثمر النَّخيل أهميَّة غذائية كبيرة، إذ يحتوي على معْظم المواد الغذائية الأساسية، كما أثبتت التحاليل الحديثة، وقد أبان التحليل أن نصف كيلو غرام من التَّمْر يحتوي على أكثر من 1275 سعراً، وهو مقدار يكفي لسد القسم الأعظَم من السُعرات الحرارية الضَرورية للإنسان للفَرد الواحد في اليوم [4]. سماه بَعضهم (المَنْجم)؛ لغِناه بالمَعادن المُختلفة [5]،

---

[1] زيني، شادية حسن عبد الرحمن: **وصف الجِنّة في القرآن الكريم وأثره في الشِّعْر الإسلامي حتى نهاية العَصْر الأموي**، ط 1، مصر، دار القاهرة، 2004، ص 27.

[2] ابن منظور: **اللسان**، مادة (نخل).

[3] ينظر، القيسي، **الطبيعة في الشِّعْر الجاهلي**، ص 70.

[4] باقر، طه: **النَّخْلة شجرة العراق المباركة**: مجلة التراث الشعبي، مج 2، عدد 1، سنة ثانية، أيلول، 1970، ص 10.

[5] السجستاني، سهل بن محمد بن عثمان: **النَّخْلة**، تحقيق حاتم الضامن، ط 1، بيروت، لبنـان، دار البشـائر الإسـلامية، 2002، ص 8. (السجستاني، النَّخْلة فيما بعد).

وعن النَّخِيل، يقول السجستاني: " يَذهَب بالداء ولا داءَ فيه، فهوَ غِذاء وشَراب وحَلوى ودَواء، إنه عِماد الحَياة، وخُبز العِباد، وعِماد التِجارة والاقتصاد "[1]. ولعل في حديث الرَّسُول _عليه الصلاة والسلام _ ما يؤَكَّد أن التَّمْر كان يقف ضِمن القائمة الرئيسة في غِذاء العَرَب في الجزيرة العَرَبية، إذ يقول: " لا يجوعُ أهل بيت عِنْدهم التَّمْر"[2].

ولأن مَزارِع النَّخِيل كانت إحدى أبرَز أعمَدة الحَياة الاقتِصادية، فقد بَرَزت ظاهرة حَرْق النَّخِيل في العَصْر الجاهلي، وذلك عند وقوع العِداء بين قَومَين، فإذا غَلَبَ قَوم قَوماً أحرَقوا نَخيلهم، لما في ذلك من خَسارة جَسيمة[3]، وها هو الأعشى يقول مُفتَخراً:

(الطويل)

وَأَيّــامَ حَجــرٍ إذ يُحَــرَّقُ نَخلُــهُ   ثَأَرنــاكُمُ يَومــاً بِتَحريــق أَرقَــمِ[4]
كَــأَنَّ نَخيــلَ الشَــطِّ غِــبَّ حَريقِــهِ   مَــآتِمُ ســودٌ سَــلَّبَت عِنــدَ مَــأتَمِ

وهو هنا يُشَبه نَخيلهم بعد حَرْقها، كنِساء قائِمات في مَأتَم، قد لَبِسْنَ ثِيَاب الحِداد.

لقد وجِد النَّخِيل في مَناطق مُتَعَدِدة من الجزيرة العَرَبية، كما وجِدَت بَعض المَناطِق التي احتَوَت على مَزارع ونَخْل وعُيون كَثيرة، مثل خَيْبر التي حُمِلَ مِنها التَّمْر إلى الجِهات القُصوى، حتى أصبَحَت مَضْرباً للمَثَل في كَثْرته، وفي ذلك يقول النابغة الجعدي:

(الطويل)

وَإِنَّ امــرأً أَهــدَى إِليــكَ قَصِــيدةً   كَمُستَبضِــعٍ تَمــراً إِلــى أَرضِ خَيبَــرا[5]
خَيبَــــــــــــــــــــــــــــرا[5]

واعتبر بعضهم أن النَّخْلة، تُعدُّ بحق رمزاً للحياة في الجاهِلِيَّة[6].

---

[1] السجستاني: **النَّخْلة**، ص 5.
[2] النيسابوري: **صحيح مسلم**، 1618/3، حديث رقم 2046.
[3] القيسي: **الطبيعة**، ص 72.
[4] الأعشى: **الديوان**، ص 204.
[5] الميداني: **مجمع الأمثال**، 153/2.
[6] ينظر: عبد الرحمن، نصرت: **الصورة الفنية في الشِّعْر الجاهلي**، ص 85.

ولقد أشار القيسي إلى اقتِران بَساتين النَّخِيل في الغالب بعِبارةِ الجنّة، مُضافَة إلى المَكان، فقالوا جَنَّة يَثرِب، وجَنَّة ملهم، حتى إنهم شَبَّهوا الإبل لكَثْرَتها ببَساتين النَّخِيل[1]. وقد جاء كثيراً في في أشعارهم، منه قول بشر بن أبي خازم يَمدح عمرو بن إياس:

(الكامل)

وَالمـــانِحُ المِئَـــةَ الهِجـــانَ بِأَســـرِها تُزجـــى مَطافِلُهـــا كَجَنَّـــةِ[2] يَثـــرِبِ[3]

يَثـــــــــــــــــــــــــرِبِ[3]

وقوله:

(الطويل)

وَأَوهَـــبَ لِلكـــومِ الهِجـــانِ بِأَســـرِها تُســـاقُ جَميعـــاً مِثـــلَ جَنَّـــةِ مَلهَـــمِ[4]

ويضيفُ القيسي:" كانت المَواطِن المَليئة بالنَّخِيل والزروع مَدْعاة للفَخْر، لأَن هذه الأُمور تُمَثِل عِماد الحَياة الاقتِصادية، التي يَستَطيعون بوساطَتها الاستِمرار في البَقاء "[5]. وفي ذلك يقول يقول الأعشى مُفتَخراً:

(الطويل)

أَلَم تَـــرَ أَنَّ العَـــرضَ أَصـــبَحَ بَطنُهـــا نَخـــيلاً وَزَرعـــاً نابِتـــاً وَفَصافِصـــا[6]

وَفَصافِصـــــــــــــــــــــــــا[6]

وجاء أن التَّمْر يَقِفُ ضِمن أحَد أبرَز الأصناف الرَئيسة التي يَقتَصِرُ عَليَها طَعام العَرَبي، بالإضافة إلى اللبن واللَحْم [7]. قال تعالى: **" وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيل وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِى ذالِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ "** (النحل|67)

---

[1] القيسي: **الطبيعة في الشِّعْر الجاهلي**، ص 72, يحيى جبر : دو النخلة في قصة الحضارة , **http:\\blogs.najah.edu\staff\yaha_jaber\articale\42**

[2] يريد بساتين النَّخيل في يثرب، والعَرَب تسمي النَّخيل جنَّة.

[3] بشر بن أبي خازم: **الديوان**، ص 39.

[4] بشر بن أبي خازم: **الديوان**، ص 200، وملهم قرية باليمامة موصوفة بكثرة النَّخيل.

[5] القيسي: **الطبيعة في الشِّعْر الجاهلي**، ص 71.

[6] الأعشى: **الديوان**، ص 195.

[7] ينظر: **موسوعة الحضارة العَرَبية الإسلامية**، 112/3.

ومن الإفادات التي أفادها العَرَب من النَّخْلة أنهم استَخدموا عسبها كمادة يُكتب عليها، من ذلك ما قاله لبيد بن ربيعة العامري:

(الكامل)

مُتَعَـــوِّدٌ لَحِـــنٌ[1] يُعيـــدُ بِكَفِّـــهِ قَلَمـــاً عَلـــى عُسُـــبٍ[2] ذَبُلْـــنَ وَبـــانِ[3]

ولم تَقتَصر فائدة النَّخْلة على الإنسان فقط؛ بل امتدّ نَفْعها للحَيوان أيضاً، إذ إن بَعض الحيوانات تَنتفع بنوى التُمور، وقد كان الناس يُطعمونه الجِمال _ولا ضَرورة للتَنويه بأهمية الجِمال في حَياة العَرَب في الجزيرة العَرَبية_ فتَقوى على حَملِ الأَثقال إلى بَلد لم يَكونوا بالِغيه إلا بشق الأَنفُس، ويُطعِمونه الصَفايا من الغَنَم، فيَكْثر لَبَنها ويَغْزُر [4].

اهتم العَرَب بالنَّخْلة أيَّمَا اهتِمام، واستَعاروا حَشف التَّمْر للأخلافِ التي جَفَ لَبَنها فتشجنت، كما شَبهوا شَعْر الحَبيبة الكَثيف المُلتَف، بقنو النَّخْلة المتعثكلة [5]، ويرى البعض أن ما فعله الشِّعْراء كثيراً من قَرن المَرأة بالنَّخْلة في غير مَوضِع من أشعارهم، قد يكون فيه إشارات ميثودينية، خاصة إذا علِمنا أن النَّخْلة في المُعتَقد القديم ذات قيمة مُقدَّسَة، وهي قرينة الخُصوبة والأُنوثة في آن، كما أنها حظيت بحضور في الكتب المقدَّسة لعَلاقتها بالسَيدة العَذراء التي خولها الله بأن تَهزَ إليها جِذْع النَّخْلة لتَقتات [6]. ومنه ما قاله امرؤ القيس:

(الطويل)

وَفَرعٍ[7] يَـزينُ المَـتنَ أَسـوَدَ فـاحِمٍ أَثيـثٍ[8] كَقِنـوِ النَّخْلـةِ المُتَعَثكِـلِ[1]

---

[1] لحن: فهم، يقال ألحنته إلحاناً، أي أفهمته ففهم.

[2] عسب: عسيب النخل.

[3] لبيد بن ربيعة: **الديوان**، ص 267.

[4] السجستاني: **النَّخْلة**، ص 8.

[5] والعُثْكُول والعِثْكال الشِّمْراخ وهو ما عليه البُسْرُ من عِيدانِ الكِباسة وهو في النخل بمنزلة العُنْقود مـن الكَـرْم، للمزيـد أنظر: **اللسان**، مادة (عثكل).

[6] هوارية لولاسي : المعتقد الديني في الشعر الجاهلي , . http://annales.univ_mosta.dz

[7] الفرع: الشِّعْر التام.

[8] الأثيث: الكثير.

حَرص العرب على ذِكر النخلة في أشعَارهم، لا سِيما المُعَلقات والمُذهبات التي كُتِبَت بِماء الذَهَب، وعُلِّقَت على أستارِ الكَعبة، ولم يَترك الشِّعْراء جُزءاً من النَّخْلة إلا ذَكَروه، فَدلّلوا بِسَعَف النَّخْل عَلامة لبدايةِ انطلاق غَزو قَبائِلهم من مَكان إلى آخر، وها هوالحارث بن حلزة، بعد أن يَفْتَخر بها ويُشَبِّهه بالطود العَظيم الذي لا تُزَعْزِعَه الأحداث، جاعلاً النَّخِيل عَلامة بِدء وانطلاق غزو قبيلته [2] قائلاً:

(الخفيف)

هَــل عَلِمــتُم أَيّــامَ يُنتَهَــبُ النــا سُ غِــواراً لِكُــلِّ حَــيٍّ عُــواءُ

إِذ رَفَعنا الجِمــالَ مِــن سَــعَفِ الــبَح رَينِ سَــيراً حَتّــى نَهاهــا الحِســاءُ[3]

حتى عندما أرادوا وَصفَ خُيولهم التي لا تَستَطيع أيدي الخُصوم إطالتها، شَبّهوها بالطِوال من النَّخِيل، من ذلك ما قاله عَبِيد بن الأَبْرَص:

(الكامل)

وَالخَيــلُ عاكِفَــةٌ عَلَيــهِ كَأَنَّهــا سُحُقُ النَّخِيــل نَــأَت عَــنِ الجُــرّامِ[4]

نلاحظ أن النَّخِيل قد تَداخل في تَفاصيل حَياة العَرَب في الجاهِلِيَّة كافة، حتى إنهم عِندما أرادوا وَصف قَتلاهُم في المَعارك، شَبَّهوهم بِجُذوع النَّخِيل، من ذلك ما قاله أوس بن حجر:

(المتقارب)

وَقَتلــى كَمِثــلِ جُــذوعِ النَّخِيــل تَغَشّــاهُمُ مُســبِلٌ[5] **مُنهَمِــر**[6]

ومن ذلك ما قاله عنترة بن شداد:

---

[1] امرؤ القيس: **الديوان**، ص 43. والشاعر هنا يتحدث عن شعر محبوبته الطويل، الذي يزين ظهرها إذا أرسلته عليه، مشبها ذؤابتيها بقنو نخلة أخرجت قنوانها.

[2] ينظر: فرج الله، يوسف جبريل: **النَّخِيل في الجاهِلِيَّة وصدر الإسلام وفي الأدب والتاريخ في شبه الجزيرة العَرَبية**، ط 1، القاهرة، دار الأنصار، 1978، ص 13_14.(فرج الله، النَّخيل في الجاهِلِيَّة فيما بعد).

[3] الحارث بن حلزة: **الديوان**، ص 27_28. يقول سرنا بجِمالنا سَيراً شديداً، حتى وصلنا إلى الحِساء مُغيرين على القَبائل.

[4] عَبِيد بن الأَبْرَص: **الديوان**، ص 113.

[5] مسبل: المطر.

[6] أوس بن حجر: **الديوان**، ص 30.

(الرجز)

وَطَـــرَحتُهُم فَـــوقَ الصَـــعيدِ[1] كَـــأَنَّهُم أَعجـــازُ نَخْـــلٍ فـــي حَضـــيضِ[2] المَحجَـــرِ[3]

وكذلك الأمر في اللغات الأوروبية، فلا تزال تُستعمل كلمة النَّخْلة في اللغات الأوروبية، ولا سيما الانجليزية palm لتَعني بالإضافة إلى النَّخْلة النَصر وشارة المُنْتَصر [4].

وقد بَلَغَ تَعَلُّق العَرَب بالشَجَر واعتِزازهم به حَد التَقْديس، ومِما يُذكَرُ في هذا أن (ذات أنواط) –وهي شَجَرة عَظيمة خَضْراء–، قد كانت قُرَيْش ومن سِواهم من المُشركين يَأتونها كل سَنة، فيُعَلِقون عليها أسلِحَتهم، ويَذبَحون عِندها ويَقومون يَوماً [5]. وكذلك نَخلة نَجران، التي كان أهل البَلَد يَتَعَبَّدون لها، ويُعَلِقون عليها كل ثَوْب حَسَن، بالإضافة إلى حِلي نِسائهم، ويَعْكِفون عَليها[6]

ويشير جواد علي إلى أنه من الطبيعي أن ينال الشَجر والنبات نصيباً كبيراً من اهتِمام العَرَب؛ وذلك لاتصالها المُباشر بِحياتهم. ويرى أن تَقدير بَعض الأقوام للأشجار، واتخاذ مَواضعها حَرماً آمناً مُقَدساً يَتَبَرّكون بها، ويَتَقَرَبون إليها، إنما يَدُلُ على تَصَورِهم بوجود قُوى روحية كامِنة فيها، مُعتَقِدين أن لِهذه القُوى أثراً خَطيراً في حَياتهم، ورُبما جاء هذا التَصَوّر نَتيجة لِضَخَامَة هذه الأشجار وقُوَّتها، أو ثَمرها الكَثير، أو نَفْعها من حَيث استِعمالها، ومن هنا جاء تَقْديسهم لها وعِنايَتهم بها [7]. وليس ذلك بغَريب إذا عَرفنا أن الحَياة الدينية في جَزيرة العَرَب العَرَب قد مرَّت بمراحل عدة، " وكانت المَرْحلة الأولى، مَرْحلة التقْديس، تقديس الأشجار والكُهوف والماء وكل ما يُفيد البَدوي، فلا غَرو أن تكون النَّخْلة مُقدسة لأنها موجودة في الأماكن التي يَقلُّ فيها النبات، كما أنها تُمَثِّل المَورد الأساسي في حَياة العَرَبي ". [8]

---

[1] الصعيد: المرتفع من الأرض، أو المكان الواسع العريض.

[2] الحضيض: المكان المنخفض.

[3] التبريزي: **شرح ديوان عنترة**، ص 82.

[4] النَّخْلة شجرة العراق المباركة: **مجلة التراث الشعبي**، عدد 1، سنة ثانية، أيلول، 1970، ص 15.

[5] ابن منظور: **اللسان**، مادة (نوط).

[6] ابن كثير: **البداية والنهاية**، 168/2.والحموي: **معجم البلدان**، 753/4.

[7] علي: **المفصل**، 168/5.

[8] هوارية لولاسي : المعتقد الديني في الشعر الجاهلي , . http://annales.univ_mosta.dz

ذكر النَّخِيل في القرآن الكريم عشرين مرة، منها خَمسة عَشر مَوضعاً من السور المكية[1]، ولعل في هذا التّكرار ما يُوحي بأهَمِية النَّخِيل في حَياة العَرَبي، الذي وَجَدَ في النَّخْلة غِذاءه وظِله ورَخاءه، وشكَّلَت دِعامَة ورَكيزة في حَياتهم الاقتِصادية، لذلك فقد أحاطوا القُرى وأهم المَواقِع بجَنَّات النَّخِيل .

ويذكر بعض الباحثين أن الشَجرة _بشكل عام_ مثَّلت القُدرة الكَونية، وأنه لم يَتِمَّ عِبادتها وتَقديسها في الأديان القَديمة، إلا لأنَّها تَحْمِل بُعداً روحيَّاً، وتَمتَلك قوىً مُقدَّسة لأَنها عَموديَّة، أي تَنمو، وتَفْقِد أوراقها ثم تَسْتَعيدها، أي أنَّها تَلْعَب لُعبَة القِيامة، فتَموت ثم تَعودُ إلى الحَياة، وتقول بعض الدّيانات إنَّ الشّجَرة هي الكَون [2].

ومن الأغراض التي ذُكِرَ النَّخِيل في سياقها: تَعْداد النِعَم التي أنعَم بها الله على عِباده، وتَذكيرهم بها، بل دعوتهم إلى التَدَبُّر والتَفَكر في مُبدِع تلك النِعم وخالِقها، وذلك في مَعْرِض إقناع الناس بوحدانية الله _عزَّ وجلّ_، ألا يَسْتَحِقُ العِبادة؟! من تلك الآيات قوله تعالى: **" وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأ عْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِى ذالِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ "** (النحل|67)

وقوله تعالى: **" وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ "** (ق|10)

وقوله تعالى: **" وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا "** (عبس|29)

وكذا قوله _عزَّ وجلّ_: **" يُنبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ "** (النحل|11)**.**

وعندما أرادَ _عزَّ وجلّ_ أن يُبَصِّر قَلبَ الإنسان لقُدْرَةِ الله على إعادَة إحياء الأجسام يَوم القيامة، ذَكَرَ النَّخِيل، وكَيْفِية خَلقه، وإخراجِه من الأرض، ولا سيما أنه من أكثَر الأَمثِلة المُلاصِقة للبَدَوي في صَحْرائه القاحِلة، ماثِلة أمامَه طِوالَ الوَقت، لتُذَكِره دَوْماً بِقُدْرة الله جَلَّت قُدرَته، قال تعالى: **"فأنبتنا فيها حبا.وعنبا وقضبا.وزيتونا ونَخلا "** (عبس|27_29)

---

[1] عبد الباقي، محمد فؤاد: **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، ص 690.

[2] صدقة: **رموز وطقوس**، ص 86.

كما كان من تلك الأغراض، الحَديث عن العَذابِ الذي سَيَلحَقُ بمن عَتا، وخَرَجَ عن طَريقِ الحَق، كقَوم عاد وثمود الذين قال عَنْهم _عزَّ وجلّ_: **"سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ "** (الحاقة|7) أي كأنهم أصول نخل خالية الأجواف لا شَيء فيها [1]. وقال الله تعالى في مَوضِعٍ آخر **" تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ "** (القَمَر|20)

والملاحظ عند قراءة الآيات التي ذكر النَّخِيل فيها، اقترانه بِكلمة الجِنّة في غير مَوضِع، خاصة أن العَرَب كانت تَعْرف الجنّة بأنها البُستان الحافِل بأنواع الفَواكِه المُتَنَوعَة، فنجد قوله تعالى: **" فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ "** (المؤمنون|19)

ومنها قوله تعالى: **" أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا"** (الإسراء|91)

وحتى في ذِكر القرآن الكريم للجَنَّة، حَرِص على ذِكر النَّخِيل. وهذه لَفْتة انتِباه إلى أهَمية النَّخِيل والتَمْثيل في أهم ما يَحتاجُ إليه الإنسان في الدارِ الباقية [2]، قال تعالى: **" وَاضْرِبْ لهُمْ مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا "** (الكهف|32)، من هنا يتَبين لنا أهمية النخيل في حياة عَرَب في العصرالجاهِلِي، فقد أوجَدَها الله في الحَياة الدنيا، وكذلك في الآخرة فاكِهة اختارها –سبحانه وتعالى– لِعِباده الصالِحين فَقط.

حتى عندما أراد _سبحانه وتعالى_ أن يَضرِب المَثَل عن المُؤمِن، استَخدَم شَجَرة النَّخِيل.

قال تعالى: **" أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى السَّمَآءِ تُؤْتِىأُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ "** (ابراهيم|24_25)

---

[1] الرازي: **التفسير الكبير**، 93/30.

[2] فرج الله: **النَّخِيل**، ص 35.

قال ابن عباس: الكلمة الطَيبة لا إله إلا الله والشَجرة الطَيبة المُؤمن[1]. أما الزمَخشري فيرى أن الكلمة الطَيبة كَلمة التَوحيد، وقيل كل كلمة حَسَنة، كالتَسبيحة، والتَحْميدة، والاستِغفار، والتَوبة والدَعوة [2].

وقد جاء في روح المعاني "حدثنا سوار بن عبد الله قال: حدثنا أبي قال: حدثنا حماد بن سلمة عن شعيب بن الحبحاب عن أنس: أن رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ أتي بقِناع فيه بسر فقال: (مثلُ كَلمة طيروح به كشجرة طَيبة) قال: هي النَّخْلة قال شعيب: فأخبَرت بذلك أبا العالية فقال: كذلك كانوا يقولون" [3] "والمُراد بالشَجَرة المُشبّه بِها النَّخْلة عند الأكثَرين " [4].

كذلك فقد ورد ذكر النَّخِيل في سِياقات قرآنية أخرى، فكانت النَّخْلة هي الأداة التي يُثَبَّت عليها المَصْلوب، هذا ما جاء عن أخبار فرعون حين أنذَر السَحَرَة لما آمنوا بموسى _عليه السلام_، وفي ذلك إشارة إلى المَتانَة والقُوة التي تَمتاز بها جُذوع النَّخِيل.يقول ابن دريد: سألت أعرابياً عن النَّخْلة، فقال: النَّخل سَعفها صِلاء، وليفها رِشاء، ورُطَبها غِذاء [5]. قال تعالى: **" قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِى عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلاَفٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَى "** (طه|71)

وعلى الصعيد العِلمي، تحدث النابلسي عن مدى مُشابَهة النَّخْلة للإنسان، إذ إن جذِعها مُنْتَصِب كالإنسان، ومنها الذَكر والأُنثى، ولا تُثْمِر إلا إذا لُقِّحَت، وإذا قُطِعَ رأسها مَاتَت، وإذا تَعَرَّض قَلبها لصَدْمَة هَلَكَت، وإذا قُطِع سَعَفها لا تَستَطيع تَعويضه، كالإنسان تَماماً، وهي مُغَطاة بالليف الشَبيه بالشَّعْر في الإنسان [6].

---

[1] الفيروزي: **تنوير المقباس**، 213/1.

[2] الزمخشري: **تفسير الكشاف**، 519/2.

[3] الطبري: **تفسير الطبري**، 205/13.

[4] الألوسي: **روح المعاني**، 213/13.

[5] السجستاني: **النَّخْلة**، ص 9.

[6] النابلسي، محمد راتب: **موسوعة الإعجاز العلمي** في القرآن والسنة (آيات الله في الآفاق)، ط 4، سوريا، دمشق، دار المكتبي للنشر والتوزيع، 2010، ص 251.(النابلسي، موسوعة الإعجاز فيمل بعد).

ولم يَنْس العَرَب النَّخِيل في حِوارهم وجدالهم مع النبيّ –عليه الصلاة والسلام–، قال تعالى: **"وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا "** (الإسراء|90_91)

أما عن المُعجِزة التي حَدثَت مع السَيّدَة البَتول، فقد كان للنَّخْلة حُضور، حيث جُعِلَت الظِل الذي استَظَلَت تَحْته أم عيسى _عليه السلام_، وكان هذا الجِذْع المَيت الجاف (وهذا ما رجحه ابن عباس)، هو الشاهد على مَخاضِ السَيدة العَذراء، وقد تَلاقَت مُعجِزة الميلاد لدى السيدة العَذراء، مع مُعْجِزة النَّخْلة، التي انتَقَلت بِمَشيئَة الله وقُدرَته من جِذع جاف، إلى مَرْحَلة الطَلع إلى الخلال (أي البَلَح الصَغير الأَخْضَر) إلى مَرحلة البسر (أي مرحلة الأحمَر أو الأصفر) إلى مَرحلَة الرُطَب الجِنّى في لَحظات، مع العِلم بأن هذه المَراحل جَميعاً تَسْتَغْرق ستة أشهر، ومن المعروف أن النَّخْلة لا تُثْمر إلا بَعد لِقاح الذَكر، والأزهار المُذَكَّرة في النَّخيل تَحْملها نَخلة، والأزهار المُؤَنثة تَحْملها نَخلة أخرى، ولا بد من نَقلِ حُبوب اللقاح من النَّخْلة الذَكر إلى النَّخْلة الأُنثى، سواء أكان ذلك بِفِعلِ الريح أم بوسِاطة الحَشَرات أو الإنسان، لكن النَّخْلة ذات المُعْجِزة لُقِّحَت أزهارها، وتَكَوَّنَت ثِمارها دونِ وجود الذَكَر، وهكذا فقد التَقَت مُعجِزة السَيدة العَذْراء مع مَثيلَتها من النَّخِيل [1].

قال تعالى: **" فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً فَأَجَآءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلة قَالَتْ يالَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَاذَا وَكُنتُ نَسْياً مَّنسِيّاً "** (مريم|23)

وقال تعالى: **" وَهُزِّى إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلة تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيًّا فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً "** (مريم|25)

وقد جاءَ في سُنة النبيّ _عليه الصلاة والسلام _ ما يُدَعِّم مكانة النخيل إذ قال: " إن قامَت الساعَة وبيدِ أَحَدِكم فَسيلة فان استَطاع أن لا يَقوم حتى يَغْرسَها فليَفْعَل" [2].

---

[1] فرج الله، يوسف جبريل: **النَّخيل في الجاهِلِيَّة وصدر الإسلام وفي الأدب والتاريخ في شبه الجزيرة العَرَبية**، ص 26_28.

[2] الشيباني: **مسند أحمد بن حنبل**، دار قرطبة، مصر، 191/1.

من ناحية أخرى فقد رَبط العُلماء بين قوله تعالى: **" فَكُلِى وَاشْرَبِى وَقَرِّى عَيْناً "** (مريم|26) والحالة النَفْسِية للمَرأة قبيل الوِلادة، حيث استَنبَط العُلَماء من الآية الكَريمة، أن الحَالة النَفْسية للمَرأة قبيل الولادة لها عَلاقة وَثيْجَة بتَيسير الولادة، فإذا كانَت المَرأة مُطْمَئِنة البال قَريرَة العَيْن، فإن حالَتها النَفْسية المُريحَة وطُمَأنينَتها، وقُرّة عَينها تَكون عامِلاً أسَاسِياً في سُهولَة وِلادَتها. ومن أغرب الكُشوف العِلمِية، أن في الرُطَب مادَة تُعين على انقِباضِ الرَحْم، ويَزيدُ حَجْمه في أثناء الحَمْل من اثنين ونصف سنتيمتر مُكَعب، إلى سَبع وخمسين سنتيمتراً مُكَعباً، ولذلك فقَد وَرَدَت كلمة الرُطَب في آيةِ المَخَاض، **" وَهُزِّى إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلة تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً "** (مريم|25) [1]. سُبحانه وتَعالى ما أعْظَمَه !.

أما عن قداسة النَّخْلة لَدى الشُعوب السامية، فيقول خزعل الماجدي: لقد كانَت النَّخْلة شَجَرة مُقَدسَة عند عُمومِ شُعوب الشرْق الأدنى الساميَّة، وكانت تُعْتَبَرُ شَجَرة الحَياة عند السومَريين، وكان ثَمَرها يَحْظى باحتِرام وتَقديس خاصَّين، ومن السومريين انتَقَل هذا التَقْديس إلى الشُعوب الساميَّة، حَيث تُفصِح لَوحَة طينية عن ظُهور رجلٍ وامرَأة (ربما كان آدم وحواء) وبَينَهما نَخلَة مُحَمِلَّة بالتَّمْر، وتَظْهَر الأَفعى خَلْف المَرأة، وقد عدَّ الباحِثون هذه اللوحَة أصل فِكْرة الخَطيئَة التَوراتِية في الجِنّة، واعتَبَروا النَّخْلة شَجَرة الحَياة، أو شَجَرة المَعْرِفَة [2].

ويرى الجوهري أن السَبب في تَقديس القُدماء للنَخلة، باعتقادهم أن أرواح الأموات تَحُل فيها، لذا كانوا يَتَقَربون لها بالهَدايا والقَرابين مَخافة الأذى، عدا أن النَّخْلة مَثَّلت لدَيهم شَجَرة الإنجاب، ورَمزاً للخُصوبَة عند السومريين والمصريين وغيرهم. فهي شجرة عشتاروت المقدَّسة، ويبدو أنه السبب نفسه الذي كانت من أجله تَضَعُ النِساء الجاهليات حِليهن وأثوابهن على جُذوع نَخلة نَجْران، ابتِغاء للذُريةِ من الآلهة عِشتار، التي لَبِسَتْ القَلائِد والقُروط، ومن هُنا كانت مادة (عشر) تَفيدُ الحَمل، والخُصوبة والتَكاثُر [3]. ويذكر صدقة ما يُشبه ذلك في إفريقيا، إذ تَحْظى الشَجَرة بقُدسِيّة خاصة من قِبل النِساء، إذ إنها تَرمز – في اعتقادهن– إلى الأُمومة الإلهية[4].

---

[1] النابلسي: **موسوعة الإعجاز العلمي**، ص 257_258.

[2] الماجدي: **المعتقدات الكنعانية**، ص 205.

[3] ابن منظور: **اللسان**، مادة (عشر). والباشا: **المعتقدات الشعبية في التراث العَرَبي**، ص 335.

[4] صدقة: **رموز وطقوس**، ص 87.

وعن أهمية النَّخْلة في حياة العراقيين القدماء، وعن الفوائد العميقة والخيرات الكثيرة التي كان العراقيون القدماء يجنونها من النَّخْلة، يقول الكاتب اليوناني (سترابو) أو (سترابون): تزود النَّخْلة البابليين بجميع احتياجاتهم ما عدا الحبوب، وقد اتخذت أغصانها رمزاً للقُدسية ترفع في مُناسبات الترحيب والاستِقبال والتَهليل، وفي أقواس النَصر منذ العصور القَديمة، ونذكر هنا الحادثة التاريخية الدينية حيث استُقبل السَيد المسيح برفع سعف النَّخل، وما زال المسيحيون يحتفلون بهذه الذكرى تحت اسم (أحد السعف)، (أو عيد الشعانين) [1].

إذن احتَلَت النَّخْلة حَيِّزاً كَبيراً من القُرآن الكَريم، وليس ذلك بمُستَغْرب، فهو يُخاطِبُ قوماً اتَصلَت النَّخْلة بحَياتِهم أيمَّا اتِصال، إذ كان العَرَبي يَقطعُ الفَيافي بَحْثاً عن الكَلأ والماء، ويقيمُ أينما تَوافَرت مُقومات حَياتِه، يَبني من أخشابِها بَيته، ويَصنَع أدوات حَربه، وقد وَظَّف القرآن الكريم شَجَرة النَّخِيل بما يَتوافقُ مع الحَياة الجاهِلِيَّة، والأنماط الثقافِية السائِدة آنذاك المُتَعلِقة بتِلك الشَجَرة، ومع ما ألفه العَرَب في جزيرتهم؛ فَقَرَنَها بكَلِمَة الجنّة في غَيرِ مَوضعِ وهذا ما كان عند العَرَب في الجاهِلِيَّة، حَيث ارتَبَطَت النَّخْلة بكلمة جَنّة، فقالوا جَنّة يَثرِب، وجَنّة مَلهَم، كما مَثَّلَ القرآن الكَريم للخارجين عن أمرِ الله بِجُذوعِ النَخْل الخاوية، وأعجاز النَخْل المُنقَعِر، كذلك عندما أرادَ العَرَب تَمْثيل قَتلاهُم عَقِب المَعْرَكة شَبَهوهُم بجُذوع النَخْل، ومِثلَما افتَخَرَ العَرَب بطول خُيولهم، الذي يُساعدها على أن لا تَطالها أيدي الأعداء، مُشَبهين إياها بأشجار النَّخِيل، كذلك دعانا _سبحانه وتعالى_ في القرآن الكريم إلى النَظَر والتَفَكُرِّ في الباسِقات[2] من النَّخِيل؛ غير أن في القرآن الكريم جديداً يَتَمثل في تَوظيف النَّخِيل في سِياق العَرض لعَظَمَة الخالق، وقُدرته، إضافة إلى بَعض الصُور الجديدة.

الأَلْوان

اللّوْن الأَخْضَر

ترتبط الأَلْوان بالثَقافَة السائِدة في المُجتَمع؛ إذ تَختلف دلالة اللّوْن من ثقافةٍ إلى أُخرى، لأن نِظام اللّوْن لا يَعتَمد على خَصائِصه الفيزيائية فَقَط، بل يَعتَمِد على الحاجات الثَقافية للجَماعة

[1] النَّخْلة شجرة العراق المباركة: **مجلة التراث الشعبي**، عدد 1، سنة ثانية، أيلول 1970، ص 9.

[2] بسَقَ الشيء يَبْسُق بُسوقاً تمّ طوله، والباسقات هنّ طِوال النخل، للمزيد ينظر: ابن منظور: **اللسان**، مادة (بسق).

اللغَوية[1]. فلا يُمكن مثلاً أن نَعتبر اللّوْن الأَبيض، يَحْمل ذات الدلالة عند كل من سكان الأَسكيمو الذين تُحيط بهم الثُلوج من كل الجِهات، وبين شَعب شِبه الجزيرة العَرَبية الذين لا يَرون الثلوج على أرضهم بتاتاً.

وقد أجمع الخبراء على أن الأَلْوان تَحمل دلالات نَفسية، واجتِماعية، ودينية وسِياسِية، وجمالية، وهذه الدَلالات تَخْتلف تِبعاً لاختِلاف الأُمَم والشُعوب [2].

ولا شك أن للألوان تأثيرها السيكلوجي على النفس البشرية، حيث يشْعُر الإنسان بالراحة والطُمأنينة، أو الحُزن والاضطِراب والكآبة عند مشاهدته للألوان المختلفة، كما أن للألوان تأثيرها على الجانب الفسيولوجي، ووظائف الأعضاء عِند الإنسان، فقد أثبَتت بعض الشواهد أن الإشعاعات اللّوْنية التي تَدخل إلى مركز العَصب البصري في مُخ الإنسان تُؤثِّر بصورة مُباشرة على الغدة النُخَاميَّة التي تَتَحَكَّم في إفرازات الغُدَد الصَمَّاء، ومنها هرمونات الحالة العاطِفية والنفسية والمزاجية للإنسان [3]. ومن الخَصائص النَفْسية والسيكلوجية التي يَحْمِلها اللّوْن الأَخْضَر، أنه لَون مُريح للمُشاهد، وهو سَهل الرُؤية [4].

جاء في اللسان مادة (خضر) الخُضْرَةُ من الأَلْوان، واللّوْن الأَخْضَر، يكون ذلك في الحَيوان والنَبات وغَيرهما مما يقبله، وحكاه ابن الأعرابي في الماء أَيضاً [5]. وخَضِرَ الزرعُ خَضَراً نَعِمَ، وأَخْضَرَهُ الرِّيُّ، وأَرضٌ مَخْضَرَةٌ على مثال مَبْقَلَة ذات خُضْرَةٍ [6]. وفي ذلك دَلالَة على الخِصْب والخَير الكَثير. فعِندَما يُقال هم خُضْرُ المَناكِب، أي في خصب عَظيم [7]. كما أنه

---

[1] انظر: ف.ر. بالمر: **علم الدلالة، إطار جديد**، ترجمة صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995، ص 115_117.(ف. ر بالمر، علم الدلالة فيما بعد). و أبو زلال، عصام الدين عبد السلام: **ألفاظ الأَلْوان في القرآن الكريم (دراسة في البنية والدلالة)**، 2006، ص 19.

[2] دراغمة، مريم هاشم: **رسالة ألفاظ الأَلْوان في اللغة (دراسة دلالية في علم اللغة الاجتماعي والنفسي)**، إشراف يحيى جبر، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 1999.، ص 130. (دراغمة، ألفاظ الأَلْوان في اللغة فيما بعد).

[3] يونس، عيد سعد: **التصوير الجمالي في القرآن الكريم**، ط 1، عالم الكتب، القاهرة، 2006، ص 98. (يونس، التصوير الجمالي في القرآن فيما بعد).

[4] الكيلاني، سمر فهد علي: **رسالة ماجستير (مخطوطة) تأثير اللّوْن في إدراك البيئة المبنية**، الجامعة الأردنية، 1997، ص 36. (الكيلاني، تأثير اللّوْن في إدراك البيئة فيما بعد).

[5] ابن منظور: **اللسان**، مادة (خضر).

[6] المرجع نفسه , مادة (خضر) .

[7] مصطفى، إبراهيم، وآخرون: **المعجم الوسيط**، تحقيق مجمع اللغة العَرَبية، دار الدعوة، 240/1. (مصطفى، المعجم الوسيط فيما بعد).

لَوْن النَعْيم والسَعادة في الدار الآخرة، كما في قوله تعالى: **" عَلِيَهُمْ ثِيَابُ سُنُدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ "** (الإنسان|21) وكما في قوله تعالى: **" مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ"** (الرحمن|76)

وكما في قوله تعالى: **" أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الاَّ رَآئِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً"** (الكهف|31)

ومن الأمثِلة التي تُدَعِّم ارتِباط اللّوْن الأَخْضَر بالنِعَم والخَيْر ما جاء في حَديث القَبر مما قاله نَبي الله _صلى الله عليه وسلم_ قال: "إن العَبد إذا وُضِع في قَبره، وتَولّى عنه أصحابه، إنه ليَسمَع قَرعَ نِعالهم، قال: يأتيه مَلَكان فيُقعِدانِه، فيَقولان له ما كُنت تقولُ في هذا الرَجل؟ قال: فأما المُؤْمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، قال: فيُقال له انظُر إلى مَقعَدك من النار، قد أبدَلك الله به مَقعداً من الجنّة، قال نبي الله _صَلّى الله عليه وسلّم_ فيَراهُما جَميعاً، قال قتادة: وَذُكِرَ لنا أَنَّهُ يُفْسَحُ له في قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا وَيُمْلَأُ عليه خَضِرًا إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ "[1]. ومَعناه يُملأ نِعَماً غضّة ناعِمَة، وأصله من خُضْرَة الشَجَرَة.

كما اقترن اللّوْن الأَخْضَر بالخَيْر، حتى إننا عندما نَسْمَع أحدُهم يقول فُلان أخْضَر، فَهِمْنا أنه يُكَنّي عن كَثْرَة خَيْره [2]. وقد تَرجم العَرَب دَلالة اللّوْن الأَخْضَر وارتباطه بالخِصْب والخَيْر في أمثالِهم؛ فكانوا إذا أرادوا الدُعَاء على أحَد قالوا: أبادَ الله خَضْراءهم، أي خَيْرهم وخصْبهم، وقال بَعضُهم أي بَهجَتهم وحُسْنهم [3]. وقال بعض السَلَف الأيادي ثلاثة: يد بَيضاء وهي الابتداء، ويد خضراء وهي المكافأة، ويد سَوداء، وهي المن [4].

واخْتَضَرْتُ الكَلأَ إذا جَزَزْتَهُ وهو أَخْضَرُ، ومنه قيل للرَجل إذا ماتَ شابّاً غَضّاً قد اخْتُضِرَ، لأَنه يُؤخَذ في وَقتِ الحُسْنِ والإشراق[5]. وهُنا يَكونُ ارتِباط اللّوْن الأَخْضَر بالشَباب باعتِباره فَتْرَة مُزْهِرة مِن عُمْرِ الإنسان.

---

[1] مسلم: **صحيح مسلم**، 2200/4، حديث 2870.

[2] ينظر: مختار، أحمد: **اللغة واللّوْن**، ص 80.

[3] الميداني: **مجمع الأمثال**، 104/1.

[4] المرجع نفسه، 457/2.

[5] ابن منظور: **اللسان**، مادة (خضر).

وماء أَخْضَرُ، يَضْرِبُ إلى الخُضْرَةِ من صَفَائِه، وخُضارَةُ البَحْر سُمِّي بذلك لخُضْرَةِ مائِه[1]. ويُضافُ إلى الأَخْضَر هنا دَلالَة جَديدة، وهي دَلالة الصَفَاء والخُلُوّ من الكُدْرة.

قال الناظم:

أخضر مدهام كذاك ناضر وحانىء

لقد اشتمَل هذا البيت على ثلاث كَلمات يؤَكَّد بها اللّوْن الأَخْضَر، وهي مدهام، وناضر، وحانىء، يقال إدهام الزَرع، أي عَلاه السَواد، وحَديقة دهماء مدهامة أي خَضراء تَضْرِب إلى السواد من نِعمتها، وريها، وجاء في حديث قُسّ بن ساعِدةَ : ورَوضة مُدهامة،أي شَديدة الخُضرة المُتنامية فيها، كأنها سَوداء لشِدة خُضرتها، ومما يؤَكَّد به لون الخُضْرة ناضر، والناضِر الأَخْضَر الشَديد الخُضْرة، ومن مُؤكِدّات الأَخْضَر الحانِئ، يقال: حَنأت الأرض تَحْنأ: اخضَرَّت، والتَّفَّ نَبْتها، وأخضَر ناضِر وباقل، وحانئ شديد الخضرة . [2]

على المستوى المُعجمي نُلاحظ أن مَجيء الضاد بعد الخاء، وما يَليهما غالباً ما يَرتَبط باليَناعَة والماويّة، والماويّة: هي لَون الخُضْرة، ومن هنا يُشير يحيى جبر إلى انتِقال تِلك الدَلالة إلى كل ما هو أخضَر، وأن لَون الخُضْرة في النَبات نُقل إلى كل أخضَر. إذ جاء أن الخَضْمُ: الأَكل عامةً، وقيل: هو مَلءُ الفَم بالمَأكول، وقيل: الخَضْمُ أَكلُ الشَيء، والرَّطْب خاصة كالقِثّاء ونَحْوه، وكلُّ أَكل في سَعَة ورَغَد خَضْمٌ، وفي حديث عليّ _عليه السلام_ فقام إليه بنو أُميَّة يَخْضمونَ مال الله، وخَضْمَ الإبل نَبْتَةَ الربيع، وكذلك الخَضْيمة: النَبت إذا كان رَطْباً أَخضر قال: وأَحسَبه سُمِّيَ خَضِيمةً؛ لأَن الراعية تَخْضِمُهُ كيف شاءت، والخَضِيمةُ من الأَرض مثل الخُضُلَّة، وهي الناعِمة المِنباتُ، ورجلُ مُخْضَمٌ مُوَسَّعٌ عليه من الدُنيا، والخِضَمُّ البَحر لكَثْرة مائه وخَيره، وبَحر خِضَمٌّ قال الشاعر: رَوافِدُهُ أَكْرَمُ الرَّافِدات [3]. وخضبت العضاة: اخضَرّت وتَفَطَرَّت، وخضبت الأرض وأخضبت وتخَضبَت: ظَهر نَبْتها، وتقول: رأيت الأرض مُخْضِبة وتوشك أن

---

[1] المرجع السابق.

[2] الألوسي، محمود شكري: **رسالة في الأَلْوان:** مجلة مجمع اللغة العَرَبية، دمشق، 1/ كانون الثاني، 1921، مـج 1، ص 111. (الألوسي، رسالة في الأَلْوان).

[3] ابن منظور: **اللسان**، مادة (خضم).

تَكون مُخْصبه [1]. وخضل: خضل الشيء ندي حتى ترشرش نَداه، فهو خَضْل، وبأرضهم خَضيلة، وهي الرَوضة الغَمقة، ونبات خَضْل ناعِم، ويومنا يوم خَضلة وهي النعيم [2]. وكذلك نُلاحظ أن اقتران الخاء بالضاء وما يَليهما، حَمَل مَعنى السعَة والتَوسُّع والخَير الكَثير، كرَجل مخضم: وهو المُوَسَّع عليه في الدنيا، وبحر خضم، كِناية عن كَرم رَوافِده، وأرض خضلة، لكَثرة الخِصْب والنَعيم فيها، وأرض خضبة مُخصبة يانعة الزروع.

لم يقَتَصر ارتباط اللّوْن الأَخْضَر بالبَعَث والتَجدد، على الفِكر والمَوروث الجاهِلي، بل امتَدّ ذلك ليَشْمل الفِكر الإنسانِي بأكمَله. وتَمْتد رَمزية اللّوْن الأَخْضَر لتَمْثُل أمامَنا في أساطير الشعوب، حتى إن اللّوْن الأَخْضَر قد تميز عن باقي الأَلْوان في الأساطير، ذلك أن " قَرينة الشَجرة، رَمز الحَياة والتَجدّد، نَخْلَة كانت أم سِدرة أم سمرة (وكانت النَّخْلَة شَجرة الساميين المقدَّسة، وكانت (ذات أنواط) شَجرة العَرَب المقدَّسة، و(العبلاء) شجرة ذي الخَلَصَة. وتَتَصِل الخُضْرة من حيث هي رَمز بالماء، كما هُو الشأن بالنِسبة إلى لَون الخَيل التي يَزعمون أنها أُخرجت لسليمان من البَحر، وأنها عادت إليه. لذلك لم يَكن من غَريب الأمور أن يُصوروا بِداية الحيَاة في الكَون من (جَوهرة خَضراء)، إذ جاء أن الله –سبحانه وتعالى– لما أراد أن يَخلق السَموات والأرض، خَلَق جَوهرة خَضْراء أضعاف طِباق السَموات والأرض. ولا يَفوتنا التَذكير (بالخِضر) ورحلَته مع ذي القَرنين في طَلَبِ عَين الحَياة، وأنه وَصَلَ إليها بَعد رِحلَته الشاقَة، وشَرِبَ مِنها ونال الخُلود، وأصبح كل مَكان مَرّ به أخضَر" [3]

ويُضيف المقدَّسي: " قالوا وتَحت العَرْش بحر من ماء أخضَر، كمِنيّ الرجال يُحيى الله به المَوتى بَين النفختين " [4]

ومما يُعَزز تَفاؤل العَرَب باللّوْن الأَخْضَر ما ظَهَر في مُسَمياتِهم، ومِنها يُذْكَر الفُرْس الخَضْراء، وهي فَرَس ذياب بن غانم " بَطل العَرَب اليَمَنِيين الجنوبيين، وقاتِل الزَناتي خَليفة المُسَمَاة بالخَضْراء " [5]

---

[1] الزمخشري: **أساس البلاغة**، مادة (خضب).

[2] المرجع نفسه، مادة (خضل).

[3] عجينة: **موسوعة الأساطير**، 200/2.والثعالبي، أبو اسحاق أحمد بن محمد إبراهيم: **قصص الأنبياء (عرائس المجالس)**، د ط، القاهرة، نشر عبد الحميد أحمد حنفي، 1376ه. ص 5. (الثعالبي، عرائس المجالس فيما بعد).

[4] المقدَّسي: **البدء والتاريخ**، 10/2.

[5] شوقي عبد الحكيم: **موسوعة الفولكلور**، ص 256.

وارتبط اللّوْن الأَخْضَر في العَصْر الجاهلي بالوَشم والكُحْل، وقد كان الوَشمُ جزءاً لا يَتَجزأ من لَوحة الأَطلال لدى شُعرائهم، فقد حاولَ الشاعر أن يَخْلق بقُدرة الوَشْم حالة مِن الحَياةِ الدائِمة _وأرى أن ذلك أمر بَدهي، خاصة إذا عَلِمْنا أن أكثرَ ما كان يُقلقُ الإنسان الجاهلي المَوت والفَناء_ فكان الوَشم رُقية سِحرية تُقْصي المَوت، وتُساعِدُ على تَجَدُدِ الحَياة [1].

ويؤكِّد الباحِثون أن الوَشم في لوحةِ الأطلال قد ارتَبَطَ بالمرأة، لأن المَرأة هي التي تُنْجِب، ومن ثم لها الفَضْل في حِفظِ الحَياة واستِمراريتها [2].

ونُلاحظُ وهنا نلاحظ أننا رجَعنا للحَديثِ عن الحَياة والخُلود، وأهَميتها في عَقْلية الجاهلي الذي جَهُدَ في البَحْثِ عن الخُلود، مِثله مِثل سَائِر البَشَر.

ولا نَسْتَغْرِبَ م تَعَلُّق الجاهِلي باللّوْن الأَخْضَر، وتِلك المَكانَة التي حَظِي بها هذا اللّوْن لَدَيه، خاصة أنه لَون النبَات والشَجَر، وهُما من الأَشياء التي كان الجاهلي يَتوقُ ويَسْعى للحُصُولِ عَليهما إلى جانِب الماء؛ لدَفعِ شبَح المَوت عنه وعن حَيَواناته.

كما أننا حتى اليوم، وفي حياتنا اليومية ما زلنا نَستَخْدم اللّوْن الأَخْضَر في كلِ ما هو مُحَبَبٌ إلى نُفوسنا، فإذا أرَدنا وَصْفَ شَخْص مُؤدَّب غَير مُدَّع، قُلنا عنه: نَفْسُه خَضْراء، وإذا كانت السَنة مُخْصبة وذات خَيْر، قلنا سَنَة خَضْراء، وكذلك اليَدُ الكَريمة الخيِّرة هي اليَد الخَضْراء، أما القَدَم الخَضْراء، فهي تِلك التي تَجْلِبُ الخَير والسَعْد مَعها [3]. وإذا قلنا: المَوَدة بيننا خَضراء كان ذلك كناية عن الاستِمرار على حالٍ من التَواصُل، وإذا قُلنا الأَمر بَيننا أخضَر: يَعني أنه جَديد لم يُخْلَق [4]. قال ذو الرمة:

(الرجز)

أَتــــرابُ مَــــيٍّ وَالوِصـــــالُ أَخضَــــرُ   وَلَــــم يُغَيِّـــــر وَصــــلَها المُغَيِّـــــرُ

---

[1] القرعان، فايز عارف سليمان: **الوشم والوشي في الشِّعْر الجــاهلي** (رســالة ماجســتير)، جامعــة اليرمــوك، 1984، 95_118. (القرعان، الوشم والوشي فيما بعد).

[2] القرعان: **رسالة الوشم**، ص 112_115.

[3] ينظر: مختار، أحمد: **اللغة واللّوْن**، ص 81.

[4] الزمخشري: **أساس البلاغة**، مادة (خضر).

ويرتبط اللّوْن الأَخْضَر باللطف والاعتدال، فالشتاء الأَخْضَر هو الشتاء المعتدل، ويشير كذلك إلى الحركات السياسية المناصرة للبيئة (السلام الأَخْضَر)، أو الأفراد الذين يعملون من أجل الحفاظ على البيئة (حزب الخضر) [1].

كذلك في تَفسير الأحلام نلاحظُ أن هناك حُضوراً إيجابياً للونِ الأَخْضَر، فمن رأى في مَنامه بَغلة خَضْراء فهي امرأة صالِحة طَويلة العُمْر[2].أما الحَمامَة في المَنام فهي امرأة صالِحة. وأفضَل الحَمام الخُضر[3]. وهو ما أكده السيوطي، إذ قال: " " فالأَخْضَر أحسن في الشكل والمنْظَر، وأعدل في الخَبر والمَخبَر، فإن الطائر إذا كان أسود، دل على تجاوز حد النصح؛ فتكون الطبيعة قد جاوزت حَدّها، فإذا كان أبيَض، دَلّ على قُصور الطَبيعة عن حدّ النُصح، فيدل على انحِراف المزاج عن حدّ الاعتِدال، ولا تكون الهِمّة عالية إلا في الروح الزكيّة، ولا شَرف العَزيمة إلا في النَفْس النَفيسة المُستَقيمة، فإذا اعتَدل لَوْن الطائر دَلّ على اعتِدال تَرْكيبه فصلُحَ حينئذ لتَقريبه وتَأديبه [4]. كذلك فإن رُؤيَة الخِضْر –عليه السلام – في المَنام، تَدُلُ على الرُخصِ بعد الغَلاء، والخِصْب وكَثْرَة النِعَم، والأمن مِمّا هُو فيه من شِدةِ وكآبة، ومن رَأى الخِضْر_ عليه السلام_ فإنه يَطولُ عُمْره ويَحج [5]. وعن رُؤية السَماء في المَنام، قال جَعفر الصادق _رضي الله عنه_ من رأى لَون السَماء أبيَض، يكونُ في ذلك المَكان نِعمَة وخصب، وإن رآه أَخْضَر فهو خَيْر، وإن رَآه أصفَر فَهو داء ومَرَض، وإن رآه أحمَر فهو حَرْب وسَفك دَم، وإن رآه أسوَد فَهُو قَحْط وضيق [6].

وجاء في الأخبار إن رَجلاً أتى النبيّ _صلّى الله عليه وسلم_ فقال: يا رسول الله رَأيت البارِحة مَرْجاً أخضَر، فيه مائِدة مَنْصوبة ومِنْبَر مَوضوع له سَبْع دَرَجات، ورأيتكَ يا رسول الله

---

[1] مليح مراد : الألوان والإنسان , علم النفس https://www.hiramagazine.com

[2] ابن سيرين: **منتخب الكلام في تفسير الأحلام**، بيروت، دارالفكر، 478/1.(ابن سيرين، منتخب الكلام فيما بعد).

[3] المرجع نفسه، 490/1.

[4] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن: **طوق الحمامة**، تحقيق مصطفى عاشور، القاهرة، مكتبة القــرآن، د. ت، ص 57. (السيوطي، طوق الحمامة فيما بعد).

[5] النابلسي، عبد الغني: **تعطير الأنام في تعبير المنام**، بيروت، دار الفكر، 98/1.(النابلسي، تعطيــر الأنــام فيمـــا بعــد). والإحسائي، أبو بكر محمد: **جامع تفاسير الأحلام (تنبيه الأفهام بتأويل الأحلام)**، 23/1.

[6] الظاهري، خليل بن شاهين، **الإشارات في علم العبـــارات**، بيروت، دار الفكر، 609/1.(الظاهري، الإشارات فـــي علـــم العبارات فيما بعد).

ارتَقَيْت السابعة، وتُنادي عليها، وتَدعو الناس إلى تِلك المائِدة، فقال _صلَوات الله عليه وسَلامه_ أما المائِدة، فالإسلام والمَرْج الأَخْضَر، فالجنّة، والمِنبَر سَبع دَرجات فبَقاء الدُنيا سَبعة آلاف سَنَة، مَضَت مِنها سِتة آلاف سَنة، وصرتَ في السَابعة، والنِداء فأنا أدعو الخَلقَ إلى الجنّة والإسلام [1]. والتِرسُ الأبيض رَجل ذو دين وبَهاء والأَخْضَر ذو وَرع [2].

ولو رَأى على المَيتِ ثِياباً خُضْراً، دلَ على أن مَوته كان على نَوعٍ من أنواع الشَهادة، كما تَدُل مِثل هذه الرُؤيا على حُسْنِ حالِ المَيت في الآخرة [3].

وقد عبّرَ العَرَب عن اللّوْن الأسوَد بلفظَة أخضَر، وهما لَونان مُتعاكِسان، فالأسود يَرمز إلى المَوتِ والهَدم، بينما الأَخْضَر يُمَثِل قُوى الخِصْب والخُلود والتَجدّد، ومن ذلك قولهم فلان أخضر أي أسود، فيسمى الأسود أخضَر، قال الله تعالى في صِفة الجِنّتين " مُدهامتان " أي سَوداوتان. وهذا من الخُضْرة، وذلك أن النبات الناعم الريان يرى لشدة خضرته من بعد أسود، ولذلك سُمي سواد العراق لكَثرة شَجَره، والخُضر قَوم سُمّوا بذلك لسَواد ألوانهم، والخُضْرة في شيات الخَيل الغبرة تُخالِطُها دُهْمَة [4].

وربما أن تَسْمِية الأَسود بالأَخْضَر جاء من بابِ التَفاؤُل، الذي سارَ العَرَب عَليه، إذ كانوا يُكنُّون عن المَرْيضِ بالسَليم، وهذا ما أطلق عليه بَعضهم باب التَسمِية بالضِدّ، فعَدَم الرَغبة في ذِكر اللّوْن المَكروه لدَيهم دَفَعَتهم إلى التَعْبير عَنه بأفضل الأَلْوان، وأكثرها استِحضاراً للخصب والحَياة في عُقولهم [5].

ومثلما تَحتَل الصورة اللّوْنية في حَياتنا اليَومية مَكاناً مهماً، كان الأمر كَذلك بالنِسبة للإنسان في العَصْر الجاهلي _وللإنسان في شَتّى الحَضارات_، إذ حَفِل الشِّعْر الجاهلي بِمَساحات لَونية بارِزة . يقول نَصرت عبد الرحمن: إن أول ما نَلحَظُه في الشَكْل الحسِّي للصورة الجاهِلِيَّة، هو الصورة البَصَرية، فإن الكُثْرة الكاثِرة من الصُور الجاهِلِيَّة بَصَرية، وأبرَز سِمَة للصورة

---

[1] ابن سيرين: **منتخب الكلام في تفسير الأحلام**، 218/1.

[2] المرجع نفسه، 466/1.

[3] المرجع نفسه، 418/1.

[4] ابن فارس: **مقاييس اللغة**، 195/2.

[5] ينظر: أبو عون، أمل محمود: **رسالة اللّوْن وأبعاده في الشِّعْر الجاهلي (شعراء المعلقات نموذجاً)**، إشراف إحسان الديك، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2003، ص 47. (أبو عون، اللّوْن وأبعاده في الشِّعْر الجاهلي فيما بعد).

البَصَرية الجاهِلِيَّة هي الحَرَكة، فكُل شَيء في التَصوير الجاهلي يكادُ يَكونُ مُتَحَركاً، فالناقة تُصَورُ وهي تَشُقّ بمَناسِمِها البيد، والمَطَر سُيول تَجرِفُ ما يَقفُ أمامها، وفُروع الأَشجار تَتأوّد من الرِياح... كما أن الشاعِر الجاهلي كَلِف بالأَلْوان، وأكثَر الأَلْوان وُروداً هو اللّوْن الأبيَض ثم الأَسوَد فالأَخْضَر فالأحمَر، وقد نَجِدُ في الشِّعْر الجاهِلي صُوراً تَبدو فيها المَساحات اللّوْنية بارِزَة[1]، كقول امرئ القيس:

(الطويل)

فَشُـبِّهتهُم فـي الآلِ لَمّـا تَكَمَّشـوا حَـدائِقَ دومٍ أَو سَـفيناً مُقَيَّـرا[2]
أَوِ المُكرَعاتِ مِـن نَخيـلِ اِبـنِ يـامِنٍ دُوَينَ الصَـفا اللائـي يَلـينَ المُشَـقَّرا[3]
المُشَـقَّرا[3]
سَـوامِقَ جَبّـارَ أَثيـثٍ فُروعَـهُ وَعـالَينَ قُنوانـاً[4] مِـنَ البُسـرِ[5] أَحمَـرا
أَحمَـرا

إذن نحن أمام مَوكِب لَوني مُتَعَدد الأَلْوان، فحدائق الدوم خُضْر، والسفين سود (والسفين المقير: هوالمَطلي بالقار)، والبسر أحمر.

وكذلك يقدم لنا النابغة الذبياني لَوحة تَبدو حافِلة بالأَلْوان، يقول:

(الطويل)

رِقـاقُ النِعـالِ[6] طَيِّـبٌ حُجُـزاتُهُم[7] يُحَيّـونَ بِالريحـانِ يَـومَ السَباسِـبِ[8]
حُجُـزاتُهُم[7]
تُحَـيّهِمُ بَـيضُ الوَلائِـدِ[9] بَيـنَهُم وَأَكسِـيَةُ الإِضـريجِ[1] فَـوقَ المَشـاجِبِ

---

[1] عبد الرحمن، نصرت: **الصورة الفنية في الشِّعْر الجاهلي في ضوء النقد الحديث**، ص 187.
[2] امرؤ القيس: **الديوان**، ص 94.
[3] الصفا والمشقر: قصران كانا في ناحية اليمامة.
[4] القنوان: جمع قنو، وهو العذق أو أحد شماريخ النخل التي تحمل الثمر.
[5] البسر: ما احمر من النخل.
[6] رقاق النعال: كناية عن ترفهم، إذ لا يمشون على أرجلهم.
[7] الحجزات: جمع حجزة، وهي موضع التكة من السراويل.
[8] النابغة الذبياني: **الديوان**، ص 16.
[9] الولائد: جمع وليدة، وهي الأَمة الشابة الفتية.

المَشَـــــــــــــــــــــــــــاجِبِ

يَصـــونونَ أجســـاداً قَـــديماً نَعيمُهـــا بِخالِصَـــةِ الأَردانِ خُضـــرِ المَناكِـــبِ

الريحان الأَخْضَر، والولائد البيض، والإضريج الأحمر والأصفر، وأردان الأثواب البَيضاء والمَناكب الخضر.

إذن اقترن اللّوْن الأَخْضَر في القرآن الكريم بالعَديد من الدَلالات، فهو لَون أغطِية وسائِد أهل الجنّة، وهو كذلك لِباس أهل الجنّة المُرتَبِط بالخُلود والنَعْيم فيها، كما هو لَوْن الزَرْع والأرض بعد أن يَنزِل عَليها المَطَر.

لقد انتَهَج القُرآن الكَريم ما جَرَت عليه العَرَب في كَلامها، ووظَّف اللّوْن وألفاظه في أداءِ مَعانيه، وقد استَخدَم القرآن الكريم الأَلْوان ليُؤدي نَوعَين من الدَلالات: الحِسِّية المُجردة، والدَلالة المَعنَوية الناتِجة عن التَأويل والإسقاط.

ولقد لبِسَت العروس في العُصور القَديمة ليلة العرس ثَوباً أخضَر مُكَللاً ومُزيناً بألوان أخرى، ولعَلّ في ذلك رَمزاً للأَمَل في حياة جَديدة، كما ورَمَز اللّوْن الأَخْضَر لدى الفَراعِنة إلى السُرور والصِحَّة، أما الكَنيسة الكاثوليكية الحالية فقد أعطَت اللّوْن الأَخْضَر رَمز المُختارين من الرَّب، والأمَل والروح القدس، ويوم الأَحد، أما الكَنيسة الشَرقية فيُرمزُ لَدَيها اللّوْن الأَخْضَر إلى الأرض [2].

وفي العَقيدة المَسْيحية يُمثل هذا اللَفظ الإخلاص والخُلود والتَأمُل الروحي، ويُسَمى لَون الكاثوليك المُفَضّل، ويُستَعْمَل في عيد الفِصح ليَرمُز إلى البَعْث، كما أن اللّوْن الأَخْضَر هو لَون التَعْميد [3].

سبق وأن قلنا أن لكل لَون مجموعة من الدلالات النفسية والاجتماعية فمن الناحية النَفْسية، أثبتَت أبحاث الدكتور (فزيلنج) النَفسية، ببافاريا الشمالية، _ وهو من الأطباء الذين استَخْدموا الأَلْوان في العِلاج _ أن اللّوْنين الأصفَر والأَخْضَر، يُهَدِّئان ضَرَبات القَلْب، ويُساعِدان

[1] الإضريج: الخز الأحمر والأصفر.

[2] دملخي، إبراهيم: **الأَلْوان**، ص 81_82.

[3] عمر مختار، أحمد: **اللغة**، ص 64.

على تَحْسين الدَورة الدَموية، وقد قام الدكتور (فزيلنج) في أحَد تَجاربه بِطلاء جُدران بعض المَصانِع التي تَستَخْدم آلات شَديدة الضَجيج، فتَبين أن العمال كفوا عن الشَكوى من الضَجيج بسبب تأثير اللّوْن الأَخْضَر المُحيط بِهم [1]. واللّوْن الأَخْضَر رَمز للشَرف عند الإسبان، " فلا يزال بعض الإسبانيين يَضَعون شارات خَضْراء على قُبعاتهم علامة الشَرَف، وقد تَوارثوها عن العَرَب " [2].

نلاحظ مما سَبق أن اللّوْن الأَخْضَر – سواء على المُستوى الديني، أو الاجتماعي أو النفسي– قد حمل مجموعة من الدلالات، والملاحظ أنها جميعها دلالات ايجابية، تَتَمثَّل إما في الخير والخِصْب الوافر، أو الورع والدين، أو الشَرف والرِفْعة، أو رَمزاً للسَعادة والنَعيم، أو رَمزاً لبِداية حَياة جديدة.

---

[1] فرج الله، إدريس: **التشكيل اللّوْني في الطباعة**، ص 36.

[2] طالو، محيي الدين: **الرسم واللّوْن**، ص 174.

اللّوْن الأبيض وصفات نساء الجنّة

تحتلُ الأَلْوان مكانةً معينةً في حياتنا، حيث نتَصِل معها بشبكة من العلاقات المُتنوعة، حتى غدا كل لون منها رمزاً لحالة نفسية أو اجتماعية معينة نُعايشُها؛ بل ارتبطت بأبعَد من ذلك، فقد أصبحت ألواننا تعبيراً وترجمة لشخصياتنا وتقاليدنا، وكذلك تُعَدُّ من موروثاتِنا الثقافية، حيث نجد أن هنالك التقاء بين بعض الثقافات حولَ رمزية لَونٍ مُعين، وما يَحْمِله هذا اللّوْن من دلالات حسب مُعتقداتهم. ويذهب يحيى جبر إلى أبعد من ذلك ليقول بأن الأَلْوان هي من أخطر وسائل التعبير على الإطلاق [1]. وبأن العدد والحرف (الصوت)، واللّوْن، هي أجلّ ما قامت عليه الحضارة الانسانية [2].

وما من شك بأن هناك ارتباطاً بين الأَلْوان ونفسية الإنسان، وهذا ما يؤَكّده صدقة من أن للون القُدرة على إحداث تَأثيرات نَفسية على الإنسان، إذ إن لدَيهِ القدرة على الكَشف عن شَخصِية الإنسان، وذلك لأن لِكلِ لَون من الأَلْوان مَفهومات مُعَيَنة، ويَمْتَلِك دَلالات خاصة[3]. ومن هنا يتأكد ما قاله طالو: بأن اللّوْن شعر صامت نظمته بلاغة الطبيعة وبيانها [4].

وهو ما نلحظه في حياتنا اليومية؛ إذ إننا نرتاح لدى مشاهدتنا بعض الأَلْوان من حولنا سواء في الطبيعة أو في مساكننا، وكثيراً ما نحرص على استخدام ألواناً معينة في غرف الأطفال، أو الأشخاص المرضى؛ وذلك بهدف الراحة النفسية التي يصاحبها راحة جسدية.

اللّوْن الأبيض من الأَلْوان المُحَبّبَة في المَوروث الإنساني، فهو لَون التَفاؤل والحَياة، في مُقابل اللّوْن الأسود الذي يرمُز إلى التَشاؤم والمَوت[5]. وهو رمزُ النور الإلهي [6]. وتكاد جَميع الحضارات تُجْمِع على أن اللّوْن الأبيض رَمز الطَهارة والنقاء[7].

---

[1] جبر، يحيى: **نحو دراسات وأبعاد لغوية جديدة**، ط 1، نابلس، سلسلة أسفار العَرَبية، ص 137. (جبر، نحو دراسات فيما بعد).

[2] جبر، يحيى: **نحو دراسات وأبعاد لغوية جديدة**، ص 145.

[3] جان صدقة : التواصل عن طريق الألوان , http://sites.google.com.

[4] طالو، محيي الدين: **الرسم واللّوْن**، ط 1، دار دمشق للنشر، ص 163. (طالو، الرسم واللّوْن فيما بعد).

[5] نوفل، يوسف حسن: **الصورة الشِّعْرية والرمز اللّوْني**، مصر، دار المعارف، 1995، ص 119.(نوفل، الصورة الشِّعْرية فيما بعد).

[6] نوفل: **الصورة الشِّعْرية**، ص 25.

[7] رياض، عبد الفتاح: **التكوين في الفنون التشكيلية**، د ط، القاهرة، دار النهضة العَرَبيـــة، 1983، ص 260. (ريــاض، التكوين فيما بعد).

حتى في مورثنا الشعبي والإنساني، نَجِدُ أننا نَحْرِص أن نُلْبِس الإنسان في أنقى مَراحِلِ حَيَاته (اللّوْن الأبيض)، نُلبسه إياه في لَحَظاتِ حَياته الأولى، حيث يَرمز للطَهارة الأولى النقِيَّة، وكذلك عند المَوت، نُلبسه الثِياب البَيضاء (الكَفَن)، وكأننا نَوَدُ بذلك أن نُؤَهله لآخرة نقيةٍ لا يُدَنِسُها شَيء. ولا يَفوتنا أن نَذكر مَلابِس الإحْرام في شَعائر الحَجِ والعُمرة، حيث يَتَقدم الإنسان إلى رَبه عابداً ناسِكاً، مُرتدياً ثوباً أبيض، يأمَل من الله –عزَّ وجلّ – أن يعود من حجِه أو عُمرته، طاهراً نقياً كثِياب إحرَامه.

وعلى المُستَوى الصَوتي نَجِدُ أن الأَبيضَ لَفظٌ يَدلُ على الإشعاع، والانطِلاق، لِما فيه من اجتماع الياء الدالة على الاتِساع، والضاد بما فيها من نُفورٍ، وإفلاتٍ من المَرْكَز [1].

وفي اللغة أن البَياض قمة الوضُوح، إذ يقالُ في اللغة بايَضَه: جاهَرَه بما في نَفسه، ويُوحي بمعنى تَطْمَئِنُ له النَفْس، وتَحس بالسَكينة [2].

لقد تكرر اللّوْن الأبيض في القرآن الكريم اثني عشرة مرة، ثلاث مَرَّات في السُور المدنية، وتِسع في السور المكية [3].

قال تعالى: **" وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ "** (الواقعة |22_23)، ويقول المُفَسِرون هنا بأن تَشبيه نِساء الجِنّة باللُؤلؤ المكْنون تَمثل " في الصفاء، وقيد بالمَكنون أي المَسْتور بما يَحْفَظه، لأنه أصفى، وأبعَد منَ التَغَيُّر [4]، وفي الحديث صَفاؤُهن كصَفاء الدُرِّ الذي في الأَصداف الأَصداف لا تَمسه الأيدي، ورِقَتهن كَرِقة الجِلَد الذي في داخلِ البَيضة مِما يَلي القِشر وهو الغرقئ وإن لله _عزَّ وجلّ_ ألبس وُجوههن النور وأجسادهن الحَرير، بيض الأَلْوان خُضْر الثياب [5].

---

[1] ينظر: أبو عون، أمل محمود: **رسالة اللّوْن وأبعاده في الشِّعْر الجاهلي (شعراء المعلقات نموذجاً)**، ص 5. .

[2] ينظر: http://www.diwanalarab.com

[3] عبد الباقي، محمد فؤاد: **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، د ط، مصر، دار الكتب المصرية، 1364ه، ص 141. 141. (عبد الباقي، المعجم المفهرس، فيما بعد).

[4] البغدادي، أبو الفضل شهاب الدين محمود: **روح المعاني** في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، د ط، بيروت، دار إحياء التراث العَرَبي، 138/27.(الغدادي، روح المعاني فيما بعد).

[5] الطبراني، أبو القاسم سليمان: **المعجم الأوسط**، تحقيق طارق بن عوض الله وعبد المحسن الحسيني، القاهرة، دار الحرمين، 1415 ه، 278/3_279.(الطبراني، المعجم الأوسط فيما بعد).

ووصف الحسناوات بذلك شائع في العَرَب، ومنه قول النابغة الذبياني، يَصِفُ زوجة النعمان بن المُنذر، المُتَجردة، وقد سَقَطَ نَصيفها، فاستَتَرَت بِيَدها وذراعها:

(الكامل)

قامَــتْ تـــراءى بـــينَ سَـــجفيْ[1] كلـــةٍ — كالشّـــمْسِ يَـــومَ طُلُوعِهــا بالأســـعُدِ[2]

أَو دُرَّةٌ صَـــــــــدَفِيَّةٌ غَوَّاصُـــــــــها — بَهِـــجٌ متـــى يَرَهـــا يُهِـــلَّ ويَسْـــجُدِ[3]

ومنه أيضاً قوله تعالى: **" كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ "** (الصافات|49)، وكُنِّيَ عن المرأة بالبَيضة تشبيها بها في اللَّوْن، وكونها مَصُونَة تحْتَ الجنّاح [4]. وقد كانت المرأة البيضاء من الصور الجزئية للمرأة الجاهِلِيَّة التي يختلط في لونها البياض بالصفرة، أي لون المرأة مع لون الشمس، وهنا ينوه البطل إلى أن البيضة بما تجمعه من بياض وصفرة، إنما هي جمع لسرِّ الشمس في ضحوتها وعشيتها، وغلافها الرقيق الهش، يماثل رقة بشرة المرأة وملامسة أديمها وصفائه ونضرته [5].

وقد جاء اللّوْن الأبيض في القرآن الكريم، بمعنى المسرة، الناتجة عن الأعمال الطيبة، ويُطلَق على كل من لم يَتَدَنس بمعاب، حيث قوله تعالى: **" وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ "** (القيامة|22)، إذ إن وجوهَ المُؤمنين يوم القِيامة تَكون مُضيئة حَسَنة [6]، والنَضِر الحَسن من كل شيء، ومِنه يُقال يُقال للون إذا كان مُشْرقاً ناضِراً[7].

ويشير المفسرون هنا إلى أن: البياض من النور والسواد من الظلمة، فمن كان من أهل نور الحق وسم ببياض اللّوْن وإسفاره وإشراقه، وابيَضَّت صَحيفَتَهُ؛ وأشرَقت، وسعى النور بين

---

[1] السجف: الستر المشقوق في منتصفه.

[2] الأسعد: برج الحمل.

[3] النابغة الذبياني: **الديوان**، ص 39.

[4] الأصفهاني، أبو القاسم: **مفردات القرآن**، 67/1.

[5] البطل: **الصورة في الشِّعْر العَرَبي**، د ط، بيروت، دار الأندلس، 1980، ص 80.(البطل، الصورة في الشِّعْر العَرَبي فيما فيما بعد). والحسين، قصي: **انثربولوجية الأدب (دراسة الآثار الأدبية على ضوء علـــم الإنســـان)**، ط 1، بيـــروت، دار ومكتبة الهلال، 2009، ص 178. ().

[6] الواحدي، علي بن أحمد: **تفسير الواحدي**، تحقيق صفوان داوودي، ط 1، بيروت، دمشق، دار القلـــم، الـــدار الشـــامية، 415، 1155/2.(الواحدي، تفسير الواحدي فيما بعد).

[7] الرازي: **التفسير الكبير**، 199/30.

يديه وبيمينه، ومن كان من أهل ظلمة الباطل، وسِمَ بسَواد اللّوْن وكُسوفه، وكمده واسودَّت صحيفته وأظلَمَت، وأحاطت به الظُلمة من كل جانِب [1]، ومنه كذلك قولنا: " ابْيَضَّ وجه فلان سرّ"[2]، وابيضاض الوجه هنا عَلامة من عَلامات السعادة والسُرور. وكذلك وُصِف خَمر الجِنّة بالبَيَاض المُحَرَر، لِما لَه من تأثير يَبْعَثُ على المُتْعَة والجَمَال، ولِما يَحْمِله اللّوْن الأبيض من دَلالَة على الصَفاء والنَقاء إذ قال تعالى: **" بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ "** (الصافات|46) وقيل بَيضاء يُحتمل أن يعود على الكأس، ويحتمل أن يعود على الخَمْر وهو الأظهَر، وقال الحسن بن أبي الحسن خمر الجِنّة أشد بَياضاً من اللَبَن [3]. وقيل بيضاء أي لم يعتَصرها الرجال بأقدامهم [4].

كما ارتبط اللّوْن الأبيض بيد موسى _عليه السلام_ في خمس آيات قرآنية [5].

ومنها قوله تعالى: **" وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ءَايَةً أُخْرَى "** (طه|22)، ذلك أن موسى _عليه السلام_ كان آدم اللّوْن، شديد الأدمة، أو أسمر شَديد السُمرة، فأمره الله _سبحانه وتعالى _ أن يدخل يده في جيبه ثم يخرجها وقومه، فإذا بها تتحول إلى اللّوْن الأبيض الناصِع، وأدخلها تحت إبطه الأيسر وأخرجها ليراها فرعون كانت تبرق مثل البرق، وقيل مثل الشمس من غير برص, ثم إذا ردها عادت إلى لونها الأول بلا نور [6].

ولم يبتعد الأمرُ كثيراً فيما يتعلق بِقَداسة اللّوْن الأبيض، وكَونه مُحبباً في السُنة النبوية، فقد قال رسول الله _عليه الصلاة والسلام _: " البسوا من ثِيابكم البَياض فإنَها من خَيرِ ثِيابِكم وكَفِّنوا فيها مَوتاكُم"[7]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال:" كان لِواء رسول الله صلى الله

---

[1] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي: **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق عبد الرزاق المهدي، د ط، بيروت، دار إحياء التراث العَرَبي و دت، 427/1. (الزمخشري، الكشاف فيما بعد).

[2] مجمع اللغة العَرَبية: **المعجم الكبير**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1982، 716/2، مادة (بيض). مجمع اللغة العَرَبية، المعجم الكبير فيما بعد).

[3] الأندلسي: **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق عبد السلام عبد الشافي، ط 1، لبنان، دار الكتب العلمية، 1993، 472/4. (الأندلسي، المحرر الوجيز فيما بعد).

[4] القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، 71/15.

[5] أنظر: **الأعراف**/108، **الشّعْراء**/33، **النمل**/12، **القصص**/32، **طه**/22.

[6] الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد: **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، د ط، بيروت، دار الفكر، 1405 ه. 157/16.(الطبري، جامع البيان فيما بعد). الرازي: **التفسير الكبير**، 26/22.

[7] السجستاني: **سنن أبي داود**، 401/2، حديث 3878.

عليه و سلم أبيض"[1]. وعن عائشة _ رضي الله عنها _ أنها قالت: " البَيَاضُ نِصفُ الحُسْن "[2]. "[2]. كما كان من أحد الأدعية التي يدعو بها _عليه الصلاة والسلام _ قوله: اللهم باعد بيني وبين وبين خطاياي كما باعدت بين المَشرِق والمَغرِب، اللهم نَقِّني من الخَطايا كما يُنقى الثَّوْب الأبيَض من الدَنس، اللهم اغسِل خطاياي بالماء والثلْج والبرَد [3].

ولقد كانت البَيضَة الكَونية أحد رموز الخَلق البدائية التي انتشَرت بِشكلٍ واسع، وفي كل نَماذج البيضة الأزلية تقريباً يتشابك عُنْصُران: البيضة رَمزاً للخُصوبة، والبَيْضَة رمزاً للقَداسَة[4]. للقَداسَة[4]. كما تُعدُّ البَيْضة رمزاً للوحدة الكُلية التي جاء منها الخَلق كله، حيث يُوجَد في داخِلها إمكانيات الخَلق كله، أي خلق الكائنات التي تَتَضَمن الأعْضاء الذَكَرية والأُنثوية في نَفسِ الوقت، والبيضة بجانب كَونها بداية للحَياة، فإنَها بالمِثل رَمز للتَناسُل وإعادة الميلاد والحَياة الجَديدة[5].

لقد أطلق العَرَب اللّوْن الأبيض على الماء والشحم واللبن، وغلبوه في مثل قولهم الأبيضان: الماء والحنطة، الشحم والشباب، الخبز والماء، وتوسعوا في استخدام الأبيض فأطلقوه على الإشراق والإضاءة، فوصفوا به ليالي الثالث عشر، والرابع عشر والخامس عشر، كما استخدم العَرَب البَياض في مقام المدح بالكرم، ونَقاء العرض، واستخدم بَياض الوَجه للإشارة إلى نَقائه وصَفائه وإشراقه [6].

وقد شُبِّهت النِساء لدى العَرَب في العَصْر الجاهلي بالبَيضة في غير مَوضِع، وذلك يَبدو أنه لِغايات مُعينة، وها هو امرؤ القيس يُشَبه المرأة بالبَيْضة أي بَيضة خِدر، يَعني امرأة كالبَيضة في صِيانتها لا يُرام خِباؤها لعِزَتها، فهي طِوال الوقت تلزم خدرها:

---

[1] النيسابوري، محمد بن عبد الله وأبو عبد الله الحكم: **المستدرك على الصحيحين**، ط 1، تحقيق عبد القادر عطا، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 1980، 115/2، حديث 2506.(النيسابوري، المستدرك فيما بعد).

[2] الكوفي، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة: **مصنف بن أبي شيبة**، ط 1، تحقيق كمال الحوت، الرياض، مكتبة الرشد،1409 ه، 41/4، حديث 17591.(الكوفي، مصنف بن أبي شيبة فيما بعد).

[3] البخاري: **صحيح البخاري**، 259/1.

[4] الحجاجي، أحمد شمس الدين: **الأسطورة والشِّعْر العَرَبي: المكونات الأولى**، مجلة فصول، مج 4، ع 2، القاهرة، يناير 1984، ص 42.

[5] الجزيري، محمد مجدي: **الأسطورة والتجديد**، مجلة فكر للدراسات والأبحاث، عدد 15، القاهرة،1989، ص 70.

[6] عمر، أحمد مختار: **اللغة واللّوْن**، ط 2، القاهرة، عالم الكتب والنشر، 1997، ص 41. (عمر، اللغة واللّوْن فيما بعد).

(الطويل)

وَبَيضَـــةِ خِـــدرٍ لا يُـــرامُ خِباؤُهـــا   تَمَتَّعتُ مِــن لَهــوٍ بِهــا غَيــرَ مُعجَــلِ[1]

ويشير الزوزني إلى أن سبب تَسْمية النساء بالبَيْض من ثَلاثةِ أوجه: أحدها: بالصِحَةِ والسَلامَةِ عن الطَمْث.

والثاني: في الصِيانة والسِتر لأن الطائر يَحْتَضِنُ بَيضَه ويَصونه، والثالث: في صَفاء اللّوْن ونَقائه؛ لأن البيض يكون صَفِي اللّوْن نقيه إذا كان تَحْت الطائر، وربما شُبِّهت النِساء بِبَيْض النَعَام، وأريد أنَهُن بيض تَشوب ألوانهن صُفرة يَسيرة، وكذلك لَونُ بَيض النَعام [2].

وقد أشار اللُغويون إلى أن العَرَب قد رَبطَت بين اللّوْن الأبيض، والمَديح بِمَكارِمِ الأخلاق، ونقاء العرض " إذا قالت العَرَب فُلان أَبْيَضُ وفُلانة بَيْضاء، فالمَعنى نَقاء العِرْض من الدَنَس والعُيوب [3]، ومن ذلك قول زهير يَمدح رَجلاً:

(البسيط)

أَغَـــرُّ أَبـــيَضُ فَيّـــاضٌ يُفَكِّـــكُ عَـــن   أَيدي العُنـــاةِ وَعَـــن أَعناقِهـــا الرِّبَقـــا[4]

ولم يَرْتَبِط اللّوْن الأبيض بالنَقاء وحَسب، بل كَنوا كذلك الصِدق والحَق الظاهر بالأبيَض الناصِع، من ذلك قول النابغة:

(الطويل)

أتـــاكَ بقَـــولٍ هلهـــلِ النّســـجِ كـــاذبٍ   ولم يـــأتِ بـــالحقّ الـــذي هـــو ناصـــعُ[1]

---

[1] الزوزني، أبو عبد الله الحسين بن أحمد: **شرح المعلقات السبع**، تحقيق لجنة التحقيق في الـدار العالميـة، د ط، الـدار العالمية للنشر، د ت. (الزوزني، شرح المعلقات السبع فيما بعد). ص 21. امرئ القيس: **الديوان**، ص 35.

[2] الزوزني: **شرح المعلقات السبع**، ص 21.

[3] **اللسان**، مادة (بيض).

[4] زهيرُ بن أَبي سُلمى: **الديوان**، ص 37.

وكَنَّى العَرَب باللّوْن الأبيض عن مَكارِم الأخلاق، والأعمالِ المُشَرِّفة، من ذلك ما قاله عَنترة:

(الوافر)

تُعَيِّرنــــي العِــــدى بِسَـــوادِ جِلْـــدي وبيض خَصـــائلي تَمْحـــو السَّـــوادا[2]

كما كان من عادةِ العَرَب التَكْنِية عن كل من العِزّةِ والأَنَفَة والكَرم بالبَياض، ومن ذلك قول مالك الأشتر:

(الكامل)

خَـــيلاً كأمثـــال الســـعالي شـــزباً تَعْدو ببـــيضٍ فـــي الكَريهـــة شـــوس[3]

ولم يرتبط البياض بالرجال الكرام الذين يُبدُون الشجاعة وقُوة البأس في الحُروب حسب؛ بل كذلك ارتبط البَياض براياتِ الحُروب التي كانوا يَعتَزُّون بِرَفعها بيضاً عِنْد ذِهابِهم إلى الحَرب، ويعودون بها مُدَرَّجَة باللّوْن الأحمَر؛ لِشِدَّة ما أصابوا من الأعداء في حُروبهم، من ذلك قول عَمْرو بن كَلثوم:

(الوافر)

بِأَنّـــا نـــورِدُ الرايـــاتِ بيضـــاً ونُصـــدِرُهُنَّ حُمـــراً قَـــد رَوينـــا[4]

وكني ببياض الوجوه عن الحسب الطيب، ومنه قول حسان بن ثابت:

(الكامل)

بِـــيضُ الوجـــوهِ كريمـــةٌ أنســـابُهم شُـــمُّ الأنـــوفِ مـــن الطَّـــرازِ الأوّلِ[5]

وارتبط اللّوْن الأبيض عند عنترة بالأيام الهانئة، حيث قال:

---

[1] النابغة الذبياني: **الديوان**، ص 81.

[2] عنترة: **الديوان**، ص 46.

[3] التبريزي: **ديوان الحماسة**، 40/1.

[4] عمرو بن كلثوم، **الديوان**، تحقيق إميل يعقوب، ط 1، بيروت، لبنان، دار الكتاب العَرَبي، 1991، ص 71.(عمرو بن كلثوم، الديوان فيما بعد).

[5] حسان بن ثابت: **الديوان**، ص 72.والأصفهاني: **الأغاني**، 329/9.

(الكامل)

وقضَــت علينـــا بـــالمَنونِ فَعوَّضَـــتْ   بالكُرهِ مـــنْ بـــيضِ اللَّيـــالي سُـــودَها[1]
سُـــــــــــــــــودَها[1]

وهذا كثير في شِعرهم لا يُريدون به بَياضَ اللّوْن؛ ولكِنَهُم يُريدونَ المَدحَ بالكَرَمِ ونَقاءِ العرْض مِن العُيُوب .

وقد ظَهَرَت المَرأة في الشِّعْر الجاهلي بالعديد من الصِفات التي تَخَلَّلَت صِفة البَياض أغلَبها، فَشُبِّهت باللُّجَيْن، ومن ذلك قول الأعشى:

(الوافر)

ووَجهـــــاً كالفتـــــاقِ[2] ومُسْـــــبَكِرّاً[3]   علـــى مثـــلِ اللُّجَـــينِ وهـــنَّ ســـودُ[4]
ومُسْـــــــــــــــــبَكِرّاً[3]

وشُبِّهت كذلك باللبن، فقال الأعشى:

(المتقارب)

مـــــنْ كـــــلِّ بيضـــــاءَ مَمْكـــــورةٍ   لهـــــا بَشَـــــرٌ نَاصِـــــعٌ كَـــــاللّبَنْ[5]

وشُبِّهت المرأة لدَيهِم بدُمْيَةٍ مَصنْوعَةٍ من الشيد، ومنه ما قاله النابغة الذبياني:

(الكامل)

أو دُميَـــةٍ[6] مِـــنْ مَرْمَـــرٍ[7] مَرفوعـــةٍ   بُنِيَـــــتْ بـــــآجرّ يشـــــادُ وقرمـــــدِ[8]
مَرفوعـــــــــــــــــــــةٍ

وهي كالآرام، كما جاء في شعر امرئ القيس:

---

[1] عنترة: **الديوان،** ص 49.
[2] الفتاق: قرن الشمس.
[3] الشِّعْر المسبكر: المسترسل بغير نظام.
[4] الأعشى: **الديوان،** ص 37.
[5] الأعشى: **الديوان،** ص 165.
[6] الدمية: الصورة والتمثال.
[7] المرمر: نوع من الرخام أبيض اللّوْن أو أحمر.
[8] النابغة الذبياني: **الديوان،** ص 40.

(الطويل)

مِـنَ البِـيضِ كـالآرَامِ وَالأُدمِ[1] كالـدّمى حَواصِـنها[2] والمُبرِقَـاتِ[3] الرَّوَانـي[4]
كالـــــــــــدّمى الرَّوَانــــــــــــي[4]

وشَبَّهها لبيد بن ربيعة بالنعاج، فقال:

(الوافر)

فنَبْـعٌ فـالنبيّعُ فَـذُو سُـدَيْرٍ لآرامِ النِّعَـاجِ بِـهِ سِـخَالُ[5]

ويقول لبيد كذلك:

(الكامل)

زُجَـلاً كـأنَّ نِعَـاجَ[6] تُوضِـحَ فَوْقَهَـا وظِبِـاءَ وجـرَةَ عُطَّفـاً آرَامُهَـا[7]
فَوْقَهَـــــــــــا

وها هو زهير بن جناب الكلبي، يفتخر بأنهم قد سبوا من تغلب الجميلات من النساء، واللواتي من صفاتهن أنهن بيض البشرة، وهذا لديهم مَعْلَمٌ من معالمِ الجَمال[8]، يقول:

(الخفيف)

وسَـبَيْنا مـن تَغْلـب كـلَّ بَيْضـاءَ رَقُـودِ الضُّـحى بَـرُود الرُّضـابِ[9]

ومنه قول بشر بن أبي خازم:

---

[1] الآرام: أولاد الظباء البيضاء.
[2] الحواصن: العفيفات.
[3] المبرقات: اللائي يظهرن حليّهن للرجال.
[4] امرئ القيس: **الديوان**، ص 159.
[5] لبيد بن ربيعة: **الديوان**، ص 149.
[6] النعاج: بقر الوحش، ولا يقال إلا للإناث منهن.
[7] لبيد بن ربيعة: **الديوان**، ص 206.
[8] أنظر: عبد الرحمن، نصرت: **الصورة الفنية في الشِّعْر الجاهلي**، ص 48.
[9] الأصفهاني: **الأغاني**، 24/19.

(الوافر)

وَأَنكــــاسٌ[1] غَـــداةَ الـــرَوعِ كُشْـــفٌ   إِذا مـــا البـــيضُ خَلَّـــينَ الخُـــدورا[2]

ولم يقتصر العَرَب في الجاهِلِيَّة على تَفضيل المَرأة ذات البَشَرة البَيضاء، بل فَضّلوا كذلك البياض في الأسنان، وعَدُّوه مَعْلَماً من مَعالِم الجَمال، يقول امرؤ القيس:

---

[1] أنكاس: جمع نِكس وهو الرجل الضعيف.

[2] بشر بن أبي خازم: **الديوان**، ص 90.

(الكامل)

إذ تَســـتَبيكَ[1] بِـــذي غُـــروبٍ[2] واضِـــحٍ[3] عَـــذبٍ مُقَبَّلُـــهُ لَذيـــذِ المَطعَـــمِ[4]
واضِـــــــــــــــــــحٍ[3]

ويعللُ محمد السموري سَبب إكثار الشِّعْراء في العَصْر الجاهِلي من الحَديثِ عن اللّوْن الأبيَض واتخاذه معياراً للحُسْن والجَمال عِند العَرَب، هُو نُدْرَة صبِغَته في بَشْرتهم السَمْراء، فحاجَتهم إليه وافتقادهم له جَعَلَتْهُ مَرْغُوباً لديَهِم. إلا أننا يَنْبغي أن نلاحظ أن البَياض الذي كانت العَرَب تُحُبُّه، ليس البَياض الخالص؛ إنما هو البَياضُ المَشوبُ بِصُفْرَةٍ، إذ إن صِفة البَياض الخالِص في الإنسان كانَت تُعَدُّ من الصِفاتِ المُسْتَقْبَحَةِ لَديْهِم، إذ قالوا: " امرأة مَهْقاء ومَقْهاء، وهو بَياضٌ سَمِجٌ، لا تُخالِطه حُمْرَة ولا صُفْرَة وقيل: هو بياضٌ في زُرْقَة، وهو أَقبَح البَياض" [5].

.[5]

وعلى المستوى الديني لعبادات العَرَب قبل الإسلام، فقد كان هنالك ارتباط بين اللّوْن الأبيض وعِبادة الشَمس والزُهرة، خاصة إذا عُدنا إلى الأصل اللُغوي للزُهرة المُرتَبط ب (الأزهر) أي اللّوْن الأَبيض المُشْرق في الإنسان[6]. كما قال ابن عباس: كان الرجل في الجاهِلِيَّة يَعبد الحجر الأبيض زماناً، فإذا رأى غيره أحسن منه عَبد الثاني وتَرَكَ الأول [7].

ويذكر القيسي أن العَرَب كانوا يُكثرون من التحدث عن الأَلْوان في تصويرهم للمعركة التي تحدث في أثناء الصيد بين بعض الحيوانات والكلاب، فإذا أرادوا أن يضفوا على الكلاب صفة الترقب والتَرصد والتَجويع، وصفوا عُيونها بنوار العَضرس، ومنه قول امرئ القيس:

(الطويل)

---

[1] تستبيك: تذهب بعقلك.

[2] بذي غروب: أي بثغر ذي غروب، والغرب هنا هو حد السن.

[3] الواضح: الأبيض.

[4] القرشي: **جمهرة أشعار العَرَب**، ص 353.

[5] ابن سيده الأندلسي، أبو الحسن علي بن إسماعيل : **المخصص**، د ط، بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشـــر، د ت، 108/2. (ابن سيدة، المخصص فيما بعد).

[6] **اللسان:** مادة (زهر).

[7] ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، 426/3.

فَصَبّحَهُ عِنْدَ الشُّرُوق غُدَيّةً　　كلابُ بن مُرّ أو كلابُ بن سِنبِسِ[1]

مغرثة زرقا كأن عيونها　　من الذمر والايحاء نُوّارُ عَضْرَسِ

وإذا ما انتهت المعركة أشرقت وجوه الثيران أو البقر بالبياض، وكان هذا اللّوْن أكثر الأَلْوان استعمالاً في المواقف التي تحمل دلالات الانتصار، ومَعاني الافتخار والاعتزاز[2].

أما عن البُعْدِ الأسطوري لِلَوْن الأبيض، فتقول الأسطورة إن فينوس إلِهَة الحُب والجَمال عندَ الرومان وُلِدَت من زَبَدِ الماء الأبيَض، وعِندَما صارت صَبِيَّة أصبَحَت رائِعة الجَمَال، وعند العَرَب كان ذو الشَرى المَعبود الجاهلي يتمَثَل بِمَروة بَيضاء [3].

أما في الحضارة المصرية فقد استُخْدِم اللّوْن الأبيض في إعدادِ تَمائم الطَهارة والخَلاص[4]. ويبدو أنه مِثلما رَمزَ اللّوْن الأبيض إلى النَقاء والخَلاص، فقد كان له من ناحية أخرى قُدرة تَأثيرية خاصة، تمَثَّلَت في أن السَحَرَة في مصر كانوا يَحرِصُون على ارتداء نَعلين من الجِلدِ الأبيَض [5].أما لدى الصابئة [6]المندائية فقد كان اللِّباس الطَّقسَّي الأبيض من أهم أدوات طقوسهم إلى جانب غصن الزيتون، والعصا [7].

---

[1] امرؤ القيس: **الديوان**، ص 111.

[2] القيسي: **الطبيعة**، ص 304.

[3] محمد السموري : دلالات اللون الأبيض , :www.diwanalarab.com http\\\\

[4] كريم، سيد: **السحر والسحرة عند قدماء المصريين**، مجلة الهلال، ع 1، السنة 1983، يناير، 1975، ص 62. (كريم، السحر والسحرة فيما بعد).

[5] ارمان، ادولف: **ديانة مصر القديمة**، ترجمة عبد المنعم أبو بكر ومحمد أنور شكري، ط 1، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1995 ص 405. (أرمان، ديانة مصر القديمة فيما بعد).

[6] الصابئة: الصابِئون قوم يَزعُمون أَنهم على دين نوح عليه السلام بكذبهم وجاء أنهم جنسٌ من أَهل الكتاب وقِبْلَتُهم من مَهَبّ الشَّمال عند مُنْتَصَف النهار وذكر الليث: الصابِئون قوم يُشْبِه دِينُهم دِينَ النَّصارى؛ إِلاَّ أَنَّ قِبْلَتَهم نحو مَهَبِّ الجَنّوبِ يَزْعُمون أَنهم على دِين نوحٍ، وهم كاذبون، وكان يقال للرجلِ إِذا أَسْلَمَ في زمن النبيّ صلى اللّه عليه وسلم قد صَبَأَ؛ عَنَوْا أَنه خرج من دين إِلى دين، وقد صَبَأَ يَصْبَأُ صَبْأً وصُبُوءاً وصَبُؤَ يَصْبُؤُ صَبْأً وصُبُوءاً كلاهما خرج من دين إِلى دين آخر كما تَصْبَأُ النُّجوم، أَي تَخْرُجُ من مَطالِعها، صَبَأَ الرَّجُلُ في دينه يَصْبَأُ صُبُوءاً إِذا كان صابِئاً، وفي قوله تعالى: "والصَّابِئين" معناه الخارِجِين من دينٍ إِلى دين. يقال: صَبَأَ فلان يَصْبَأُ إِذا خرج من دينه. يقال أَصْبَأْتُ القومَ إِصْباءً إِذا هجمت عليهم وأَنت لا تَشْعرُ بمكانهم وأَنشد هَوَى عليهم مُصْبِئاً مُنْقَضّا، وفي حديث بني جَذيمة كانوا يقولون لما أَسْلَموا: صَبَأْنا صَبَأْنا. وكانت العَرَب تسمي النبيّ صلى اللّه عليه وسلم الصابِئَ؛ لأَنه خرج مِن دين قُرَيْش إِلى الإِسلام، للمزيد أنظر: ابن منظور: اللسان، والأزهري: التهذيب، مادة (صبأ).

[7] المخلافي : الصابئة المندائية طقوس وشعائر , .www.de/dw/article

وحتى في مَناماتِهم وأحلامهم فقد كان ارتداء الثَّوْب الأبيض عِند المصريين القُدماء في المَنام علامة على الخَير والشِفاء من مَرَضٍ عُضال، بينما يُمَثِل الرِداء المُتَسِخ، السوء والمَرَض[1].

كما كان من أحد أسباب القداسة التي حظي بها اللّوْن الأبيَض في الحَضارة المصرية ارتباطه بالآلهة، فالتاج الأبيض كان يَرمز للوَجه البَحري في مصر، حيث يَرتديه الفرعون للدَلالة على سُلطَته وسيادته على المنطقة [2]. ولم يقتَصِر اللّوْن الأبيض على التاج في مَلابِس المَلِك المُمثِل للآله، بل امتد في العهد الأشوري إلى أكثر من ذلك، إذ كان الزِي الرَسمي لكَهَنة المعابد قَميصاً من الكِتانِ الأبيَض [3]. كذلك فقد اعتبر العرافون (قراءة الهيئة) في حضارة وادي وادي الرافدين كون وجه المريض أبيض اللّوْن، أن ذلك علامة من علامات الشفاء [4]. كما كان كان اللّوْن الأبيض شعار رجال الدين اليونان، حملت كلمة الأبيض في اليونانية معنى السعادة والمرح [5].

ويطلق اللّوْن الأبيض على الكذب المبتغى من ورائه اصلاح ذات البين، فيقال: كذب كذبة بيضاء، كما يدل اللّوْن الأبيض على الصفاء والنقاء والاخلاص في جملة: فلان قلبه أبيض[6].

كما كان اللّوْن الأبيض في العصور القديمة مقدساً ومكرما لدى آلهة الرومان، وكان يضحى لهم بحيوانات بيضاء [7].

ولم تخل الموسيقى من دلالات معينة يَمْتَلكها اللّوْن الأبيض؛ فقد ارتبط اللّوْن الأبيض بجودة النغمة الموسيقية، ونقاوتها وخلوها من التردد والاهتزاز [1].

---

[1] كريم، سيد: **تفسير الأحلام عند المصريين القدماء**، مجلة الهلال، ع 10، السنة، 1983، اكتوبر، 1975، ص 35. (كريم، تفسير الأحلام فيما بعد).

[2] ارمان، أدولف: **ديانة مصر القديمة**، ص 125_128.

[3] جودي، محمد حسين: **تاريخ الأزياء القديم**، ط 1، عمان، دار صفاء، 1997، 30/1، ص 46/1. (جودي، تاريخ الأزياء فيما بعد).

[4] الماجدي، خزعل: **بخور الآلهة**، 278.

[5] طالو، محيي الدين: **الرسم واللّوْن**، ص 171.

[6] أبو زلال، عصام الدين عبد السلام: **ألفاظ الأَلْوان في القرآن الكريم (دراسة في البنية والدلالة)**، ص 20. (أبو زلال، ألفاظ الأَلْوان فيما بعد).

[7] دملخي، إبراهيم دملخي: **الأَلْوان نظريا وعمليا**، ص 102 _ 105.

وفي مقابل النَقاء، والطَهَارة والهَنَاء، وغيرها من الصِفات الطَيبة التي اتسمَ بها اللّوْن الأبيض في المَوْروث الإنْسانِي، نَجِد ارتباطه بذِهابِ البَصر، وقد ظهرَ هذا المَدْلول في الثَقافَة الجاهِلِيَّة عند العَرَب، والقرآن الكريم، وفي ذلك يقول الحارث بن حِلِّزة:

(الخفيف)

قبلَ ما اليـــومِ بيَّضـــتْ بعيـــونِ الـــن   اسِ فيهــــــا تغــــــيُّظٌ وإبــــــاءُ[2]

ومنه قوله تعالى: **" وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ ياأَسَفَا عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ "** (يوسف|84)، وإننا لَنَجِد التَعبير أكثر وضوحاً في الكِتاب العزيز، حيث بَين أن سَبب البياض الذي غَشِي عَيناه، هو الحُزن الذي ألَمَّ به، جَرَّاء فَقده ليوسف عليه السلام.

فابْيَضَت عَيناه من مُلازَمَة البُكاء، الذي هو ثَمَرَة الحُزْن، ورُوِي أن يعقوب _عليه السلام_ حَزِنَ حُزْنَ سَبعين ثَكْلى، وأُعْطِيَ أجرَ مائة شهيد، وما ساء ظَنه بالله قَط [3].

يحتلُ اللّوْن الأبيض مَكانة خاصة في حَياتِنا اليَومِية، ويَمْتَلِكُ رَمْزِيَة مُعَينة تَختلف عن باقي الألْوان، فإذا أردنا التَعْبير عن الأمنِ والسَلام، ذَكرْنا الرايةَ البَيْضَاء، وإذا ما ذَكرنا أصحابَ الخَير، نَعَتْناهم بأصْحاب الأَيْدي البَيْضَاء، كما أنَنا في أحاديثنا العامة نَنْعَتُ كلَ من يَمْتَلِكُ قَلباً يَخْلو منَ الحِقْدِ والضَغينَة، بأن قَلبه أبيَض. كثيرة هي المَعاني التي تَرتَبِط باللّوْن الأبيض، إما بِطَريقة مباشرة، أو بالتَكْنية عن تلك المَعاني؛ لكننا لو بَحَثْنا لوَجَدنا أن أكثَرها يَتَصل بالنَقَاء والصَفَاء، والوُضُوح، والشِفاء من المَرَض، والبُعْد عن كلِ ما يَسوء ويُعيب. ولم يَبتَعد الأمر كثيراً في القرآن الكريم، فقد اقترَنَ اللّوْن الأبيض بالعَديد من الدَلالات، منها الصَفَاء، فهو لَون مَشروبات أهل الجنّة، وكذلك هو لَون وجوه أهل الجنّة في نورِها وإشراقِها والخَلاصِ من كلِ سوء، والصَوْن من كل ما يُشِين.

اللّوْن الأَزْرَق

---

[1] ينظر : مليح مراد : الألوان والإنسان , علم النفس , http://www.alwaraq.net

[2] الحارث بن حلزة: **الديوان**، ص 29.

[3] الأندلسي: **المحرر الوجيز**، 272/3.

الزرق: خلاف الكحل، والعَرَب تتشاءم بزرق العيون وتذمه، أي تشوه خلقتهم بزُرقة عيونهم وسواد وجوهِهم. ولقد اختلف العَرَب عن غيرهم من الأمم في نظرتهم إلى اللّوْن الأَزْرَق، إذ كانت نظرتهم في مجملها مُغَلَّفَة بالنُفور والكَراهية، أبغضوه وتشاءموا منه نَسبوه لأعدائهم، وللجوارح من الطَير والحيَّات والهَوام، والذباب [1]. وقد جاء في تاج العروس أن الزرق: العمى [2].وقد وظَّف القرآن الكريم نُفور العَرَب من اللّوْن الأَزْرَق، ولم يذكر اللّوْن الأَزْرَق فيه إلا مرَّة واحدة، إذ جاء بصورة تقْشَعِّر لها الأبدان، وتَهلع منها القلوب قال تعالى: **" يَوْمَ يُنفَخُ فِى الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمِئِذٍ زُرْقاً يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْراً نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ يَوْماً " (طه|102).** يقول ابن كثير في التفسير: "زرق العيون من شدة ما هم فيه من الأهوال" [3]. وفي التسهيل لعلوم التنزيل: أي زرق الأَلْوان كالسواد وقيل زرق العيون من العمى [4]. أما روح المعاني ففيه: كونهم زرق الأبدان، وذلك غاية غاية في التشويه، ولا تزرق الأبدان إلا من مكابدة الشدائد، وجفوف رطوبتها [5]. ويقول ابن عباس: زرقاً أي عمياً [6]. ويورد القُرطبى معنى آخر ، وهو شُخوص البصر، من شِدة الخَوف[7]. الخَوف[7]. من قول سويد اليشكري:

(الطويل)

لَقَد زَرِقَــت عَينــاكَ يــا بــنَ مُكَعبَــرٍ كَما كُــلُّ ضَــبيٍّ مِــنَ اللُّــؤمِ أَزرَقُ[8]
أَزرَقُ[8]

أما الواحدي فيرى أن المقصود بأنهم زُرق العُيون سود الوجوه [1].

---

[1] عجينة: **موسوعة أساطير العَرَب**، 201/2.

[2] الزبيدي: **تاج العروس**، دار الهداية، مادة زرق.

[3] ابن كثير، إسماعيل بت عمر الدمشقي أبو الفداء: **تفسير القرآن العظيم**، د ط، بيروت، دار الفكر، 3 /166.

[4] الكلبي، محمد بن أحمد الغرناطي: **التسهيل لعلوم التنزيل**، ط4، لبنان، دار الكتاب العَرَبــي، 1983، 19/3. (الكلبــي، التسهيل لعلوم التنزيل، فيما بعد).

[5] الألوسي البغدادي، أبي الفضل شهاب الدين محمود: **روح المعاني** في تفسير القــرآن العظــيم والســبع المثــاني، د ط، بيروت، دار إحياء التراث العَرَبي، د ت، 260/16.(الألوسي، روح المعاني فيما بعد).

[6] الفيروزأبادي: **تنوير المقباس**، 1/ 266.

[7] القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، 217/11.

[8] الأغاني: **الأصفهاني**، 399/10.

بات من الواضح أن للون الأَزْرَق دلالة سَلبية حاضرة في نُفوس العَرَب في الجاهِلِيَّة، خاصة أن العَرَب عُرفوا بالتطَيُّر في كَثير من الأشياء كالحَيوان، والطَير، والأَلْوان والاتجاهات. وقد نوه الجاحظ إلى ذلك مُشيراً إلى بعض الأمثال السائِرة لديهم، التي تُؤكد نَبذ العَرَب للون الأَزْرَق منها قولهم: (أشأم من البسوس) [2]– وكانت زرقاء العَيْنين –، وزرقاء اليمامة الكاهنة، "وهي من بني جديس، حاولت أن تنقذ قبيلتها من غزو قادم إليهم إذ قالت لهم: قد جاءَتكم الشَجر أو قد غزَتكم حمير فقالوا: قد كبرت وخرفت فكذبوها فاستُبيحت بيضتهم " [3]. وهو ما ترجمه الأعشى في قوله :

أرى رجــــلا فــــي كفــــه كتــــف   أو يخصــــف النعــــل لهفــــي أيــــة صــــنعا
فكــــذبوها بمــــا قالــــت فصــــبحهم   ذو آل حســــان يزجــــي المــــوت والشــــرعا[4]

ومع أن زرقاء اليمامة حاولت إنقاذهم إلا أن النِهاية المَأساوية التي حصَلت لهم ربطت بينها وبين الشُؤم والنُفور.

ومن ذوات العيون الزرقاء التي تشاءم العَرَب منهن وارتَبَطت قِصَصهن بالشُؤم، الزباء مَلِكة تدمر، فقد قتَلَت خَطيبها، ثم قُتِلَت، وكذلك بنت الضَيزن التي ارتبطت قِصَّتها بالخِيانة لوطنها وقومها عندما فتَحت باب مدينة الحَضر لمَلِك الفُرْس [5].

من جهة أخرى أشار الجاحظ إلى علاقة اللّوْن الأَزْرَق بعالم الحيوان حيث ذكر أن الذبان التي تهلك الإبل زرق[6]؛ وكلنا نعلم مكانة الإبل لدى العَرَب في الصحراء، سواء على الصَعيد الاقتصادي أو النَفسي.

ومن هذا المُنطلق يذكر الجاحظ رد النسابة المشهور صحار العبدي، حين قال له معاوية: يا أزرق، فقال البازي: أزرق، وأنشد:

---

[1] الواحدي، علي بن أحمد: **تفسير الواحدي**،، تحقيق صفوان داوودي، ط1، بيروت، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، 1415، 705/2. (الواحدي، التفسير، فيما بعد).

[2] العسكري: **جمهرة الأمثال**، 537/1.

[3] السهيلي: **الروض الأنف**، 37/1، وينظر: **البغدادي**: خزانة الأدب، 311/1.

[4] الأعشى الكبير : **الديوان** , ص 13 .

[5] علاء الجوادي : تأملات في اللون الأزرق , http:/\\www.alnoor.se\article

[6] الجاحظ: **الحيوان**، 331/1.

(الطويل)

ولا عَيْبَ فيهــا غَيــر شُــهلَة عَيْنِهــا كذاك عِتَــاقُ الطَّيْــر شُــكْلٌ عُيُونُهــا[1]

هذا وقد جاء في الشِّعْر الجاهلي ما يدل على بُغض العَرَب وكراهيتهم للون الأَزْرَق، من ذلك قول عنترة:

(الكامل)

بنـــــواظر زرق ووجـــــه أســــود وأظـــافر يشـــبهن حـــد المنجـــل[2]

وقد جاء في المثل في صفة العدو قولهم: (هو أزرق العَيْن)، يضرب مثلا للعدو، ويقولون في معناه هو أسود الكبد، وهم صهب السبال، وهم سود الأكباد يعنون الأعداء [3]. إذن فقد كان أكثر ما نجد اللّوْن الأَزْرَق في شعر الجاهِلِيَّة مُرتبطاً بالعُنف والرُعب، وما يَتصل بهما من الحرب وأدواتها، وقد توَلَّد هذا التَرابط من تَصور العَرَب " أن زُرقة العيون تَدل على العداوة الشَديدة، لما كان بينهم وبين الروم من عَداوات " [4]. يقول امرؤ القيس[5]:

(الطويل)

مُغَرَّثَـــةً[6] زَرَقــا كَــأَنَّ عُيونَهـــا مِــنَ الــذَمرِ وَالإِيحــاءِ نُــوّارُ عِضــرِسِ[7]

إذ إن كلاب الصيد زرق الأنياب، وقد جُوِّعَت لتَكون أضرى وأشَدّ، وقد احمرَّت عُيونها كناية عن احتدام ثورتها.

---

[1] المرجع نفسه، 330/5.

[2] عنترة: **شرح ديوان عنترة**، د ط، شرحه عبد النعم شلبي، القاهرة، المكتبة التجارية، د ت، ص 138. (عنتـرة، شــرح الديوان، فيما بعد).

[3] العسكري، أبو هلال: **جمهرة الأمثال**، د ط، بيروت، لبنان، دار الفكــر، 1988، 2/369_370. (العســكري، جمهــرة الأمثال، فيما بعد).

[4] المغربي، أبو يعقوب : **مواهب المفتاح في شرح تلخيص المصباح**، تحقيق عيسى البــابي الحلبــي، مصــر، د ت، ص 293. (المغربي، مواهب المفتاح فيما بعد)

[5] امرؤ القيس: **الديوان**، ص 111.

[6] المغرثّة: المجوعة.

[7] العضرس: نبات من البقول زهره أحمر.

كما تطير العَرَب من ذوات العيون الزرقاء، إذ اعتقدوا أنهن يُمارسن السِحر، ويتعاملن مع الأرواح الشريرة، وأنهن حَسودات ولعُيونهن آثار سَلبية على من يَنظُرن إليه [1].

كذلك إذ عدنا لقضية وأد البنات، التي شاعَت لدى عرب الجاهِلِيَّة، نَجِد أن من أسباب الوأْد عندهم _كما ذكر أهل الأخبار_ أنهم كانوا يَئِدون الفتاة إذا كان بها نَقْص عنِد الولادة كأن تَكون زَرقاء أو شَيماء أو بَرشاء أو كَسحاء، وهي صفات كانت العَرَب تتشاءم منها [2].

ولم يقتصر توظيف كراهية العَرَب للَّوْن الأَزْرَق ونفورهم منه على القرآن الكريم، بل شمل ذلك الحديث الشريف، إذ نلمس ذلك من قول الرَّسُول _ عليه أفضل الصلاة والسلام_ " إذا قبر الميت أتاه مَلَكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المُنكر والآخر النَكير.." [3].

أما عند غير عرب الجاهِلِيَّة فقد اختلفت النظرة إلى اللّوْن الأَزْرَق، ولعله من الطبيعي أن تختلف الشُعوب في تَفسيراتها اللّوْنية، إذ احتل اللّوْن الأَزْرَق مكانة خاصة في العبرية، فهو لون الرب يهوه lord Jehovah، وهو أحد الأَلْوان المقدَّسة عند اليهود [4]. وربما كان السَبب في في ذلك إيمانهم أن الرَّب أو الإله موجود في الأعالي، فكانوا إذا رفعوا أعينهم إلى السَماء شاهدوا اللّوْن الأَزْرَق، وبناءً عليه اعتقدوا أنه لَون الرَّب.

وكذلك الأمر عند الهندوس الذين ارتبط لديهم اللّوْن الأَزْرَق بالإله كريشنا، وفي الشرق الأوسط يمثل اللّون الأزرق لون منع الضرر والحسَد، أما المصريون القدماء فقد قدسوا اللّوْن الأَزْرَق لأنه ارتبط لديهم بزرُقة السَماء التي تَسبح فيها الشمس (رمز الإله رع عند المَصريين القُدماء) إذ تعيش فيها الإلهة التي تَحمي الإنسان وتباركه [5].

من ناحية أخرى، وبناءً على نفور العَرَب من اللّوْن الأَزْرَق وكراهيتهم له، فقد وَظَّفوه لطَرد الشَر، والوقاية من العَيْن، فاستخدموا لذلك الخَرز الأَزْرَق كتَمائم لدَرء الشَر _ وربما

[1] علاء الجوادي : تأملات في اللون الأزرق , http://www.alnoor.se/article

[2] ينظر: الألوسي: **بلوغ الأرب**، 3/41_43. وعلي: **المفصل في تاريخ العَرَب**، 5/88_89.

[3] الترمذي السلمي، محمد بن عيسى أبو عيسى:**الجامع الصحيح سنن الترمذي**، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخـرين، د ط، بيروت، دار إحياء دار التراث العَرَبي، د ت، 3/383. (الترمذي، الجامع الصحيح فيما بعد).

[4] عمر: **اللغة واللّوْن**، ص 164.

[5] علاء الجوادي : تأملات في اللون الأزرق , http:/\\www.alnoor.se\article

يكون ذلك في رأيي من باب دَرء الشَرّ بالشَرّ خاصة أنهم نَفروا من اللّوْن الأَزْرَق، وربما بلغ بهم الأمر أن اعتقدوا أن به قوة سِحرية شِريرة تَستطيع بدَورها رد الشر، وإبعاده عنهم _ ولم يبتعد الأمر كثيراً عند البابليين الذين استخدموا الخرزات لرد الشر، ومنها أم سبع عيون، التي اعتقدوا أن لها دوراً وقائياً من النفس الشريرة، أو الإشعاع المنبعث من العَيْن الحاسدة حين يتشتت أو ينقسم إلى سبعة أقسام يفقد قابليته على الايذاء في الشخص المحسود، ومن هنا فقد علقوها في الأماكن التي يمكن أن تجذب نظر أولئك الأشرار [1]. وما نزال نلاحظ مثل تلك الطقوس والممارسات حتى أيامنا هذه، إذ نلجأ إلى تعليق الخرز الأَزْرَق، والكفوف الزرقاء والعيون الزرقاء ظناً من البعض بقدرة تلك الخَرزات أو الأحجار الزَرقاء على رد العَيْن الحاسدة، وإبعاد شرها.

وهكذا يَكون القرآن الكريم قد وَظَّف نُفور العَرَب في العَصْر الجاهلي من اللّوْن الأَزْرَق، فجاء المَعنى قَريباً إلى أفهامهم، وأشدّ وَقعاً على أفئِدَتهم؛ إلا أنني أذهب إلى تفسير البغدادي في روح المعاني، من أن أجساد الكفار تَزرَّق من كَثْرة مُكابدة الشدائد، وذلك بِهَدف التَعبير عن شِدَّة الهول الذي لحِق بهم، وبأجسادهم، حَيث أن ظُهور اللّوْن الأَزْرَق على أجسادهم دلالة على أنهم يَذوقون أكثَر أنواع العَذاب إيلاماً، وأشدها قَسْوة، وكل هذا بهَدف التَرهيب وهو أسلوب طالما اتَّبَعه القرآن الكَريم في مُخاطَبة العاتين عن دين الحَقّ.

الضَّرِيع

الضَّرِيع: نَبات أخضَر مُنتن يرمي به البَحر وله جوف. وقيل هو يبيس العرفج والخلة، وقيل: ما دام رطباً فهو ضَرِيع، فإذا يبس فهو الشَبرق، وهو مرعى سوء لا تعقد عليه السائمة شحماً ولا لحماً، وإن لم تُفارقه إلى غيره ساءت حالها [2]. قال تعالى: **"لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ "**(الغاشية|6).

لقد أجمع المُفسرون على خباثة الضَّرِيع، وبأنه طَعام سوء، بل هو شَر الطعام. جاء في تفسيرالبيضاوي بأن الضَّرِيع هو:" يبيس الشَبرق تَرعاه الإبل ما دام رطباً، وقيل شجرة نارية

[1] علاء الجوادي : تأملات في اللون الأزرق , http://www.alnoor.se/article

[2] ابن منظور: **اللسان**، مادة ضرع.

تشيه الضَّرِيع، والمراد بأن طعامهم ما تتَحاماه الإبل وتعافه لضُره وعَدم نفعه [1]. وجاء في الجلالين: إنه نوع من الشَوك لا ترعاه دابة لخُبثه "[2].

وقد جاء في الشِّعْر الجاهلي ما يُشير إلى خُبث الضَّرِيع وسوءه، يقول قيس بن عيزارة يصف إبلاً ساء مرعاها:

(الكامل)

فحبسن فـــي هــزم الضَّــرِيع وكلهـــا حَـــدباء باديـــة الضـــلوع حـــرود[3]

إن القرآن الكريم تمكن من توظيف ثقافة العَرَب في الجاهِلِيَّة ومعرفتهم التامة لهذه النباتات النتنة، التي لا تقل تأثيراً عن السم القاتل في فَعاليتها وخُبث طعمها، وبأنها من أسوأ المراعي؛ وذلك على سبيل تَنفيرهم من مَصير الكُفار، الذين لن يَكون لهم طَعام إلا من هذا النَبات الخَبيث الطعم، السَيء الرائحة .

الزَّنْجبيل

(زنجبيل) الزَّنْجبيل مما ينبت في بلاد العَرَب بأَرض عُمَان وهو عروق تسري في الأَرض ونباته شبيه بنبات الرَّاسَن وليس منه شيء بَرِّيّ, وليس بشجر يؤكل رطْباً كما يؤكل البَقْلُ ويستعمل يابساً وأَجوده ما يؤتى به من الزِّنْج وبلاد الصِّين وزعم قوم أَن الخَمْر يُسمى زَنْجَبيلاً قال وزَنْجَبيل عاتِق مُطَيَّب وقيل الزَّنْجبيل العود الحِرِّيف الذي يَحْذِي اللسان والعَرَب تصف الزَّنْجبيل بالطيب وهو مُستطاب عندهم جدًّا [4].

قال تعالى **" وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً "** (الإنسان|17)، يقول المفسرون عن الزَّنْجبيل: إنها الخَمْر التي يشربها أهل الجنّة، تمزج بالزَّنْجبيل [5]. أما الواحدي فيقول: الزَّنْجبيل شيء تستلذه العَرَب، فوعدهم الله ذلك في الجنّة، وجاء في التفسير الكبير أن العَرَب

---

[1] البيضاوي، ناصر الدين: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، د ط، بيروت، دار الفكر، د ت، ص 796. (البيضاوي، أنوار التنزيل، فيما بعد).

[2] المحلي، السيوطي: **تفسير الجلالين**، ص 805.

[3] **ديوان الهذليين**، ص 73. (ديوان الهذليين، فيما بعد).

[4] ابن منظور :**اللسان**، مادة زنجبيل.

[5] المحلي، السيوطي:**الجلالين**، 782/1. الفيروزآبادي: **وتنوير المقباس**، 495/1.

كانوا يحبون جعل الزَّنْجبِيل في المشروب لأنه يحدث فيه ضرباً من اللذع فلما كان كذلك وصف الله شراب أهل الجنّة بذلك، ولا بد وأن تكون في الطيب على أقصى الوجوه [1]. كذلك فقد جاء في الشِّعْر الجاهلي ما يشير إلى أن الزَّنْجبِيل من الأشربة المحببة لديهم، يقول الأَعشى يذكر طعم ريق جارية:

(المتقارب)

كَـــأَنَّ جَنِيّـــاً مِـــنَ الزَنجَبـــيلِ خـــالَطَ فاهـــا وَأَريـــاً مَشـــورا[2]

إذن، فقد وظَّف القرآن الكريم لفظة الزَّنْجِبيل في ترغيب العَرَب قبل الإسلام بالجنّة التي هي موعد المؤمن بالله عزَّ وجلّ، حيث يجد فيها كل ما لذ وطاب، وذلك بناءً على معرفة العَرَب بهذا المشروب، فهو محبب إلى أذواقهم، بل إنه من أطيب الأشربة لديهم؛ يحبون مزجه في شرابهم، ويستلذون بحرافته ولذعة مذاقه .

الثَّوْب

قال تعالى **" وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ "** (المدثر|4)، تَعددت آراء المفسرين لماهية الثَّوْب في الآية الكريمة، وقد حاول بعضهم تدعيم رأيه بما ورد في الشِّعْر الجاهلي، فمن تفسيراتهم أنه العمل، أو القلب، أوالنفس، أو الجسم، أو الخلق، أو الدين، أو الثياب الملبوسة على الظاهر. يفسر ابن عباس الثياب بالقلب، حيث يقول إن المقصود طهر قلبك من الغدر والخيانة والضجر، أي كن طاهر القلب ويقال ثيابك فطهر فقصر، ويقال وثيابك فطهر من الدنس [3]. أما البيضاوي فيفسرها بأن طهر ثيابك من النجاسات فإن التطهير واجب في الصلوات محبوب في غيرها وذلك بغسلها أو بحفظها عن النجاسة بتقصيرها مخافة جر الذيول فيها، وهو أول ما أمر به من رفض العادات المذمومة أو طهر نفسك من الأخلاق الذميمة والأفعال الدنيئة، أو فطهر دثار النبوة عما يدنسه من الحِقدِ والضَجَر وقلة الصبر[4]. وفسرالثَّوْب في تفسير الجلالين بالمعنى الظاهر للثياب، وهي الملبوسات، بحيث إن المقصود قصر ثيابك خوف النجاسة، خلاف جر العَرَب ثيابهم،

---

[1] الرازي،**التفسير الكبير**، 220/30.

[2] الأعشى: **الديوان**، ص 107.

[3] الفيروزآبادي: **تنوير المقباس**، 491/1.

[4] البيضاوي: **تفسير البيضاوي**، 411/5.

فربما أصابتها نجاسة [1]. أما الألوسي فإنه يرى أن الثَّوْب كناية عن النفس عما تقوم به من الأفعال، وتهذيبها عما يستهجن من الأحوال لأن من لا يرضى بنجاسة ما يمارسه كيف يرضى بنجاسة نفسه، فيقال فلان طاهر القلب نقي الذيل والأردان إذا وصف بالنَقاء من المعايب ومدانس الأخلاق، ويقال فلان دنس الثياب وكذا دسم الثياب للغادر، ولمن قبح فعله [2].

ولقد جاء في الشِّعْر الجاهلي ما يؤَكَّد أن العَرَب استخدموا الثَّوْب بمعنى النفس أو القلب أو الخُلُق، بالإضافة إلى المعنى الظاهري وهو اللباس. من ذلك قول راشد اليشكري يفتخِر بِبُعد نفسه عن الغدر والخَديعة:

(الطويل)

ولكنني أقْصـــي ثِيـــابِي مِــنَ الخَنـــا وبعضُهمو للغَــدْرِ فـــي ثَوْبِـــهِ دَســـم[3]

دَســـــــــــــــــــــــــــــم[3]

كذلك جاء الثَّوْب في أشعارهم بمعنى القلب، كقول عنترة:

(الكامل)

فَشَـــكَكْتُ بـــالرُّمْح الأصَـــمِّ ثِيَابَـــهُ لَيْسَ الْكَـــرِيمُ عَلَـــى الْقَنَـــا بِمُحَـــرَّم[4]

بِمُحَـــــــــــــــــــــــــرَّم[4]

فالشاعر يعني بقوله شككت ثيابه، أي شككت قلبه فالمَجاز في كلمة ثيابه التي أطلقت وأريد بها ما يجاورها من القلب، أو أي مكان آخر في الجسم يصيبه الرمح فيقتله. بالتالي فإن القرآن الكريم قد وظف ثقافة العَرَب في الجاهِلِيَّة بمفهومهم لمعنى الثَّوْب، في فهم الآية الكريمة، والتوصل إلى المراد منها، ولم يكن ذلك لولا أن كان لديهم فكرة واضحة عن معنى من معاني الثَّوْب، وهو القلب أو النفس.

---

[1] المحلي، السيوطي: **تفسير الجلالين**، 776/1.

[2] الألوسي: **روح المعاني**، 117/29.

[3] الضَّبِّيَّ: **المفضليات**، ص 174.

[4] الزوزني: **شرح المعلقات السبع**، ص 207.

الفصل الثالث

البيئة الطَبيعِية الحَيَّةُ ومُكوناتها

_ ما يتصل بالإنسان

_ ما يتصل بالحيوان

الفصل الثالث

البيئة الطَبيعِية الحَيَّةُ ومُكوناتها

_ ما يتصل بالإنسان

النُّصُب والقَرابين

النُّصُب: كل ما عبد من دون الله تعالى، والجَمع النَصائِب، وأَنْصَاب، وكان العَرَب يَعبُدُون الأَنْصَاب، وهي حِجارة كانت حولَ الكعبة، تُنْتَصَبُ فَيُهَلُ عليها، ويُذْبَح لغير الله تعالى[1].

تعالى[1].

يقول ابن الكلبي إنه " كان للعرب حجارة غير مَنصوبة، يطوفون بها ويعترون عندها، يسمونها الأنصاب، ويسمون الطواف بها الدوار"[2]، وصور الأنصاب كَثيرة في الشِّعْر الجاهلي، الجاهلي، وقد أكثر شعراء الجاهِلِيَّة من القسم بها[3]، وفي ذلك يقول المُتَلَمِّسُ الضُّبَعِيُّ:

(الكامل)

أطَرَدْتَنــــي حَـــــذَرَ الهجـــاءِ ولا   والــــلاَّت والأنصـــابِ مـــا تَئِـــلُ[4]

ومنه ما قاله زهيرُ بن أَبي سُلمى مُقسِماً:

(الطويل)

حلفـــتُ بأنصـــابِ الأُقَيْصِـــرِ جاهِـــداً   وما سُـحِقَتْ فيــه المَقــاديمُ والقمــلُ[5]
والقمـــــــــــــــــــــــــلُ[5]

---

[1] الزبيدي: **تاج العروس**، مادة (نصب).

[2] ابن الكلبي: **الأصنام**، ص 42.

[3] عبد الرحمن، نصرت: **الصورة الفنية في الشِّعْر الجاهلي في ضوء النقد الحديث**، عمان، مكتبة الأقصى، ص 27. عبد عبد الرحمن، الصورة الفنية فيما بعد).

[4] المتلمس الضبعي: **الديوان**، حققه حسن الصيرفي، جامعة الدول العَرَبية (معهد المخطوطات العَرَبية)، 1970، ص 42. .42

[5] ابن الكلبي: **الأصنام**، ص 38. وقد جاء البيت في ديوان زهيرُ بن أَبي سُلمى كالآتي:
فَأَقسَمتُ جَهداً بِالمَنازِلِ مِن مِنىً وَما سُحِقَت فيهِ المَقادِمُ وَالقَملُ (الطويل)
للمزيد، ينظر، ص 48.

وعن تلك النُّصُب يقول المُثَقِّبِ العَبْدِي لعمرو بن هند:

(الوافر)

يُطيــفُ بنُصْــبِهِمْ حُجْــنٌ[1] صِــغَارٌ   فقــد كــادَتْ حــواجِبُهُمْ تَشِــيبُ[2]

وكذلك قول زهير:

(البسيط)

فــزلَّ عنهــا ووافَــى رأسَ مرقبــةٍ   كمنصبِ العتــرِ دمَّــى رأســهُ النسُــكُ[3]

والنُسُكُ والنِّسِيكة: الذبيحة، وقيل: النُّسُك الدم والنَّسِيكة الذبيحة تقول من فعل كذا وكذا فعليه نُسُك؛ أَي دم يُهَرِيقُه بمكَّة _شرفها الله تعالى_ واسم تلك الذبيحة النَّسِيكَة، والجمع نُسُك ونَسَائِكُ، وقيل: المَنْسَكُ النَّسْك نفسه، والمَنْسِكُ الموضع الذي تُذْبَحُ فيه النَّسِيكة والنَّسائك وقال الفراء:" المَنْسَكُ المَنْسِكُ في كلام العَرَب الموضع المعتاد الذي تعتاده، وقال أَبو إِسحق: قُرِئَ لكل أُمة جعلنا مَنْسَكاً ومَنْسِكاً قال: والنَّسْكُ في هذا الموضع يدلّ على مَعنى النَّحْر، كأَنه قال جعلنا لكل أُمة أَن تَتَقربَ، بأَن تذبح الذبائح لله فمن قال مَنْسِك فمعناه مكان نَسْك "[4].

قال تعالى: **"يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَّ جْدَاثِ سِرَاعاً كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ"** (المعارج|43)

والمعنى أنهم يوم يَخرجون من الأَجْداث يسرعون إلى الداعي، مستبقين كما كانوا يستبقون إلى أنصارهم[5]. نلاحظ من الآية الكريمة أن الله _عزَّ وجلّ_ أراد أن يصور خروج أولئك القوم من قبورهم، والحالة التي هم عليها من الهَلَع والإسراع، عَمِدَ إلى توظيف مَوروثهم الثقافي، ومَشهَد مُعتاد من مشاهد حَياتهم اليَومية، ليَكون ذلك أسرع في إيصال المَعنى إلى أذهانهم.

---

[1] حجن: صبيان.

[2] المُثَقِّبِ العَبْدِي: **الــديوان**، حققه حسن الصيرفي، جامعة الــدول العَرَبيــة(معهــد الخطوطــات العَرَبيــة)، 1971، ص 261.المثقب، الديوان فيما بعد).

[3] زهيرُ بن أَبي سُلمى: **الديوان**، ص 178.

[4] ابن منظور: **اللسان**، مادة (نسك).

[5] الرازي: **التفسير الكبير**، 118/30.

وقد عرفت الأنصاب عند العَرَب وعند غيرهم من الشعوب، كأداة يقدَّم من خلالها القربان، خاصة إذا عرفنا أن القَرابين قد عُرفت لدى جميع الحضارات البشرية. وقبل أن نستعرض أنواع القَرابين وخلفياتها لدى الأمم والشعوب، بما فيها العَرَب في العَصْر الجاهلي، يجب أن نتطرق لماهية القربان[1] والأُضحية، وقد جاء بأن الأُضحية والقربان هي: قربة إلى القدسي (الله وسواه)، والتَضحية هي وضع القدسي على محك اختِبار ديني، تتدَرج في التراث الاجتماعي الثقافي الديني لكل جَماعة، وتجري التَضحية بكيفية احتفالية ومأساوية [2].

تعدَّدت الآراء حول الدَوافع، أو الأسباب التي تقف وراء عملية تَقديم القرابين، فمِنهم من قال: إن الخوف من الآلهة كان يقف وراء طقوس الصلاة وتَقديم القرابين [3].وهذا ما أكَّدَتْه الديانة الفرعونية، حيث جاء فيها أن الناس كانوا يَتَوسلون إلى الإله أن يعود، وراحوا يُقدِمون له القرابين البَشرية لِيزول غَضبه.. ولكنه كان رحيماً بعباده.. فلم يحتمل قلبه أن يضحي بعض البشر ببعضهم تكفيراً عن ذنوب المذنبين.. فقرر أن يهديهم إلى استبدال المذنبين بالثيران والطير في القربان.. على أن يتلو الكاهن الذي تولى تقديم القربان تعاويذ خاصة تحل الحيوانات محل المذنبين[4].

ويضيف العودات أنه وبعد أن كانت القرابين تَستمد أهميتها من كَونها مقدمة للآلهة، أصبحت فيما بعد قادرة على السَيطرة على الآلهة والطبيعة [5]. أما في الحضارة البابلية فقد كان الاعتقاد بأن العبادة والتَّوَسُّل والدعاء، والسجود والقرابين والتضحية، تطيل العمر، والصلاة تطهر الجسم من الآثام [6].

---

[1] والقُرْبَانُ بالضَمِّ؛ ما يُتَقَرَّبُ به إلى اللهِ تعالَى شَأْنُهُ تقولُ منهُ: قَرَّبْتُ إلى اللهِ قُرْبَاناً. للمزيد أنظر: لسان العَرَب، مادة (قرب)

[2] خليل، خليل أحمد: **معجم المصطلحات الدينية**، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، ط1،1995، ص 53.(خليل، معجم المصطلحات فيما بعد).

[3] ديورانت ول: **بلاد مابين النهرين (الحضارات البابلية والأشورية)**، ط1، القاهرة، مكتبة الآداب، ص 195.(ديورانت، بلاد مابين النهرين فيما بعد).

[4] مظهر: **قصة الديانات**، ط 2، القاهرة، مكتبة مدبولي، 2002، ص 33. (مظهر، قصة الديانات فيما بعد).

[5] العودات، حسين: **الموت في الديانات الشرقية**، ط 4، دمشق، الأهالي للطباعة والنشر، 1995، ص 72.(العودات، الموت فيما بعد).

[6] غزالة، هديب: **الدولة البابلية الحديثة**، ط1، دمشق، الأهالي للطباعة والنشر، 2001، ص 177.(غزالة، الدولة البابلية فيما بعد).

لقد كانت التضحيات والتقدمات أولى مظاهر التدين القديم، حتى عندما لم يكن التدين أكثر من شعور داخلي غامض، لا يتَشكل بغير الرغبات في العَطاء، والمحاولات لإبعاد القلق الطَبعي المجهول الباعث، وقد وجِدت دلائل هذا النوع من التَدين بشكل تَضحيات بشرية في أسس الأبنية في أرض الرافدين، حيث وجدت في نوزي جثة طفل بعمر شهرين مدفونة في إناء تحت أحد الجدران؛ مما يُرَجِّحُ أن الطفل كان أُضحية قبل المُباشرة في البناء [1]. كما ظَهر ما يُماثل هذا التقليد في أرض كنعان، فقد جاء في النصوص العِبرية ما يشير إلى ذلك، حيث يذكر سفر الملوك الأول أن في زمن آخاب " بنى حيئيل البيتئيلي أريحا بأبيرام بكره وضع أساسها وبسجوب صغيرة نصب أبوابها " [2]. وكذلك فقد أشارت نصوص العهد القديم إلى طقوس التدين الكنعاني التي تَقضي التضحية بالأطفال: " عملوا لآلهتهم كل رجس لدى الرب مما يكرهه إذ أحرقوا حتى بنيهم وبناتهم بالنار لآلهتهم " [3]. وفي المزامير يرد " ذبحوا بنيهم وبناتهم للأوثان، وأهرقوا دما زكيا دم بنيهم وبناتهم الذين ذبحوهم لأصنام كنعان، وتدنست الأرض بالدماء " [4].أما [4].أما يوسف الحوراني فيُلخص الدافع وراء مثل تلك التَضحِيات الكبرى، بأنه دافِع نَفسي غامِض، يعتبر البناء كالنَسل امتداداً شخصياً لوجود الإنسان ذاته، ولذا فالتَضْحِية في أساسه تجعله مُبَرَّأً لدى الإله، ومُرتبطاً بعاطفة الإنسان أكثر من ارتِباطه النَفْعي به، ولكي نَعي هذه الرابطة بين الإنسان والبِناء علينا أن نستعين بالعاطفة التي تَشدنا إلى قبور من نُحب أو إلى منازلهم على الأقل[5]. ويضيف الحوراني: ويبدو أن عملية التضحية بالأطفال كانت من مبدأ تقديم تقديم البواكير من كل غلال المواسم والحيوانات والأبناء للإله، وقد أصبَحت عملية افتداء أبكار الإنسان بالحيوانات، قاعدة لدى بني إسرائيل: " كل فاتح رحم من كل جسد يقدمونه للرب من الناس ومن البهائم يكون لك غير أن تقبل فداء بكر الإنسان وبكر البهيمة النجسة تقبل فداءه"[6]. ويلخص الحوراني الغاية من التَضحية بالأبناء، أنها لسَحق قلب الإنسان بالحُزن؛ كي يشعر بأن

---

[1] الحوراني، سوسف: **البنية الذهنية الحضارية في الشرق المتوسطي الآسيوي القديم**، بيروت، دار النهــار، 1978، ص 341. (الحوراني، البنية الذهنية فيما بعد).

[2] **سفر الملوك الأول**: 34/16.

[3] تثنية: 31/12.

[4] **المزامير**: 37/106_38.

[5] الحوراني: **البنية الذهنية الحضارية**، ص 342.

[6] **عدد**: 15/18.

الله هو أكثر عطفا عليه وتضاؤله أمامه [1].فقد جاء في سفر الجامعة ما يؤَكَّد ذلك: " الذهاب إلى بيت النوح خير من الذهاب إلى بيت الوليمة، الحزن خير من الضحك؛ لأنه بكآبة الوجه يصلح القلب"[2].

لقد أكدت المصادر التاريخية المختلفة _أخباراً كانت أم نقوشاً أم حفريات _ وجود القرابين لدي معظم الأمم والشعوب، ومنها العَرَب في الجاهِلِيَّة، وقد ظهر ذلك جَلياً في أشعارهم، كما سبق وذكرت.

وجاء في الأخبار ما يوحي بوجود القرابين البشرية لدى العَرَب قبل الإسلام كوسيلة من وسائل الوفاء بالنُذور، فقد التجأ عبد المطلب إلى هذا النذر لما عارضه عدي بن نوفل بن عبد مناف في حفر زمزم وأذاه وقال له: " أعبد المطلب أتستطيل علينا وأنت فذّ[3] لا ولد لك؟ " فقال: " أوَ بالقلة تعيرني فلله عليّ النذر لئن آتاني الله عشرة من الأولاد الذكور لأنحرن أحدهم عند الكعبة وفي لفظ أن أجعل أحدهم لله نحيرة، " [4]. وقد جاء في القرآن الكريم ما يدل على ذلك، فقال تعالى: **" وَكَذَالِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ"** (الأنعام|137)

"المعنى: فكما زين لهؤلاء أن جعلوا لله نصيبا ولأصنامهم نصيباً كذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم وقيل: كان الرجل في الجاهِلِيَّة يحلفُ بالله لئن ولد له كذا وكذا غلاماً؛ لينحرن أحدهم كما فعل عبد المطلب حين نذر ذبح ولده عبد الله " [5]وقد أراد عبد المطلب المطلب أن يقدم ابنه عبد الله ضحية وقرباناً .

إن تقديم الضحايا البشرية للآلهة أمر معروف لدى الساميين، وكان العَرَب يقدمون القرابين لآلهتهم ويسيرون في مواكب حول معابدهم، وكان المنذر بن ماء السماء (505_554

---

[1] الحوراني: **البنية الذهنية**، ص 346.

[2] **الجامعة**: 2/7،3.

[3] الفَذُّ الفَرْد والجمع أَفذاذ , للمزيد أنظر : ابن منظور : اللسان , مادة (فذذ) .

[4] الحلبي، علي بن برهان الدين: **السيرة الحلبية في سيرة الأمين والمأمون**، د ط، بيروت، دار المعرفة، 1400ه، 57/1. الحلبي، السيرة الحلبية فيما بعد).

[5] القرطبي: الجامع، 81/7.

م) في الحيرة يقدم كثيراً من أسرى المسيحيين تكريماً للسيار "فينوس" (الزهرة). كما كان عرب شبه جزيرة سيناء يقدمون القرابين البشرية لنفس هذا السيار. وقد سَبَقهم الإسرائيليون منذ عهد بعيد إلى مثل ذلك[1]. كما أن المنذر الثالث كان قد قدم قربانا إلى الإلهة العزى ابن الملك الغساني مع أربعمئة من الراهبات، وإلى هذا الملك ينسب تأسيس (الغريين) وهما نصبان كبيران إلى جوار الكوفة، وهما أيضا مكرسان إلى العزى، وسكب عليها دماء الأضاحي، وقد تكون هذه الأضاحي ضحايا من البشر[2]. ويرى جواد علي أن طقوس التقَرُب بالولد الغالي والفتاة الجميلة وعِبادة الموتى، إنما هي امتداد لِطقوس كانت عند الفراعنة [3].

وفي الديانة الكَنعانية، أقيمت الطقوس الدينية على الجِبال بعد إقامة المذابح عليها، وهناك قدمت القرابين الحيوانية والبشرية (الابن الأكبر أحياناً)، ويسمى هذا الطقس (قربان الابن الأكبر) [4]، وقد أشار الماجدي إلى أن الكنعانيين عرفوا جميع أنواع الأضاحي النباتية والحيوانية والبشرية، فقد كانوا يقدمون القرابين من الخبز والطحين لتماثيل الآلهة في الغابات، وكانوا يذبحون الحيوانات، ويَصُبُّون الخُمور فوق الأضرحة لتشربها الأموات في العالم الآخر[5]. ويبدو ذلك في أحد النصوص الكنعانية، التي سجلها كبير كهنة أوغاريت إيلي ميلكو:

شقاقات العشيرة . انا نفتش عن ملجأ

مهيأ لقتلنا.........

حتى تكثر الماشية......

الماشية ستتكاثر..........

---

[1] حسن، إبراهيم حسن: **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، ط 5، القاهرة، مكتبة النهضة المصـــرية، 1959، 72/1.(حسن، تاريخ الإسلام فيما بعد)

[2] غويدي، أغناطيوس: **محاضرات في تاريخ اليمن والجزيرة العَرَبية قبل الإسلام**، ترجمه وقدم له ابراهيم الســـامرائي، ط 1، لبنان، بيروت، دار الحداثة للطباعة والنشر، 1986. ص 48_49.(غويدي، محاضرات في تاريخ اليمن فيما بعد)

[3] علي، جواد: **المفصل**، 35/2.

[4] عدامة، صلاح: **حضارات عالمية**، ط1، فلسطين، جامعة القدس، مكتبة دار الفكر، 2003، ص 15.(عدامة، حضـــارات فيما بعد).

[5] الماجدي، خزعل: **المعتقدات الكنعانية**، ط 1، عمان، الأردن، دار الشلاوق، 2001، ص 248.(الماجــدي، المعتقــدات الكنعانية).

وذبائح التكفير يجب أن تزداد....... [1]

كذلك الأمر في الحضارة المصرية، فكان طقس تقديم القرابين تقليداً مصرياً يومياً، مبنياً على أساس أن الآلهة والأموات من الناس يحْتاجون إلى الطعام، كما يحتاج الناس الأحياء، وكان تقديم القرابين شعيرة ثابتة في الطقوس الإلهية اليومية، التي يقوم بها كهنة المعابد، أو الاحتفالات الدورية، وطقوس المناسبات الدينية، وكانت هذه القرابين تقتسم آخر الأمر بين الكهنة والعاملين، وتتكون القرابين عادة من الحيوانات والنباتات، وقد تكون بسيطة تقتصر على صب الماء والبخور، كما هي الحال في قرابين الظهيرة اليومية، أما قرابين الصباح والمساء فقد كانت عامرة "[2].وقد وجد في النصوص الدينية المصرية ما يؤَكّد وجود القرابين البشرية لديهم: " وراح الناس يتوسلون إلى الإله أن يعود.... وراحوا يقدمون له قرابين بشرية ليزول غضبه..ولكنه كان رحيما بعباده، فلم يحتمل قلبه أن يضحي بعض البشر ببعضهم تكفيراً عن ذنوب المذنبين، فقرر أن يهديهم إلى استبدال المذنبين بالثيران والطير في القربان..على أن يَتلو الكاهن الذي تولى تقديم القربان تعاويذ خاصة تحل الحيوانات محل المذنبين " [3].

وقد اقتبست الديانة اليهودية من الفراعنة طقساً أعتقد أنه يتصل بالقربان، وهو طقس الختان الذي قدم فيه الإنسان الجزء (الختان) عوضاً عن الكل (الإنسان)، ثم أصبح فريضة من فرائض (الولاء للجنس)، وإجراؤه دليل قاطع على اليهودية الأصلية [4].

والختان (circumcision) تقابلها في العبرية كلمة "ميلاّه"، ويقال أحياناً "بريت ميلاه" أي عهد، ويختن الطفل اليهودي بعد ميلاده بسبعة أيام على الأكثر. والختان عادة قديمة جداً، شاعت بين أمم العالم القديم، وهو ضرب من الطقوس الخاصة بالدم (عهد الدم) التي تدخل ضمن القرابين البشرية الشائعة في الشرق الأدنى القديم، أو ضمن شعائر بلوغ سن الرشد، وقد نقلها العبرانيون عن المصريين الذين كانوا يكنون ازدراء خاصاً للشعوب التي لا تمارس

---

[1] ميديكو، ديل: **اللآلىء من النصوص الكنعانية**، نقلها إلى العَرَبية وعلق عليها مفيد عرنوق، ط 2، بيروت، لبنان،دار أمواج للطباعة والنشر، 1989، ص 128. (ميديكو، اللالىء، فيما بعد).

[2] الماجدي: **الدين المصري**،عمان، دار الشروق، ط1، 1999، ص230.(الماجدي، الدين المصري فيما بعد).

[3] مظهر: **قصة الديانات**، ص 33.

[4] شلبي، أحمد: **اليهودية (مقارنة الأديان)**، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1996، ص 297. (شلبي، اليهودية فيما بعد).

الختان، والختان داخل الإطار التوحيدي تعبير عن تقبل الحدود، ورغبة الإنسان في طاعة ربه[1].
وعن جذور الختان يشير غليونجي نقلا عن هيرودوت إلى: أن الذين زاولوا الختان من أقدم العصور هم المصريون والآشوريون والكولشيديون والأحباش أما غيرهم من الشعوب فقد عرفوه من المصريين، وكانت عملية الختان تجري للأولاد غالباً بين السادسة والثانية عشرة من أعمارهم في المعابد، ومع ذلك فإنها لم تكن فرضاً على الشعب كما صارت فيما بعد عند اليهود أو سنة عند المسلمين [2].

وفي الديانة الفيدية وهي ديانة الشعوب الآرية التي أغارت على الهند من شمالها الغربي حوالي عام (1500 ق م) أي أنها إحدى الديانات الهندوسية _ هناك أهمية خاصة للأُضحيات المُقَدِّمة للآلهة، وليست الغاية الرئيسة من هذه الأُضحيات عبادة الآلهة، بل دَوام الخلق، لأن في القَرابين أساس توسع الخلق، ونُموه وتقدمه، والقَرابين ضَرورية لإنعاش الخلق وتَقويته وبَعث الحياة فيه [3].

كما وجدت القَرابين البشرية لدى الطائفة الكُنفوشيوسية [4]، وكانت إحدى الطُقوس المُتَّبعة في عِبادة الأسلاف، وكان هذا الطَقس يتم بأن يتقدم رب الأسرة، ويَجثو على ركبتيه أمام اللوحات والتَماثيل الإلهية، وهو يرُتل: أنا العابد الحفيد فلان الفلاني، أتقدم قُربانا لكم، والهَدف من هذه التَراتيل هو طَرد الأرواح الشريرة [5].

---

[1] المسيري: **موسوعة اليهود** واليهودية والصهيونية، 5بيروت، القاهرة، دار الشروق، 207/1999.(المسيري، موسوعة اليهود فيما بعد).

[2] غليونجي، بول: **الطب عند قدماء المصريين**، ط 2، بيروت، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، ص 144.(غليونجي، الطب فيما بعد).

[3] الزحيلي، أحمد والعش، يوسف: **تاريخ الأديان**، ص 163.

[4] الكونفوشيوسية: إحدى العقائد الصينية، نسبة إلى كونفوشيوس مؤسس العقيدة الصينية، ولد سنة 551 ق م، في مدينة تسو، كانوا يسمونه كونج_فو_تشي، أي كونج الفيلسوف وكان ابنا غير شرعي، توفي والده وعمره ثلاث سنوات، عاش يتيما، ثم عمل قاضيا ووزيرا، وكان كونفوشيوس كسقراط، شفهيا لا يلجأ فيه إلى الكتابة، وعندما بلغ الثانية والخمسين، كان قد قام بدور كبير جدا في تعليم أبناء الصين،ومات في سنة 478 ق م.وإن العقيدة التي جاء بها كونفوشيوس وعمل على نشرها تدخل تحت ما يسمى بالمذهب الإنساني، وأساس تعاليمه ألا يعتمد الإنسان على أي كائن علوي أو أية قوة غير منظورة يطلب منها العون والتوفيق في حياته، بل على المرء أن يصل إلى ما يتمناه من مراتب التقدم والسعادة عن طريق ذاته فحسب، ويكون ذلك بتثقيف نفسه وتهذيبها، لأن المعرفة الصحيحة هي وسيلة الحياة السعيدة الهانئة. للمزيد: ينظر: مظهر، سليمان: **قصة الديانات**، 190_212.

[5] نيدهام، جوزيف: **موجز تاريخ العالم والحضارة في الصين**، ترجمة محمد غريب جودة، مصر، مكتبة الشروق (الهيئة المصرية العامة للكتاب)، 1995، ص 147.(نيدهام، موجز تاريخ العالم فيما بعد).

التَّطَيُّر

الاسم الطيَرَةُ والطِّيْرَةُ والطُّورةُ، وقال أَبو عُبيد: الطائرُ عند العَرَب الحَظُّ، وهو الذي تسميه العَرَب البَخْتَ، وقال الفراء الطائرُ معناه عندهم العمَلُ وطائرُ الإِنسانِ عَمَلُه الذي قُلِّدَه وقيل رِزْقُه والطائرُ الحَظُّ من الخير والشر، ويجوز أَن يكون أَصله من الطَّيْرِ السانحِ والبارِحِ وقوله عزَّ وجلّ **" وكلَّ إِنْسانٍ أَلْزَمْناه طائرَه في عُنُقِه "** (الإسراء|13)، قيل حَظُّه وقيل عَمَلُه[1]. وقال المفسرون: " ما عَمِل من خير أَو شرّ أَلْزَمْناه عُنُقَه إِنْ خيراً فخيراً وإِن شرّاً فشرّاً والمعنى فيما يَرَى أَهلُ النّظر أَن لكل امرئ الخيرَ والشرَّ قد قَضاه الله فهو لازمٌ عُنُقَه، وإِنما قيل للحظِّ من الخير والشرّ طائرٌ لقول العَرَب جَرَى له الطائرُ بكذا من الشر، على طريق الفَأْلِ والطِّيَرَةِ، على مذهبهم في تَسمية الشيء بما كان له سبباً، فخاطَبَهُم اللهُ بما يستعملون، وأَعْلَمَهم أَن ذلك الأَمرَ الذي يُسَمّونه بالطائر يَلْزَمُه وقرئ طائرَه وطَيْرَه، والمعنى فيهما قيل عملُه خيرُه وشرُّه وقيل شَقاؤه وسَعادتُه " [2]

ومن الآيات التي تحدثت عن التَّطَيُّر بوصفه ثقافة جرى عليها العَرَب في الجاهِلِيَّة ومارسوها، قوله تعالى: **" وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءالَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّن الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَاذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَلاإِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَاكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ "**(الأعراف|130-131). إذ كان آل فرعون وقومه إذا جاءتهم الحسنة؛ أي من الخِصْب والرزق، قالوا لنا هذه؛ أي هذا لنا بما نستحقه، وإن تصبهم سيئة أي جَدْب وقحط؛ يطيروا بموسى ومن معه؛ أي هذا بسببهم وما جاؤوا به [3].

وعن أصل التَّطَيُّر يقول الجاحظ: " وأصلُ التَّطَيُّر إنما كان من الطّير ومن جهة الطير إذا مرَّ بارحاً أوْ سانحاً أو رآه يتفلى وينتَتِف، حتى صاروا إذا عاينوا الأعورَ من النّاس أو البهائم، أو الأعضب أو الأبتر، زجروا عند ذلك وتطيَّروا عندها، كما تطيَّروا من الطير إذا رأوها على تلك الحال، فكان زجر الطّير هو الأصل، ومنه اشتقوا التَّطَيُّر ثمَّ استعملوا ذلك في كلِّ شيء، وللطَّيَرة سمَّت العَرَب المنهوش بالسَّليم والبرّيّة بالمفازة وكنوا الأعمى أبا بصير والأسود أبا البيضاء، وسمّوا الغُراب بحاتم إذ كان يحتم الزّجر به على الأمور فصار تطيُّرهم

---

[1] ابن منظور: **اللسان**، مادة (طير).

[2] ينظر: القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، 229/10. والكلبي: **التسهيل لعلوم التنزيل**، 168/2.

[3] ابن كثير: **تفسير ابن كثير**، 240/20.

من القعيد والنَّطيح ومن جرد الجراد ومن أن الجرادة ذاتُ ألوان وجميعِ ذلك دون التَّطَيُّر بالغراب؛ فالغراب أكثر من جميع ما يُتطيَّرُ به في باب الشُؤم، ألا تراهم كلما ذَكروا ممَّا يتَطيرون منه شيئاً ذكروا الغراب معه، وقد يَذكرون الغراب ولا يذكُرون غَيره، ثم إذا ذكروا كلّ واحدٍ من هذا الباب لا يُمكنهم أنْ يتطيروا منه إلاّ من وجهٍ واحِد، والغراب كثير المعاني في هذا الباب فهو المقدَّم في الشُؤم، ولم ينحصر تشاؤم العَرَب من الغراب من صوته ولونه بل تشاءموا من أوصافه، فإذا سل ريشه يَدل ذلك على خبر آت " [1].

والعَرَب تتشاءم بالغراب، ولذا اشتقوا من اسمه الغُربة والاغتراب والغريب[2] . إلا أنني أنني أتفق مع يحيى جبر الذي يَرى أن في ذلك بعض الشك، وأن كل ذلك من "غرب" للاختِفاء، ولَون الغراب من ذلك، وعن تَشاؤمهم من الغربان يقول الشاعر:

(الطويل)

جَـــرَى بِفِـــرَاقِ الْعَامِرِيَّـــةِ غُـــدْوَةً   شَـــوَاحِجُ سُـــودٌ لا تُعيـــدُ ولا تُبْـــدِي
لَعَمْرِي لَقَدْ مَـــرَّتْ بِـــيَ الطَّيْـــرُ آنِفـــاً   بِما لَمْ يَكُنْ إذْ مَـــرَّتِ الطَّيْـــرُ مِـــنْ بـــدِّ[3]
بـــــــــــــــــــــــــــــدِّ[3]

الشواحج: الغربان وقوله: ما تعيد وما تبدي مثل والمُعيد العالم بالأمور، والمُبدئ المعبد المذلل، وكان من عادتهم التشاؤم بالغِربان وُ التَّطَيُّر منها فيقول: جرى بفراق هذه المحبوبة أول النهار غربان سود لم تعلم من الأمر شيئا، ولم تعبد ولم تذلل؛ لأنها وَحشية يريد أن ذلك لم يكن عن عِلِم منها وتجربة؛ وإنما هو عادة لنا وتطير منا، أو المعنى أن الغراب صاح في أول النهار فكان صياحه فألاً لفراق العامرية، على أن صوته لا يُبدي مَعنى ولا يعيد فحوى.

ويضيف الجاحظ: " وليس في الأرض بارحٌ ولا نَطيح، ولا قَعيد ولا أَعضب، ولا شيءٌ مما يتشاءمون به إلا والغرابُ عندَهم أنكدُ منه، يرون أن صِياحَه أكثر أَخباراً، وأن الزَّجر فيه أعمُّ [4]، وقال عنترة:

---

[1] الجاحظ: **الحيوان**، 438/3 _443.

[2] الدميري: **حياة الحيوان**، د ط، القاهرة، المطبعة الأميرية، د ت، 206/2.(الدميري، حياة الحيوان فيما بعد).

[3] أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي: **ديوان الحماسة**، د ط، مصر، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، 1955، 305/1.(أبو 305/1.(أبو تمام، ديوان الحماسة فيما بعد).

[4] الجاحظ: **الحيوان**، 316/2.

(الكامل)

حَــرِقُ الجنّـــاح كـــأن لَحيَـــىْ رأســـهِ   جَلَمـــان بالأخبـــار هـــشٌ مُولَــــع[1]

وبلغ من كراهيتهم للغراب وتَطيرهم به، أنهم كَرهوا أكل لحْمه .

قال وَعلَة الجَرمي:

(الوافر)

فمـــــا بالعـــــارِ مـــــا عَيَّرتُمونـــــا   شِــواءَ الناهِضــاتِ[2] **مــع الخَبــيص**[3]

الخَبـــــــــــــيص[3]

فمـــا لحـــمُ الغُـــرابِ لنـــا بـــزادٍ   ولا سَـــرَطانُ أنهـــارِ البـــريص[4]

إلا أن التَّطَيُّر من الغُراب ولونه لم يَشمل العَرَب كلهم، فها هو الأعشى يَخالفُ الشِّعْراء في مَوقفهم من لَون الغُراب، ويستَخْدمه لإبراز صِفة جمالية، وليس العَكس، فقد جعله معادلاً موضوعياً للفُتُوّة والشَباب في الإنسان، يقول:

(المتقارب)

وَإذ لِمَّتـــــي[5] **كَجَنـــــاحِ الغُـــــداف**[6]**ِ   تَرنـــــو الكَعـــــابُ**[7] **لَإعجابِهـــــا**[8]

---

[1] الخطيب التبريزي: **شرح ديوان عنترة**، ط 1، مجيد طراد، بيروت، دار الكتاب العَرَبي، 1992، ص 94.

[2] والناهِضُ:الفرْخُ الذي استَقَلَّ للنُّهوض، وقيل: هو الذي وفُرَ جَناحاه، ونَهضَ للطَّيَران وقيل: هو الذي نَشر جناحَيْه ليَطِيرَ، ليَطِيرَ، والجمع نَواهِضُ، ونهَض الطائرُ بسَط جناحيه ليطير، والناهِضُ فرْخُ العُقاب الذي وفُرَ جناحاه ونَهــضَ للطيــران، للمزيد ينظر: ابن منظور: **اللسان**، مادة (نهض).

[3] والخَبِيصُ الحَلْواءُ المَخْبُوصةُ. للمزيد أنظر: ابن منظور: **اللسان**، مادة (خبص).

[4] ينظر: الجاحظ: **الحيوان**، 317/2. والبَرِيصُ نهرٌ بدمشق. للمزيد أنظر: ابن منظور: **اللسان**، مادة(برص).

[5] واللُّمةُ المثل يكون في الرجال والنساء، يقال تزوّج فلان لُمَتَه من النساء أَي مثله، ولُمةُ الرجلِ تِرْبُه وشَكْلُه، يقــال هــو لُمَتي، للمزيد ينظر: ابن منظور: **اللسان**، مادة (لما).

[6] الغُداف: الغُراب وخص بعضهم به غُراب القيظ الضخْمَ الوافِرَ الجِنّاحين والجمع غُدْفانٌ، للمزيد ينظــر: ابــن منظــور: **اللسان**، مادة (غدف).

[7] الكعبة بالضم: عذرة الجارية أي: بكارتها ومنه قول الشاعر:

أركب تم وتمت ربته قد كان مختوما ففضت كعبته

قال الله تعالى " وكواعب أترابا "، ومنه قول الشاعر::

نجيبة بطال لدن شب همه لعاب الكعاب والمدام المشعشع

فالكعاب هي البكر، للمزيد، ينظر: الزبيدي: **تاج العروس**، مادة (كعب).

[8] الأعشى: **الديوان**، ص 80.

فالشاعر هنا يعتبر أن لمته التي كانت كجناح الغراب، هي السَبب الذي يَقف وراء إعجاب الفَتاة العذراء.

وحتى في أمثالهم، فقد تَجلى الربَط بين الطيور والتَّطَيُّر فقالوا: (طير الله لا طيرك)، والطير التَّطَيُّر، والطَير أيضا القَدَر، وجمع طائر، والمَعنى هاهنا طير الله أوفَق من طَيرك، أي قدره أوفق من تقديرك " وفيه معنى الدُعاء [1]

قال تعالى: **" فَإِذَا جَآءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَاكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ "** (الأعراف|131) تتحدث الآية الكريمة عن قوم موسى بأنهم إذا جاءهم الخِصْب والرخاء قالوا: هذه لنا وبسعدنا، ونحن مستحقون له وإذا جاءهم الجَدْب والشدة، تطيروا بموسى أي قالوا هذه بشُؤمه، ألا إنما طائرهم عند الله أي إنما حظهم ونصيبهم الذي قدر لهم من الخير والشر عند الله وهو مأخوذ من زجرِ الطير ثم سمى به ما يصيب الإنسان ومقصود الآية الرد عليهم فيما نسبوا إلى موسى من الشُؤم[2].

وكما كان للتطير من الغراب حضور في ثقافة العَرَب في الجاهِلِيَّة، كذلك كان له حضور في الكتب المقدَّسة، فقد ذكر الغُراب في الكتاب المقدَّس في غير موضع، واعتبره اليهود نَجِساً، وحرموا أكله[3]. فهو يذهب ولا يعود، كما فعل عندما أرسله نوح لاستكشاف اليابسة بعد الطوفان [4]. كما أنه يَنهش الجثث، ويَسكن الأماكن التي عَمَّها الخراب[5]. ويبدو أن التَّطَيُّر بالغراب كان مَوجوداً كذلك عند السومريين، فقد جاء في أسطورة الفِردوس السومرية وصفاً لحالة الفِردوس (دلمون)، كما كانوا هم يَتمنون:

---

[1] الميداني: **جمهرة الأمثال**، 17/2.وابن منظور: **اللسان**، مادة (طير).

[2] الكلبي: **التسهيل لعلوم التنزيل**، 42/2.

[3] **الكتاب المقدَّس**، سفر لاويين، 13/11_15. فقد جاء في سفر لاويين (وَهذِهِ تَكْرَهُونَهَا مِنَ الطُّيُورِ. لاَ تُؤْكَلْ. إِنَّهَا مَكْرُوهَةٌ: اَلنَّسْرُ وَالأَنُوقُ وَالْعُقَابُ [14]وَالْحِدَأَةُ وَالْبَاشِقُ عَلَى أَجْنَاسِهِ، [15]وَكُلُّ غُرَابٍ عَلَى أَجْنَاسِهِ)

[4] **الكتاب المقس**، تكوين، 7/8 فقد جاء فيه: (وَأَرْسَلَ الْغُرَابَ، فَخَرَجَ مُتَرَدِّدًا حَتَّى نَشِفَتِ الْمِيَاهُ عَنِ الأَرْضِ).

[5] **الكتاب المقدَّس**، أشعياء، 11/34.وقد جاء فيه (وَيَرِثُهَا الْقُوقُ وَالْقُنْفُذُ، وَالْكَرْكِيُّ وَالْغُرَابُ يَسْكُنَانِ فِيهَا، وَيُمَدُّ عَلَيْهَا خَيْطُ الْخَرَابِ وَمِطْمَارُ الْخَلاَءِ).

في دلمون [1]لا ينعب الغراب

لا يطلق طائر الإتيدو صياحه [2]

كذلك كان الغُراب هو الحَيوان الذي وقع عليه الاختيار في العَرافة الطِبية الأكّدية، للاستِدلال على حالة المرض:

فإذا نعق غراب على يمين رجل بصوت نائح فإن المريض سيموت

وإذا نعق غراب بصوت نائح عن يسار رجل فإن خصمه الذي يعرفه سيبكيه

وإذا نعق غراب بصوت نائح فإنه سيلقى ما يبكيه...[3]

نلاحظ من النص السابق أن الغراب ارتبط في أذهانهم بشكل حتمي بكل ما هو سيئ.

وأشار جواد علي إلى أن الطيور هي مادةُ التَّطَيُّر، وذلك بمُراقبة حرَكاتها وسَكَنَاتِها، وهو ما يقال له في العبرانية (نيحوش) (nihush)، من أصل نيحيش، وتقابل لفظة(نحش) كلمة حنش في العَرَبية، وتعني الثعبان، وقد ذهب بعض عُلماء التوراة أن لكلمة نحش صلة بالثعبان، ذلك لأن الثعبان كان من الآلهة القديمة، بينما يرى بعض آخر عدم وجود صِلة ما للثعبان بهذا الموضوع،؛ لأن العِبرانيين لم يتعبدوا البَتة للثعابين، فلا صلة للثُعْبان به [4]. ويذهب القيرواني إلى ما ذهب إليه جواد علي من أن الطُيور هي الأَصل في التَّطَيُّر، ثم صار في الوحش، وقد يجوز أن يغلب أحد الشيئين على الآخر، فيذكر دونه ويرادان جميعاً [5].

---

[1] دلمون (delmon)، وهو الاسم القديم لجزر البحرين، للمزيد ينظر: عبودي، هنرس س: **معجم الحضارات السامية**، ص ص 410.

[2] السواح، فراس: **مغامرة العقل الأولى** (دراسة في الأسطورة)، د ط، بيروت، دار الكلمة للنشر، 1980، ص 238. (السواح، مغامرة العقل فيما بعد).

[3] الماجدي: **بخور الآلهة** (دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين) ط 1، عمان، الأردن، الأهلية للنشر والتوزيع، 1998، ص 277. (الماجدي، بخور الآلهة فيما بعد).

[4] علي: **المفصل**، 787/6.

[5] القيرواني، ابن رشيق: **العمدة في محاسن الشِّعْر وآدابه ونقده**، تحقيق محمد عبد المطلب، ط 1، القاهرة، دار الطلائع، الطلائع، 2006، 2/ 260. (القيرواني، العمدة فيما بعد).

"ثم إنهم سموا الشؤم طيراً وطائراً، والتَشاؤُم تطيراً، وقد يطلقون الطائر على الحظ والنصيب خيراً أو شراً، حتى قيل إن أصل التَّطَيُّر تفريق المال وتَطييره بين القَوم، فَيطير لكل أحد نَصيبه من خير أو شر، ثم غلب في الشر[1]. هذا ولم يَقتصر تَطَيُّرهم من الغراب وحسب، بل إنهم تَطيروا كذلك بالإبِل، لأنها تَحْمِلُ أثقال من ارتحل، وفي ذلك يقول بعضهم:

(الكامل)

زعموا بــأن مطــيهم سَــبب النــوى والمُؤذنـــــات بفرقـــــة الأحبـــــاب[2]

ومن جهة أخرى فقد ارتبط التَّطَيُّر بالعيافة،" والعيافة إنما هي زجر الطير، والتفاؤل بأَسمائها وأصواتها وممرها، أو التَّطَيُّر منها " [3]. (والسَّانح) ما جرى ناحية اليمين (والبَارِح) ما ما جرى ناحية اليسار (والنَّاطِح) ما تَلَقَّاكَ (والقَعِيد) ما استدبرك. [4]

ومن مذاهب العَرَب العُدُول عن الألفاظِ المُتَطَيَّرْ بها إلى غيرها، وقد كانت العَرَب تَتَطير من ذكر البَرَص، فتكنى عَنه بالوَضَح، ومنه (جذيمة الوضاح) وكان أبرَص، وكَنُّوا عنه بالأَبرَش، وكان يسمى الوضاح، ويُسمى الأَبرش أيضاً. ومما يُتفاءل بذِكره عندهم قولهم: للفلاة مَفازة، لأن القِفار في ركوبها الهَلاك، وكان حَقَها أن تُسمى مَهْلَكْة، ولكنهم اجتَنبوا لفظها تَطيراً وعَكسوه تَفاؤلاً، ولبعض المحدثين:

(الوافر)

أحـــب الفـــأل حـــين رأى كثيـــراً أبـــوه عـــن اقتنـــاء المجـــد عـــاجز
فســـــــماه لقلتـــــــه كثيـــــــراً كتلقيـــــب المهالـــــك بالمفـــــاوز[5]

كذلك فإن من يمعن النظر في أسماء العَرَب التي كانوا يسمون بها أولادهم، يدرك أن التَّطَيُّر كان سمة أساسية وجدت لديهم، فكان من تلك الأسماء _بدافع التفاؤل_ نائل، ووائل،

---

[1] الألوسي: **روح المعاني**، 32/9.

[2] الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد: **المستطرف** في كل فن مستظرف، احقيق مفيد محمـد قمحيـة، د ط، بيـروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 1986، 188/2. (الأبشيهي، المستطرف فيما بعد).

[3] المسعودي: **مروج الذهب**، 181/2.

[4] الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم : **أدب الكاتب**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط 4، مصر، مصر، مكتبـة السعادة، 160/1.(الدينوري، أدب الكاتب فيما بعد).

[5] الألوسي: **بلوغ الأرب**، 2/_339 338.

وناج، ومدرك، وسليم، وسعد، و مسعدة.. وغيرها كثير[1]. ولم يقتصرُ التَّطَيُّر عند العَرَب في الجاهِلِيَّة على الطيور والحيوانات والأسماء، بل ذهب إلى أبعد من ذلك، ولعبد الإله الصائغ في ذلك رأي، إذ يقول: لعل خوف الجاهلي من الهجاء ينم عن التَّطَيُّر من فعل الكلمات [2]. ولا أستبعد ما ذهب إليه الصائغ خاصة إذا عرفنا أن " الهجاء كان قد بدأ طقساً سحرياً، وممارسة قائمة بذاتها، يراد منها إلحاق الضرر والأذى بالعدو والمَهجو، وهو يتصل بمَجموعة من الممارسات التي ترمي إلى الغرض ذاته، سادت في أوساط المجتمع العَرَبي عصر ذاك، كتعليق الفَطسة [3]، وإيقاد نار الغَدر على جبل الأخشب بمَكَّة، المصحوب بالدعاء على الأعداء " [4]. وذكر وذكر الجاحظ أن العَرَب كانت من شدة رهبتها من وقع الهجاء، وأثره في نفوسهم " تبكي بالدموع الغزار، كما بكى مخارق بن شهاب، وكما بكى علقمة بن علاثة.... " [5].

إلا أن الطيرة لم تكن مَبدأً عاماً شَمل العَرَب بأكملها، فقد وجد من العَرَب من رفَض الطيرة وأنكَرها، بل مَدح بَعضهم بعضاً في إنكارهم للطيرة، فها هو خُثيم بن عَديٍّ [6] يمدح مسعود بن بحر الزهري لأنه لم يكن من المُتَطيرين، بل إنه كان إذا أرادَ أمراً مَضى إليه دون أن يَعْبَأ بأمورِ الطيرة، يقول:

(الطويل)

ولَسْـــتُ بِهَيَّـــابٍ إذَا شَـــدّ رَحْلَـــه يَقُـــولُ عَـــدَاني الْيَـــوْمَ وَاقٍ وَحَـــاتِمِ

---

[1] عبد الحكيم: **موسوعة الفولكلور والأساطير العَرَبية**، ص 159.

[2] الصائغ، عبد الإله: **الزمن عند الشِّعْراء العَرَب قبل الإسلام**، الجمهورية العراقية، دار الرشيد للنشـــر، 1982، ص 31. (الصائغ عند الشِّعْراء فيما بعد).

[3] والفَطْسَة بالتسكين خَرَزَة يؤخَّذ بها يقولون: أَخَّذْتُه بالفَطْسَةِ بالثُّوَبَا والعَطْسَةِ، قال الشاعر:

جَمَّعْنَ من قَبَلٍ لَهُنَّ وفَطْسةٍ والدَّرْدَبِيسِ مُقابَلاً في المَنْظَمِ

للمزيد ينظر: ابن منظور: **اللسان**، مادة (فطس)، وجبر: **خرزات العَرَب**، 12/11.

[4] الحسين: **أنثربولوجية الأدب**، ص 265.

[5] الجاحظ: **الحيوان**، 364/1.

[6] خثيم بن عدي بن غطيف بن تويل بن عدي بن جناب: شاعر جاهلي من بني كلب. يلقب بالرقاص، وتنتسب قبيلة كلـــب إلى كلب بن وبرة بن تغلب من بني قضاعة بن معدّ بن عدنان، وهي إحدى جماجم العَرَب والجماجم هي القبائل التي تجمع البطون وينسب إليها دونهم.

ولكنّـــه يمضـــي علـــى ذاك مُقـــدماً إذا صَدَّ عــنْ تلــك الهنــاتِ الخُثــارِمُ[1]
الخُثـــــــــــــــــــــارِمُ[1]

والخُثَارم هو المُتَطيِّر[2] من الرِّجال، وأما قوله واق وحاتمُ، فحاتم: الغراب الأسود[3] والواقي: هو الصُّرَد[4]، وقيل له واقٍ، لأَنه لا يَنبَسِط في مشيه، فشُبِّه بالواقِي من الدَّوابِّ إذا حَفِيَ، حَفِيَ، والواقِي الصُّرَدُ [5].

وقد عد بعض العلماء أن الزجر والطيرة بمعنى واحد، " لأن أصلهما أنهم كانوا إذا أرادوا فعل أمر أو تركه زجروا الطَيْرَ، حتى يَطير، فإن طار يميناً كان له حُكم، وإن طار شمالاً كان له حُكم، وإن طار أماماً كان له حُكم، وإن طار من فَوق رأسه كان له حُكم، ومن ثم سُمِيت الطَيْرَة أخذاً من اسم الطَيْر، وأكثر ما عَوَلوا عليه من ذلك الغُراب، ثم تَعَدُّوه إلى غير الطير من الحيوان، ثم جاوزا ذلك إلى ما يَحدُث في الجَمادات من كَسر أو صَدع أو نحو ذلك، وربما انتهى بعض الزَجر إلى حد الكَهَانَة " [6].وها هو حاتم الطائي يبوح بأن العطاء والمَنع أمران الزَجر هو هو الفاصل فيهما:

(الطويل)

أمَـــاوِيَّ إمَّـــا مَـــانعٌ فمبـــيِّن وإمـــا عطـــاءٌ لا يُنهْنِهُـــهُ الزَّجْـــرُ[7]

وقد كان العَرَب من أكثر الشعوب تطيراً. فكانوا يتَفاءلون أو يتَشاءمون لِمُجرد منظَر يُصادفهم، أو صوت يَسْمَعونه، بخاصة إذا كانوا مُنْشَغِلين بقَضاء أمر من الأمور. وللعرب في هذا فنون كثيرة لا حصر لها، ومنها أن الرَجل منهم كان إذا خرج، فاستقْبَلَته جَنازة يرجع ولا

---

[1] الجاحظ: **الحيوان**، 437/3.

[2] ابن منظور: **اللسان**، مادة (خثم).

[3] الزبيدي: **تاج العروس**: مادة (حتم). وأنشد الجوهرى للمرقش ويروى لخزز بن لوذان السدوسى:

لا يمنعنك من بغا ءالخير تعقاد التمائم

ولقد غدوت وكنت لا أغدو على واق وحاتم

[4] الصرّد : طائر أكبر من العصفور , ضخم الرأس والمنقار , يصيد صغار الحشرات , فالتطير من بعض الطيور والحيوانات يرجع إلى سلوكها وأساليب معيشتها .

[5] ابن منظور: **اللسان**، مادة (وقي).

[6] القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد: **صبح الأعشى** في صناعة الإنشا، تحقيق عبد القــادر زكــار، د ط، دمشــق، وزارة الثَقافَة، 1981، 1/455_456.(القلقشندي، صبح الأعشى، فيما بعد).

[7] حاتم الطائي: **الديوان**، شرحه أحمد رشاد، ط 3، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 2002 ص 23.(حاتم الطائي فيمــا بعد).

يعود لحاجتهِ لأنها لن تَكون مَقضيَّة، وإذا خرج ورأى بَعيراً قد شَرَد ورأى من يَطلبه، تفاءَل بأنه يَنجو من عَدُو وسيأتيه فرجٌ قريب [1]. ويُضيف الجاحظ " ولإيمانِ العَرَب بباب الطِّيرة والفَأل عقَدُوا الرَّتائم، وعشَّروا إذا دَخلوا القرى تَعشير الحِمار " [2].ولم يَقتصر تَطير العَرَب على الطُيور الطُيور والحَيوانات حسب، بل كانوا يَتَطيرون في أبسَط مُمارسات حياتهم اليومية، فإذا سافر أحدهم كان حَريصاً على أن لا يلتَفت إلى الوراء كي يَتم سفره، وذلك تطيراً منهم، باستثناء العاشق الذي يرغب دوماً بالعودة إلى ديار من يُحب [3]. وكانوا يتطيرون من بعض الأفعال العفوية كرمش العَيْن ورفيف اليد أو القدم والعطاس [4]، فإذا عَطس أحدهم تَوقعوا الشر، وكان الرجل مِنهم إذا سَمع عُطاساً يَتشاءم به، ويقول: بكلابي. أسأل الله أن يَجعل شُؤم عُطاسِك بِك لا بي [5]. وها هو امرؤ القيس يُفصحُ عن تطيره وتشاؤمه من العُطاس، فيقول بأنه إذا أراد صيداً، يحرصُ على أن ينطلق إلى الصَيد مُبكراً، قبل أن يتنبه الناس من نَومِهم لَئِلا يَسمع عُطاس عاطس، فيَتَطَيَر منه، ولا يَمْضي لِحاجَته، يقول:

(الطويل)

وَقَــد أَغتَــدي قَبــلَ العُطــاسِ بِهَيكَــلٍ شَديدٍ مَشَــكِّ الجَنــبِ فَعــمِ المنطِّــقِ[6]

المنطِّــــــــــــــــــقِ[6]

وعن سبب تشاؤمهم من العطاس أن دابة يقال لها العاطوس كانوا يكرَهونها، كذلك كانوا إذا أرادوا سَفَراً خَرجوا من الغلس، والطَير في أوكارها على الشَجَر، فيُطَيِّرُونَهَا، فإن أخَذت يميناً أخَذوا يميناً، وإن أخذت شمالاً أخذوا شمالاً [7]، ومنه قول امرئ القيس:

(الطويل)

---

[1] إبراهيم، نبيلة: **الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق**، مكتبة القاهرة الحديثة، د ت، ص 112.(إبــراهيم، الدراســات الشعبية فيما بعد).

[2] الجاحظ: **الحيوان**، 440/3.

[3] ينظر :الألوسي: **بلوغ الأرب**، 2/ 328.

[4] الضَبِّيَّ: **المفضليات**، ص 60. إذ يقول المسيب بن علس:

أَرَحَلتَ مِن سَلمى بِغَيرِ مَتاعِ قَبلَ العُطاسِ وَرُعتَها بِوَداعِ (الكامل)

[5] الأوسي: **بلوغ الأرب**، 332/2.

[6] امرؤ القيس: **الديوان**، ص 62.

[7] الأبشيهي: **المستطرف**، 187/2.

وَقَدْ أغْتَدي وَالطّيرُ في وُكنُاتُها   بمنجردٍ قيدِ الأوابدِ هيكلِ
مِكَرٍّ مفرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ معاً   كجلمودِ صخْرٌ حطه السيل من علِ[1]

ويعتقد جرجس داود أن هنالك علاقة بين التَّطَيُّر، وتحول الأرواح إلى طيور بعد مُفارقة الأبدان، وأن الإيمان بتلك المعتقدات لم يقتصر على عرب الجاهِلِيَّة، بل إن أكثر الشعوب القديمة آمنت بأن بعض فَصائل الطُيور هي أرواح الموتى [2]. ويَشترك جواد علي مع جرجس في أن هنالك صِلة بين التَّطَيُّر، وما كان مُتعارفاً عليه عند الشُعوب القديمة من استحالةِ الأرواح طُيوراً بعد مُفارقتها الأجساد [3]. ومن ذلك ما اعتقده العَرَب في العَصْر الجاهلي " بأن روح القتيل الذي لم يأخذ بثأرهِ تصير مهمة، وتصيح عند قَبره اسقوني اسقوني، ومتى أدرك بثأره طارت " [4]. وعن العلاقة بين الروح والطَير، يقول فردريش فون دير لاين: " وأغلب تصَور للروح شُيوعاً هو بحق تصوره وهو يَطير في صورة طائر، وربما يَرجع هذا إلى اعتقاد الإنسان أن الروح شَيء خَفيف الوزن، إذ إنه يَقدر على الطَيران في الأحلام، وربما يرجع هذا كذلك إلى أن صوت بعض الطيور كثيراً ما يتشابه بعض الشيء مع صوت الإنسان " [5].

أما إحسان الديك فيرى أن مَبعث الربَط بين الرُوح والطير، هو تَخَيل الإنسان القديم روح الله والإنسان معا هواء، لاعتقاد ذاك الإنسان أن روحه مُنْبَثقة عن روح الإله، وهي جزء منه[6]. ولقد كان التصور القديم للروح بين الأمم القديمة، يجمع على الربَط بينها وبين الطيور بشكل أو بآخر، فلقد صور المصريون الروح على شكل طائر برأس آدمي، وأطلقوا عليه اسم (با)[7]. كما عَبد المصريون الطائر المقدَّس (بينو) باعتِباره روح أوزوريس [8]. ويذكر لنا السواح

---

[1] امرؤ القيس: **الديوان**، ص 5.

[2] داود: **أديان العَرَب قبل الإسلام**، ص 379.

[3] علي: **المفصل**، 788/6.

[4] ابن منظور: **اللسان**، مادة هوم.

[5] دير لاين، فريدريش فون: **الحكاية الخرافية، نشأتها، مناهج دراستها، فنيتها**، ترجمة نبيلة إبراهيم، بيروت، دار القلم، ص 76_77.(دير لاين، الحكاية الخرافية فيما بعد).

[6] الديك، إحسان: **الهامة والصدى** (صدى الروح في الشِّعْر الجاهلي)، مجلة جامعة النجاح الوطنية للأبحاث، مج 13، عدد عدد 2، 1999، ص 8.(الديك، الهامة والصدى فيما بعد).

[7] زكري، أنطون: **الأدب والدين عند قدماء المصريين**، د ط، القاهرة، مطبعة المعارف، 1923، ص 102.(زكري، الأدب الأدب والدين فيما بعد).

[8] الخوري، لطفي : **معجم الأساطير**، د ط، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، 1990، 155/1.(الخوري، معجم، الأساطير الأساطير فيما بعد).

السواح أحد النُصوص الدينية التي تَصف المِعراج الذي تَقوم به روح الشامان في فترة التَهيئة، والتي نَلمس من خلالها التَلميح إلى أن الاشتراك بين الأرواح والطيور، حيث السكن في أعشاش: "هنالك في العُلا، شَجرة مُعينة تَتعهد أرواح الشامانات بالرِعاية حتى يَمتلكو قواهم الشامانية كامِلَّة، وعلى أغصان هذه الشجرة أعشاش لتَسْكُن تلك الأرواح، وكلما كان العُش الذي تَأوي إليه روح الشامان أعلى، كلما اكتسبت قوى أكبر " [1]. كذلك تَبدو الحَمامة في الفِكر الأيقوني المَسيحي رَمزاً للألوهة والروح القدس [2].أما اليونان فتَخَيلوا بأن روح المَيت تَكون على على شكل طائر صَغير في شَكل إنسان، وقد جاء في أسطورة (هرقل) التي تَصِف موت البطل ما يؤَكِّد ذلك:

وهوى إلى الأرض ما كان من الأرض، ورفرفت

الروح الخالدة في جمهرة من أرواح الآلهة [3].

كما تَصوَّر العَرَب المقابرَ مُجتمع أرواح [4].

بالتالي فإن فكرة العَرَب عن الروح من خلال الربَط بينها وبين الطَير، اتَسقَت مع أفكار الأمم القَديمة الأخرى، وهذا ما يَجعَلنا نُؤيد ما قاله إحسان الديك " بأن المَوروث الإنساني جَمْعي مُتوارث " [5]. كذلك وجد التَّطَيُّر عند الكنعانيين فقد كانوا يؤمنون بالفأل الحسن والفأل السيئ، ويعتبرون إنجاب الأبناء فألاً حسناً، ويُحَذِّرون من تقديمهم كنوزاً للآلهة؛ إلا في ظروف استثنائية جداً [6].

---

[1] السواح، فراس: **دين الإنسان (بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني)**، ط 4، سورية، دمشق، منشورات دار عــلاء الدين، 2002، ص 36.(السواح، دين الإنسان فيما بعد).

[2] **انجيل متى**، 16/3_17 وجاء فيه: (فَلَمَّا اعْتَمَدَ يَسُوعُ صَعِدَ لِلْوَقْتِ مِنَ الْمَاءِ، وَإِذَا السَّمَاوَاتُ قَدِ انْفَتَحَتْ لَهُ، فَــرَأَى رُوحَ اللهِ نَازِلاً مِثْلَ حَمَامَةٍ وَآتِيًا عَلَيْهِ).

[3] خشبة، دريني: **أساطير الحب والجمال عند اليونان**، ط 1، بيروت، دار أبعاد للطباعة والنشر، 1983، 41/2. (خشــبة، أساطير الحب، فيما بعد).

[4] الزبيدي: **تاج العروس**،مادة روح.

[5] الديك: **الهامة والصدى**، ص 3.

[6] الماجدي: **المعتقدات الكنعانية**، ص250.

كما أن في الكَمية الكَبيرة من نُصوص العَرافة الرافدينية ما يَكشِفُ عن الإهتمام الكَبير الذي حَظِيَت به العَرافة، والفَأل، والتَنبؤ، والمُستقبل، ويُعَلِّل الماجدي ذلك بأن حَياة العراقيّ القَديم كانت مَشْحونَة بالمُفاجآت غَير المُتَوقعة والعُنْف الذي تُمَثله الطَبيعة والأنظِمة السِياسية والغَزوات والكَوارث الطَبيعِية والمَرَضية [1].

أما الإغريق فقد مارسوا طُقوس العرافة والسحر والشَعوذة، فظهر عندهم التشاؤُم من مُمارسة السِحر الأسود، والنفُور منه، وبالمُقابل فإنهم كانوا يتفاءلون بحَركة الطيور، خاصة قبيل خوض المعارك[2]. ولقد مارس اليونان طُقوس العرافة والسِحر، فكان لديهم التفاؤل بحركة الطَير قبل المعارك [3].

كما أننا عندما نقرأ عن طقوس التَطهير عند اليهود (الحمام الطقوسي)[4] (ritual bath: mikveh)، وهو الحَمَّام المُطَهِّر لنَجاستهم، حيث تُطَهَّرُ كذلك به الأوعية المصنوعة بأيدٍ غير يهودية، وكذلك تُطَهَّر المَرأة بعد العادة الشَهرية، نلاحظ أن لديهم سِمة التَّطَيُّر، حيث انه وعند ذهاب المرأة إلى الماء المُطهر، إذا قابلت كلباً أو حماراً فعليها أن تُغَير طريقها حتى لا يُنَجِسها مرة أخرى، وفي هذا برأيي شَيء من التَّطَيُّر والتشاؤُم برُؤية هذه الحيوانات، إن مجرد رؤيتها ولو من بعيد تُصيب بالنَجاسة [5].

هذا وقد أشار جواد علي إلى وجود نوع أخر من طُرق التَنَبؤ، يقال لها في الإنجليزية (hepatscopy)، ويُراد به استِخراج الغَيْب من دِراسة كَبِد الأضاحي التي تُقَدَم إلى الآلهة، وقد وجد بِكثرة عند الكلدانيين، وقد تَوسعوا فيه، فشَمل أيضاً قراءة الرِئة أو بَقية الأحشاء، كما عَرفَه

---

[1] الماجدي: **بخور اللآلهة**، ص 267.

[2] ينظر: عكاشة، ثروت: **الإغريق بين الأسطورة والإبداع**، د ط، القاهرة، دار المعارف، ص 20. (عكاشة، الإغريق بين الأسطورة والإبداع، فيما بعد).

[3] عكاشة، ثروت: **الإغريق بين الأسطورة والإبداع**، 24.

[4] الحمام الطقوسي: يقابل كلمة مكفيه العبرية، والحمام الطقوسي هو الحمام الذي يستخدم ليتطهر فيه اليهود بعد أن يكونوا قد تنجسوا، كما يستخدم الحمام الطقوسي لتطهير الأوعية التي صنعها غير اليهود، ويجب أن يحتوي علـــى مـــاء يكفـــي لتغطية جسد امرأة متوسطة الحجم، ويجب أن يأتي الماء من عين أو نهر، ولا يبيح الشرع لليهود أن يسكنوا في مكـــان لا يوجد فيه حمام طقوسي، ويتعين على المرأة اليهودية أن تأخذ حماماً طقوسياً بعد العادة الشهرية، وعلى كل من يتهـــود أن يأخذ حماماً طقوسياً.للمزيد أنظر المسيري: **موسوعة اليهود**، 244/5.

[5] ينظر: المسيري، عبد الوهاب محمد: **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، 244/5.

كذلك العبرانيون واليونان والرومان والمصريون، وغيرهم [1]. وقد اعتُبِرَت الكَبد عند العراقيين القُدَماء مَركز الجِسم الإنساني، وفيه تَكْمنُ الروح، فالإنسان الذي تَرضى الآلهة عنه، يُفرِح أكبادَ الآلهة، والذي يُغْضِبها يُغضِب أكبادَ الآلهة، لذلك كانوا يَعْمَدون للتَضْحِية بخروف؛ للتَنبؤ عن حالة سِياسية أو اجتِماعية، أو لمَعرِفة مَصير رجل أو نِهايته [2]. ويشير الماجدي إلى وجود كَبد مَصنْوع من الطين في المُتحَفِ البَريطاني، مُقَسَمَّة إلى خَمسين قسماً، تُوازي العَلامات المختلفة، ومنها أن انفِتاح الجانِب الأيمن من الكَبِد عَلامة طَيبة، وأن المَرارة إذا كانت مُمْسِكة بالكَبد، فمَعناه أن العَدو قد أمسَكَ به، وإذا كان الأُنبوب الكَبِدي طَويلاً فمَعناه حياة طويلة... [3].

ويبدو أن فِكرة تَصور الروح على شكل طَيْر بَقيت حتى بعد العَهد الإسلامي فقد جاء في أسباب نزول القرآن للسيوطي حول قوله تعالى **" ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون "** (آل عمران|169) "، قال رسول الله – عليه الصلاة والسلام–: لما أُصيبَ إخوانكم بأحد، جَعل الله أرواحهم في أجواف طَير خضر، تَرِدُ أنهارَ الجنّة، وتَأكل من ثِمارها، وتَأوي إلى قَناديل من ذهب في ظِل العَرش، فلما وجدوا طيب مَأكلهم ومَشْربهم وحُسن مَقيلهم، قالوا يا ليت إخواننا يَعلمون ما صنَع اللهُ لنا، لئلا يَزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحَرب. فقال الله أنا أبلغكم عنكم، فأنزل الله هذه الآية وما بعدها [4]. وكذلك قوله _عليه الصلاة والسلام _ " إِنَّ أَرْوَاحِ الْمُؤْمِنِينَ في أَجْوَافِ طَيْرٍ تَعْلُقُ بِشَجَرِ الجنّةِ"[5]. وكذلك قوله: "نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ إذا مَاتَ طَائِرٌ تَعْلُقُ في شَجَرِ الجنّةِ حتى يَرْجِعَهُ اللَّهُ إلى جَسَدِهِ يوم الْقِيَامَةِ"[6].

---

[1] علي: **المفصل**، 6/ 801.

[2] الماجدي، خزعل: **بخور الآلهة**، ص 272.

[3] الماجدي: **بخور الآلهة**، ص 273.

[4] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: **لباب النقول في أسباب النزول**، د ط، بيروت، دار إحياء العلوم، د ت، 60/1. (السيوطي، لباب النقول فيما بعد).

[5] القزويني، محمد بن يزيد أبو عبد الله : **سنن ابن ماجة**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، د ط، بيروت، دار الفكر، د ت، 466/1. (القزويني، سنن ابن ماجة فيما بعد). وكذلك في الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم: **المعجم الكبير**، تحقيق حمدي السلفي، ط 2، الموصل، مكتبة الزهراء، 1983، 64/19.(الطبراني، المعجم الكبير فيما بعد).

[6] الطبراني: **المعجم الكبير**، 65/19.

وقد أبطل الرّسُول _عليه الصلاة والسلام الطيرة ونهى عنها، فعن أبي هُرَيْرَةَ قال: سمعت النبيّ صلى الله عليه وسلم يقول: " لا طِيَرَةَ وَخَيْرُهَا الْفَأْلُ قِيلَ يا رَسُولَ اللَّهِ وما الْفَأْلُ قال الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أحدكم " [1].

كما شمل تَطَيُّر العَرَب أموراً أخرى، فكانوا يَتَطَيرون من بعض الشُهور، منها شهر شوال، حيث تشاءموا منه، فلم يَكونوا يَعقِدون فيه زواجاً، وقيل في تَسْميته إن الإبل كانت تَشول فيه أذنابها من شهوة الضراب، ولذلك كَرهت العَرَب التَزويج فيه، ويقال (شالت البقرة حليبها) أي امتَنعت عن الدَّر، حيث هذا الشَهر يلي شهر رمضان، وتكون الحَرارة لا زالت مُرتفعة، فيعتَقِدون أن البقرة تَرفع حليبَها إلى أعلى الضرع فتَمنع الاحتِلاب [2].

يتَبين مما سبق أن التَّطَيُّر سِمة إنسانية، سادت عند معظم الشُعوب، ورافقت الإنسان في كثير من مَراحل حياته، بطريقة أو بأخرى، حتى في أيامنا هذه، ما زلنا نُلاحظ كثيراً من التَصَرفات التي يقف ُ ُ التَّطَيُّر وراءها، فإذا أردنا ذكر مَرض السرطان مثلاً، كَنينا عنه بقولنا (ذلك المرض)، وإذا صادف أحدنا قِطَة سوداء لدى خروجه من بيته، سمعناه يقول (ربنا يَستر).

تَقديسُ المُلوك

المَلِكُ:هو الله تعالى، ونقدّس مَلِكُ المُلُوك له المُلْكُ، وهو مالك يوم الدين، وهو مَلِيكُ الخلق أي ربهم ومالكهم [3]، وفي التنزيل: **" مالكِ يَوْمِ الدينْ "** (الفاتحة|4) وجاء في تاج العروس أن المُلْك: هو التَّصَرُّفُ بالأَمْرِ والنَّهي في الجُمْهُورِ وذلِكَ يَخْتَصُّ بسِياسَةِ الناطِقِينَ، ولِهذا يُقال: مالِكُ النّاس ولا يُقال: مالِكُ الأَشْياءِ، وقولُه عزَّ وجلّ: " مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ " فتَقْدِيرُه المالِك في يَوْمِ الدِّينِ [4]، وذلِكَ لقولِه عزَّ وجلّ:**" لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ "** (غافر|16)

---

[1] النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري: **صحيح مسلم**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، د ط، دار إحياء التراث العَرَبي، د ت، 1745/4، حديث رقم 2223.(النيسابوري، صحيح مسلم فيما بعد).

[2] قصار، مروان جميل: **تسمية الأشهر**، مجلة التربية، الإمارات، ع 35، ديسمبر، 1984، ص 93.(قصار، تسمية الأشهر فيما بعد).

[3] ابن منظور: **اللسان**، مادة (ملك).

[4] الزبيدي: **تاج العروس**، مادة (ملك)

ومعنى (ملك) الرأي والمشورة والنصيحة، وذلك في بعض اللغات السامية، أما كلمة (شارو) و(شرو) فتعني الملك في الأشورية، وهي في الأصل تعني (الحكيم)، وتعني كلمة (مليخ) و(ملخ) وهي ملك في العبرية، الحكيم الذي يقدم الرأي والمَشورة، وحيث كان المُلوك بمَنزلة الحُكماء والقُضاة في شُعوبهم، ثم تخصَصّت فيما بعد بالحاكم الذي يَحكم الشعب[1].

قال تعالى: **"يُغْشِى الَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالقَمَر وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأٌ مْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ "** (الأعراف |54) أي أن الجميع تَحت قهره وتَسخيره ومَشيئته. [2]

إن في الآية الكريمة رداً على بعض الأفكار التي كانت شائعة عند العَرَب في الجاهِلِيَّة، من أن هذين الكوكبين (الشمس والقَمَر) يُخسفان عند موت أحد العظماء أو الملوك. فلقد نَظر العَرَب في الجاهِلِيَّة إلى الملك نظرة غُلِّفَت بالتَقديس والتَعْظيم، ربطوا بينه وبين خِصب الطبيعة، حتى دَمه اعتَبروه مُقدساً، وفيه شِفاء للعديدِ من الأمراض، بل اعتقدوا أنه لا يمكن قتل المُلوك أو التَعرض لهم، لأنه سيُلحِق الشر والأذى بمن يُقْدِم على ذلك، ومارسوا العَديد من المُمَارسات والطقوس التي تُشير إلى تَقديس الملوك لديهم.

وقد كان بعض الملوك يعتبرون أنفسهم آلهة حقيقيين، ويضعون إشارة الألوهية كبادئة لأسمائهم[3].

ولم يقف الأمر عند ذلك الحد، بل امتَلأت نُفوس الناس في الجاهِلِيَّة الأولى رَهبةً من المُلوك، فمُلوكهم في رأيهم ليسوا بَشَراً؛ لذا فقد عظموهم وسَجَدوا لهم تَقرباً وطاعةً [4]. وقد عَبّر عَبّر الأَعشى عن هذا المَعنى، وهو يَمدح الأسود بن المنذر اللخمي قائلاً:

(الخفيف)

---

[1] علي، جواد: **المفصل**، 192/5.

[2] ابن كثير: **تفسير ابن كثير**، 222/2.

[3] الحوراني: **البنية الذهنية**، ص 377.

[4] ينظر: سليم، فاروق أحمد: **الانتماء في الشِّعْر الجاهلي**، د ط، اتحاد الكتاب العَرَب، 1998، ص 282.(سليم، الانتمـــاء فيما بعد).

أربحـــيٌّ صـــلتٌ يظـــلّ لـــهُ القـــو   مُ رُكُـــــوداً قِيَـــــامَهُمْ للهِـــــلالِ[1]

فهو يقول: إن القوم يظلون ركوداً أمام الملك العَرَبي، حتى لكَأنَهم يقومون رهبةً للهِلال. ويتحدث في موضع آخر عن عودة الملك قيس بن معد يكرب، وكيف سَجدوا خاشعين بين يديه، فيقول:

(المتقارب)

فَلَمّـــا أتَانَـــا بُعَيْـــدَ الكَـــرَى   سَـــجَدْنَا لَـــهُ وَرَفَعْنَـــا عَمَـــارَا[2]

وقد تعددت الطقوس التي مارسها العَرَب في الجاهِلِيَّة، والتي كانوا ينطلقون فيها من تقديسهم وإعظامهم لملوكهم، وتمييزهم لهم عن عامةِ الناس. فإذا عَض أحدهم كَلْب فإنهم كانوا يُداوونه بدم أحد الملوك أو الأشراف؛ لاعتقادِهم بأن دم المُلوك والشُرفاء يَشفي من عَضَّةِ الكَلب (السعار)، وفي ذلك يقول الشاعر:

(الوافر)

بُنَـــاةُ مَكَـــارِمٍ وَأُسَـــاةُ[3] كَلْـــمٍ   دِمَـــاؤُهُمُ مِـــنَ الكَلَـــبِ[4] الشِـــفَاءُ[5]
الشِـــــــــــــــــــفَاءُ[5]

ويدعم قصة دم المُلوك هذه ما قالته الزباء [6] لجُذيمة حين أسرته،: " أُنبِئت أن دِماءَ المُلوكِ شفاءٌ من الكَلَبْ، ثم أجلَسَتْهُ على نطع وأمرت بطَست من ذهب، فأُعد له وسقَتْه الخَمْر،

---

[1] الأعشى: **الديوان**، الجماميز، مكتبة الآداب، ص 187. (الأعشى، الديوان فيما بعد). والقرشي، أبو زيد: **جمهرة أشعار العَرَب**، تحقيق فاروق الطباع، د ط، بيروت، دار الأرقم، 105/1.(القرشي، جمهرة أشعار العَرَب فيما بعد).

[2] الأعشى: **الديوان**، ص 92.

[3] الآسي الطَّبِيب والجمع أُساةٌ، للمزيد أنظر ابن منظور: **اللسان**، مادة (أسا).

[4] الكلب داء يصيب الإنسان فيموت من العطش ذلك لأنه إذا رأى الماء فزع منه، وهو داء يشبه الجِنّون، للمزيد ينظر: ابن ابن منظور: **اللسان**، مادة (كلب).

[5] الألوسي: **بلوغ الأرب**، 319/2. ابن قتيبة: **عيون الأخبار**، 79/2.

[6] الزباء: اسم أطلقه العَرَب على الملكة زنوبيا، وهي ابنة عمرو بن الظرب بن حسان العميلقي، جرت بينه وبين جذيمة الأبرش معركة، قتل فيها عمرو والمذكور، وملكت الزباء بعده، وبنت على الفرات مدينتين متقابلتين، واحتالت على جذيمة حتى أطمعته في نفسها و واغتر فقدم عليها، فقتلته، وأخذت بثأر أبيها، للمزيد أنظر: هنري: **معجم الحضارات السامية**، ص438.

حتى أخذت مِنهُ مأخذَها، ثم أمرت براهشيه[1] فقطعا، وقدمت إليه الطست، وقد قيلَ لها إن قطرَ من دمه شيء في غير الطِست طلب بِدَمِهِ، وكانت المُلوك لا تُقْتَل بِضَرب الرَقَبة إلا في قِتال، تكرمةً للملِك، فلما ضَعُفَت يَداه سَقَطَتَا، فقطَرَت من دَمهِ في غيرِ الطست، فقالت: لا تُضيعوا دَمَ الملك ".[2]

وللقُدسِية التي حظيت بها دماء الملوك، فقد كانت أعناقهم لا تُضرَبُ إلا في الحرب تكرماً، وكان ثمة عُرف عِندهم _حتى في ذروةِ احتدام الصِراع بين الخُصوم من الملوك_ هو عدمُ التفريط بقطرة دمٍ من دَمِ المَلِك العَدو، إذا قُبض عليهِ خارج ساحات المَعارك [3].

كما اعتقدوا بأن دِماء المُلوك تشفي من الجِنّون، وقد ظهر ذلك في أشعارهم، من ذلك ما قاله عاصم بن القِرِّيَّة وهو جاهليّ:

(الطويل)

وداويتُــهُ ممــا بِــهِ مــن مَجَنّــةٍ　　　دمَ ابــنِ كُهــالٍ والنِّطاســيُّ واقــفُ

وقَلَّدْتُــــه دهــــراً تميمــــةَ جَــدِّه　　　وليس لِشــيءِ كــادَهُ اللَّــهُ صــارفُ[4]

صـــــــــــــــــــــــــــارفُ[4]

ومن الطُقوس العلاجية الأخرى التي مارسها العَرَب استِخدام دم الشريف في مداواة (المرأة المِقْلات) [5]، وكان هذا الطَقس يتم بأن تقومَ المرأةُ المِقلات بالمُرور من فوق القَتيل الشريف سَبع مرات [6]، وعن المِقلات يقول بِشر بن أبي خازم:

(الطويل)

---

[1] الراهِشانِ عرْقانِ في باطن الذراعين .

[2] ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، 267/1.

[3] أبو علي، محمد توفيق: **صورة العادات والتقاليد والقيم الجاهِلِيَّة في كتب الأمثال العَرَبية**، ط 1، 2001. ص 134.(أبو 134.(أبو علي، صورة العادات فيما بعد).

[4] الجاحظ: **الحيوان**، 7/2.

[5] والمِقْلاتُ التي لا يعيش لها ولد وقد أَقْلَتَتْ وقيل هي التي تَلِدُ واحداً ثم لا تَلِدُ بعد ذلك، للمزيد: أنظــر: ابــن منظــور: اللسان، مادة (قلت).

[6] الألوسي: **بلوغ الأرب**، 318/2. والحوفي: **الحياة العَرَبية من الشِّعْر الجاهلي**، ص 498.

تَظَـــلُّ مَقاليـــتُ النِســـاءِ يَطَأنَـــهُ   يَقُلنَ أَلا يُلقـى عَلـى المَـرءِ مِئـزَرُ[1]

واعتقد أنني سمعت شيئاً مشابهاً لهذا في الثقافات الشعبية، حيث تَلجأ المرأة العاقر للمرور، والتَخَطِي فوق شَخص مقتول، تَيَمُنَاً بِحُدوث حَمل لديها.

ومن الطُقوسِ النابعةِ من اعتقاد الجاهليين بقُدسية المَلِك، والدم المَلكي، أن العَذارى كانت تَدخل عليهم قبل إدخالهن على أزواجهن، وربما يكون ذلك رَغْبة في استِشفاف البَرَكة من المَلِك[2].

حتى أن مُجَرَد النظر إلى المَلِك، كانَ لهُ مَكانة في نُفوس العَرَب في الجاهِلِيَّة، وقد جاء في أخبارهم أن غيلان بن سلمة الثقفي _من حُكام قيس_ كان له ثلاثة أيام، يوم يَحكم فيه بين الناس، ويوم يُنشد فيه الشِّعْر، ويوم يُنظَرُ فيه إلى جَمَاله [3].

ولا شك في أن الطقوس التي تم ذكرها إنما تستند إلى تقديس الملوك والرؤساء، الذي كان متجذراً في عقلية العَرَب قبل الإسلام، وينطلِق من تَقديس قديم للآلهة المُتعددة التي كانوا يَعبدونها، والذي تحول فيما بعد إلى تقديس للآلهة باعتبارهم مُجَسمِين في المُلُوك والرُؤساء والشُرفاء.

ومن الطقوس التابعة لتقديسهم للملوك والشُرفاء، ما كانوا يُمارسونهُ من حَملِ المُلوك على الأَعناق، لدفع المرضِ عَنهم، فكانوا إذا مَرِض أحد الملوك حَمَله رِجاله على الأَعناق، وتعاقبوه، لأنه عِندهم أوطأ من الأرض [4]. وعن ذلك الطَقس يقول النابغة الذبياني:

(الوافر)

أَلَـــم أُقسِـــم عَلَيـــكَ لِتُخبِرَنّـــي   أَمَحمـــولٌ عَلـــى الـــنَعشِ الهُمـــامُ

---

[1] بشر بن أبي خازم: **الديوان**، دمشق، مديرية إحياء التراث، 1960، ص 88.(بشر بن أبي خازم، الديوان فيما بعد).

[2] الألوسي: **بلوغ الأرب**، 4/2، عيسى، عبد الخالق عودة، **رثاء الممالك والملوك في الشِّعْر الجاهلي**، إشراف عادل أبو عمشة، نابلس، جامعة النجاح الوطنية، 1999، ص 14. (عيسى، رثاء الممالك فيما بعد).

[3] الأوسي: **بلوغ الأرب**، 319/1. وعيسى، عبد الخالق: **رثاء الملوك والممالك**، ص 14.

[4] الألوسي: **بلوغ الأرب**، 19/3.والعسكري: **جمهرة الأمثال**، 255/2.

فَـــــــإِنّي لا أُلامُ عَلـــــــى دُخـــــــولٍ وَلَكِـــــن مـــــا وَراءَكَ يـــــا عِصـــــامُ[1]

والنابغة في الأبيات السابقة يتحدث عن النعمان بن المنذر عندما اشتد عليه المرض.

ولأن العَرَب قبل الإسلام عانوا كثيراً من قِلة الأمطار، والجفاف الذي كان يَفتك بهم وبحيواناتهم ومزروعاتهم البسيطة، فقد لَجَؤوا إلى طَلَب الاستِسْقاء بطقوس مختلفة، وبلغ من شدَّة تقديسهم لملوكهم وسادتهم أن مارسوا طُقوسهم السِحْرية للاستسقاء " باستسقاء السَماء بالكُهَّان والعَرافين والمُلوك المقدَّسين والسادة الأَجواد، أو بأحد أعضائهم كوُجُوههم أو أَيديهم " [2]، ومن ذلك ما قالته رفيقة بنت نباتة، حينما استَسقى عبد المطلب بن هاشم، فسَاحَت السماء بالمَطر:

(البسيط)

مُبـــارِكُ الأمـــرِ يُستســـقى الغَمـــام بـــه ما في الأنـــامِ لـــه شـــبهٌ ولا خطـــرُ[3]

خطـــــــــــــــــــــــــــرُ[3]

إن العلاقة بين الملوك وإنزال المطر من الأمور التي درجت البشرية على الاعتقاد بها، فمن القصص التي يسوقها جيمس فريزر ما حدث في استسقاء أوربة سنة 1893 عندما مرت صقلية بمحنة بسبب الجفاف، وجرب أهلها كل الطرق المعترف بها للحصول على المطر، لكن دون جدوى، (فألقوا بالقديس يوسف في إحدى الحدائق، وأقسموا أن يتركوه في الشمس إلى أن يأتي إليهم المطر) [4].

وبناءً على القدسية التي حظي بها المُلوك عند العَرَب في الجاهِلِيَّة، فقد كان لَهُم تحِية خاصة تختلف عن تَحية عامة الناس، من تلك التَحيَّة " (أبيت اللعن) أي أبيت أيها المَلِكُ أن تَأتِي ما تُلعَن عليه، واللعن هو الإبعاد والطرد من الخير " [5]

---

[1] النابغة الذبياني: **الديوان**، ص 157.

[2] قصي، حسين: **انثربولوجية الصورة في الشِّعْر الجاهلي**، ص 337.

[3] البغدادي، عبد القادر بن عمر: **خزانة الأدب**، تحقيق نبيل طريفي، إميل يعقوب، د ط، دار الكتب العلمية، 1998، 62/2، 62/2، (البغدادي، خزانة الأدب فيما بعد). وابن طيفور، أبي الفضل أحمد بن أبي طاهر: **بلاغات النساء**، د ط، بيـروت، دار الحداثة، 1987.. ص 47، (ابن طيفور، بلاغات النساء فيما بعد).

[4] فريزر، جيمس: **الغصن الذهبي**، 244/1_372. وعبد الرحمن، نصرت: **الصورة الفنية في الشِّعْر الجاهلي**، ص 29.

[5] الألوسي: **بلوغ الأرب**، 193/2. وعلي: **المفصل**، 5/225.

كانت نظرة التقديس التي حظي بها المُلوك، السبب الذي لأجله حَرصت القبائل على تفادي أية خُصومة وصِدام بينها وبين المُلوك، وإن حدثت فقد " كانت القَبيلة تَمْتنع عن مُناصرة من يتصَدَّى للملك بالعَداوة من أبنائها، بل إنها كانت تُبادر بإقامَة عَلاقات حُسْنِ الجِوار مع المَلِك، وتقديم الوَلاء والطاعة لَه، ولَعل هذا أيضا ما يُفسر لنا إحجامَ بعض القَبائل عن نُصرةِ شُعَرَائها وأفرادها إذا تَعرضوا لبَطْشِ الملك، لأي سببٍ كان، من ذلك ما حدث للشاعر طَرَفَةُ ابن العبد، الذي قتل بأمر من الملك (عَمْرو بن هِند) على مَرأى من قومه " [1].

وقد بلغ الأمر بهم أن اعتقدوا في الجاهِلِيَّة بأن المُلوك لا تُقْتَل، أو لا يَصِحُ بالأصلِ مُنازَلتها، وهو ما جُسد في موقعة ذي قار،، وذلك ربما ينبُع من ظَنِهم بوجود أرواح كامِنَة في هؤلاء المُلوك، تَبْعَثُ في داخلهم الرهبة والخوف منهم، ففي يوم ذي قار خرج أسوار من الفُرْس يدعو إلى النزال، فَتَهَيَّبَتْهُ بَعْضُ القَبائل، فنزل إليه فارس بكري وقَتله، والتفتَ إلى الجيش العَرَبي صائحاً: يا قوم إنهم يموتون، وكأنه بذلك حطَّم الأسطورة، وهجمَ الجيش وانتصر العَرَب [2].وفي [2].وفي ذلك يقول الشداخ[3] بن يعمر الكناني:

(الخفيف)

قـــاتلي القـــوم يـــا خـــزاع ولا	يــــدخلكم مـــــن قتــــالهم فشــــلُ
القــــومُ أمثـــالكم لهــــم شـــعرٌ	فــي الــرأس لا ينشــرون إن قُتِلُــوا[4]
	قُتِلُــــــــــــــــــــــوا[4]

ويسوقُ الأصفهاني مَزيداً من الأَدِلَّة على تَقديسِ العَرَب لمُلوكهم وكهنتهم، وتَأليههم لَهم، أن كاهن بني أسد، وهو عَوف بن ربيعة بن سوادة بن سعد بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسَد

[1] النعيمي، أحمد إسماعيل: **الأسطورة في الشِّعْر العَرَبي قبل الإسلام**، ط 1، القاهرة، سينا للنشر، 1995، ص 90_91.(النعيمي، الأسطورة فيما بعد).

[2] الشوري: **الشِّعْر الجاهلي تفسير أسطوري**، ص 69.

[3] الشداخ بن يعمر شاعر جاهلي قديم مقل كان أحد حكام العَرَب حكم بين قضاعة وقصي في أمر الكعبة وقد كثر القتل فشدخ دماء قضاعة تحت قدمه وأبطلها وقضى لقصي بالبيت ومن هنا سمي الشداخ وهو من بني كنانة بن خزيمة، للمزيد أنظر: التبريزي: **ديوان الحماسة**، د ط، بيروت، دار القلم، د ت، 59/1.(التبريزي، ديوان الحماسة فيما بعد).

[4] التبريزي: **ديوان الحماسة**، 60/1. والشوري: **الشِّعْر الجاهلي تفسير أسطوري**، ص 69.

ابن خزيمة كان يُخاطِب قَومه بِقوله: يا عُبَّادي فيقولون: لبيك [1]، كما إنه ولمَّا ماتَ عامر بن الطفيل _وكان مُتَكَهِّناً_ جَعَل أهله حِمى لقبره [2].

من الواضحِ إذاً نَظْرة التَقْديس والتَعظيم التي كان البدو يَتَعامَلون بها تِجاه مُلوكهم، ولقد ظَهَر أثر ذلك التَعظيم والرَهبة في وَصَايا مُعَمِريهم، إذ إنه وعِندما بَلَغَ الكِبَرُ حَداً كبيراً بدُرَيد بن الصمة، جمع أبناءه، وقال لهم موصياً: " أما أول ما أنهاكم عنه فأنهاكم عن مُحاربة المُلوك، فإنهم كالسَيلِ بالليل، لا تَدري كيف تَأتيه، ولا من أين يَأتيك، وإذا دَنا مِنكم المَلكُ وادِياً، فاقطعوه بينكم وبينه واديين، وإن أجَدْبَتم فلا تَرْعوا حِمى المَلِك، وإن أذنوا لكم، فإن من رعاه غانِماً لم يَرجِع سالماً [3].

وكان أكثر ما يخشون، هو غَضب الملوك، وعِصْيَانهم حتى قالوا : " اتقوا غَضَب المُلوك ومد البحر "، ولعل في أخبار عَمْرو بن لحي الملك الكاهن، الذي ذَهب شَرَفه في العَرَب كل مَذهَب، وكانت أقواله بِمثابة الدُستور الذي يَسيرُ عَليه الجميع، حتى قيل عنه " إن للعرب رَباً لا يبتدع بدعةً إلا اتخذوها شرعةً " ما يؤَكِّد ما سبق[4]. وقد كان له رئيّ من الجِنّ [5]وتلك سمة امتلكها معظم كهَّان العَرَب في الجاهِلِيَّة إذ كان لكل منهم مايسمى ب(الصاحب) أو (التابع) أو (الرئي) يسترق له السمع من السماء، ويأتيه بالأسرار [6]. ولم يقتصر اعتقاد الناس في الكاهن على أنه الوسيط بين الآلهة والناس فحسب، وإنما رأوا فيه " فم الإله الناطق " [7]. كذلك فإن فيما فعلته بكر يوم الزورين عندما جاءت بأحد رؤسائها واتخذته زوراً أي رباً ما يعزز المكانة المؤلهة التي حظي بها الكاهن عند العَرَب.

---

[1] الأصفهاني: **الأغاني**، 101/9.

[2] الأصفهاني: **الأغاني**، 67/17. وزكي، أحمد كمال: **الأساطير دراسة حضارية مقارنة**، د ط، بيروت، دار العودة، 1979، ص 71. (زكي، الأساطير فيما بعد).

[3] السجستاني، أبو حاتم: **المعمرون والوصايا**، د ط، القاهرة، دار إحياء الكتب العَرَبية، 1961، ص 47.(السجستاني، المعمروقن فيما بعد).

[4] الأندلسي، أبو سعيد: **نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العَرَب**، تحقيق نصرت عبد الرحمن، الأردن، عمان، مكتبة الأقصى، 1982، /212. (الأندلسي، نشوة الطرب فيما بعد).

[5] ابن الكلبي: **الأصنام**، ص 54.

[6] ابن حبيب: **المحبر**، ص 390.

[7] ميخائيل، نجيب: **مصر والشرق الأدنى القديم**، ترجمة فؤاد حسنين علي، القاهرة، مطبعة لجنة البيان العَرَبي، د ت، 269/4. (ميخائيل، مصر والشرق الأدنى القديم فيما بعد).

لكن ما سبق ذكره لم يقتصر على العَرَب في الجاهِلِيَّة بل شاركَهم فيه معظم الأمم القديمة الأخرى. حيث يؤَكِّد فريزر بأن الاعتقاد بالقوة الكامِنة في الملوك " اعتقاد ساد لدى مُعظم الشعوب البِدائية في طَورها الأول، فقد أرسل ملك سوريا رجلاً أبرص إلى مَلك إسرائيل ليَشْفيه"[1].

وعند البحث عن فِكرة الملك في التَفكير الأسطوري، لا بد لنا من الرجوع إلى المصادر الأَساسية التي سَجَّلت المَوْروث الثقافي، وحَفِظَتْه لدى مُعظم الحَضارات، كالأَلواح الطينية، والنُقوش، والأختام الأسطوانية، والتي اجتمعت على النظرية المقدَّسة التي تَعاملت بها مُعظم الحضارات والشعوب تِجاه مُلوكهم [2].

يقول الماجدي عن الملك في حَضارة وادي النيل بأنه كان إلهاً بالمعنى الدقيق للكلِمة، فقد تجَسدَّت فيه الألوهية بشكل كامل، فالمَلِك هو الابن الجسدي الذي جاء من صُلْب إله الشمس رع من جهة، وهو الإله المَلِك الذي يَهِبُ الطاقة والنور مِن جهة أخرى[3].

وعندما كانت آلهة الطبيعة، وخاصة آلهة الشمس والقَمَر والنيل، بعيدة عن مُتناول المصري القديم، أي أنها غير مَلموسة له، فقد اتجهَ المصري القديم كعادَته في صِلَتِه مع الأشياء البعيدة أو غير المَلموسة، إلى البحث عن وسيط لتَعميق هذهِ الصِلة والاتصال، وجَعْلها قريبة من حواسه، وهكذا توَلدَّت للمصري فِكرة، ونشأت فِكرة المَلِك الإله، فهو حَركة الاتصال بآلهة الطبيعة، لأن المصري القديم اعتقد أن خُلود المَلِك، ما هو إلا خُلود للمصري نفسه، وأن وَظيفته في الحياة الأخرى، ما هي إلا امتداد طبيعي ومَنطِقي لوظِيفته في الدنيا [4].

ويؤَكِّد فريزر أن الأُلوهية في تلك الأيام، لم تكن تُحيط بالمَلك على أنها صورة لَفْظِيَّة جوفاء، وإنما كانت تعبيراً عن اعتقاد راسخ مَتين، فقد كان المُلوك يُقدَسُونَ في كثير من الأحيان،

---

[1] ينظر: فريزر، جيمس : **أدونيس أو تموز (دراسة في الأساطير والأديان الشرقية القديمة)**، ط 2، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، بيروت، المؤسسة العَرَبية للدراسات والنشر، 1979، ص 32.(فريزر: أدونيس أو تموز فيما بعد).

[2] ينظر: باقر، طه:**مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، ط 2، شركة التجارة والطباعة المحدودة، 1995، ص 384. (باقر، مقدمة في تاريخ فيما بعد).

[3] الماجدي: **الدين المصري**، ص 165.

[4] ينظر: عبد الرازق، جمال الدين: **مصر القديمة التاريخ والحضارة**، 2009، ص 269.(عبد الرازق، مصر القديمة فيما بعد).

وليس فقط بِصفتهم رجال دين، أو كهنة أو وُسَطاء بين العبد والرب، بل أيضا باعتبارهم هم أنفسهم آلهة وأرباباً، قادرين على أن يَمْنَحوا أتباعهم وعُبَّادَهُم تلك البَرَكات، التي كان يظن أنها تُجاوِز طاقة البَشر الفانين، ومن هنا كان الناس كثيراً ما يتَوقعون من مُلوكِهم أن يُرسلوا عليهم المَطر، وضوء الشمس في المَوسم المُناسب [1]. وربط بَعضهم بين المَلِك وخصب الطبيعة، ولقد اعتقد في كثير من الثقافات أن المَلِك تَجسيد لإله الخِصْب، ومركز لِنظام الطبيعة، يتوقف غليه هُطول المَطر، وخصب الأرض وتكاثُر الحيوان، وتتابُع الفصول. [2]ومن المراسم المقدَّسة التي صبغت حياة البلاط المصري، والتي تَنُم عن تَقديس المُلوك لديهم، وعلوِّهم إلى مَرتَبة الآلهة، الارتماء على البطن أمام الملك، وتقبيل الأرض تحت أقدامه، وحظر ذكر اسمه، واستخدامه فقط للشعارات والرموز الدينية [3].

ولم يقتصر دور المَلك الإله في المُعتقدات المصرية على عالم الأحياء فقط؛ بل امتدت دورته إلى عالم المَوتى، فهو الوَسيط بين الفَرد وعالم الآلهة [4].

بات من الواضح أن عملية تقديس الملوك لم تقتصر على العَرَب فقط، أو بالأَصح إنها قد تَسربت إليهم كغيرها من سائر الثقافات الأخرى، عَبر الوسائل المختلفة التي ذكرناها فيما سبق، "فالفِرَنْجُ مَثلا كانوا يعالجون المرض المُسمى عَيْن المَلِك (scrofula_kings eye) بريق الملك نفسه[5]. وإنني أجد أن ذلك لا يختلف كثيراً عن اعتقاد العَرَب بالقُدرة الكامِنة في دَمِ المَلِك على شِفاء العديد مِن الأمراض كالكَلَبِ والجِنّون والعُقْم.

ولم يختلف الوضع لدى العبرانيين فقد تَمَتَّع الملك عند العبرانيين بصبغة إلهية، إذ كان أسلافهم يَلعبون دور إله ما، وتتجلى أحد مَظاهر قداسة المَلِك في حياته حيث كانوا يَدْعونه

---

[1] فريزر: **الغصن الذهبي**، ص 348.

[2] ينظر:عياد، شكري: **البطل في الأدب والأساطير**، ط 2، دار المعرفة، 1971، ص 114.(عياد، البطل في الأدب فيما بعد).

[3] ينظر: توكاريف، أ. سيرغي: **الأديان في تاريخ شعوب العالم**، ترجمة أحمد فاضل، ط 1، الأهالي للتوزيع، سورية، دمشق، 1998، ص 322. (توركايف، الأديان في تاريخ العالم فيما بعد).

[4] عبد الرازق: **مصر القديمة**، ص 281.

[5] خان، محمد عبد المعيد: **الأساطير العَرَبية قبل الإسلام**، د ط، القاهرة، مكتبة الثَقافَة الدينية، 2005، ص 37.(خان، الأساطير فيما بعد).

(آدوني هاميليخ) أي سَيدي أو ربي المَلك، والمَظهر الآخر، عند وفاته والنُواح عليه، حيث كانوا يَصرخون (هوي آحي) و(هوي آدون) أي وأخواه، ووا رباه [1].

كما نظر العراقيون القدماء إلى المُلكية على أنها نظام إلهي مقدس، وَهَبته الآلهة إلى البشر، وأن الغاية من هذا النظام، هو تَمكين البشر من إدارة شؤونهم، وشُؤون مَساكن الآلهة ومقاطعاتهم، وكذلك تمثيل الآلهة على الأرض، ولِقُدسِية المَلِك في نظرِ العِراقيين القدماء، واعتقادهم بأن رَفَاهية البلاد وشَعبها تَعتمد على سَلامته ، فقد كان كل خَطر يُهَدِد حياة المَلِك يُعتبر خطراً يُهدد سَلامة البِلاد وأَمنها[2]

ويخلُصُ عُلماء الأنثربولوجيا للقول: بأَن الآلهة لم توجد دون وجود المُلوك المقدَّسين، ومنذ عرفت العقائد والمُعتقدات، كان هناك مُلوك يَدَّعُونَ بأنهم سُلالة هَؤلاء الآلهة، وتَنْظر الشعوب إليهم على أنهم مَبْعوثون من عِند الآلهة، ففي مصر القديمة مَثلا كان المَلك أو الفِرعون هو ابن الآلهة، والفرعون الإله هو الساحر الأَكبر، الذي يُسيطرُ على القَمَر والنجوم، فَتَجِيء الأشهر والأيام والساعات في إيقاعٍ مُنتظم[3].

ومما يُعَزِزُ أن عبادة الملوك والأسياد قد ارتبَطَت بالدين منذ زَمن قديم، ما نقله خان عن سيفج: بأن " أول مَظْهَر للدين هو عِبادة القَبِيلة "، والرب، والأمير، ويَبدو سبنسر أكثر مَيلاً للتَعْميم إذ يقول: إن " عِبادة السَلَف أساس الأديان جَميعاً "[4].

العَيْن والحسَد

العَيْن: أَن تصيبَ الإِنسانَ بعينٍ. و عانَ الرجلَ يَعِينُه عَيْناً فهو عائن والمُصاب مَعِينٌ على النَقص و مَعْيونٌ على التَمام: أَصابه ب العَيْن ويُشْتَق من العَيْن الفعل عانه يعينه، إذا أصابه

---

[1] فريزر: **أدونيس أو تموز**، ص 29.

[2] سليمان، عامر، والفتيان، أحمد مالك: **محاضرات في التاريخ القديم (موجز تاريخ العراق ومصر وسوريا وبلاد اليونان والرومان القديم)**، د ط، الموصل، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، 1978 ص 69، 180، 182. (سليمان، موجز تاريخ العراق فيمل بعد).

[3] ناصر، إبراهيم: **الأنثربولوجيا الثقافية (علم الإنسان الثقافي)**، ط 2،الأردن، جمعية عمال المطابع التعاونية، 1985، ص 166. (ناصر، الأنثربولوجيا فيما بعد).

[4] خان، عبد المعيد: **الأساطير والخرافات عند العَرَب**، ص 86.

ب العَيْن، وهو من الحسَد [1]. وقد أُكِّدَ ذلك بالحَديث النَبوي الشريف " العَيْن حق، ولو كان شيءٌ سابق القدر لسَبَقَتْهُ العَيْن"[2]. وكذلك قوله –عليه الصلاة والسلام– " لا رُقْيَة إلاَّ منْ عَينٍ أو حُمَةٍ"[3].

وتتصرف كلمة العَيْن في اللغة إلى عشرة مَعانٍ، ذكر ابن فارس تِسعة منها في قصيدة خصَّصها للعين ومَعانيها، وقد تَحدث في كل بيت عن واحد من معانيها، وقد تعددت معاني (العَيْن) فمنها:

1. سحاب ينشأ من قبل القبلة (عن يمين قبلة العراق)،. يقال: هذا مَطَرُ العَيْن ولا يقال مُطِرْنا ب العَيْن[4]. ومنه قوله _عليه الصلاة والسلام_ " إذا نَشَأَتْ بَحْرِيَّةً ثم تشاءمت فتِلك عَيْنٌ غُدَيْقةٌ "[5].

2. عين الإنسان وغيره (العَيْن الباصرة).ومنها قول النبيّ _عليه الصلاة والسلام_ "عينان لا تمسهما النار عين بكت في جوف الليل من خشية الله وعين باتت تحْرس في سبيل الله"[6].

3. ما ينبع منها الماء، وعين الماء الجاري، ومنها قول الرَّسُول _عليه الصلاة والسلام _ عين بينها وبين المدينة يومان " [7].

4. عينُ الرُّكْبَة، وعينُ الرُّكْبَة: نُقْرة في مُقَدَّمها[8]، أو ما يعرف ب (صابونة الرجل).ومنه قوله _عليه الصلاة والسلام _ " فأصاب عينَ رُكْبَةِ عامِرٍ فمات مِنه"[9].

---

[1] ابن منظور: **اللسان**، مادة (عين).

[2] ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، 145/1.

[3] البخاري: **صحيح البخاري**، 2157/5، حديث 5378.

[4] ابن منظور: **اللسان**، مادة (عين).

[5] الأصبحي، مالك بن أنس أبو عبد الله: **موطأ الإمام مالك**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، د ط، مصر دار إحياء التراث العَرَبي، د ت، 192/1. (الأصبحي، موطأ الإمام مالك فيما بعد).

[6] الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوت أبو القاسم: **مسند الشاميين**، تحقيق حمدي السلفي، ط 1، بيروت، مؤسسة الرسالة، الرسالة، 1984، 337/3، حديث رقم 2427. (الطبراني، مسند الشاميين فيما بعد).

[7] الجزري، أبو السعادات المبارك بن محمد: **النهاية في غريب الحديث والأثر**،تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناجي، د ط،بيروت، المكتبة العلمية، 1979، 343/1. (الجزري، النهاية في غريب الأثر).

[8] ابن منظور: **اللسان**، مادة (عين).

[9] البخاري: **صحيح البخاري (المغازي)**، 1537/4.

5. الثُقب في المزادة والقربة، يَتَسرب منه الماء.

6. الواشي والجَاسوس. العَيْن الذي يُبْعث ليَتجسَّس الخبرَ ويُسمى ذا العَيْنين ويقال تُسميه العَرَب ذا العَيْنين [1]. وقد جاء في الحديث الشريف ما يؤَكِّد ذلك حيث قوله _عليه الصلاة والسلام _ _ " أنه بَعَثَ بَسْبَسَة عيناً يوم بدر أي جاسوساً، واعتان له إذا أتاه بالخبر " [2]. وفي حديث الحديبية " كان الله قد قَطع عيناً من المشركين" . أي كفى الله منهم من كان يَرْصُدُنا، ويتجَسسُ عَلينا أخبارنا [3].

7. العَيْن في الميزان: المَيْلُ. والعَرَب تقول: في هذا الميزان عَين أَي في لسانه مَيْلٌ قليل أَو لم يكن مستوياً [4].

8. المال العَتيدُ الحاضر [5]، أي الدَنانير تُدفع نقداً بمعنى cach في الإنجليزية. ومنه قول الرَّسُول _عليه الصلاة والسلام _ " وَلاَ ذهبا عَيْناً بِوَرِقٍ دَيْناً وَلاَ ورقا دَيْناً بِذَهَبٍ عَيْناً " [6]. [6]. ومنه قول أبي المقدام:

(الخفيف)

حَبَشـــيٌّ لـــه ثَمـــانون عَينـــاً بـــين عَيْنَيْـــهِ قـــد يَسُـــوق إِفـــالا[7]

أَراد عبداً حبشيًّا له ثمانون ديناراً بين عينيه: بين عيني رأْسه [8].

9. العَيْن بمعنى الحرف الثامن عشر من الألفبائية العَرَبية.

والمعنى العاشر، هو ما يستخدم عند إرادة التوكيد المعنوي، حيث تقول: جاء فلان بعينه، أو عينه، وهي هنا ترادف كلمة (نفس) أو (ذات) في لغات العَرَب[9]. وجاء في الحديث

---

[1] ابن منظور: **اللسان**، مادة (عين).

[2] الجزري: **النهاية في غريب الأثر**، 331/3.

[3] الجزري: **النهاية في غريب الأثر**، 331/3.

[4] ابن منظور: **اللسان**، مادة (عين).

[5] المرجع نفسه

[6] الشيباني، أحمد بن حنبل أبو عبد الله: **مسند أحمد بن حنبل**، د ط، مصر، دار قرطبة، د ت، 15/3. (الشيباني، مسند أحمد بن حنبل فيما بعد).

[7] إفالا : صغار الإبل .

[8] ابن منظور: **اللسان**، مادة (عين).

[9] ابن فارس: **الصاحبي**، المُقَدِّمة، وابن فارس، أبو الحسين أحمد: **الاتباع والمزاوجة**، تحقيق كمال مصطفى، مصر، مطبعة السعادة، ص 23_25. (ابن فارس، الاتباع والمزاوجة فيما بعد). والصفدي، أبو الصفاء خليل بن أيبك: **صرف**

الشريف: " أَوَّهْ أَوَّهْ عَيْنُ الرِّبا عَيْنُ الرِّبا لا تَفعل ولكن إذا أَرَدْتَ أن تشتَري فَبِع التَّمْر بِبَيعٍ آخر ثُمَ اشترِ به" [1]

10. أما عن العَيْن ودلالاتها في القرآن الكريم، فقد ذكر ابن الجوزي [2] أن المُفسرين ذكروا للعينِ خَمسة أوجه، وهي:

العَيْن الباصرة: ومنها قوله تعالى: **" أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ "** (الأعراف|195)

منبع الماء الجاري: ومنه قوله تعالى: **" فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا "** (البقرة|60).

الحفظ: ومنه قوله تعالى: **" تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ "** (القَمَر|14).

المنظر: ومنه قوله تعالى: **" سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ "** (الأعراف|116).

القلب: ومنه قوله تعالى: **" الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِي "** (الكهف|101).

النهر: ومنه قوله تعالى: **" عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً "** (الإنسان|6)

أما الحسَد فهو " حسده يَحسده حَسداً إذا تَمنى أن تَتحول إليه نِعمته، وفضيلته، أو يَسلِبهما هو"[3].

العَيْن والحسَد مُعتقد قديم قِدَم الإنسان، عُرِف منذ بِداية التاريخ، كان وما يزال حتى يومنا هذا، " والاعتقاد بالحسَد و العَيْن هو أحد المَعتقدات الشعبية الإنسانية التي لا يُمكن نِسبتها إلى شَعب واحد وحَصرها به، فَتكاد الشُعوب البِدائية في التاريخ القَديم تُجْمِع كُلها على مَفعول اللعنات وشَرِ العَيْن الحَاسدة " [4].

العَيْن، ط 1، تحقيق محمد لاشين، القاهرة، مصر، دار الآفاق العَرَبية، 2005، 1/34_35. (الصفدي، صرف العَيْن فيما بعد). وجبر: **العَيْن بين العلم واللغة**، مجلة اللسان العَرَبي، الرباط،1432، ص 11. (جبر، العَيْن فيما بعد).

[1] البخاري: **صحيح البخاري**، 813/2، حديث 2188.

[2] ابن الجوزي، جمال الدين أبي الفرج: **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**، تحقيق محمد عبد الكريم الراضي، ط 1، لبنان، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1984، ص 443_ 444.(ابن الجوزي، نزهة الأعين فيما بعد). والصفدي: **صرف العَيْن**، 25.

[3] ابن منظور: **لسان العَرَب**، مادة حسد.

[4] ديورانت،ول:،**قصة الحضارة**،ج 1،ترجمة زكي نجيب محمود،ط3،، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1965، ص 115.(ديورانت، قصة الحضارة فيما بعد).

وللعين جملة من الأضرار تَلحَق بمن أصيب بها تحدث عنها المناوي في كتاب (فيض القدير)، يقول: " العَيْن حق، يعني الضرر الحاصل عنها وُجودي أكثري، لا ينكره إلا مُعانِد، وقرن ذلك بالمرأة الحائض تضعُ يدها في إناءِ اللبَن فيفسُد، ولو وضعَتْها بعد طُهْرها لم يَفسد، وتدخُل البستان فتُضِرُ بكَثير من العروشِ بغير مَس، والصَحيح ينظرُ إلى الأَرمد فقد يرمد، ويَتثاءب واحد بحضرته فيتَثاءب هو، وقد ذكروا أن جنساً من الأفاعي إذا وقع بَصَره على الإنسان هَلك، وحينئذ فالعَيْن قد تكون من سُم يصلُ من عَين العائنِ في الهواء إلى بَدن المَعيون، وقد أجرى الله عادته بوجود كثير من القوى والخواص والأجسام والأرواح، كما يحدث لمن ينظر إليه من يحتشمه من الخَجل، فيحدث في وجهه حُمرة شديدة لم تكن من قبل، وكذا الاصفرار عند رُؤية من يَخافه، وذلك بواسطة ما خلق الله في الأرواح من التَأثيرات ولشدةِ ارتباطها ب العَيْن نُسِبَ الفِعل إلى العَيْن، وليسَت هي المُؤثِرة، إنما التَأثير للروح والأَرواح مختلفة في طبائعها، وقواها وكيفياتها وخَواصها، فَمِنها ما يُؤَثر في البَدن بمُجرد الرُؤية بغير اتصال، ومنها ما يؤثر بالمُقابلة، ومنها ما يؤُثِّر بتَوجه الروح كالحادث من الأدعية والرقي والالتجاء إلى الله، ومنها ما يقع بالتوهم والتَخييل " [1].

وقد أكد الشنقيطي ارتباط الحسَد بالنَفس، فقال: " الحسَد انفعال نفسي إزاء نعمة الله على بعض عِبَاده مع تَمَني زوالها، وهو يقوم على تَصور مُؤداه أن ما يَحدث للإنسان أو المُمتلكات من سوء يعود في أحيان كثيرة إلى تأثير العَيْن الحاسدة، التي غالباً ما تكون عيناً شريرة " [2]. وقد ذكر الشنقيطي في (أضواء البيان) إلى" أن الحسَد عمل نفسي، وأثر قلبي، و قيل فيه إنه كإشعاع غير مَرئي، ينتقل من قلب الحاسد إلى المَحسود عند تَحَرُّقهِ بقَلبه على المَحْسود " [3].

أما عن خلفيات الحسَد، والبعد السيكولوجي له، فيقول إبراهيم بدران " إنه يعود إلى الغيرة من عَدم الامتلاك، أو عَدم الوصول إلى الغاية التي امتلكها أو التي وصل إليها الآخرون. وبالتالي فهو حالة من الشُعور بالنَقص المادي أو المَعنوي، مُستندة إلى نَوع من العجز في ذات

[1] المناوي، عبد الرؤوف: **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، ط 1، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، 1356ه، 396/4.(المناوي، فيض القدير فيما بعد).

[2] الباش، حسن: **المعتقدات الشعبية في التراث العَرَبي**، ص173.

[3] الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجِنَكي : **أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن**، تحقيق مكتب البحوث والدراسات، بيروت، دار الفكر، 1995، 162/9. (الشنقيطي، أضواء البيان فيما بعد).

الحاسد، لا يستطيع أن يتغلب عليه، فهو لا يرى وسيلة لتغْطِية نقصه، ليصلَ إلى دَرجة التَساوي مع الآخرين، أو التفَوق عليهم إلا بأن يُصيبهم ما يُفقدهم عنصر التَفوق، وهو إذ لا يستطيع ذلك مَادياً، أي لا يستطيع سلبهم من عناصر تَفَوقهم النسبي، لا يجد حيلة إلا أن يتمنى لهم الشر والفقدان، وهو بذلك يحْسدهم "[1].

ويؤَكِّد إبراهيم بدران ما ذهب إليه المناوي من أن العَيْن هي أداة لنقل تأثير الروح، ويقول "يعتقد الناس أن العَيْن أساساً هي أداة الحسَد، وأنه ليس من الضروري أن يُعَبِّر الإنسان عن حسَدِه بالكلمات أو الإشارات، وإنما يَكفي أن يَنظرَ بعينه، فيُصيب بها الشيء المحسود بالسوء والضرر، لذا أصبحت كلمة أصابته العَيْن مرادفاً للحسد وما يُرافقه من حُلول الشر، فكان من تأثير الأمر، أن أصبح الناس مَيالين لإخفاءِ ما يخافونَ عليه الحسَد، أو لإفسادِ جماله فينشئون فيه عَيْباً، وذلك كي لا يَجْلِب أنظار الناس، ولا يَتَمَنَّاه الحُساد"[2]. "وقد تَنبه الناس في جميع الحَضارات إلى الأثَرِ المُتَأَتِي عن الحسَد و العَيْن؛ فعمِدوا إلى اتخاذِ الوسائل اللازمةِ لدَرءِ ضَررهما، إذ أكثر الساميون العَرَب من استعمال الطلاسم والرُقي والمُعوِّذات لدفع الأوبئة، مثل الحمى ولدغِ العقارب والحيات، ومنها ما كان الغَرض منه اتقاء الحسَد، وشُرور العَيْن، والنفْس الشريرة "[3].

وقد استخدم القرآن الكريم هذه الثَقافَة، وأشار إليها مؤكداً صِحَتِها، من ذلك قوله تعالى " **وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ** " (الفلق|5). كما جاء في القرآن الكريم ما يُشير إلى أن العَيْن كفيلة بأن تزلق الشخص الذي تقع عليه، وتَفتك به. يقول تعالى " **وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ الذِكْرَ** " (القلم|51). والزلق لغة هو الزلَل، وكذلك جاء في مُفردات القرآن أن الزلق والزلل مُتقاربان، يقول الشاعر:

(الكامل)

يَتقارَضــونَ إذا الْتَقَــوْا فــي مَــوْطِنٍ   نظـــراً يُـــزِلُ مَـــواطِئَ الأَقْـــدام[4]

---

[1] بدران: **دراسات في العقلية العَرَبية**، ص 249.

[2] المرجع نفسه، ص 251.

[3] ينظر : فاطمة شكشاك : التراث الأسطوري في المسرح الجزائري المعاصر , theses.univ_batna.dz/index.

[4] ابن منظور: **اللسان**، مادة زلق.

"يزلقونك أي يَعتانونك، وأرادوا أن يُصيبوا النبيّ _عليه الصلاة والسلام _ ب العَيْن فنَظر إليه قومٌ من قُرَيْش، وقالوا: ما رَأينا مِثْله ولا مِثْل حُجَجِه، وقيل كان في بني أسد رجلٌ يَمْكُثُ اليومين والثلاثة لا يأكل شيئاً، ثم يرفع جانبَ خِبائه، فتمرُ النَّعَم به، فيعتان بعضها، وقيل: إن البقرة السمينة أو الناقة السمينة تمرُ بأحدهم فيعاينها ثم يقول: يا جارية خذي المَكتل والدرهم فأتينا بلحمِ هذهِ الناقة، فما تَبْرح حتى تقَع للموت، وقد طلب الكُفار إلى الرجلِ المَذكور، أن يُصيب لهم النبيّ _عليه الصلاة والسلام _ ب العَيْن، فأَجابهم، فلما مرَّ النبيّ أنشد:

(الكامل)

قــد كـــان قومُــك يَحســـبونك سَــيِّداً وإخــــال أنــــك ســـــيّدٌ مَعيـــــون

إذْ عَصم اللهُ _عزَّ وجلّ_ نبيه، وحماه [1].

ومن الآيات التي يُستَشَفُ منها التَحرز من العَيْن قوله تعالى: **" وَقَالَ يابَنِىَّ لاَ تَدْخُلُواْ مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُواْ مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَآ أُغْنِى عَنكُمْ مِّنَ اللَّهِ مِن شَىْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ "** (يوسف|67) حيث إنه لما عزم أخوة يوسف _عليه السلام _على الخروج خَشِيَ عليهم سيدنا يعقوب_ عليه السلام _من العَيْن، فأمرهم ألا يدخلوا مصر من باب واحد، وكانت لمصر أربعة أبواب، وإنما خاف عليهم العَيْن لكونهم أحد عشر رجلاً لرجلٍ واحد، وكانوا أهل جَمال وكَمال. فعَصَم الله نبيه " [2].

وقد جاء في الأخبار ما يؤَكِّد وقوع الإصابة ب العَيْن في العَصْر الجاهلي، فقد ورد أن الشاعر زهيرُ بن أَبي سُلمى، كان له ابن اسمه سالم، وكان جميل الوجه حسن الشِّعْر، لبس بُردتين جديدتين، أُهْدِيَتَا إلى أبيه، وركِب فرساً، ومرَّ بامرأة من العَرَب، فعانته؛ فعثرت الفُرْس، واندقَّت عُنُقُهَا، وقتل سالم، وانْشَّقَتْ البردتان [3]. كذلك كانت أمثالهم شاهداً على وقوع العَيْن فيهم فيهم فقالوا: " بِهَا عَيْنٌ: أي من يصاب ب العَيْن كأنه بمعنى معيون " وكذلك قولهم: " بِهَا عَائِنٌ ": أي مصيب ب العَيْن " [4].ومما جاء في شِعرهم، ما قاله ابن الأعرابي:

(الرجز)

يَزِينُهـــــا للنـــــــاظِرِ المُعْتـــــانِ　　　　خَيْـــفٌ قريـــبُ العهْـدِ بـــالحَيْرانِ [5]

وقد شارك الحديث القرآن الكريم في الاتفاق على أن العَيْن أمرٌ حقيقي، وضَررها واقع، من ذلك قوله _عليه الصلاة والسلام_ " العَيْن حق " [6].

---

[1] ينظر: القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، 254/18. أبو حيان التوحيدي، محمد بن يوسف: **البحر المحيط**،تحقيق عـادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، وزكريا عبد المجيد النوقي، وأحمد الجمل، ط 1، لبنان، بيـروت، دار الكتـب العلمية، 2001، 318/8. (أبو حيان، البحر المحيط فيما بعد).

[2] القرطبي: **تفسير القرطبي**،254/18

[3] الصفدي: **صرف العَيْن**، 42/1.

[4] الزمخشري: **المستقصى في أمثال العَرَب**، 316/2.

[5] ابن منظور: **اللسان**، مادة (عين).

[6] النيسابوري: **صحيح مسلم**، 1719/4 حديث رقم 2187.

ومن أوابد العَرَب التي هدفوا من خلالها درءِ أذى العَيْن ورد الحسَد طقس (إغلاق الظهر) حيث كان الرجل منهم إذا بلغت إبله مائة، عَمد إلى البعير الذي كَملت به مائة، فأَغلق ظهره بأن ينزع شيئاً من فقراته، ويعقر سنامه؛ كي لا يركب ليعلم أن إبل صاحبه قد أمأت [1]. ومنها التفقئة والتعْمية، إذ كان الرجلُ إذا بلغت إبله ألفاً فقأ عين الفحل، وهي التفقئة، فإن زادت على ذلك فقأ العَيْن الأخرى وهي التعمية، ويَزعمون أن ذلك يدفع العَيْن عن الإبل قال الشاعر:

(الرجز)

وهبتهـــــا وأنــــــت ذو امتنــــــان   تفقــــأ فيهــــا أعــــين البعــــران[2]

وإن اعتقاد الجاهليين بوجود قوى خَفِية تُؤثر في الإنسان، حملَهم على إيجاد وسائل للتغلب على تلك القُوى، ومُجابهتها، وذلك باستعمال الرُقى والتَمائم، فهداهم تَفكيرهم إلى تَعليق بعض الأشياء على الصَبي مثل سن ثعلب، أو سن هرة [3].

كذلك لَجؤوا إلى تَسمية أبنائهم ببعض الأسماء الحَقيرة، وذلك بُغية تَنفيرالجِنّ وإبعاد العَيْن عنهم، قال أعرابي: " لما ولدت قيل لأبي نَفّر عَنْه، فَسَماني قنفذاً وكناني أبا العداء " [4].

ولِحِماية النَفْس من العَيْن استَعملوا الخَرزَ والتَعاويذ والرُقى. ومنه قول سلَمة بن الخُرْشُب مُشيراً إلى تَعْويذ فرَسه بالرقى، وتقليدها عقد من التمائم:

(الوافر)

تُعَـــوَّذُ بـــالرُّقى مـــن غَيـــر خَبْـــلٍ   وتُعْقَـــد فـــي قَلائـــدها التَّمِـــيمُ[5]

وقد استخدمَ العَرَب الخَرزات والرقى والعزائم لدَفعِ العَيْن والحسَد، فكان من خَرزاتهم التي تُسْتَخدم لدَفْع العَيْن (الكحلة): وهي خَرزة سَوداء تجعلُ على الصِبيان لِدَفعِ العَيْن عَنهم

---

[1] أَمْأَتِ الدراهمُ والإِبلُ والغنمُ وسائر الأَنواع صارت مائةً. للمزيد أنظر: ابن منظور: **اللسان**، مادة مأي.

[2] القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري: **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، 459/1.وكذلك في الأندلسي، ابن سـعيد: سعيد: **نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العَرَب**، 783/2.

[3] علي: **المفصل**: 746/6.والألوسي: **بلوغ الأرب**، 319/2.

[4] ابن منظور: **اللسان**، مادة نفر. والألوسي: **بلوغ الأرب**، 325/2.

[5] ابن منظور: **اللسان**، مادة تمم.

و(القبلة): خَرزة بيْضاء تُجْعَل في عُنق الفُرْس لدَفعِ العَيْن [1].ولم يقتصر استخدام الخرزات على العَرَب فَحَسب، بل إنني لا أستَبْعدُ _ من باب التَواصُل الثَقافي _ أن تكونَ تلك الخَرَزَات التي استُخدِمَت عند العَرَب امتِداداً إلى أحد الأديان السِحْرية، وهي الفتيشية (Fetichisme) [2]، إذ تَعْتَمد الفتيشية أو التَمائمية على بِدائية سِحرية، تقولُ بأن قُوة العالَم أو الكَون تَجْتَمع في شيء مُعَين بذاته، وأن تَقْديس هذا الشَيء آت من كَونه يَحْمل قُوة كَونية تُشعُ منه، وقد يقومُ الإنسان بصُنْع مادة أو شيء مُماثِل للشَيء الأصلي، ويُعتَقد أن هذه التَميمة (الفتيش) تَجتمع فيها القُوة المقدَّسة، وبذلك يكونُ الفتيش السِحري بِمَثابة مادة مَصنوعة تدلُ على أصلها المقدَّس، لكنها مَشحونة بقُوة بالِغَة[3]

هذا وقد ورد ذِكر العَيْن والحسَد في كثير من الحَضارات والثَقافات المُختلفة، ففي الحَضارة السومرية " جاء في متون سومر " أن من أنواع الشَياطين الخَبيثة العَيْن الحاسِدة، وهي شيطانة العَيْن الحاسدة التي تُسَببُ الأذى والشَر، وهي التي لا يُصيبُ الرَخاء أحداً تَحت تَأثيرها، ويَتوقفُ المَطرُ في السَماء، ولا تَنْمو الحَشائش، ولا تَتَكاثرُ الحَيوانات في الإسطَبل، وهي التي خُصص مَعبد تل براك لعِبادتها واتقاء شَرها " [4].

ومن أجل ذلك عَمل السومريون على اتباع بَعض الوسائل في أثناء بِناء بُيوتهم وعَتَباتها، كوضعِ بَعض التَعاويذ والرُموز، مثل رمز الهة العَيْن، أو رمز الإلهة سبيتو (العيون السبعة) لدَرء الشر[5].

"واستُخْدِمت التعَاويذ والمُنَفِرات عند السومريين لاتقاءِ الحسَد وشُرورالعَيْن، والنَفس وهو ما تبدَّى "عند السومريين في أحد النُصوص التي تَدور حول عشتار وابنها الإله المُمزق تموز،

---

[1] الألوسي: **بلوغ الأرب**، 6/3.

[2] الفتيشية: هي أول عقيدة مادية آمن بها الإنسان، وجاءت من خلال تصور سحري للعالم والأشياء، وقد امتلأ العالم الفتيشي الأولي ببؤر ونقاط قدسية محاطة بعالم مدنس، وتشع من هذه النقاط قوة الكون كله، فالفتيش _حسب ما كانوا يعتقدون _ هو مكثف للقوة التي يمكنها دفع الشر، أو جذب الخير، أو تحصين صاحبها، إنه شيء يشبه مولد الطاقة، إذن فالتمائم التي استعملها العَرَب في الجاهِلِيَّة، بل مايزال البعض يستخدمها، هي منحدرة من أقصى ديانة سحرية عرفها الإنسان. للمزيد أنظر: الماجدي: **بخور الآلهة**، ص 48.

[3] الماجدي: **بخور الآلهة**، ص 47.

[4] الماجدي، خزعل: **متون سومر**، ط 1، منشورات الأهلية، 1998.ص344.(الماجدي، متون سومر فيما بعد).

[5] الماجدي: **متون سومر**، ص 323.

الذي أرْدَتْهُ قَتيلاً حين سَلَّطَت عليه نَظْرة الموت، وهو ما تَبَدَّى في التلمود الأورشليمي، في عَين الآلهة الحاسِدة _ العَقيم _ سارة، حين سَلَّطَتْها على إسماعيل أبي العَرَب العدنانيين، فكادت تُرديه قتيلاً، حتى إن أُمه هاجر، وارته تَحْت الرَمل" [1]

كذلك فقد كان هَدف بَعض المُمارسات السِحرية في الديانة المصرية القديمة هو " إبعاد الشَياطين من المعبد ورَفع العَيْن الشريرة عن المُلوك، وإضعاف الثعبان أبيب (مصدرالشر الأول) " [2].

يَشترك كونتينو مع الماجدي في أن العَيْن من الشيطان، يقول " وقد كانت الشيطانة _عفريتة الأحلام ابنة الإله آنو _ تمنع ولادة الأطفال وتَقْتلهم، وهي العَيْن الشريرة التي لا يمكن أن يُوقفها أحد إذا وقع تحت نُفوذها الذي يَمتَد بقُوته فيحبس مطر السماء، ويُعوق القَصبَ عن النُمو، ويُسَلط العُقم على المواشي في الإسطبلات، والعائلة في البيت " [3].

"وفي إسطورة إنانا[4] كانت العيون والنظرات وسائل أختها الكُبرى (أبرشكيجال)، وقُضاتها السبعة لقتل أنانا"[5]. "فعِندما هبطت إنانا للعالم الأسفل ورأتها أختها الإلهة (أبرشكيجال) _ وكانت ملكة العالم السفلي _ صوبت هي وقُضاتها السَبعة نظراتِ الموتِ إليها، وتَحولت على الفور إلى جُثة هامدة " [6].

أشار الماجدي في كتاب (بخور الآلهة) إلى أنه عثر في تل براك على معبد العَيْن (3000 ق.م) حيث كانت عِبادة الآلهة مُنتَشرة في أعالي الفرات وغَربه، ويَحتوي هذا المعبد

---

[1] شوقي عبد الحكيم: **موسوعة الفولكلور والأساطير العَرَبية**، ص 383

[2] الماجدي: **الدين المصري**، ص 269.

[3] كونتينو، جورج: **الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور**، تحقيق سليم التكريتي، ط 2، دار الشؤون الثقافية العامة جروس برس، 1986، ص 423.(كونتينو، الحياة اليومية فيما بعد).

[4] انانا هي آلهة الحب والخِصْب عند السومريين، وبها ارتبطت مظاهر تبدل الطبيعة، للمزيد أنظر: **مغامرة العقل الأولى لفراس سواح**، ص 377.

[5] دياكونوف ي. م و أفاناسيفا ف. ك و ماسون ف. م وياكوبسون ف. أ و كوشناريفا. خ : **تاريخ الشرق القديم (نشوء المجتمعات الطبقية القديمة والمواطن الأولى للحضارات العبودية) الجزء الأول (الميزوبوتامية)**، ترجمة محمد العلامي، ط 1، حبحول، مطبعة بابل الفنية، 2003، ص408. (دياكونوف، تاريخ الشرق القديم فيما بعد).

[6] شوقي عبد الحكيم: **موسوعةالفولكلور والأساطير العَرَبية**، ص395_396.

على آلاف التَماثيل الحجرية المَنحوتة بزوجٍ من العيون المُحدقة، وقد رأى الباحثون أنها تَماثيل (الإلهة العَيْن) المُضادة للحَسَد والشَر " [1]. وأعتقد أن مَبعْث ذلك ما نُسَميه بالسِحر التَشَاكُلِي [2].

.[2]

كذلك عرف الحسَد عند الإغريق وكان له إلهة " تَجلى الحسَد عند الإغريق في إلهة فتونوس (phthanous) وتُدعى عند الرومان أنديفيديا، وهي تُجسد الأَثر السَيء للعَين الشِريرة التي تَنظر بحسد إلى أولى النِعم التي حرمتها، وهي ذات روح شريرة، وقلب تأكله الأفاعي، وقد أنخَله طول الحسَد، ونخرته الرَغَبَات الظَمأى " [3]

وقد أشار الماجدي إلى جملة من الوسائل المُتَبعة في الثَقافَة السومرية لدَرءِ العَيْن الحاسِدة، منها أنهم كانوا، ومن ضِمن طُقوس البناء عادة ما تُوضَع التَمَاثيل، والحُروز، والتَمائم الطينية والحجرية في أساسِ البيت، أو القَصرِ أو المعبد؛ لطَرد الشرور، ويَختار تمثال (آلهة العَيْن) وهو رمز الإلهة (سبيتو) المُكون من سبعِ عُيون. لذلك السَبب تُوضَع أمام البيوت لدرءِ الحسَد والشَر، وإحلال الخَيرِ والسَكَن والطُمَأنينة [4].

نلاحظ مما سَبق أن ثقافة الاعتقاد بوجود العَيْن، والضَررِ الناجم عنها، ثقافة وُجِدت لدى أغلب الشعوب، ومن ضِمنهم العَرَب في العَصْر الجاهلي.

شَياطِينُ الشِّعْراء

الشِّعْر ديوان العَرَب، أعْظَمَتْهُ العَرَب وتفاخَرت به، تَبارزوا به في مَجالسهم ونواديهم وأسواقهم، " فكانت القَبِيلة من العَرَب إذا نَبغَ فيها شاعر أتت القبائل فهنَّأتها، وصَنَعت الأطعمة،

---

[1] الماجدي: **بخور الآلهة**، 216

[2] السحر التشاكلي (Homoeopathic) أو سحر المحاكاة (Imitative): هو نوع من أنواع السحر التعاطفي، القائم علـى قانون التعاطف، وهو يفترض إمكانية تأثير الأشياء في بعضها، عن طريق نوع من التعـاطف الخَفـي، ويقـوم السِـحر التشاكلي على مَبدأ التَشابه، أي الشبيه يُنتِج الشَبيه، للمزيد: أنظر: مركز دراسـات وأبحـاث علـوم الجـان العـالمي , http://www.rc4js.netp و الماجدي: **بخور الآلهة**، ص 40.

[3] عثمان، سهيل والأصفر، عبد الرازق: **معجم الأساطير اليونانية والرومانية**، ط 1، دمشـق، وزارة الثَقافَـة والإرشـاد القومي، ص 324.(عثمان، معجم الاساطسر فيما بعد).

[4] الماجدي، خزعل: **الدين السومري**، ص 160.

واجتَمع النساء يلعبن بالمَزاهر كما يَصنَعون بالأعراس، بل كانوا لا يُهَنِئون إلا بغلام يُولد أو شاعر يَنبغ فيهم أو فرس تنتج " [1].

ولم يقل الشِّعْر أثراً عن السَيفِ، في الذَود عن حِمى القَبِيلة وحَسَبها ونَسَبِها، والردِّ على أعدائها، واستنفار حِمْيَة القوم، بل وقَوْدِهَا إلى ساحات الوغى.وكم من حَرب أُضرمت بسبب أبيات من الشِّعْر، ولعل في حرب البَسوس التي دامت أربعين عاماً بين قبيلتي بكر وتغلب خير شاهد على ذلك، حيث أُضرِمَت نار تلك الحرب إثر أبيات مُحَرِّضَة قالتها العجوز البسوس، نَتيجة ضرب كليب ضرع ناقتها بسهم ، حيث استنفَرَت قومها، وأثارت حِمَيَتَهُم عندما قالت:

(الطويل)

ولــو أننـــي أصــبحت فـــي دار منعــة لمـــا ضـــيم زَيــد، وهـــو جـــار لأبيـــاتي!
ولكننـــــي أصـــــبحت فـــــي دار غُربَـــــة متى يَعْدُ فيهـــا الـــذب يَعْــدُ علـــى شـــاتي[2]

وقد كان الشاعر دليل قومه وخطيبهم والمدافع عنهم لدى هجمات العدو اللسانية، ينفث سحره حتى في خيام كبار الأعداء، وكان سادة القوم يدفعون به بين القبائل لتهيئة أفكار الجمهور لانقلاب غير منتظر، أو لإعداد عقد صلح، أو شهر حرب، أو نشر مكرمة [3].

ولطالما كان للكلمة مكانتها في نفوس العَرَب، وثقافتهم " فالكلمة في حضارة البداوة والتِرْحال مفتاح سحري يفتح جميع الأقفال، ولطالما ارتبط الشِّعْر بالكَهَانَة؛ لافتراض بعضهم وجود علاقة أسطورية بين الشِّعْر والشُعور _لعلاقتها بالرأس _ موطن الهامة ". [4]

ونتيجة لما كان للشعر من أثر في نفوس القدماء، وقُدرة على امتلاك وجدانهم، نظروا إليه " على أنه مَلَكَةٌ، لا تُؤتَى إلا لشاعر تَفَوّق على أبناء جِنْسِه، والعَرَب كَغيرهم من الأمم عَزوا

---

[1] القيرواني: **العمدة**، 55/1.

[2] النجار، عبد المجيد: **تأثير الشِّعْر في النفس وانعكاسه على المجتمع**، مجلة التربية، الإمارات، س 12، ع 90، 1991، ص 79.(النجار، تأثير الشِّعْر فيما بعد).

[3] البستاني، فؤاد افرام: **الشِّعْر الجاهلي (نشأته فنونه صفاته)**، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، 1937، ص 40. (البســتاني، الشِّعْر الجاهلي فيما بعد).

[4] عجينة، محمد: **موسوعة أساطير العَرَب من الجاهِلِيَّة ودلالاتها**، ط 1، بيروت، لبنان، العَرَبيــة للنشــر والتوزيــع، دار الفارابي، 1994،، 2/ 47.(عجينة، موسوعة أساطير فيما بعد).

القوة الخارجية للإلهام الشِّعْري إلى الشياطين " [1]. إذ كانت والعَرَب تزعم " أن ُشعراءها تَستوحي الجِنّ، و أنّ مع كلِّ فحل من الشِّعْراء شيطاناً، يقول ذلك الفحلُ على لسانه الشِّعْر "[2]

وأن كل شاعر منهم يستعين بصاحِبِه، يعرفه باسمه، فـ(هبيد) اسم شيطان عبيد، ومسحل اسم شيطان الأعشى، و(حاطب) شيطان النابغة وغيرهم [3].

وقالوا: إن لكل شاعر شيطاناً يُلهِمُهُ الشِّعْر؛ إذ يزعم الشِّعْراء أن الشياطين تلقي الشِّعْر في أفواههم، وتلقنهم إياه، ويدعون أن لكل فَحل منهم شيطاناً، يقول الشِّعْر على لسانه، فمن كان شيطانه أمرد، كان شعره أجود [4]. حتى سمي الشِّعْر لديهم رُقي الشياطين [5].

وكان العَرَب يقولون عن تَوارد الخَواطر بين الشاعرين إنهما يأخذان من شَيطان واحد[6].

واحد[6].

وقد بلغ بهم الأمر أن اعتَقَدوا أن الشِّعْراء هم كلاب الجِن [7]، ويشير عمرو بن كلثوم إلى إلى ذلك قائلاً:

(الوافر)

وقَــد هَــرَّت[8] كِــلاب الجِــنّ منــا وشَــذَّبْنا[9] قَتــادَةَ[10] مــن يَلينــا[11]

يَلينـــــــــــــــــــــــــا[11]

---

[1] المعطاني، عبد الله سالم: **قضية شياطين الشِّعْراء وأثرها في النقد العَرَبـي**، مـج فصـول، م 10، ع 1_2، القـاهرة، 1991، ص 14.(المعطاني، قضية شياطين الشِّعْراء فيما بعد).

[2] الجاحظ: الحيوان، 225/6.

[3] القرشي: **جمهرة أشعار العَرَب**، 43_44.

[4] الثعالبي، ابي منصور عبد الملك بن اسماعيل: **ثمار القلـوب فـي المضـاف والمنسـوب**، القـاهرة، دار المعـارف، ص70.(الثعالبي، ثمار القلوب فيما بعد).

[5] الألوسي: **بلوغ الأرب**، 366/2.

[6] العقاد، عباس محمود: **إبليس** (بحث في تاريخ الخير والشر وتمييز الإنسان بينهما من مطلع التاريخ إلى اليوم)، القاهرة، القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، 1985، ص 172. (العقاد، إبليس فيما بعد).

[7] الجاحظ: **الحيوان**، 229/6.

[8] هرَّت: نبحت.

[9] شذَّبنا: أزلنا الشوك والأغصان.

[10] القتادة: شجر ذات شوك.

[11] عمرو بن كلثوم: **الديوان**، ص 72. جاء في الديوان (كلاب الحي) أما في ثمار القلوب فجاء كلاب الجِنّ.

وقد قسم العَرَب شياطين الشِّعْراء إلى قسمين من حيث مُستَوى الإجادة في الشِّعْر، فالشَيطان الذي يُلهم شعراً جيداً اسمه (الهوبر)، والذي يُلهم شِعراً فاسِداً اسمه (الهوجل) " [1].كما .كما بَلغ بهم الأمر أن قَسموا شياطين شُعرائهم إلى ذُكور وإناث، فكان أبو النجم الرجاز يَفتخر يَفتخر على الشِّعْراء، ويقول إن شياطينهم جميعاً إناث، ما خلا شَيطانه فهو شَيطان ذكر[2]، فقال:

فقال:

(الرجز)

إنـــي وكـــل شـــاعر مـــن البشَـــر　　　شـــيطانهُ أنثـــى وشـــيطاني ذكـــر[3]

وها هو حسان بن ثابت يُعلنُ بأنه ليس بحاجة لأن يَسرِق من أحد، فلدَيه أخوه من الجِنّ يُلقي إليه بأحسن الكلام وأجوده، يقول:

(الكامل)

لا أَســـرِقُ الشِّـــعْراءَ مـــا نَطَقـــوا　　　بَـــل لا يُوافِـــقُ شِـــعرَهُم شِـــعري

إنّـــي أَبـــى لـــي ذَلِكُـــم حَسَـــبي　　　وَمَقالَـــــةٌ كَمَقـــــالِعِ الصَـــــخرِ

وَأَخـــي مِـــنَ الجِـــنّ البَصـــيرُ إِذا　　　حـــاكَ الكَـــلامَ بِأَحسَـــنَ الحَبـــرِ[4]

ويرجح بعضهم أن يكون الشِّعْر قد تطور من أناشيد دينية، ترفع للآلهة، والدليل على ذلك ما اقترن به الشِّعْر من شعائر وطقوس في بعض الأحيان [5]. ويعلل ضيف سبب تَطيُّر العَرَب وتشاؤمهم من الشاعر، بل ومحاولة التَخلص من أذاه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، أن الهجاء في الجاهِلِيَّة كان لا يزال يُقرَن بما تُقْرن به لَعْناتهم الدينية الأولى من شَعائر [6].

---

[1] معلوف، شفيق: **عبقر**، ط 3، البرازيل، سان باولو، منشورات العصبة الأندلسية، 1949، ص 50. معلوف، عبقر فيما بعد).

[2] العقاد: **إبليس**، ص 169.

[3] البصري، صدر الدين علي بن الحسن: **الحماسة البصرية**، تحقيق مختار الدين أحمد، د ط، بيروت، عالم الكتب، 1983، 1983، 80/1. (البصري، الحماسة البصرية فيما بعد)

[4] حسان بن ثابت: **الديوان**، بيروت، دار صادر، ص 39. (حسان بن ثابت، الديوان فيما بعد).

[5] سقال، دزيه: **العَرَب في العَصْر الجاهلي**، ط 1، بيروت، لبنان، دار الصداقة العَرَبية، 1995، ص 136_137. (سـقال، العَصْر الجاهلي فيما بعد).

[6] ضيف: **العَصْر الجاهلي**، ص 197.

وعن مكان تواجد شياطين الإلهام فقد زَعَمت العَرَب أن " شياطين الإلهام تَأتي من وادي عبقر ووبار، وقد أقامت في بيوت الأصنام، أحياناً تَهْتف بأوليائها، ويُسمع له أصوات فيها، ولا عَجَبَ في نسبة الشِّعْر إلى الآلهة حيناً، وإلى الشياطين حيناً آخر؛ لأن كلمة عَبقر من الكلمات التي تَحمل المتضادات، فمَعناها صاحب الجِنّة، أو الشَبيه بالجِنّة في القدرة والتفوق، كائناً ما كان العمل الذي يتفوق فيه، وتَرتبط كذلك بالجِنّ الذي يُسَبب الجنون، ويُلْحِق المرض بالإنسان[1]. كذلك يُشير العقاد إلى الجذر الذي أُخذت مِنه كلمة العبقرية، وهو كلمة عبقر، وهو الموضع الذي قيل أن الجِنّ تسكنه، وأن الصناعات الفائقة كلها تنسب إليه، ومنه صناعة السيوف [2]. وهو ما قال عنه امرؤ القيس:

(الطويل)

كَأَنَّ صَليلَ المَروِ حينَ تُشِذُّهُ ... صَليل زُيوفٍ يُنتَقَدنَ بِعَبقَرا[3]

ولم يختلف الأمر كثيراً عند اليونان، فقد كانت آلهة الفنون عندهم تقيم في قمم الجِبال، في (هليون وبرناس وبندوس)، واختارت عيوناً مقدسة أودَعَت فيها سرها، فإذا شَرب منها الشارب، صار شاعراً ملهماً [4].

إذن "الشاعر في الجاهليتين اليونانية والعَرَبية كان يملك قُوىً عُلوية، يَستمدُ منها فن الشِّعْر؛ ولهذا قالت قُرَيْش عن محمد إنه شاعِر، وإن لم يَأت بشعر، وإنما ظناً منهم أنه ذو اتصال مباشر بأرواح عُلوية، اعتبروها شياطين وتوابع" [5]. وليس أدل على وجود ثقافة شياطين شياطين الشِّعْراء لديهم من رد القرآن الكريم بنفي تهمة الشِّعْر عن الرَّسُول –عليه الصلاة والسلام– **"وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ وَلاَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ "** (الحاقة|41). إذ نفى _سبحانه وتعالى_ عن رسوله الكريم أن يكون شاعراً أو كاهناً، ولم يكن نفيه إلا بناءً على معرفة تامة بثقافة عَرفها الجاهليون، وآمنوا بها، وهي سجع الكهان الذي كان شائعاً لديهم، والذي لم يكن إلا لكهَّانهم وشعرائهم.ولعل السبب في الجمع بين الكاهن والشاعر في الآية

---

[1] **ابليس**، ص 167.

[2] العقاد: **إبليس**، ص 168.

[3] امرئ القيس: **الديوان**، ص 96.

[4] **شياطين الشِّعْراء**، ص 115.

[5] سليم الحوت: **في طريق الميثولوجيا**، ص278.

الكريمة، هو أن كلاهما كان في نَظر العَرَب مُتَّصِل بكائنات لها قدرات خارقة، تُميزه عن غيره من البشر، وتجعله يعرف ما لا يعْرفون، ولهما من التأثير على الآخرين ما يشبه السحر، فكلامهم مقدس له وقعه في نفوس العَرَب وعقولهم، إضافة أن لكل منهما تابعاً أو صاحباً أو رئياً يلهمه الشِّعْر أو السجع، كل ذلك أدى إلى اشتراكهما في الوظيفة والمَلَكَة .

وإن المستمع لادعاءاتهم يرى أنهم يصرون على ذلك الاتهام، بل ينطلقون في ذلك من قاعدة ثابتة، راسخة في عقولهم، وليس ذلك جزافاً، إنما هو بناء على ثقافة معينة تبلورت في عقليتهم، ولم تقتصر عليهم، بل وجد لها أصداء في العديد من الحضارات الإنسانية الأخرى، ويأتي تبادل المواقع بين الساحر والشاعر، من انتمائهما إلى العالم المرتبط بالغيب، ومخلوقاته الأثيرية من جن وشياطين؛ مما أضفى على الشاعر صفة الساحر والعالم، فهو عالم بقوة شِعره السحرية، وبالآراء الرُوحانية [1]. لذلك نَجِدُهُم قد اتهموه مرة بالسِحر وأخرى بالشِّعْر وثالثه بالجِنّون ورابعة بالكَهَانَة [2]. ولذلك نجد الله تعالى يقول في كتابه العزيز: **" فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلاَ مَجْنُونٍ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ قُلْ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّى مَعَكُمْ مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ "** (الطور|29)

كذلك قوله تعالى: **" ما أنتَ بِنِعمَةِ رَبِكَ بِمَجْنُون "** (القلم|2)

وقد ارتبط الشِّعْر بالكَهَانَة لدى أغلب الثقافات الإنسانية، إذ تميزت اللغة الكهنوتية بالوزن والإيقاع. ففي الأدب (الآشرو بابلي) يظهر التشابه بين الأسلوب الكهاني والأسلوب الشِّعْري، بتحري القافية، واستعمال الصور والرموز المشتركة، واللجوء المتواتر إلى اللغة الرمزية [3].

وإن الاعتقاد بأن لكل إنسان شيطاناً لم يقتصر على العَرَب فَحَسب؛ بل ارتبط عند القدماء عامة ارتباطاً وثيقاً بالوحي والإلهام، فلم تكن المَوهبة الشِّعْرية عندهم قُدرة إنسانية، تعود

---

[1] القيسي، نوري حمودي: **تاريخ الأدب العَرَبي**، دار الحرية للطباعة، بغداد،1979، ص53.(القيسي، تاريخ الأدب العَرَبي فيما بعد).

[2] الزرقاني، محمد عبد العظيم : **مناهل العرفان في علوم القرآن**، ط 1، لبنان، دار الفكر، 1996 303/2.(الزرقاني، مناهل العرفان فيما بعد).

[3] فهد، توفيق: **الكَهَانَة العَرَبية قبل الإسلام**، ترجمة حسن عودة، ورندة بعث، بيروت، شركة قدمس للنشر والتوزيع، 2007، 47.

إلى المبدع، بل كانت خارج نِطاق العقل البشري، لا يُدركها إلا من كان على اتصال بالآلهة، التي تَبُثُ الشِّعْر على ألسنة الشِّعْراء، وقد نسب العَرَب القوة الخَفية التي تَمُدُ الشعراء بالشِّعْر إلى الشر، ولم ينسبوها إلى الخير، فقالوا شياطين الشِّعْر، أما اليونانيون فقد نسبوا الإلهام إلى الشِّعْر إلى رَبة الشِّعْر، ولكن المراد بها في الحالتين قوىً روحية توحي بالشِّعْر " [1].

بالتالي فإن وجه الشبه بين العَرَب واليونانيين يَكمُن في وجود قوة خَفِية تُلهِم الشِّعْراء الشِّعْر، وكانت آلهة الفنون عندهم تُقيم على قمم الجِبال، وقد اختارت عُيوناً مُقدسة أودَعت فيها سرها، فإذا شرب منها الشارب صار شاعراً مُلهماً، أما العَرَب فيَزعمون أن شياطين الإلهام تأتي من وادي عبقر، ووبار، وأقامت في بيوت الأصنام " [2].

لو عدنا إلى اشتقاق كلمة جينيوس (genius) في الإنجليزية، وجيني (genie) في الفرنسية، وكشفنا عن معناها، لوجدنا أن الجِنّ عندهم مسؤولون عن التَفوق الذِهني، كما هم مَسؤولون عن الخَبل العقلي [3]، كذلك فقد كان الطب عند كبار الكهنة المصريين يقوم على نظرية واضحة، وهي أن الإنسان قد مُنح عند ولادته روحاً خالدة غير قابلة للموت، إلا بالقَتل، ومن هنا كان المَرض يحدث نتيجة لتأثير عامل قاتل، وهذا العامل إما أن يكون ظاهراً، كالنار والسلاح، أو خفياً كالجِنّ، لذلك كانت أول خُطوة لعِلاج الكهنة للأمراض الباطنية استخدام التَعاويذ لانتزاع هذا العنصر القاتل [4].

يقول جفري إنه لا توجد جماعة بشرية، ومهما تكن بِدائية, لا يوجد لديها أفكار عن موجودات أو كيانات تعلو على الطبيعة [5]. ويشير عبد المعيد خان أن الاعتقاد بأن سَبب الجنون هو حُلول روح شريرة في جسد الإنسان كان موجوداً لدى كثير من الأمم في دَور بداوتها، ولم

---

[1] الرافعي، مصطفى صادق: **تاريخ آداب العَرَب**، ط 1، مصر، المنصورة، مكتبة الإيمان، 1997، 59/3.(الرافعي، تاريخ آداب العَرَب فيما بعد).

[2] المعطاني: **شياطين الشِّعْراء**، ص 115.

[3] المرجع نفسه، ص110.

[4] غليونجي: **الطب عند قدماء المصريين**، ص 100.

[5] جفري، بارندر: **المعتقدات الدينية لدى الشعوب**، ترجمة إمام عبد الفتاح، وعبد الغفار مكاوي، القاهرة، مكتبة مـــدبولي، 1996، ص 17.(جفري، المعتقدات الدينية فيما بعد).

يقتصر على العَرَب فَحَسْب [1]. وقد نوَّه خلف الله إلى أن الأرواح الخَفية كانت تَختَلط في ذِهن العَرَبي فلا يَعرفها إلا بآثارها، وكان يَعْتقد أن الملائكة تأتي بالخَير، وأن الشَياطين تأتي بما يَسوء، ومن هنا كانوا يعتقدون أن الشياطين هي التي تَنزل على محمد، وإلا لما كان منه خروج على الجماعة، ولما كان منه سَب للآلهة [2].

وإنني أرى أن الباعث على هذه الافتراءات، هو إيمان العَرَب واعتقادهم، أن هنالك رابطاً مشتركاً بين الساحر، الذي يَمتلك قُدرات فَذَّة، والكاهن الذي يستطيع التنبُؤ بالأحداث المُستقبلية، والشاعر الذي يمتاز هو الآخر بلسان فتاك، وقدرات بفضل اتصاله بالشَياطين، ويذكر الشوري هنا أن الأسجاع قد بقيت إلى أن ظهر الإسلام، حتى لقد اتهم به الرَّسُول، وقرنت به أجزاء من القرآن الكريم، بدليل أن العَرَب ظَلُّوا فترة غير قصيرة، يَعتقدون أن القرآن طريقة من الإنشاد كسائرِ طُرق مُنشديهم الأقدمين، أصحاب القَصائد والخطباء والكهان، فأخذوا يَنعتون النبيّ بالشاعر تارة، وبالكاهن أخرى، وهذا النعت الأخير يدل على عدم تفريقهم بين الشِّعْر والسَجع المنسوب إلى الكهان [3].

كذلك فإن كلمة الشاعر لدى العَرَب، تعني في الأصل العارف، أو المالك لِمعرِفةٍ لم تَتيسر لأبناء القَبِيلة الآخرين، وإن هذه المعرفة تَرجعُ إلى أنها من وحي شَيطان خاص للشاعر، وهو الذي يوحي إليه ويَغويه، إن الشاعر قائد للقبيلة، وهو الذي يتحدث باسمها مدافعاً عنها، وإنه يملك قوة خارقة غامضة، تلك التي يعجل بها على أداء قبيلته بالدمار، فيقذف باللعنة عليهم، وإذا كان الشاعر ينطق بوحي من شيطانه فهو شيطان أيضاً، وهو ساحر، وقد يكون النصر في الحرب لقبيلة ما بسبب ما يرمي به الشاعر أعداءه بلعناته في شعره مساوياً لما يبديه أفراد قبيلته من شجاعة في الحرب، وإن هذه اللعنات لا تعدم تأثيرها، ذلك أنها لا تَنجُم من الشاعر نفسه، بل من شيطانه الذي يوحي إليه والذي لا يَستطيع أحد أن يصده، وإن الأخبار المأثورة التي تُؤيد هذا الاعتقاد عندهم كَثيرة. يقدم تاريخ العبرانيين لنا مظاهر هذا الاعتقاد وذلك كما في قصة (بنعم)

---

[1] خان: **الأساطير العربية قبل الإسلام** ، ص 37.

[2] خلف الله، محمد أحمد: **الفن القصصي في القرآن الكريم**،د ط، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1957، ص 106. (خلف الله، الفن القصصي فيما بعد).

[3] الشوري، مصطفى عبد الشافي: **الشِّعْر الجاهلي تفسير أسطوري**، ط 1، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، 1996، ص 14_15.(الشوري، الشِّعْر الجاهلي فيما بعد).

وهو الشاعر الشيطان. إن ملك هذا الشاعر المدعو (بلك) يدعوه ليرمي بلعناته على الإسرائيليين التي تَستحيل بإرادة الله بركات. وإن (بنعم) شاعر عربي. إن الهجاء يعني اللعنة، ولم يجيء معنى الانتقاص للهجاء إلا بعد ذلك؛ بِسبب التَطور التاريخي. إن التهجي تَعني في اللغات السامية الأخرى (الحَمحَمَة) أي الكلام بصوت خفيض غير مفهوم، كما ينطق بالعبارات السحرية الغامضة .[1]

ومنهم الوليد بن المغيرة، وكان المُقدم في قُرَيْش بلاغة وفَصاحة فإنه لما قرأ عليه رسول الله **" إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَآءِ ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْى يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ "** (النحل|90). قال له: أعده فأعاد ذلك فقال " والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وما يقول هذا بَشر، وإنه ليَعلو ولا يعلى عليه " فقالت قُرَيْش قد صبَأَ الوليد، والله لتَصبَأَنَّ قُرَيْش كلها [2].

أما بالنسبة لاتهامهم النبيّ بالجِنّون، فالعَرَب لم تكن تعني المجنون بالمعنى المُتعارف عليه كفاقد للعقل؛ بل قصدت من مَسه الجِنّ، والذي يبدو أنهم كانوا يَعتقدون بأنه يحدث لديه بعض الاضطرابات، كالخروج عن الجماعة، وعِصيان ما تعارفوا عليه _وهي كما يَعتقدون من مظاهر الخبل العقلي_ حاشاه، وكل ذلك برأيهم مُتأتٍ عن ذلك المس، بحيث بات عقل محمد، وقلبه تحت إمرة قُوى عُلوية لا مَرئية، وهي الجِنّ، خاصة إذا عرفنا رَهبة العَرَب، وخوفهم الكبير من الأرواح الخفية مثل الجِنّ.

ولقد ارتبط الجِنّ في المعتقدات البابلية بالشر، فهو الذي يُسببُ الكوارث، والحُمى، والطاعون، والمرض بأنواعه، وفي الوقت الذي تشير فيه النصوص الدينية السحرية البابلية القديمة إلى مُضايقة الأرواح الشريرة للآلهة الكبار نفسها، لا نجد لمثل هذا المُعتقد أثراً في المُعتقد الشعبي الإسلامي، الذي قضى الحِس الوجداني الصارِم على أي مُعْتقد من هذا النوع، لأن الشقة بين الله ومخلوقاته أكبر من أن تَتعرض لعلاقات من هذا النوع .[3]

---

[1] غويدي، أغناطيوس: **محاضرات في تاريخ اليمن**، ص 52_53.

[2] الزرقاني: **مناهل العرفان**، 224/2.

[3] الجوهري، محمد: **علم الفولكلور**، د ط، القاهرة، دار المعارف، 1980، 2/ 368.(الجوهري، علم الفولكلور فيما بعد).

وتتضح العلاقة بين الجِنّ والأرواح في المعتقد المصري القديم (الفرعوني)، من خلال إدخال أرواح الموتى ضمن أنوع الجِنّ، وقد أشار (تسبندن) بوضوح إلى أن الثَقافَة العَرَبية الجاهِلِيَّة لم تكن تعرف الاعتقاد في أرواح الموتى، كما لم يشر إليه المعتقد الإسلامي الرسمي من بعيد أو من قريب. ويُضيف الجوهري بل إننا لا نَعثر في القرآن الكريم على دليل واحد يشير إلى أن الجِنّ يعيشون تحت الأرض، وإنما الأرجح أنهم يعيشون فوق الأرض وفي الفضاء الخارجي حتى السماء[1]. ويضيف الجوهري ولكننا نخلُص إلى أن آلهة المصريين القُدماء قد تَحولت إلى جن في المعتقد الشعبي بعد ذلك، كما إننا نطالع في أحد النصوص الفرعونية أن أرواح كل الآلهة كانت تجسد في أجساد الحَيات، وأن الحَيَّةُ هي الصورة الأرضية للإله الأكبر أنوم، أما فكرة تجسد الجِنّ في أجسام الحيوانات المُختلفة، فتذكرنا بالتأثير المصري الواضح. حيث إن بعض كبار الآلهة المصرية القَديمة تَجسدت في أجسام حيوانات، كالإله بتاح الذي يتجسد في العجل أبيس[2]. ولكن المُثير للاهتمام أن نَجِد بعض الأدعية والصِيغ السحرية المصرية القديمة، المُوجَّهة ضد بعض الحيوانات المُفتَرسة، التي تجسد فيها بعض الشياطين والأرواح الشريرة، التي يمكن أن تُلحِق الأذى بالإنسان [3].

يقول سليمان مظهر: لم يَكْتف الإنسان من خلال بحثه عن مصادر القوة التي تُساعده على الأعداء بمَثل هؤلاء الأبطال فبَدَأ يتخَيل من جديد كائنات أخرى، تستطيع القيام بما يَعجز عن الإتيان به والوصول إليه، وهنا ظهر الجِنّ في تصورات الإنسان القديم، جن خَيِّرُون يستطيع بوساطتهم الوصول إلى ما يجدُ نفسه عاجزاً عن بلوغه بغير شيء خارق، وجن شِريرون يُساعدونه في الانتقام من الأعداء عند تصور أقصى أنواع الشر في مجال الشَر، وجَعَلَ الإنسان للجن من القوى والسمات الفائقة، ما يُقدمهم عليه هو نفسه، ما دام هو أدنى قوة وأقل من الجِنّ سلطاناً [4].

---

[1] الجوهري: **علم الفولكلور**، 2/ 371.

[2] السابق نفسه، 2/ 374.

[3] السابق نفسه، 2/ 374 _375.

[4] مظهر: **قصة الديانات**، ص 25.

الشيطان

كان الشَر أرواحاً ضارةَ متفرقة في اعتقاد الإنسان على الفِطْرة الهَمَجية، فلما أصبَح مَسألة كَونية عامة تَمَثَّلت صورته في حُدودها الكَونية على شَكلٍ مَعْقول، وإن كل فِكْرة عن الشَر يمكن أن تَخطر على الذِهْن البَشَري قد تَمَثَّلت في صورة من صُور الشَيطان [1].

الشيطانُ حَيَّةٌ له عُرْفٌ، والشاطِنُ الخبيث، والشَّيْطانُ فَيْعال، من شَطَنَ إذا بَعُدَ في من جعل النون أَصلاً، وقولهم الشياطين دليل على ذلك، وكل عاتٍ مُتمرد من الجنّ والإنس والدَواب شيطان.

ويدل على ذلك قوله تعالى: **" وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالجِنّ "** (الأنعام |112) وكذا قوله تعالى: **" وإذا خَلَوا إلى شَياطِينِهِم "** (البقرة |14) أي أصحابهم من الجِنّ والإنس وقوله: **" وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ "** (الأنعام|121) (وشيطن وتشيطن) صارَ كالشيطان و (فعل فعله)، وتشَيْطَنَ الرجل فَعَل فِعْل الشياطين. كما ارتبط الشطون بالبعد والمشقة، ومنه قول النابغة الذبياني:

(الوافر)

نَـــأَتْ بِسُـــعاد عنـــك نَـــوًى شَـــطونُ فبانَـــتْ والفُـــؤَادُ بهـــا رَهـــينُ[2]

نلاحظ مما سبق ارتباط الشيطان بالبُعدِ عنِ الخَير، وبالخُبْث والتَّمْرد، أَوَليسَ الشيطان هو الذي يُغوينا، ويُزَّينُ الرَذائل في أَعيننا، ويُوسوِس في عُقولنا وقُلوبنا، إلى أن يُحيدنا عن طَريق الحق والهِداية، لذلك فقد جاء مَعاني الشاطِن: البَعيد عن الحق، وفي الحديث " كل هوًى شاطِنٍ في النار " [3].

وإن اسم الشيطان يَدل على مَوقفه من القُوى الكونية الكُبرى، فهو المُتَمَرِد، أو هو الضِد، هو الواشي النَمام، أو الساعي بالفِتْنة، والمُغْري بالفَسَاد، والمُوغِر للصُدور [4].

---

[1] العقاد: **إبليس**، ص 31.

[2] النابغة الذبياني: **الديوان**، ص 116. وابن منظور: **اللسان**، مادة (شطن).

[3] ابن الجزري: **النهاية في غريب الأثر**، 475/2.

[4] العقاد: **إبليس**، ص 33.

كما ارتبطت صورة الشيطان في أذهاننا بكل ما هو قبيح ومُنَفِّر، فقد " وُصف الشيطان بالقبح؛ فإذا أريد تَعْنيف شخص وتَقبيحه قيل له يا وَجه الشيطان، وما هو إلا شَيطان، يُريدون بذلك القُبح، وذلك على سَبيل تمثيل قُبْحِه بقُبح الشيطان. وقيل: الشَيطان حَية ذو عُرف قَبيح الخِلقة، وقالوا: الشَجَرة تَكون ببِلاد اليَمن لها مَظهر كَريه, وأن رُؤُوس الشَياطين نبت معروف قبيح يسمى رؤوس الشَياطين، شبه به طَلْع هذه الشجرة والله أَعلم، وقد جَرى استعمال الناس بينهم في مُبالغتهم، إذا أراد أحَدهم المُبالَغة في تَقبيحِ الشيء قال: كأنه شَيطان؛ فذلك أحد الأقوال، والثاني: أن يَكُون برأس حَيَّة مَعروفة عند العَرَب تُسَمى شَيطاناً "[1]، وقد جاء في الأخبار أن العَرَب تسمي الحَيَّة الخَفيفة الجِسْم النَّضْنَاضَ شيطاناً [2]. وأن العَرَب تقول إذا رأت منظراً قبيحاً، قبيحاً، كأنه شَيطَان الحَمَاط، ويريدون حية تأوي في الحَمَاط، كما تقول أَيْم[3] الضالّ[4]، وذِئبُ الغَضَى[5]،، وتَيْسُ حُلَّبٍ[6]، وقُنْفُذُ بُرْقَةٍ [7].

وفي حديث قَتْلِ الحَيّاتِ " إن لهذه البُيوت عَوامِر فإذا رأيتم شيئا منها فحَرِّجوا عليها ثَلاثاً فإن ذَهَب وإلا فاقتُلوه فإنَه كافر" [8]،أراد أَحدَ شياطين الجِنّ، قال: وقد تُسمى الحَيَّةُ الدقيقة الخَفيفة الخَفيفة شيطاناً وجانّاً على التشبيه. إذن فالشَيطان لا يُرى؛ ولكِنه يُسْتَشْعَر أَنه أَقبَح ما يكون من الأَشياء، ولو رُؤِيَ لَرُؤِيَ في أَقبح صُورة، ومثله قول امرئِ القيس:

(الطويل)

أَيَقْتُلُنــــي والمَشْـــرَفِيُّ مُضـــاجِعي ومَسْـــنونةٌ زُرْقٌ كأَنيـــابِ أَغـــوالِ[9]

أَغـــــــــــــــــــوالِ[9]

---

[1] جواد علي: **المفصل**، 6/731_732.

[2] الدينوري، ابن قتيبة: **أدب الكاتب**، 1/170.

[3] الأيم: الحَيَّةُ البيضاء اللطيفة.

[4] الضالّ: نوع من الشجر ينبت في السهول والوعور له شوك.

[5] الغضى: نوع من الشجر يأوي إليه خبث الذئاب.

[6] الحُلَّب: بقلة جعدة غبراء في خضرة تنبسط على الأرض، يسيل منها اللبن إذا قطع منها شيء.

[7] ابن قتيبة، أبي عبد الله بن مسلم: **تأويل مشكل القرآن**، د ط، القاهرة، دار التراث، 1973، ص 389.(ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن فيما بعد). وابن منظور: **اللسان**، مادة (برق).

[8] النيسابوري: **صحيح مسلم**، 4/1756، حديث رقم 2236.

[9] امرئ القيس: **الديوان**، شرحه عبد الرحمن المصطاوي، ط 2، بيروت، لبنان، دار المعرفة، ص 137.

حيث إن الغول لم تُرَ ولا أَنيابها؛ ولكنهم بالغوا في تَمثيل ما يُستقبح من المُذكر بالشيطان، وفيما يُسْتَقْبَح من المؤنث بالتشبيه له بالغُول، وقيل كأَنه رُؤوس الشياطين، كأَنه رُؤوس حَيَّات، فإِن العَرَب تسمي بعض الحيات شيطاناً، وقيل هو حَية له عُرْفٌ قبيح المَنْظَر، وأَنشدَ الرجل يَذُم امرأَتهُ العَجوز السليطة [1]:

(الرجز)

عَنْجَـــرِدٌ[2] تَحْلِـــفُ حـــين أَحْلِـــفُ ... كمِثْـــلِ شَـــيْطانِ الحَمَـــاطِ[3] أَعْـــرَفُ[4]

أَعْـــــــــــــــــــــرَفُ[4]

ومنه قول حميد بن ثور:

(الطويل)

فلمّـــا أَتَتْـــه أَنْشَـــبَتْ فـــي خِشاشِـــه ... زِمامـــاً كَثُعْبـــانِ الحَماطـــةِ مُحْكَمَـــا[5]

مُحْكَمَـــــــــــــــــــا[5]

ومن الأَمثالِ الدالة على تَصَوُر العَرَب لِقبح لَفظةِ الشيطان قولهم في المثل " كَاَنَّهُ شيطانُ الْحَمَاطَةِ: وهي شجرة وحَياتها خَبيثة؛ يُضرب للمَنظَر القَبيح " [6]

وقال الشاعر مُتحَدِّثاً عن زمام ناقته في تَلَويه، بِسببِ مشية الناقة، ومُشَبِهاً اياه بِتَلوي حية قبيحة الهيئة تَلتوي في بيداء قفر:

(الطويل)

تُلاعِـــبُ مَثْنَـــى حَضْـــرَمِيٍّ كأَنـــه ... تَعَمُّجُ شَـــيْطانٍ بِـــذي خِـــرْوَعٍ قَفْـــرِ[1]

قَفْــــــــــــــــــــرِ[1]

---

[1] ابن منظور: **اللسان**، مادة (شطن).

[2] العَنْجَرد: المرأَة عَنْجَرِدٌ خبيثةٌ سيئةُ الخُلُق وأَنشد:

عَنْجَرِدٌ تَحْلِفُ حينَ أَحْلِفُ كَمِثْلِ شَيْطانِ الحَماطِ أَعْرَفُ

وقال غيره امرأَة عنجرد سَلِيطَة، للمزيد أنظر: ابن منظور: **اللسان**، مادة (عنجرد).

[3] الحَمَاط: جمع حَمَاطة، وهي شجر ينبت في البراري، تكثر حولها الحيات، وهو التين بلغة هُذيل.

[4] الأعرف: ذو العرف، وهي اللحمة شبه التاج تكون في أعلى رأس بعض الحيات، مثل تاج الديك، وهي من أشد الحيات تنفُرَاً.

[5] ابن منظور: **اللسان**، مادة (ثعب).

[6] الزمخشري: **المستقصى في أمثال العَرَب**، 202/2.

وفي قوله إن الشيطان يَجْري من ابن آدم مَجْرَى الدم، إنما هو مَثَلٌ أي يتسلط عليه فيُوَسوِسُ له لا أنه يدخل في جَوفه، قال أُمَيَّة بن أَبي الصَّلْت [2]يَصفُ سليمان بن داود _عليهما السلام_ وكيف كان يُوثق بالقَيد كل شيطان يَعصِيه :

(الخفيف)

أَيُّمَـــا شـــــاطِنٍ عَصـــــاهُ عَكَـــاه[3] ثـــم يُلْقَـــى فـــي السِّـــجْنِ والأَغْـــلالِ[4]

وقد تضاربت الآراء حول كون النون في كلمة شيطان أصلية أم لا، فقيل زائدة، فإن جعلته فَيْعالاً من قولهم تَشَيْطن الرجل صرفته، وإن جعلته من شَيَطَ لم تصرفه لأنه فَعْلان، وفي النهاية إن جعلت نون الشيطان أَصلية كان من الشَّطْنِ البُعْدِ أَي بَعُدَ عن الخَير، أَو من الحَبل الطويل، كأَنه طال في الشرّ، وإن جعلتها زائدة، كان من شاطَ يَشِيطُ إذا هَلَك، أَو من اسْتَشاط غَضَباً، إذا احْتَدَّ في غضبه والْتَهَبَ، إذ لم يَرتبط الشَيطان بقُبح المَنظر فقط؛ بل امتد إلى أَسوَأ من ذلك، حيث ارتبط بالغَضب، الذي يُخَلِّفُ دَماراً كبيراً، إذا لم يُسعِف الشخص نفسَه بحِلِم يطفئ ذلك الوحش الفاتِك، فقد جاء أنه يقال: رَكِبه شيطان؛ للشخص إذا غَضِب. وعن أبي الوجيه العُلكيّ أنه قال: كان ذلك حين ركِبَني شَيطاني، قيل: وأي الشياطين تعني؟ قال: الغَضَب. قال عليه الصلاة والسلام: " إن الغَضَب من الشيطان وإن الشيطان خُلِقَ من النار وإنما تُطْفَأُ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ " [5].

وانضم إلى مَدلولات الشيطان معنى قبيح آخر، وهو الكِبْرْ، وهم يسمُّون الكِبر ، والنَّعَرَة التي تُضَافُ إلى أنفِ المتكبِّر شيطاناً، قال عمر: حتَّى أنزِعَ شيطانَه كما قال حتى أنزِع النَّعَرة [6].

---

[1] الجاحظ: **الحيوان**، 300/1.

[2] هو أُمَيَّة بن أَبي الصَّلْت بن أبي ربيعة بن عبد عوف بن عقدة بن غيرة بن قسي، وقسي، هو ثقيف بن منبه بن بكر بـــن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان، وأمه رقية بنت عبد شمس بن عبد مناف. وقد كان قرأ الكتـــب المتقدمة من كتب الله جل وعز، ورغب عن عبادة الأوثان، وكان يخبر بأن نبيا يبعث قد أظل زمانه، ويؤمل أن يكون ذلك النبيّ. للمزيد أنظر ابن قتيبة: **الشِّعْر والشُّعَراء**، ص 176.

[3] عكاه: شَده بالوثاق وقيده.

[4] أُمَيَّة بن أَبي الصَّلْت: **شرح الديوان**، بيروت، لبنان، دار ومكتبة الحياة، ص 65. (أمية، الديوان فيما بعد).

[5] الأزدي، سليمان بن الأشعث أبي داود السجستاني: **سنن أبي داود**، تحقيق محمد محيي الـــدين عبـــد الحميـــد، د ط، دار الفكر، د ت، 664/2. (الأزدي، سنن أبي داود فيما بعد).

[6] الجاحظ: **الحيوان**، 153/1.

ومنه ما قاله منظور بن رواحة:

(الطويل)

ولمـــا أتـــاني مـــا يقـــول ترقصـــت   شـــياطين رأســـي وانتَشَـــيْن مـــن الخَمْـــر[1]

وقد سموا المتكبر الضخم: ظل الشيطان [2].

وفي الحديث " الراكبُ شيطانٌ والراكبان شيطانان والثلاثةُ رَكْبٌ " [3]؛ يعني أَن الانفرادَ والذهابَ في الأَرض على سَبيل الوَحْدَة من فِعل الشيطان أَو شيءٌ يَحملِه عليه الشيطان، وكذلك الراكبان، وهو حَثٌّ على اجتماع الرُّفْقَة في السفر، وروي عن عمر رضي الله عنه أَنه قال في رجل سافر وحده: أَرأَيتم إن مات من أَسأَل عنه؟ [4]. وإنني أرى أنه من المُمكن أن يكون المقصود أن التَوَحُد والانفِراد، قد يؤدي إلى المُساعدة في عَمل الشيطان، المُتَمَثِل في الوسوسةِ، والحَثِ على الشَر، وهذا ما نَتَداوَله في أحادِيثنا العامة، من نَهْي الشَخْص عن الجُلوسِ وحْدهُ فَترات طويلة؛ لَئِلا يكُون ذلكَ فُرصة مُلائِمة لِيعمَل الشيطان عَمَلَه.

وقد ظهر توظيف القرآن الكريم لمفهوم الشيطان وتصورهم لبشاعته وقبح منظره في قوله تعالى: **" طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ "** (الصافات |65) قال الزجاج: وجهه أَن الشيء إذا استُقْبِح، شبُّه بالشياطين فيقال كأَنه وَجهُ شيطان، وكأَنهُ رأْس شَيطان، والشيطان لا يُرى، ولكنه يُسْتَشْعَر أَنه أَقبَح ما يكون من الأَشياء، ولو رُؤِيَ لَرُؤِيَ في أَقبح صورة [5].

ويلَخِّص الجاحظ الخلاف الذي دار بين أهل التفسير والمتكلمين حول رُؤوس الشَياطين المذكورة في الآية الكريمة فيقول " زَعم أناس أن رُؤوس الشَياطين ثَمر شجرة تكون بِبلاد اليمن لها مَنظر كريه (شجرة دم الأخوين)، والمُتكلمون لا يَعْرِفون هذا التفسير، وقالوا: ما عنى إلا رُؤوس الشياطين المَعروفين بهذا الاسم من فَسَقةِ الجِنّ ومَرَدَتِهم. فقال أهل الطعن والخِلاف كيف يجُوز أن يضرب المثل بشيء لم نرَه فنتوهَّمه، ولا وُصِفت لنا صُورته في كتابٍ ناطق أو

---

[1] الزمخشري: **أساس البلاغة**، مادة (شطن).

[2] الجاحظ: **الحيوان**، 178/6.

[3] الترمذي: **سنن الترمذي**، 193/4.

[4] ابن منظور: **اللسان**، مادة (شطن).

[5] ابن منظور: **اللسان**، مادة (شطن).

خبر صادق، ومخرج الكلام يدلُّ على التَخويف بتلك الصُّورة، والتَفزيع منها، وعلى أنّه لو كان شيءٌ أبلغَ في الزَّجر من ذلك لذكَرَه، فكيف يكون الشَّأن كذلك والناس لا يَفْزَعُون إلاّ من شيءٍ هائل شنيعٍ، قد عاينوه أو صوّره لهم واصفٌ صَدوقُ اللسان بليغٌ في الوَصف، ونحن لم نُعَاينها ولا صوَّرها لنا صادق، وعلى أنَّ أكثر الناس من هذه الأُمَم التي لم تُعايشْ أهل الكِتابين وحَمَلَة القرآن من المُسلمين، ولم تسمع الاختلاف لا يتوهَّمون ذلك، ولا يَقِفُون عليه ولا يَفزَعون منه، فكيف يكون ذلك وَعيداً عاماً، قلنا وإن كنّا نَحن لم نَر شيطاناً قطّ ولا صَوَّر رؤوسها لنا صادقٌ بيده، ففي إجماعهم على ضَرْب المثل بقُبح الشَيطان حتَّى صاروا يَضعُون ذلك في مكانين أحدهما: أن يقولوا لهو أقبح من الشَيطان والوجه الآخر أن يُسمَّى الجميلُ شيطاناً على جهة التَّطَيُّر له، كما تُسمَّى الفَرَس الكَريمةُ شَوهاء، والمرأة الجميلة صَمّاء، وقرناء، وخَنْساء، وجَرباء وأشباه ذلك على جِهَة التَّطَيُّر له، ففي إجماع المُسلمين والعَرَب وكلٍّ من لقيناهُ على ضرْب المثل بقُبْح الشيطان دَليلٌ على أنه في الحقيقة أقبحُ من كل قَبيح "[1].

أما الفراء فيرى أن فيه في العَرَبيّة ثلاثة أوجه:

أحَدُها أن تشبّه طَلْعها في قُبحه برؤوس الشياطين لأنها مَوصوفة بالقُبح، وإن كانت لا تُرى. وأنت قائل للرجُل: كأنّه شَيطان إذا استَقْبحته.

والآخر أن العَرَب تُسمّى بعض الحيّات شيطاناً. وهو حيّة ذو عُرف.

قال الشاعر، وهو يذمّ امرأة له:

(الرجز)

عَنْجَــــردٌ تَحْلِـــفُ حِـــينَ أَحلِـــفُ   كَمِثْـــلِ شَـــيْطَانِ الحَمَـــاطِ أَعـــرَفُ[2]

ويقال: إنه نبت قبيح يسمّى برؤوس الشياطين.

والأوجه الثلاثة تذهب إلى معنى واحد في القبح [1]. فإن قيل كيف شَبَّهها بِشَيء لم يشاهد يشاهد فَعنه ثلاثة أجوبة: أحدها أنه قد استقر في النُفوس قُبْح الشياطين وإن لم تُشاهَد فَجاز تشبيهها بما قد علم قبحه قال امرؤ القيس:

---

[1] الجاحظ: **الحيوان**، 6/211_213.

[2] الزبيدي: **تاج العروس**، مادة (عنجرد).

(الطويل)

أَيَقتُلُنـــي وَالمَشـــرَفِيُّ[2] مُضـــاجِعي وَمَســـنونَةٌ زُرقٌ[3] كَأَنيـــابِ أَغـــوالِ[4]

قال الزجاج: هو لم يرَ الغول ولا أنيابها، ولكن التَمثيل بما يُستَقبح أبلغ في باب المُذَّكر أن يُمَثَّل بالش35ياطين وفي باب المؤنث أن يشبه بالغول.

والثاني أن بين مَكَّة واليمن شجر يُسَمى رُؤوس الشياطين فشَبَّهها بها؛ قاله ابن السائب، والثالث أنه أراد بالشَياطين حَيات لها رؤوس ولها أعراف شَبَه طَلعها برؤوس الحيات؛ ذكره الزجاج.

قال الفراء: والعَرَب تُسمي بعض الحَياتِ شيطاناً، وهو حية ذو عرف قبيح الوجه[5].

وعندما أراد _عزَّ وجلّ_ تصوير عذابه الذي سيحل بالكَفَرَة العُصاة، أخبَرهم بأن طعامهم سيكون من شجر الزقوم، ولكي يفهم العَرَب أن ثمر شجر الزقوم قبيح الطعم، قبيح الشكل؛ فقد ورَد في قوله تعالى مُشَبَّهاً بالشيطان، الذي لم يَره أحَد، لكنه ارتَسم في فِكر الجاهِليين بصورة قَبيحة مُخيفة من خِلالها يُمكن أن يَستوعبوا عَذاب الله المُتَمثل بإطعامهم من شَجرة الزَقوم.

كما تَبَدَّت صورة الشيطان في عُقول العَرَب وثقافتهم، كانت كذلك عند الأمَم الأخرى، وبِصورة مُشابهة، تَكادُ تَتَطابَق مع صورته عند العَرَب.

فلقد ارتبط المَرضُ في الحَضارة السومرية بالشيطانة (المشتو) وكان هناك شياطين للعِلل والأمراض[6]، وقد تكون لفظة (المشتو) مأخوذة من المستو.. اللامسة من لَمَسَهُ الجِنّ. كما مارس العراقيون القدماء الطُقوس السحرية _وكان الكاهن هو الذي يقوم بها_ لشِفاء المَريض، فيبدأ

---

[1] الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد الحنبلي: **معاني القرآن**، تحقيق محمد علي النجـار، ط 2، القـارة، بيـروت، الهيئـة المصرية العامة للكتاب، الدار المصرية للتأليف والترجمة، عالم الكتب، 1980، 387/2.(الفراء، معاني القرآن فيما بعد).

[2] المشرفي: السيف.

[3] المسنونة الزرق: نصال الرماح.

[4] امرؤ القيس: **الديوان**، ص 137.

[5] الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد: **زاد المسير في علم التفسير**، ط 3، بيـروت، المكتـب الإسـلامي، 1404ه، 63/7_64.(الجوزي، زاد المسير فيما بعد).

[6] الجوزي: **زاد المسير في علم التفسير**، ص 213.

بتَطهير المكان، ثم يأخذ شيئاً من الطين يَصنع مِنه دُمية تُمثل الشيطانة (المشتو)، ثم تُوْضع على رأس الرَجل المريض [1] كما كان من طرق العلاج لديهم استخدام الرُقى والتَعازيم لطَرد الأرواح والشياطين التي تسبب الأمراض [2]. وقد دلت النصوص المسمارية التي وُجدت في بابل على الاعتقاد حينذاك بأن عِلة المَرض هي العَفاريت، وأن عِلاجها هو التعاويذ [3].

وتمثلت صورة الشيطان لديهم بشكل بشع ومُنَفِّر حيث اعتقدوا أنه " أنزل من السماء عليه عَمامة ليس في ذَقنه منها شيء أَعور في إحدى رِجليه نعل[4].

وارتبط المرض بالشياطين في الفكر الفرعوني: فقد جاء في أحد التَعاويذ المُوجهة نَحو الآلهة لطَلَب تَدخلها في الأمر، والمُساعَدة على الشِفاء (أغربوا يا شَياطين المَرض، لن يُصيبني الهَواء.....) [5].

وقد تَخَيَّل إنسان أرض الرافدين أن في الكون قُوى مُنَظَمة لها مَبادئ ثابتة، كما لها اختِصاصات، وتَخَيَّل الخَير يَكمنُ في الانسِجام مع نِظام هذه القُوى، أو بِتَوجيهاتها بالحِكمة أو بالتَضْحِيَة لها، إذا ما أرادها الإنسان أن تَنْسجم مع رَغَبات خاصة به، ولكن يَبْقى الشَر والمَرض، فلا بد إذاً مِن أن يكون في الكَون قُوى شاذة لا يُمْكِن الانسِجام مَعها، وهذه القوى الشاذة هي الشياطين [6]. وقد يكون كل واحد من هؤلاء، مسؤولاً عن مرضٍ من الأمراض [7]. (فأشاكو) يصدع رأس الإنسان، و(نمتارو) الحلق، و(آلو) الصدر.... [8].

وكان هنالك تلازم بين الشيطان والشر، قال تعالى: **" وَقُلْ رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّياطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ "** (المؤمنون|97)

---

[1] علي، فاضل عبد الواحد: **حضارة العراق**، د ط، بغداد، 1985، ص 201.(علي، حضارة العراق فيما بعد).

[2] ينظر: دروزة، محمد عزة: **تاريخ الجِنْس العَرَبي في مختلف الأطوار والأدوار والأقطار**، د ط، بيروت، المكتبة العَصْرية، د ت، 176/3. (دروزة، تاريخ الجِنْس العَرَبي فيما بعد).

[3] غليونجي: **الطب عند قدماء المصريين**، ص 28.

[4] كريمر، صموئيل نوح: **من ألواح سومر**، ط 1، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، 1905، ص 284. (كريمر، من ألواح سومر فيما بعد).

[5] غليونجي: **الطب عند قدماء المصريين**، ص 50.

[6] الحوراني: **البنية الذهنية**، ص 301.

[7] المرجع نفسه، ص 302.

[8] أ. توكاريف، سيرغي: **الأديان في تاريخ شعوب العالم**، ص 346.

ويذكر العقاد أن المسيحيين الأوائل وجدوا في الحَيَّةُ أصلح صورة لتمثيل الشيطان للحس[1].

وعندما نتتبع صورة الشيطان في الآداب القديمة نجد أن الشيطان بِصفِته ممثلاً للشر كان يعني تِنيناً؛ فقد ورد في ثلاث روايات سُومرية بهذا المعنى [2]. وفي التوراة جَعلت الحَيَّةُ هي الشيطان الذي يغوي حواء وآدم [3]. "وليليت" شيطانة في التراث الديني اليهودي الشعبي، ويبدو أن كلمة "ليل" صيغة معبرنة للشيطانة البابلية ليليتو، ومن خلال رَبط اسمها بالكلمة العِبرية "ليلاه" أي" ليل"، فُسِرَت ليل بأنها شيطانة الليل والظلام، التي تأتي بالأحلام الجِنّسية للرِجال، وتَقْتُلُ الأطفال المَولودين وأمهاتهم، وخصوصاً في الأيام السبعة الأولى بعد الميلاد، وتظهر صورتها في آثار سومر، على هَيئةِ أُنثى عاريةٍ مجَنَّحَةٍ تقف على ظهر أسد، ولها مَخالب طائر، والواقع أن شخصية (ليليت) مِثال جيد للسِمة البيولوجية في النَسَقِ اليهودي، وقد ذكرت في العهد القديم باعتبارها إحدى الأرواح أو أحد الوُحوش المُفترسة التي ستدمر الأرض في آخر الأيام[4]. ويرد في الإنجيل أن الشيطان هو التنين ذو الرُؤوس السَبعة الذي يَسعى إلى تدمير العالم [5]. كما أن العَرَب تَبنوا فِكْرة الشر في الشيطان كونه شكلاً قبيحاً، وفعلاً قبيحاً. كذلك فقد تجلى كُره الكَنعانيين للشياطين والأَبالِسة، وقد تجلى كُرهَهم للشياطين في نَبذهم ل (موت) [6] ولأتباعه من الكروبيم، سكَنَة العالم الأسفل [7].

ويضيف غليونجي أن الآدميين مروا بفترة عَزْوا فيها المَرض إلى غَضَب آلهة معينة، وفسروه على أنه عِقاب فرضته على المَغضُوب عليهم، وهذه العقيدة لم تَنشأ إلا عندما تَطَوَّرَت

---

[1] العقاد: **إبليس**، ص 104.

[2] كريمر: **من ألواح سومر**، ص284.

[3] **تكوين** 1/3.

[4] المسيري: **موسوعة اليهود**، 5/ 293.

[5] **كشف**، 3/12.

[6] موت (mot) هو ابن إيل في مجمع الآلهة الكنعاني، إله قوي عدو للبعل. للمزيد أنظر: معجم الحضارات الســـامية، ص 820.

[7] الماجدي: **المعتقدات الكنعانية**، ص 279.

الأديان الرُوحانية التي ألَّهَت جميع الكائنات إلى أديان إلهيّة، سواء كانت هذه الأديان مُوَحدة أو مُشرِكة [1]

قال عليه الصلاة والسلام: " الحسَد شيطان، والغَضَب شَيطان " [2]. نلاحظ من الحديث الشريف بأن الشيطان لم يَختص كاسم من أسماء إبليس فقط، أو اسم من أسماء أعوانِه، إنما أطلق عليه كإطلاقه على سائر ذَوي الشُرور [3].

ويبدو أن اقتران الشَيطان بقبح المَنظر والبَشاعة من الأُمور الباقية والمستمرة إلى الأبد حَيث جاء في المعجم الزوولوجي: أن الشيطان أيضاً اسم لنوع من السمك الضَخم، يبلغ وَزنه نحو طُنين، ويوجد في المِياه المحيطة في الشمال الغربي لأُستراليا، له وَجه كَريه، كأنه صَنَمٌ من الأَصنام القَديمة، وعلى رأسه قَرْنان يزيدان في كَراهَةِ مَنْظَره [4].

ويَخْلُص العقاد إلى ظهور الشَيطان في ديانات الأمم الكبرى، وفي الديانات الكِتابية بأسماء مُختلفة، ولكِنها تَدُلُ على التَعْطيل والتَشْويه والإفساد...كُلها قُوى سالبة ناقِصَة، ولَيسَت بقُوَّة موجبة كامِلَّة تَبتدىء بِمَشيئتها عَمَلاً من الأعمال [5].ويضيف بأنه يتضح من مقارنات الأديان الأديان أن العقيدة تعزل قوة الشر وتحصرها في الشخصية الشيطانية، كلما تقدمت في تنزيه الإله، واستنكرت أن يصدر منه الشر الذي يصدر من الشيطان [6].

ويضيف العقاد أن الشُرّاح الدينيين قد عالَجوا الأمر بأن يُلَخِصوا (الشيطنة) في صِفة واحدة، تَجمع عناصرها، ويقوم بها كَيانها، فذكروا الكِبرياء، وذكروا العِصْيان، وذكروا الحسَد، والكَراهية، كما ذكروا الباطِل والخِداع [7].

---

[1] غليونجي: **الطب عند قدماء المصريين**، ص 26.

[2] الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق محمد سيد كيلاني، د ط، لبنان و دار المعرفة، دت، 767/1. (الأصفهاني، المفردات فيما بعد).

[3]ينظر: عبد الله الزاهد: في أحوال إبليس وصفاته , **http:**\\www.ahl_ul_bayt.org

[4] النجفي، محمد كاظم الملكي: **المعجم الزوولوجي**، ط 1، 1957، 71/4_73.(النجفي، المعجم الزوولوجي فيما بعد). و ينظر: محمد هادي معرفة : الجن في تعابير القرآن http//www.islam4u.com

[5] العقاد: **إبليس**، ص 33.

[6] المرجع نفسه، ص 88.

[7] المرجع نفسه، ص 34.

إذن نلاحظ أن ما نَجِده مُتماثلاً في الحَضارات القَديمة، لَيْست أساطير، بل هو مُوافقة للدين، وهذا يعني أن تلك الأساطير، هي دِيانات قديمة، وسَماوية، ولكن اندَثَرت، ولم يَرِد ذكر رُسُلهم في القرآن الكريم.

الفِراسَة

عاشَ العَرَبي في بيئةٍ صَحراوية، تَحُفُّهُ المَخاطِرُ والمَصاعِبُ؛ إلا أن الله_عزَّ وجلّ_ زوَّدَه بِهِباتٍ فِطرِيةِ، ساعَدَتْه على التَغَلُبِ على بيئَته، والتَعايُش مَعها على الرُغْمِ من مَصاعِبِها ومَجاهِلِها العَديدة، ومنها الفِراسَة.

جاء في اللسان: الفِراسَة بالكسر الاسم من قولك تفرَّسْت فيه خيراً، وتفرَّس فيه الشيءَ توسَّمَه، والاسم الفِراسَة، يقال إِن فلاناً لفارِس بذلك الأَمر إِذا كان عَالِماً به، ورجل فارس بالأَمر، أَي عالم به بَصْير، والفِراسَة بِكسر الفاء، هي النَّظَر والتَّثَبُّت والتَأَمل للشَيء، والتَبَصُّر به، يقال: إِنه لفارس بهذا الأَمر إِذا كان عالماً، [1].

ومن المُلاحظ أن كلمة فِراسَة مشتقة من الأصل الذي اشتقَت منه كلمة " فرس"، ويُعَللُ بَعضُهم ذلك، بأن عِلم الفِراسَة أول ما نَشَأ عند البدو، في تَقييم الخُيول والتَفاهُمِ مَعَها، دون أن تكون هُنالك لُغةٌ مُشتَرَكة بَينَهم [2]. ويبدو أن اقتصار العَرَب على الخُيول في هذا الموضوع دون دون سائر الحيوانات مَرَده قوة ذكائه، وكَثرة الانتفاع به وقت الطَلَب والهَرَب، وحُسن صورته، وكمال استعداده [3].

وعن الفِراسَة قال الشاعر:

(المنسرح)

لا تسألِ المَرءَ عن خَلائِقِهِ فـي وجْهِـهِ شاهدٌ مِنَ الخَبَرِ [4]

---

[1] ابن منظور: اللسان، مادة (فرس).

[2] ينظر: جعفر: **علم الفِراسَة**، ص 111.

[3] ينظر: مراد، يوسف: **الفِراسَة عند العَرَب وكتاب الفِراسَة لفخر الدين الرازي**، ترجمة وتقديم مراد وهبة، مصر، الهيئة الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1982، ص 101. (مراد، الفِراسَة فيما بعد).

[4] الأصفهاني، أبو القاسم بن محمد: **محاضرات الأدباء ومحاولات الشُعَراء والبلغاء**، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1961، 180/1. (الأصفهاني، محاضرات الأدباء فيما بعد).

ويُعَرِّفُ الرازي الفِراسَة بأنها الاستِدلال بالأَحوال الظاهِرة على الأخلاقِ الباطِنة، وتَقرير هذا الكلام أن المزاج إما أن يَكون هو النَفس، وإما أن يَكون آلة النَفس في أفعالها، وعلى كِلا التَقْديرين فالخَلق الظاهِر والخلق الباطن، لا بد أن يكونا تابعين للمزاج [1].

ويُضيف الألوسي " الفِراسَة: هي الاستدلال بِهَيئةِ الإنسان وأشكاله، وألوانه وأقواله على أخلاقه وفَضائله، ورذائِله، وربُما يقال هي صِناعة صِيادة لمَعْرِفة أخلاق الإنسان وأحواله،. فكأن الفِراسَة اختلاس المَعارِف، وذلك ضَربان: ضَرب يَحصُل للإنسان عن خاطرٍ لا يَعْرِف سَبَبه. وذلك ضَرْب من الإلهام، بل ضَرب من الوَحْي، وإياه عنى النبيّ _ عليه الصَلاة والسلام _ بقوله: " المُؤمِنُ يَنْظُر بنورِ الله "، وهو الذي يُسَمي صاحِبه المُرَوِّع والمُحَدِّث، وذلك للأنبياء، كما قال عزَّ وجلّ: **" نَزَلَ بِهِ الروح الامين على قَلْبِكَ "** (الشِّعْراء|193_194)، وقد يكون الإلهام في حالة اليَقَظَة، وقد يكون في حالِة المَنام. ولأجل ذلك قال _ عليه الصلاة والسلام_: الرُؤيا الصادِقة جُزء من سِتة وأربعين جُزءاً من النُبوة. والضَرْب الثاني من الفِراسَة: يكون بِصِناعة مُتعلَّمة، وهي مَعرفِة ما بين الأَلْوان والأشكال، ومن بين الأمزِجَة والأخلاق، والأفعال الطَبيعية. ومن عَرَف ذلك كان ذا فَهْمٍ ثاقِب الفِراسَة. والفِراسَة ضَرْب من الظَن، وهي من تَوابِع العَقْل، وكلما كان العَقلُ أكمل، كانَت الفِراسَة أقوى، ولهذا كان العَرَب فيها أوفر نَصيباً " [2].

أما الصوفية فإنهم يُخالِفون الألوسي، ويَرون أن هناك فرقاً بين الفِراسَة والظَن حيث إن: الظن يَحْصُل بتقَلُب القَلب في الإمارات، والفِراسَة تَحصُل بتَجَلي نور رب السَماوات، ومن قَوِيَ فيه نور الروح المَذكور في قوله تعالى: **" فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ "** (الحجر|29)، قَويت فيه هذه الفِراسَة [3].

وتقسم الفِراسَة إلى ثلاثة أنواع:

أولاً: الفِراسَة الإيمانية، وسَببها نور يَقذِفه الله في قَلبِ عَبْده، يفرق به بين الحَق والباطل، والصادق والكاذِب.

---

[1] الرازي، فخر الدين: **الفِراسَة**، إعداد وتقديم عبد الحميد صالح حمدان، عالم الكتب، 2002، ص 11. (الرازي، الفِراسَة فيما بعد).

[2] الألوسي: **بلوغ الأرب**، 2/262_263.

[3] الرازي: **الفِراسَة**، ص 13.

ثانياً: فِراسَة الرياضة: وتَعتَمِد على تجْرِيدِ النفس من العَوائِق، وتَكون مُشتَرَكة بين المُؤمِن والكافِر.

ثالثاً: الفِراسَة الخلقية: وتعني الاستِدلال بالخلق على الخُلُق، ويمكن اكتسابها بالخِبرة والتدريب.

وما يملكه عامة الناس من بين هذه الأنواع، هي فِراسَة الرياضة [1].

وعن الفِراسَة الإيمانية، فتكون حين يَكون القَلب مَوصولاً بالله، والجَوارح عامِلَّة بِطاعَته كافة عن مَحارِمه، إذ يَقْذِفُ الله في هذا القَلب، نوراً يُمَيِّزُ به بين الحَق والباطِل، وبين الصادقين والكاذبين، وإن صاحب هذا القلب، وهذه الجَوارح، يَرى في الحَقيقةِ بنورٍ من الله تعالى [2].

وحقيقة هذه الفِراسَة، إنها خاطِرٌ يَهْجُم على القَلب، ويَنفي ما يُضاده، فَيَثِبُ على القَلبِ، كوثُوبِ الأسد على الفَريسَة، وهذه الفِراسَة على حَسَب قوة الإيمان، فمَن كان أقوى إيماناً، فهو أحدُّ فِراسَة [3]. وعن أصحابِ هذه الفِراسَة قال _عليه الصلاة والسلام _: " إن لله عباداً يَعرِفُون الناسَ بالتَوَسُم" [4]. وجاء في الحديث كذلك: " اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ" [5].

أما عن مسألة ما الفِراسَة؟ وماذا يُراد بها؟ وهل هي صَحيحة، أم هي تَصِحُّ في بعض الأوقات دون بعض؟ أو لشَخصٍ دونَ شَخص؟.

الجواب: قال أبو علي مسكويه – رحِمه الله: الفِراسَة صِناعة تَتَصيد الأخلاق والأفعال التي بِحَسَبِ الأخلاق، من الأمزجة والهيئات الطبيعية، والحَركات التي تَتْبعها. وهي صناعة صحيحة، قَوية الأصول، وثيقة المُقدمات، ويحتاج صاحبها ومُتَعَاطيها أن يَتَدرب في ثلاثةِ أصول لها حتى يَحكمها، ثم يَحكم بها، فإنه حينئذ لا يُخطيء، ولا يَزِلّ.

والأصول الثلاثة هي هذه: أما أحدها: فالطبائع .

---

[1] جعفر، غسان: **علم الفِراسَة**، بيروت، لبنان، رشاد برس، ص 118_119.(جعفر، علم الفِراسَة فيما بعد).

[2] جعفر: **علم الفِراسَة**، ص 122.

[3] جعفر: **علم الفِراسَة**، ص 126.

[4] القضاعي، محمد بن سلامة بن جعفر: **مسند الشهاب**، ط 2، تحقيق حمدي السلفي، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، 1986، 116/2، حديث 651. (القضاعي، مسند الشهاب فيما بعد).

[5] الترمذي: **الجامع الصحيح سنن الترمذي**، 298/5.

والثاني: الأمزِجة وما يتبعها ويَقتضيها.

والثالث: الهيئات والأشكال والحركات التابعة للأخلاق [1].

ولقد بَرَع العَرَب في عِلم الفِراسَة منذ القِدَم، وأدركوا أهمية هذا العِلْم، إذ كان يُقال تفَرَّسْت في وَجهِ الرَجُل، فعَرَفَت من أينَ هو، ومن أين قَدِم. وقد جاء ذلك في أَمثالهم "من لَم يَنتَفع بِظَنه لم يَنتَفِع بيقينه" ويُضرْب في حَمْدِ الفِراسَة " 2. وكان مِنهم من اختص بِعلم القِيافة، وهو إصابة الفِراسَة في مَعْرِفة الأشياء في الأولاد، والقَرابات، ومَعرِفَة الآثار، وهُم بنو مُدلج ابن مرة بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان [3].

ومن القِصَص التي تناقلها أهل الأخبار بصَدَدِ الحديث عن قوة الفِراسَة لدى العَرَب، ما رُوي عن أبناء نزار بن معد عندما أشكل عليهم أمر قسمة ما خلفه أبوهم لهم بعد وفاته، فتوجهوا إلى الأفعى الجرهمي ليفصل بينهم، فَبَينَما هم يَسْيرون في مَسيرهم إذ رأى مُضَر كلأً قد رُعي فقال: إن البَعير الذي رَعى هذا الكلأ لأَعور، وقال ربيعة: هو أزور قال إياد: هو أبتَر وقال أنمار: هو شَرود، فلم يَسيروا إلا قليلاً حتى لَقِيَهم رجل توضع به راحلته، فسَألهُم عن البَعير فقال مُضر: هو أَعور قال: نعم قال ربيعة: هو أزور قال: نعم قال إياد: هو أبتر قال نعم قال أنمار هو شرود، قال: نعم هذه صِفة بَعيري، دلوني عليه فحلَفوا له ما رأوه فَلَزِمَهم وقال: كيف أُصَدِقَكُم وأنتم تَصِفون بَعيري بِصفته، فساروا جَمعاً حتى قَدِموا نَجران، فَنزلوا بالأفعى الجرهمي، فنادى صاحب البَعير: هؤلاء أصحاب بَعيري وصفوا لي صِفته ثم قالوا: لم نَرَه فقال الجَرهمي: كيف وَصفتموه ولم تَروه فقال مُضَر: رأيته يَرعى جانباً ويَدَعُ جانباً، فعَرَفْتُ أنه أعوَر وقال ربيعة: رأيت إحدى يَدَيه ثابِتة الأثر، والأُخرى فاسِدة الأثر، فعَرَفْتُ أَنه أفسَدَها بِشِدة وطئه لازوراره وقال إياد: عرفت أنه أبتر باجتماع بَعره، ولو كان ذيالاً، لمصع به وقال أنمار: عَرفتُ أنه شَرود لأنه يَرعى المكان المُلتف نَبْته، ثم يجوزه إلى مكان آخر أَرَق منه نَبْتاً وأخبَث،

---

[1] التوحيدي: **الهوامل والشوامل**، تقديم صلاح رسلان، د ط، القاهرة العامة لقصور الثَقافَة، د ت. (التوحيدي، الهوامل والشوامل فيما بعد).

[2] الزمخشري: **المستقصى في أمثال العَرَب**، 360/2.

[3] كحالة، عمر رضا: **معجم قبائل العَرَب القديمة والحديثة**، دمشق، المكتبة الهاشمية، 1949، 1061/3. (كحالة، معجم قبائل العَرَب فيما بعد). والثعالبي: **ثمار القلوب**، ص 120.

فقال الجرهمي: لَيسوا بأصحابِ بعْيرك فاطلُبه، ثم سَأَلَهَم من هم فأخبروه فرَحَّب بهم فقال: أتحتاجون إلي وأنتم كما أرى، فدعا لهم بِطعام فأكلوا وأكل، وشربوا وشَرِب فقال مُضَر: لم أرَ كاليوم خمراً أجود، لولا أنها نبتت على قَبرٍ، وقال ربيعة: لم أر كاليوم لَحْمَاً أطيَب لولا أنه رُبِيَّ بلبن كلب، وقال إياد: لم أر كاليوم رجلاً أسرى لولا أنه لِغَير أبيه الذي يدعى له، وقال أنمار: لم أر كاليوم قَط كلاماً أنفع في حاجتنا من كلامنا، وسمع الجرهمي الكلام فَتعَجَب لقَولهم وأتى أمه فسَألها، فأخبَرته أنها كانت تَحت مَلِك لا يُولَد له، فكَرِهَت أن يَذهب المُلْك فأمْكَنَت رَجُلاً من نَفْسها، كان نزل بها فَوطئها فحَمَلت به، وسأل القهرمان عن الخَمْر فقال: من حبلة غرستها على قبر أبيك، وسأل الراعي عن اللحم فقال: شاة أرضَعَتُها لَبَن كَلبة، ولم يَكن وُلِد في الغَنَمِ شاة غيرها، فقيل لمُضر من أين عَرَفْتَ الخَمْر ونَباتها على قَبر قال: لأنه أَصابني عليها عَطَشٌ شَديد، وقيل لربيعة بم عَرفت فذكر كلاماً[1].

وقد أفاد العَرَب من الفِراسَة بوَصفها وجهاً من أوجُه الكَهَانَة في التَنَبُؤ بأُمُورٍ مُستَقْبَلية، من خلال التَفُرس في أبنائهم، خاصة أنهم كانوا يُمارِسون طُقوس الكَهَانَة في الأسواق العامة، وقد عَرضَت العَرَب صبيانها على العَرَّافين لمَعْرِفة مُستَقبَلِهم، ومن ذلك ما حدث مع آمنةُ بنت وَهب _رضي الله عنها _ عندما سألت حليمة السعدية أن تَعرض مُحَمداً _ عليه الصلاة والسلام – على عَرَّافي سوق عكاظ، وقد أَتَت به إلى عَرَّاف مِن بَني هُذَيل، فَلما رآهُ صاحَ قائِلاً: "إنَنَي أرى غُلامَاً لَيَكْسِرن آلهتكم " [2].

وإن ذلك لم يكن قُدرة مِنهم على العِلم بالغَيب _حاشاه عزَّ وجلّ أن يُشاركه أحد في مَعرفة الغَيب _ إلا أن ذلك ما هو قُدرات ومَلَكَات مكنها _عزَّ وجلّ_ لديهم ومَنَحَهُم إياها، وذلك تَهْيئة مِنهم لتَقَبُل الدين الجَديد والكِتاب العَزيز، الذي ما كانوا لِيَقْدروا على إدراك ما جاء فيه، وفَهمه لولا أنهم كانوا أصحاب عِلمٍ وثَقافةٍ فِطرية، هي هِبةٌ من الله _سُبحانَه وتعالى.

كذلك فإن نُدرة المِياه اضطَرتهم إلى أن يَمهروا في العُثور على مَواضع الماء، فَعُرفت هذه الفِراسَة عِندهم، وعرف بَعضهم بها، فكانوا يَستدلون عليه ببعض الإمارات الدالة على

---

[1] الطبري: **تاريخ الطبري**، 514/1.والأبشيهي: **المستطرف**، 180/2.

[2] حمور، عرفان محمد: **مواسم العَرَب الكبرى**، 222/2.

وجوده، فيعْرفون بُعده وقُربه بِشَمِ التُراب، أو برائِحة بعْض النَباتات، وكانوا يَهتدون إلى الماء بحَرَكة بعض الحيوانات، ويُسمى من له هذه الفِراسَة (بالنَصَّات) أو (القناقن)[1].

والفِراسَة تتصل بالكَهَانَة إلى جانبِ كل من الزَجر والفَأل والطِيرة والذَكاء [2].

ويشير يوسف مراد إلى مجموعة من العلوم القريبة من علم الفِراسَة، منها: أمور لا يمكن الرُجوع فيها إلا إلى التجارب المَروية عن المُتَقدمين، وهي مثل ما يُوجد في أبدان الناس من الشامات والخيلان، وما يعرض في الأعين من الاختلاج والضربان، وما يوجد في أبدان الخَيل من الدوائر التي سَمَّتْهَا العَرَب بأسماء مَخصوصة، فتَيَمَنوا ببعضها وتَشاءموا بالبعض الآخر. ومن تلك العُلوم أيضاً الاستدلال بالخُطوطِ المَوجودة في الأكف والأقدام، وهي التي تسمى أسراراً، وهذا العلم يكثر استخدامه في العَرَب والهند [3]، ومنه قول الأعشى في مُعاتبة من من تَوَعد الإضرار به:

(السريع)

اِنظُـــــر إِلـــــى كَـــــفٍّ وَأَســــــرارِها هَـــل أَنـــتَ إِن أَوعَـــدتَني صـــابِري[4]
صــــــــــــــــــــــــــــــــابِري[4]

ومنها النظر في أكتافِ الضَأن والمعز، فإنه قد يُوجد فيها إذا قوبلت بِشُعاع الشمس، خُطوط وأشكال مَخْصوصَة، يَستَدل بها المُتَفَرِسون، على أحوال كَثيرة، كالحُروب الواقعة بين المُلوك، وأحوال الخِصْب والجَدْب [5].

ولا شك أن وجودَ مثل تلك العُلوم والمَعارِف في المُجْتمع العَرَبي قبل الإسلام ما هو إلا دَليل قاطِع على وجود ثَقافَة عِلمِية لدَيهم.

---

[1] القيسي، نوري حمودي: **الطبيعة في الشِّعْر الجاهلي**، ص 47.

[2] النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: **نهاية الأرب في فنو ن الأدب**، ط 1، مطبعة دار الكتب المصرية، 1923، 1923، 128/3. (النويري، نهاية الأرب فيما بعد).

[3] مراد، يوسف: **الفِراسَة**، ص 100_101.

[4] الأعشى: **الديوان**، ص 191. وصابري: مانعي.

[5] مراد، يوسف: **الفِراسَة عند العَرَب**، ص 102.

وقد أشار القرآن الكريم إلى قُدرة أهل الفِراسَة في إدراك المَعرِفة، والتَوَصُل إليها قبل غَيرهم وإن لم يذكر لفظة الفِراسَة صراحة؛ إلا إنه قد تم الإشارة إليها بألفاظ تَحمل دلالتها، كما في قوله تعالى: **" إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ "** (الحجر|75)، وقد تَعَدَدَت آراء المُفَسرين حول كلمة المُتَوسِمين، فمِنهُم من قال للناظرين، والمُتَفَكِرين المُتَفَرسين، والمُعْتَبرين[1]، وقالوا المُتأَمِلين [2]. وإنني أرى أن التَوَسُم والفِراسَة، يلتقيان في بُعْد النَظَر والتأَمُل العَميق، وكذلك الاعتبار، فَكُل أولئك مُجتَمعة تُؤدي إلى فِراسَة واعية ثاقِبَة. وكذلك قوله تعالى: **" وَلَوْ نَشَآءُ لأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ "** (محمد|30)، والمَقصود في لَحن القول، أي في فَحواه ومَعناه، وقد أشار الشاعر إلى سِمة التَوسم المُستقاة من لحن القول، إذ يقول القتّال الكلابي:

(الكامل)

وَلَقَــدْ لَحَنْــتُ لَكُــم لِكَيْمَــا تَفْقَهُــوا وَاللَّحْــــنُ يَعْرِفُــــهُ ذَوُو الأَلْبَــــاب[3]

وعن صِفات من فتحَ الله قُلوبهم على هذا العِلم الواسِع المُمْتَد، يقول الأصبهاني: كان شاه الكرماني بن شجاع حاد الفِراسَة، وقلما أخطَأت فِراسَته وكان يَقول: من شَخَصَ بَصَره عن المَحارِم، وأمسَكَ عن الشَهَوات، وعَمر باطِنه بِدَوام المُراقَبة، وظاهره باتباع السُنَة، وعَوَّد نفسه أكل الحَلال لم تُخْطِئ فِراستَه [4]. ولذلك نَجد أن الله _سُبحانه وتعالى_ قد أشار في حديثه عن قوم قوم لوط إلى بَعضِ مُبْطِلات الفِراسَة، حيث قال تعالى: **" لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ"** (الحجر|72)، فالتَعَلُق بالصُور يُوجِبُ فَساد العَقل، وعَمى البَصيرة، وسُكر القَلب وجُنونه. وحتى لدى طلبة المعرفة والاقتراب من الحقيقة في الديانة المصرية فقد اشترط طهر القلب والبعد عن الشهوات، فقد جاء أنَّ السَحَرَة المصريين منذ القدم كانوا على علم تام بلزوم الفضيلة والطهارة للساحر الطبيب، وفي اعتقادهم على الدوام أن الآلهة إنما يقترب منها كل طاهر القلب، سليم

---

[1] الفيروزآبادي: **تنوير المقباس**، 219/1. والبيضاوي: **تفسير البيضاوي**، 379/2.

[2] الشنقيطي: **أضواء البيان**، 286/2.

[3] ابن منظور: **اللسان**، مادة (لحن).

[4] الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله: **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، ط 4، 1405 ه، 237/10. (الأصبهاني، حليــة حلية الأولياء فيما بعد). ابن القيم، محمد بن أبي بكر: **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**، ط 2، تحقيــق محمــد الفقــي، بيروت، لبنان، دار المعرفة، 1975، 48/1. (ابن القيم، إغاثة اللهفان فيما بعد).

النية، وكانوا يُنَشَّؤون على الإيمان بأن العبث ومطاوعة الشهوات تجور على العقل والبدن وتعوق طالب المعرفة [1].

وعن جُذور الفِراسَة يُشيرُ أهل الأخبارإلى أنها، من العُلوم التي استمَدها العَرَب من اليونان، وإنه كان لليونانيين حُكماء مُتَفَلسِفون، وفلاسِفَة مُتَكوِّرون، ومُنهم من تَكَلَّم في الطِب، ومُنهم من تَكَلَّم في حَقائِق الأُمور، ومِنْهم من تَكَلم في الحِساب والأعداد، ومِنهُم من تَكَلَّم في الأفلاكِ والنُجوم، ومنهم من تَكَلَّم في الحِساب والقِسْمة، ومنهم من قال في الهَندسَة والفِلاحة، ومِنهم من قال في الصَنْعَة والإكسيرات، ومِنهم من قال في الفِراسَة [2]. ومنهم افليمون، الذي كان إذا رأى شَخصاً، استَدلَ بتَركيبِ أعضائِه على أخلاقه، وهو صاحِبُ كتاب الفِراسَة، الذي بيَّن فيه ما تدُلُ عليه الفِراسَة في الخِلقَة والأصوات، والشَمَائل، وبَرهَن ذلك [3].

إلا أنني أرى أن ما جاء في القرآن الكريم، وما صَدر عن العَرَب يُفَنِّدُ ما سبق ذكره، لا سيما أن الفِراسَة موهبة من عند الله _عزَّ وجلّ_ أوجدها في العَرَب، وخاطَبهم في القرآن الكريم بما يؤَكَّد وجودها لَديهم.

وإنني لأرى أن الفضلَ بعد الله _عزَّ وجلّ_ في نَشأة مثل هذا العِلم عِند العَرَب، هو لبيئَتهم القاسية التي أوجَدَت فيهم جُمِلَّة من العُلومِ والمَعارِف، لتُسَاعِدهم على التَعايُش فيها، وتَخَطِّي مَصاعِبها، فالصحراء المُنْبَسِطة، حيثما تختفي آثار الأقدام على الرمالِ بسهولة _سواء كانت أقدام إنسان أو حيوان _، هي التي أوجدت صنفاً من العَرَب عُرفوا بتَفَوقِهم في اقتِفاء الأثر، بل أبعد من ذلك معرفة ما إذا كان ذلك الأثر لرَجلٍ أو امرأة، لكَبير أو صَبي صَغير، كذلك فإن قِلَّة الأمطار، والجَدْب الذي كان وحشاً يُهَدِدُ حَياتَهم، هو الذي دفع بعْضهم لأن يَبْرَعوا في تأَمُل السَماء، وتَتَبُع أحوال السُحُب والبُروق، والتَفَرُس في مَعْرفة السُحُب الحامِلَّة للغيث يُضاف إلى هذا كله تَأثير الأُمم والحَضارات الأُخرى، التي عَمِلت على تَنْمِية التَواصُل الثَقافي بين العَرَب وغَيرهم من الشُعوب، التي اتصلوا بها بِطريقة أو بأُخرى .

---

[1] العقاد: **إبليس**، ص 54.

[2] اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن أبي جعفر بن وهب بن واضح: **تاريخ اليعقوبي**، د ط، بيــروت، دار صـــادر، د ت، 95/1. (اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي فيما بعد).

[3] اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي**، 119/1.

ورُوِيَ أن المصريين القُدماء كانوا كذلك يَعرِفُون الفراسة وبخاصة أنها تُعتَبَر فِكْرة تقْفز للوَعي ممن شُهِدَ لهم بالذَكاء والمَعْرِفَة، وقد كانت في السابق تَقِفُ في قائِمة العُلوم السِحرِية، وتم المَزْج بينها وبين التَنْجيم ، وهي تَحْكُم على المُيولِ الطَبيعية، وليسَ على الخُلُق المُكْتَسَب بالتَرْبية والجُهْد الشَخْصي [1].

وممن ذاع صيت حدّة فِراسَتهم، إياس بن مُعاوية الذي عُرِف بحِكْمته وحِنكته في مُعَالجَة الأمور، وكان مما رُوي عَنه أنه بَينما كان هُو جالس ومن حَوله أصحابه جُلوس، إذ نَظَرَ إلى رجل قد جاء فَجَلس على دِكة حانوت، وجَعَل كلما مَرَّ أحد يَنْظر إليه، ثم قام فنَظر في وجه رجل ثم عادَ، فقال لأصحابه: هذا فَقيه كتاب قد أبق له غُلام أعور فَهو يتَطَلَّبه، فقاموا إلى ذلك الرجل فسَألوه فوَجَدوه كما قال إياس، فقالوا لإياس: من أينَ عَرَفْتَ ذلك؟ فقال: لَمَّا جَلس على دِكَة الحانوت عَلِمْت أنه ذو ولاية، ثم نَظرت فإذا هو لا يصلح إلا لفُقهاء المكتب، ثم جعل ينظُر إلى كل من مرَّ به فعَرَفْتُ أنه قد فَقَد غُلاماً، ثم لما قام فَنَظَر إلى وَجه ذلك الرَجل من الجانِبِ الآخر، عَرَفْتُ أن غُلامه أعورَ [2].

بات من الواضح أن بيئة الإنسان، بعواملها وتأثيراتها المختلفة، تعد أفضل مَعين يَستَقي منه ثقافته، وكذلك قِيَمه ومُعتَقداته، فهي البوصلة التي تُوَجهه، وهنا أستَذكر ما قاله العشماوي: إن الخصائص المُناخية والإقليمية هي التي وَجَّهَت حياة العَرَبي، وحدَّدَت مَلامح مُجْتمَعه، وما يَسوده من قِيم، وهي التي فرَضت عليه ألواناً مُعَينة من الحَياة [3].

النَّفْث في العُقَد

الرُقْيَة

---

[1] جعفر، غسان: **علم الفِراسَة**، بيروت، لبنان، رشاد برس، 2006، ص 5_7.

[2] ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي: **البداية والنهاية**، د ط، بيروت، مكتبة المعارف، 338/9. (ابن كثير، البداية والنهاية فيما بعد).

[3] العشماوي، محمد زكي: **قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث**، د ط، بيروت، لبنان، دار النهضة العَرَبية، 1979، ص 127. (العشماوي، قضايا النقد الأدبي فيما بعد).

جاء في اللسان أن النَّفْث: أَقلُّ من التَّفْل، لأَن التَفل لا يَكون إِلاَّ مَعَه شيء من الريق، والنَّفْث شَبيه بالنَفْخ، وقيل: هو التَفل بِعَينه، نَفَثَ الرَّاقي [1].

ويبدو أن هنالك علاقة رَبَطَت بين عَمَلية النَّفْث، وشيء من الغَضَبِ والانفِعال، فقيل: وهو يَنْفُثُ عَلَيَّ غضَباً، أَي كأَنه يَنْفُخُ من شِدّة غَضَبِه. والقِدْرُ تَنْفِثُ وذلك في أَوّل غَلَيَانِها.[2]

فَكَأَّنَ عملية النَّفْث غالباً ما تكون مَصْحوبة بِشُحنة من الانفِعال، إما بِقَصْدِ النَّفْث السَلبي الذي يُمارِسه السَحَرةُ، بهدف إلحاق الضَرر بشَخصٍ ما، أو النَّفْث الإيجابي المَصْحوب بِمَسْحِ الجَسَد، ويَكون بهَدَفِ إحلال البَركة والخَيْر، كما كان يَفعَل _عليه الصلاة والسلام _ قبل نَومه عِند تِلاوَته بعْضِ الآيات الكَريمة من القرآن الكريم؛ فقد رُوي أن النبيّ _صلى الله عليه وسلم_ كان إذا أوى إلى فِراشِه كل لَيلة، جَمَعَ كَفَّيه، ثم نَفَثَ فيهما، فقرأ فيهما { قل هو الله أحد }. و {قل أعوذ برب الفلق}. و {قل أعوذ برب الناس}. ثم يَمسح بهما ما استطاع من جَسَده، يَبدأ بِهما على رأسه وَوجهه وما أقبَل من جَسَده، يَفعَلُ ذلك ثَلاث مرَّات [3].

قال تعالى: **" وَمِن شَرّ النَّفَّاثَاتِ فِى الْعُقَدِ "** (الفلق|4)، يعني الساحِرات اللائي يَنْفُثْن في عُقَدِ الخَيط حين يَرقين عَليها شِبه النَفْخ كما يعمل من يرقين قال الشاعر:

(المتقارب)

أَعُـــوذُ بِرَبِّـــي مـــن النَّافِثـــاتِ ومـــن عَضَـــهِ العاضِـــهِ[4] المُعْضِـــهِ

وقال مُتمم بن نويرة:

(السريع)

نفثــت فـــي الخـــيط شـــبيه الرقـــى مـــن خشـــية الجِنّـــة والحاســـد[5]

---

[1] ابن منظور: **اللسان**، مادة (نفث).

[2] المرجع نفسه.

[3] البخاري: **صحيح البخاري**، 1916/4، حديث رقم 4729.

[4] العِضَاهُ: من شَجَرِ الشَّوك كالطَّلْح والعَوْسَجِ

[5] القرطبي: **تفسير القرطبي**، 238/20.

ويؤكِّد المُفَسرون أن عَملية النَّفْث التي جاء ذكرها في الآية الكريمة، كانت تَتِمُ من قِبَل النَّفوس[1] أو النِساء السَواحِر اللاتي يَعْقِدن عُقَداً في خُيوط، ويَنْفُثْنَ عليها، والنَّفْث النَفْخُ مَع ريق، وتَخْصيصه لِما رُويَ أنَ يَهوديِاً سَحَرَ النبيّ _ صَلى الله عَليه وَسلَم _ في إحدى عَشَرة عُقْدَة في وَتَرٍ دَسه في بِئر (بئر زروان)؛ فمَرِض النبيّ _صلى الله عليه وسلم_ ونَزلت المُعَوَّذَتان، وأخبَره جبريل _عليه الصَلاةُ والسَلام_ بموضِع السِحر فأرسَل علياً _رضي الله تعالى عنه_ فجاء به فقرأهُما عَلَيه، فَكانَ كُلما قَرَأَ آيةً انحلَت عُقْدَة، وَوَجَدَ بَعَض الخِفَّة، ولا يُوجِب ذلك صِدق الكَفَرَة في أنه مَسْحور؛ لأنَهم أرادوا به أنَه مَجْنون بوساطَةِ السِحْر، وقيل المُراد بالنَّفْث في العُقَد، إبْطال عَزائم الرجال بالحِيَلِ مُستَعار من تَليينِ العُقَد بِنَفْثِ الريق لِيَسْهُل حَلُها وإفرادها بالتعريف؛ لأن كل نَفاثة شِريرة، بِخلاف كل غاسق وحاسِد [2].

ويرى بعضهم أن استِخْدام النَّفْث في القصة التي حَدثت مع الرَّسُول _عليه الصلاة والسلام_، يؤكِّد أن الهَواء الخارِج من نَفْثِ الإنسان، قادر على الفِعْل في الغَيْر، وعلى فِعلِ الشَر[3].

ولقد أشارَ سيد قطب إلى الأجواء التَصويرية لِسورةِ الفَلَق، والتي اتَسَقَت بِشَكلٍ رائِع مع المَوضوع الذي تَتَحدث عنهُ السورة الكَريمة، حيثُ جو التَعويذة بما فيه من خَفاء وهَيمَنةٍ وغُموض، فمِنها الفلق الذي يُسْتَعاذ بِرَبه، ومن معانيه الفجر لأنه أنسب في الاستعاذة به من ظَلام ما سَيأتي: مما خَلق، ومن الغاسِق، وهو الليل حين يَدخل ظَلامه إلى كل شيء، ويُمْسي مَرْهوباً مَخْوفَاً، ثم يَستعيذ بالله من شرِ النفاثات في العُقد، وجو النَّفْث في العُقد من الساحرات والكواهن، كُله رَهبة وخَفاء، حيث إنهن لا يَنفُثن غالباً إلا في الظَلام، وأخيراً من شرِ حاسِدٍ إذا حَسَد، والحسَد انفِعال باطني مَطْمور في ظَلام النَفس، غامض ومَرْهوب. فالجو كله ظَلام ورَهبة وخَفاء، وهو يَستَعيذ من هذا الظلام بالله، والله رب كل شيء [4].

---

[1] النَّفوس: أي الذي ينفس، من قولنا نَفَسه، أي حَسَده، ونفسي فيه أي أريده.

[2] البيضاوي: **تفسير البيضاوي**، 551/5.

[2] حسن علي عبد الحميد : النفث , http://bafree.net

[4] قطب، سيد: **التصوير الفني في القرآن**، د ط، بيروت، دار الشروق، 1979، ص 90.(قطب، التصوير الفني فيما بعد).

وتتم الإشارة إلى الرُقْية في آية كريمة أخرى، قال تعالى: **" وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ "** (القيامة|27) هنا صورة مُؤثرة، بَليغة في التعبير، حيث إنه وبعد أن التفت الساق بالساق من الهول والرُعب، أو من الداء والألم، وبلغَت الروح التراقي، وتساءل من تساءل ألا من راق يَرقيه ويرفع عنه هذه الحال _كما يُرقى المَصروعون والمَمْسوسون _ ولم تَقتَصر بَلاغة القرآن الكريم وعَظَمَتِه على البَراعَة في التَصْوير، وإعطاء صورة حَية مُتَخَيلة للمَوقِف، تَدب الرُعب في القُلوب المَيتة، بل بَرزت براعَته من ناحية أخرى في تَوظيف ثقافة جاهلية عَرَفها العَرَب، ومارسوها في حياتهم اليَومية، وهي الرُقْيَة التي تُستَخْدم لِمُعالَجَة المَرضى، وأي مَرض هو، إنه الصَرَع والمَس . فكان من السَهل وصول الصورة إلى عُقولهم، وإدراكها بشكل تام، ذلك لأنها مُنتَزعة من ثَقافتهم، ومما يَعرفون ويَعون.

وقد اختلف بعضهم حول كون النَّفْث مَصحوباً بريقٍ أو بدون، فمِنهم من رأى أن النَّفث يعني خُروج هواء من الفَم، والذي يَكونُ مَصْحوباً بِبُخار الماء، أما النووي فيَرى أن النَفْخ يَكونُ بِلا ريق، وأن التَفْل والبَصْق يَكونا مَحمولَين عَلَيه مَجازاً، وأن المطلوب هُو طَرْد الشَيطان وإظهار احتِقاره واستِقْذاره [1].

كانت التعاويذ والرُقى أحد أبرز الطُقوس والمُمارسات التي تَداول عرب الجاهِلِيَّة استخدامها بشكل مُستَمِر في حَياتهم، باعتبارها جزء من ثَقافتهم ومُعتَقداتهم، وترجمة عَمَلية لعُلومِهم في السِحر والكَهَانَة، والتَعويذة عِبارة عن كَلمات مَفهومة أو غَير مَفهومة يَقولها الساحر، أو يكتُبُها بِطَريقة مُعَيَنة، ويُؤمر الشَخْص الذي تُصنَعُ التعويذة لِصالِحه بأن يَضمُها في مكان مُعَيَّن سواء في جِسمه أو في مَكان قَريب من جِسمه، أو في مَكان قريب من عَدُوه إذا كان يُريد قَهره باستخدام التَعْويذة أو إبطال مَكائده والتَغَلُب عليه [2]. وهي أيضاً القيام بِتلاوة بَعض النُصوص عَدداً من المَرات، وبِطريقة مُعَيَنة، وبِمُصاحبة البَخُور، أو سَفكٍ لدمِ حَيوان، أو حَرْقٍ لِبَعضِ الأعشاب، أو الإتيان بِبَعْضِ الحَرَكات أو الطُقوس الجَمَاعِية [3].

---

[1] حسن علي عبد الحميد : النفث , http://bafree.net

[2] الساعاتي، سامية حسن: **السحر والمجتمع**، ط 2، دار النهضة العَرَبية للطباعة والنشر، 1983، ص 81.(الساعاتي، السحر والمجتمع فيما بعد).

[3] أسعد، يوسف ميخائيل: **معتقدات وخرافات**، د ط، القاهرة، دار النهضة العَرَبية، 1980، ص 263.(أسعد، معتقدات وخرافات فيما بعد).

كما كانت التَعاويذ والرُقى، أحد أنواع العِلاجات التي عَرَفَها العَرَب الجاهليون، وكان الكُهَّان هم فُرسان هذا المَيدان، وعَرَفوا التَداوي بالوَسائِل العِلاجية أي بالعَقاقير والنَباتات، كما عَرفوا فَضْلاً عن ذلك الجِراحَة. أما العِلاج عن طَريق الرُقى والتَعاويذ، فقد كان نَتيجَة اعتقادِهم في إيذاء الجِنّ الشِرير للإنسان، ولا يَكُفُّ الجِنّ عن الإيذاء إلا إذا استُخدِمَت ضِدَّه الرُقى [1].

إذن فقد وَظَف الله _سبحانه وتعالى_ في القرآن الكريم، وَجهاً من وُجوه الثَقافَة الجاهِلِيَّة المُتَمَثِل بالنَّفْث في العُقَد.

وقد جاء ذكر التعاويذ والرُقى، وما يَصْحَبها من نَفْث، في أشعار الجاهليين، يقول عَلقَمة مُتَحَدثاً عن الفُرْس التي تُعَلَّقُ عليها التَمائم مُقْتَرِنة بالنَّفْث خَشْية العَيْن:

(الطويل)

بغَــوْجٍ لَبانُــه[2] يُــتَمُّ[3] بَرِيمُــه ... علــى نَفْـثِ راقٍ خَشْـيةَ العَـيْن مُجْلَـب[4]
مُجْلَب[4]

قوله (مجلب) أراد أن على العوذة جلدة يُتَمُّ بَرِيمُه، أَي يُطالُ إِطالةً لسَعةِ صَدره، والمُجْلِبُ الذي يَجْعَل العُوذةَ في جِلْدٍ، ثم تُخاطُ على الفُرْس، والغَوْجُ الواسِعُ جِلْد الصَّدرِ والبَرِيمُ، خَيْطٌ يُعْقَدُ عليه عُوذةٌ وجُلْبةُ السِّكِّينِ التي تَضُمُّ النِّصابَ على الحَديد [5].

ويؤَكَّد المُهَلْهِل أن النَّفْث أحد أنواع العلاجات التي كانوا يَستَخْدمونها، حيث يقول في أخيه كليب:

(الخفيف)

إن تحـت الأحجـار حَزمـاً وعَزمـاً ... وخَصـيماً ألــدّ[6] ذا معــلاق[7]

---

[1] ابراهيم، نبيلة: **الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق**، ص 123.
[2] جلد صدره واسع، وهو من خلقة الجياد.
[3] يتَّم: تعلق عليه التمائم.
[4] علقمة بن عبدة: **الديوان**، ص 13.
[5] ابن منظور: **اللسان**، مادة (جلب)
[6] الألد: الشديد الخصومة.
[7] المعلاق: اللسان البليغ.

حَيَّـــةً فـــي الوَجـــارِ[1] أَربَـــدَ[2] لا تَـــن   فَـــعُ مِنـــهُ السَـــليمَ نَفثَـــةُ راق[3]

ومنه قول عنترة:

[1] الوجار: الحجر.

[2] الأربد: المختلط لونه الأسود بكدرة.

[3] المُهَلْهِل بن ربيعة: **الديوان**، ص 59.

(الوافر)

فَــــإن يَبــــرَأ فَلَــــم أَنفِــــث عَلَيــــهِ   وَإن يُفقَــــد فَحُــــقَّ لَــــهُ الفُقــــودُ[1]

ويبدو أن النَّفْث لم يَقْتَصر على عَملية التَداوي والعِلاج، بل استخدِم في أغراض أخرى، وقد جاء في أمثال العَرَب في الجاهِلِيَّة ما يؤَكِّد ذلك، كقولهم: (على هذا دارَ القُمْقُم)، أي إلى هذا صار مَعنى الخَبَر، وأصله فيما يُقال: أن الكاهن إذا أراد استِخراج السَرقة، أخَذَ قُمْقُمة، وجَعَلَها بَين سَبابَتَيه يَنْفُثُ فيها ويُرقِي، ويُديرها، فإذا انتَهى في زَعْمه إلى السارِق، دار القُمْقُم، فجَعَل ذلك مَثَلاً لِمَن يَنْتَهي إليه الخَبَر ودار عَليه [2].

وإذا أمعنا النَظر فإننا لا نجد فرقاً بين النَّفْث الصادر عن النَفس الشريرة، ونفث السم القاتِل الذي تَنفثه الأفعى، ففي كلاهما يَكون الهلاك، وهذا ما أَكَّدهُ إليه بَعضهم، حيث عَقدوا الشَبه بين نَفثِ السم، ونفثِ الشر على أسلوبِ المَجاز [3].

وكما كانت التعاويذ في الحضارة المصرية القديمة، من أكثر مَظاهر السِحر المصري ظُهوراً، وقد صَنَعَها المصريون من الأقمِشة والجُلود والأخْشاب، ودَوَّنوا عليها نَص التَعويذة؛ لحِمَاية جِسْم الإنسان الحَي أو المَيت من التَأثيرات المُؤذِية، ومن هُجومِ الأعداء المَرْئيين وغَير المَرْئيين، وكانت تُسَمى بالمصرية (هيكاو) أي كَلِمات القوة " [4].

ويُشير الماجدي إلى تَعَدُّدِ أشكال السِحر، وقد شَمل عَمليات الغَزْلِ والنَسيج، حَيث يَدخُل السِحر في الغَزْل والحِياكَة، من خِلال العُقَد المَرْبوطة، فالأعدادُ ضَرورية للنَسْج، وقد يَتَحول تكرَارها إلى نَوعٍ من التَعاويذ. وقد استُخدِمَت التَعاويذ والرقي في طُقوس الولادة عند المصريين القُدماء، " فقد كان الكَهَنة المولدون والكاهِنات المولدات يَلبِسون مَلابِس خاصة، ويُمسِكونَ عِصيَّاً خَشَبيَّة مُعَيَنة، ويَستَعينون بها، حين يَتْلون رُقاهُم لإبعادِ أشباح الشياطين، الذين يتوهموهم مُتَجَمِعين حَول المرأة الحامل؛ لإجهاضِ حَمْلها أو تَأخيره " [5].كما ظهرت عملية ربط العُقد

---

[1] التبريزي: **شرح ديوان عنترة**، ص 52.

[2] الميداني: **مجمع الأمثال**، 28/2.

[3] ينظر: العقاد: **إبليس**، ص 89.

[4] المرجع نفسه، ص 264_265.

[5] الماجدي: **الدين المصري**، ص 233.

المُعقدة ضمن الطُقوس السِحرية الرئيسة التي مارسها السَحَرة في وادي الرافدين، وكانت تُستخدم إضافة إلى وقاية النساء الحوامل، للسيطرة على عدو بِعَقدها، فإذا انفكت العُقد، انكسرت قوة السِحر أو الساحر، فقد جاء في أحد التعزيمات التي أعدت لإبطال السحر (عقدتها انفكت، سحرها قد بطل، وملأت جميع رقاها الصحراء).[1].

كما مارسَ اليونانيون كذلك عَمَلية النَّفْث، ولكن في الأصْدافِ البَحْرية، وهو طَقْس سِحري من طُقوس طَرْدِ الشَيَاطين، يَهْدِفُ إلى إثارة حَماسَة الإله الغافِل، حيث يَتِمُ إحراق البَخور، ويَنْفُخُ في صَدَفة بحْرية كَبيرة، وتَعزِف القيثارة الأنغام، ويُرَتِّل الكُهَّان الأناشيد [2].

وعن التَعَاويذ التي تُعتَبَرُ أحد أهم أركان العَمَل السِحري يقول غليونجي: وكثيراً ما كانت تِلاوة التَعويذة لتَقاليد مُسْتَمَدَة من خَواص الأرقام السحرية (7،4،3)، أو كانت تَقْتَرن بالتَسْبيح على العُقَدِ المَربوطة على الحِبال أو الأقمِشة، أو باستِعمال النبيّذ أو الزُيوت أو الماء المقدَّس، أو بِطُقوس أخرى [3].

ويبدو أن عملية العَقْد كانت تُستعمل في الثقافات القديمة، ضمن الوصفات السِحرية، التي تُسْتَخدم للتغلُّب على مرضٍ من الأمراض، فقد جاء في أحدى الوصفات السحرية المُعدة ضد مرض العَيْنين: " عليك بغزل صوف أسود وصوف أبيض من هذه الجهة، تقوم بربط 7 و 7 عقد؛ ومن ثم تقرأ التعويذة، ثم تربط عقدة الصوف الأسود فوق العَيْن المريضة، وعقدة الصوف الأبيض تربطها على العَيْن السليمة.... [4].

ويقسم حسن بو نوارة النَّفْث إلى قسمين:

الأول: النَّفْث الضار الشرير، وهو ما تَعَرض له النبيّ _عليه الصلاة والسلام _ على يد لبيد بن الأعصم الذي أخرج نفسه مُحَمَّلاً بِبُخار الماء، ونفث إحدى عشرة مرة بنِيَّة إيذاء النبيّ الكريم،

---

[1] ينظر: الماجدي: **بخور الآلهة**، ص 197_200.

[2] صدقة، جان: **رموز وطقوس (دراسات في الميثولوجيا القديمة)**، ط 1، بريطانيا، رياض الريس للكتب والنشر، 1989، ص 36. (صدقة، رموز وطقوس فيما بعد).

[3] غليونجي: **الطب عند قدماء المصريين**، ص 39.

[4] أ. توكاريف، سيرغي: **الأديان في تاريخ شعوب العالم**، ص 347.

وقد كان عِلاج تلك النَّفْثات السَيئة القَصْد، بإحدى عَشرة نَفثة خَيِّرة القَصد، وحَسَنَة التَأثير، وهي الآيات المباركة للمعوذتين، حيث إن هذه الآيات تَنتهي كلها بأحرف يُؤدي نُطقها إلى النَّفْث.

النَّفْثات الطيبة: وهي تلك التي تَصدرُ من النُفوس الطَيبة، ويُرادُ بها الخَير والعَمار، وهي تَنْبَعِثُ من الرجال الصالحين، وتُستَخدَم مُصاحِبةً للرُقْيَة للشفاء [1].

وعن تأثير النَّفْث في دَفعِ المَرض، فقد ربَط الشيخ القيم بين النَفس الطَيبة النافِثة، والشِفاء من المرَض، وتَأثير نَفْثة تَنفثها نَفسٌ خَبيثة، فقال: " النَّفْث والتَفل استعانَة بتِلك الرُطوبة والهَواء، والنَفَس المُباشِر للرُقية، والذِكر والدُعاء، فإن الرَقية تَخرج من قَلب الراقي وفَمه، فإذا صاحَبها شيء من أجزاء باطنه من الريق والهَواء والنَفَس، كانت أتَم تَأثيراً وأقوى فعلاً ونُفوذاً، ويَحصلُ بالإزدواج بَينَهما كَيفية مُؤثرة، شَبيهة بالكَيْفِية الحادثة عند تَركيب الأدوية.

وبالجُمِلَّة: فنفس الراقي تُقابل تلك النُفوس الخَبيثة، وتزيد بكيفية نفسه.وتَستَعين بالرُقْية وبالنَّفْث على إزالة ذلك الأَثَر، وكُلما كانت كَيفية نَفس الراقي أقوى، كانت الرُقْية أتَم، واستِعانَته بنَفْثه كاستِعانة تِلك النُفوس الرَديئة بِلَسْعها "[2].

كما أشار الشيخ القيم إلى وجود النَّفْث كإجراء مُرتَبط بالنَفْس بِشكلٍ خاص عندَ كل من أصحاب النَوايا الطَيبة والخَبيثة، يقول: وفي النَّفْث سرٌ آخر، فإنه مِما تَستَعينُ به الأرواح الطَيبة والخَبيثة، ولهذا تَفعَلهُ السَحَرَة كما يَفعلهُ أهل الإيمان قال تعالى: { ومن شر النفاثات في العقد }، وذلك لأن النَفْس تَتَكَيف بِكَيفِية الغَضَب والمُحارَبة، وتُرْسلُ أنفاسَها سِهاماً لها وتَمُدُّها بالنَّفْث، والتَفْل الذي مَعَه شئٌ من الريق مُصاحِبٌ لكَيفِية مُؤثرة، والسَواحر تَستَعينُ بالنَّفْث استعانَة بَيِّنَة، وإن لم تَتَصِل بجِسم المَسْحور، بل تَنفثُ على العُقْدَة وتَعقِدها، وتَتَكَلَّم بالسِحر، فيَعمَل ذلك في المَسحور بتَوَسُط الأَرواح السُفْلية الخَبيثة، فتُقابِلها الروحُ الزَكية الطَيبة بكَيفِية الدَفْع والتَكَلُّم بالرُقية، وتَسْتَعين بالنَّفْث، فأيُهما قَوِيَ كان الحُكْمُ له، ومُقابَلة الأرواح بَعْضَها لبَعْض، ومُحَارَبتها وآلتها من جِنس مُقابلة الأجسام ومُحارَبتها وآلتها سواء، بل الأصل في المُحاربة والتَقابُل

---

[1] حسن علي عبد الحميد : النفث , http://bafree,net

[2] الزرعي، محمد بن أبي بكر أيوب: **زاد المعاد في هدى خير العباد**، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، ط 14، بيروت، الكويت، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، 1986، 164/4.(الزرعي، زاد المعاد فيما بعد).

للأرواح والأجسام آلتها وجُندها، ولكن من غَلبَ عليه الحِس، لا يَشْعُر بتَأثيراتِ الأرواح وأفعالها وانفِعالاتها، لاستيلاءِ سُلطان الحِس عليه، وبُعْدهِ من عالم الأرواح وأحكامها وأفعالها.

والمقصود: أن الروح إذا كانت قَوِيَّة، وتَكَيَّفت بِمَعاني الفاتِحة، واستَعانَت بالنَّفْث والتَفْل، قابلت ذلك الأَثر الذي حَصَلَ من النُفوسِ الخَبيثة فأزالَته، والله أعلم [1].

نُلاحظ مما سَبَق أن عَملية النَّفْث طَقسٍ عِلاجِي، اقتَرنَ أحياناً بالسِحْرِ والشَعوَذَة، وذلك عند أصحاب النُفوس الخَبيثة، التي تَسْعى دَوماً للإضرار بالغَير، كما اعتُبِرَت من جِهةٍ أخرى عِلاجاً لصَدِ فِعل أولئك السَحَرَة، وذلك حينما استُخدِم كَوسيلة مُصاحِبة للرُقية، وعندما كان صادراً عن أصحاب النَوايا الطَيبة، وبذلك كان النَّفْث سِلاح ذا حَدين، ومن هنا خاطب القرآن الكريم المُجتَمَع الجاهلي، من صُلبِ ثَقافَتهم، ووسائِلهم الطِبِّيَة والوِقائِّية.

كذلك فإننا حتى في الوقتِ الحاضِرِ نَسْتَخدمُ النَّفْث بطَريقةٍ عَفْويَة، قد يُدركُ البَعض خَلَفياتها، ويُمارِسَها الآخرون بِناء على تَقليدٍ تَوارَثوه، ولاحظوا مُمارَسَته من آبائهم إذ إننا وبعد الانتهاء من تِلاوتنا بعَضِ آياتِ القرآن الكريم، أو الأدعِيَة المأثورة نَقومُ بِمَسحِ أيدينا على أجسادنا، رُبما لإحلال البَركة الناتجة من تِلاوة تِلك الآيات أو الأدعِية.

سفع النَّاصِيَة

النَّاصِيَة: شَعر مُقَدَّم الرَّأس[2].

قال تعالى: **" لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ "** (العلق|15)، وقيل مَعنى السَّفْع ههنا: إذلاله وقهره [3]. (سفع): السَّفْعةُ والسَّفْع السَّوادُ والشُّحُوبُ، وقيل نَوْع من السَّواد لَيس بالكَثير، وقيل السَواد مع لَون آخر؛ ومِنه قيل للأَثافي سُفْعٌ، وهي التي أُوقِدَ بَينها النار فسَودَت صِفاحَها التي تَلي النار[4]. قال زُهير:

---

[1] المرجع نفسه، 164/4.

[2] الثعالبي: **فقه اللغة**، 356/1.

[3] السهيلي: **الروض الأنف**، 144/1.

[4] ابن منظور: **اللسان**، مادة (سفع).

(الطويل)

أَثــافِيَّ سُــفعاً فــي مُعَــرَّسِ مِرجَــلٍ وَنُؤيــاً كَجِــذمِ الحَــوضِ لَــم يَتَــثَلَّمِ[1]
يَتَــــــــــــــثَلَّمِ[1]

ذكر المُفَسرون أن السَّفْع هنا: الجَذب والقَبَض على الشيء، وقيل هو الإحراق من قَولك سَفَعَتْهُ النار[2]. ورأى بعض المُفَسرين أن سَبَب ذِكر النَّاصِيَة، بأنه أطلق النَّاصِيَة وأراد صاحِبِها، صاحِبِها، على أسلُوب إطلاق البَعْض وإيراد الكُل [3].بينما ذكر آخرون أن وَصْف النَّاصِيَة بما ذُكِر، مع أنه صِفَة صاحِبِها؛ للمُبالَغة حَيث يَدُل على وَصفه بالكَذِب والخَطَأ بطَريق الأولى، ويُفيد أنه لشِدة كَذِبه وخَطَئه، كأن كل جُزء من أجزائه يَكذِب ويُخْطِئ [4].

وفي الحديث: " أَنا وسَفْعاءُ الخدَّيْنِ الحانِيةُ على ولدها يومَ القيامة كَهاتَيْنِ " [5]، وضَمَّ إِصْبَعَيْه أَراد بسَفْعاءِ الخدَّيْنِ امرأَة سوداء عاطِفَة على وَلَدها، أَراد أَنها بَذَلَت نَفسها، وتَرَكت الزينة والترَفُّه، حتى شَحَبَ لَونها، واسودَّ إِقامة على وَلَدها بعد وفاة زَوجها. وسَفَعَتْهُ النارُ والشَمسُ والسَّمُومُ تَسْفَعُه سَفْعاً فَتَسَفَّعَ، لَفَحَتْه لَفْحاً يَسيراً، فغَيَرَّت لَون بَشَرته وسَوَّدَتْه، والسَّوافِعُ لَوافِحُ السَّمُوم وهي رَمادٍ أَو قُمامٍ مُلْتَبد، تَراه مُخالفاً للَونِ الأَرض، وفي الحديث: ليصيبن أَقواماً سَفْعٌ من النار أَي عَلامَة تَغير أَلوانهم يقال: سَفَعْتُ الشيءَ إِذا جعلت عليه عَلامة، يُريد أَثراً من النار[6]. ولم يَقْتَصِر مَعنى السَّفْع على تَغَير لَون الوَجه واسوِداده، بل حَمَل كذلك مَعنى الضَرْب واللَطْم، وجاء منه سَفَعَ الطائِرُ ضَرِيبَتَه وسافعَها لَطَمَها بجَناحِه، والمُسافَعَةُ المُضارَبةُ كالمُطارَدَةِ، ومِنه قَول الأَعشى:

(المتقارب)

يُســــــافِعُ[7] وَرْقـــــاءَ غَوْرِيّــــــةً لِيُــــدْرِكُها فـــي حَمـــامٍ ثُكَـــنْ[1]

---

[1] زهيرُ بن أَبي سُلمى: **الديوان**، ص 65.
[2] الكلبي: **التسهيل لعلوم التنزيل**، 209/4.
[3] الشنقيطي: **أضواء البيان**، 28/9.
[4] الألوسي: **روح المعاني**، 187/30.
[5] الشيباني: **مسند أحمد بن حنبل**، 29/6.
[6] ابن منظور: **اللسان**، مادة (سفع)
[7] يسافع: أي يضارب.

أَي يُضارِبُ، وثُكَنٌ جماعاتٌ، وسَفَعَ وجهَه بيده سَفْعاً لَطَمَه، وسَفَع عُنُقَه، ضربها بكفه مَبسوطة. ويروى لجنادة بن عامر :

(الوافر)

كــأَنَّ مُجَرَّبــاً مِــنْ أُسْــدِ تَــرْجٍ يُســافِعُ فارِسَــيْ عَبْــدٍ سِــفاعا[2]

ويحمل السَّفْع مَعنى الضَرب والشدّ، يقال: سَفَعَ بناصيته، ورجله يَسْفَعُ سَفْعاً، جَذَب وأَخَذ وقَبَضَ، قال الأَزهري: فأَما من قال لنَسفَعنْ بالنَّاصِيَة، أَي لنأْخُذنْ بها إِلى النار فحُجَته قول حميد ابن ثَور الهلالي:

(الكامل)

قَــومٌ إِذا سَــمِعُوا الصَّــرِيخَ رأَيْــتَهُم مِنْ بَــيْنِ مُلْجِــمِ مُهْــرِهِ أَو ســافِعِ[3]

أَراد، وآخِذٍ بناصيته. وجاء أيضاً من مَعاني السَّفْع إصابة العَيْن فقال المُعجَميون: السَّفْعةُ العَيْن، وامرأَة مَسْفُوعةٌ: بها سَفْعة أَي إِصابَة، ويقال به سَفْعَة من الشَيطان، أَي مَسٌّ كأَنه أَخذِ بناصِيَتِه، وقيل السَّفْعةُ العَيْن والنَّظْرة، والسَّفْعةُ والشُّفْعةُ، بالسين والشين الجِنّون، ورجل مَسْفوع ومَشْفوع أَي مَجْنون.

وكان شَد النَواصِي أحَد التَقاليد المُتَبَعة تِجاه من يَتِم الرَغْبة في إذلاله والسُخْرية مِنه، فكانَت العَرَب إذا أَسَروا شَريفاً، خَيَّروه بَين الأَسر، وجزِّ النَّاصِيَة، فإن اختار النَّاصِيَة جَزّوها، وجَعَلوها لَدَيْهم يَتَفاخَرون بها ثم أطلقوه، ولا تجزُّ ناصِية المُلوك لِما في ذلك من المَهانَة، وها هي الخنساء تَفخَر أن قَومها مِمَن يَجُزون نَواصِي الفُرْسان، تقول:

(المتقارب)

جَزَزنــــا نَواصِــــيَ فُرســــانِها وَكــــانوا يَظُنّــــونَ أَن لا تُجَــــزّا
وَمَــن ظَــنَّ مِمَّــن يُلاقــي الحُــروبَ بِــأَن لا يُصــابَ فَقَــد ظَــنَّ عَجــزا[1]

---

[1] الأعشى: **الديوان**، ص 167.

[2] ابن منظور: **اللسان**، مادة (سفع).

[3] حميد بن ثور الهلالي: **الديوان**، تحقيق عبد العزيز الميمني، د ط، الدار القومية للطباعة والنشر، ص 111. (حميد الهلالي: الديوان فيما بعد).

وأعتقد أن ذِكر النَّاصيَة في القُرآن الكريم، إنما كان لحِكمَة مُعَينة، تستند إلى ثَقافة مُتعارف عليها بين العَرَب في العَصْر الجاهلي، مفادها أن النَّاصيَة من الإنسان جُزء مُهِم يُشير إلى العِزة، خاصة إذا علمنا أن النَّاصيَة في كلامهم هي مَنْبت الشِّعْر في مُقَدَّم الرأس، لا الشِّعْر الذي تُسَميه العامة النَّاصِيَة، وسُمِّي الشَعر ناصِية لنَباته من ذلك المَوضع [2].

كما أن استخدام هذا اللفظ الشَديد المُصور بجرسه لمَعناه، أوقع من مُرادفه: لنَأخذ بِشدة، ولنَسفَعن بالنَّاصِيَة، صورة حِسية للأخذ السَريع الشَديد، ومن أعلى مَكان يَرفعه الطاغية، من مُقدم الرأس المُتشامخ، وقيل في قوله تعالى: " لنسفعن بالنَّاصِيَة " أي لنُسَوِّدن وَجهه بِكَفْتِ النَّاصِيَة؛ لأَنها في مُقدَم الوجه، ومن الواضِح أن عَملية جزّ النَواصي في الحُروب كانت من الأُمور المَعهودة، والتي يَتَفاخر بها القوم بَعضهم على بعض، وها هو بِشر بن أبي خازم يتحدث عن ذلك:

(الوافر)

فَـــإِذ جُـــزَّت نَواصـــي آلِ بَـــدرٍ[3]   فَأَدّوهـــا وَأَســـرى فـــي الوَثـــاقِ[4]

تقول أم قيس الضَّبِّيَّة:

(البسيط)

وَمَشْـــهَدٍ قَـــدْ كَفَيْـــتَ الغَـــائبينَ بِـــهِ   في مَجْمَـــعٍ مِـــنْ نَواصِـــي النَّـــاسِ مَشْـــهُود[5]

ومنه قول مُحْرِز بن مُكَعْبَرٍ الضبي بن المُكَعبِر الضَّبِّيَّ[6]:

---

[1] الألوسي: **بلوغ الأرب**، 15/3.

[2] ابن منظور: **اللسان**، ماة (نصا)

[3] آل بدر: هم بنو بدر بن فزارة، والسبب في قول البيت أن قوما من آل بدر الفزاريين جاءوا بني لآم من طيئ، فأسـرتهم طيئ، وجزوا نواصيهم، وقالوا مَنَنا عليكم، ولم نقتلكم، فغضِب بنو فزارة لذلك، فانتصَر لهم بشر للحِلف الذي كان بيـنهم وبين بني أسد قومه.

[4] بشر بن أبي خازم: **الديوان**، ص 165.

[5] أبو تمام: **ديوان الحماسة**، 438/1.

[6] مُحْرِز بن مُكَعْبَرٍ الضبي بن المكعبر الضَّبِّيَّ: من ولد بكر بن ربيعة بن كعب بن ثعلبة بن سعد بن ضبة بن أد بن طابخة ابن الياس بن مضر، للمزيد، أنظر: المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى: **معجم الشِّعْراء**، تحقيق عبـاس هاني الجراح، د ط، بيروت، دار الكتب العلمية، 2010،11 /103. (المرزباني، معجم الشِّعْراء فيما بعد).

(الطويل)

إذا كُنتَ فــي أفنــاءِ شَــيبان مُنعِمــاً   فجُــزَّ اللِّحــى إنَّ النَواصِــيَ تُكفَــرُ[1]

ومن الأخبار التي تُشير إلى ماهية النَّاصِيَة وأهميتها في تَفْكيرهم ما ذكره ابن كثير في البِداية والنهاية من القَسم الذي أقسَمه النجاشي مَلك الحَبشة عندما اعتَدى أبرهة على أرياط، وكان النجاشي قد بعث بِهما إلى اليمن، حيث إنه لما بَلغ الخَبَر إلى النَجاشي ملك الحبشة الذي بعثهم إلى اليمن غضب غضباً شديداً على أبرهة وقال عدا على أميري فقَتله بغير أمري ثم حلف لا يدع أبرهة حتى يَطأ بلاده، ويَجز ناصِيته فحلَق أبرهة رأسه ومَلأ جراباً من تُراب اليَمن ثم بَعَثَ به إلى النَجاشي، ثم كتب إليه أيها المَلِك إنما كان أرياط عَبدك وأنا عبدك، فاختلفنا في أمرِك، وكل طاعته لك، إلا أني كُنت أقوى على أمرِ الحَبَشة، واضبط لها وأسوس منه، وقد حلَقت رأسي كله حين بلَغني قَسَم المَلِك، وبَعَثْت إليه بِجراب تُراب من أرضي، لِيَضَعه تَحْت قَدمه، فيبر قَسَمه في، فلما انتَهَى ذلك إلى النَجاشي رضي عنه وكتب إليه أن أثبت بأرض اليمن حتى يَأتيك أمري، فأقام أبرهة باليمن [2].

كذلك فقد كان من تقاليد الثَأر وعاداته، جَزّ ناصية الفَرَس، وهَلَب ذَنبها، وهذا ما حدث مع الحارث بن عباد، عندما أرسل إلى المُهَلْهِل، وقال له: إن كنت قتلت بُجيراً بكليب، وانقطَعَت الحَرب بَينكم، وبين إخوانكم فقد طابَت نَفسي بذلك، فأرسل إليه مُهلهل إنما قتلت بشسع نَعل كليب، فغضِب الحارث بن عباد، ودعا بفَرسه وكانت تُدعى النعامة فجزّ ناصيتها وهَلب ذنبها وكان أول من فعل ذلك من العَرَب، فاتخذته العَرَب سُنَّة إذا قُتِل لأحدهم عزيز، وأراد أن يأخذ بِثأره ففَعل بفَرسه، مثلما فَعل الحارث بن عباد [3].

أما المُهَلهِل واسمه عدي و قيل امرؤ القيس، وهو خال امرئ القيس بن حجر الكندي، وإنما لُقب مهلهَلاً؛ لأنه أول من هَلهل الشِّعْر وقَصَدت القَصائد، وأول من كَذب في شِعره، فإنه لما صحا لم يرعه إلا النساء يَصرُخن، ألا إن كُليباً قتل، ثم انطلق إلى المَكان الذي قُتل فيه كليب فرأى دمه، وأتى قبره فوقف عليه، ثم جزّ شعره، وقصر ثوبه، وهجر النساء، وترك الغزل،

[1] الأندلسي، أحمد بن محمد بن عبد ربه: **العقد الفريد**، ط 3، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العَرَبــي، 1999، 176/5. (الأندلسي، العقد الفريد فيما بعد).

[2] ابن كثير: **البداية والنهاية**، 169/2.

[3] ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، 420/1_421.

وحرم القِمار والشَراب، وجمع إليه قومه، وأرسل رِجالاً منهم إلى بني شيبان، فأتوا مرة بن ذهل ابن شيبان وهو في نادي قَومه، فقالوا له: إنكم أتَيتُم عَظيماً بقَتلكم كليباً بناقة، وقطَعْتَم الرَحم، وانتهَكتم الحُرمة، وإنا نعرض عليك خِلالاً أربعاً، لكم فيها مَخْرج، ولنا فيها مَقْنع، إما أن تُحْيي لنا كُليباً، أو تدفع إلينا قاتِله جساساً، فنقتله به، أو هَماماً فإنه كُفء له، أو تُمَكِّنُنا من نَفسك، فإن فيك وفاء لدَمه [1].

وتذكر ابتسام أبو الرب أن هُنالك ارتباطاً بين عادة نَتْف الشَّعْر أو قَصه (عادة قديمة مارَسَها العَرَب في الجاهِلِيَّة وتَمَسكوا بها) وبين بعض الجُذور الأسطورية، حيث كانوا يُقَدِّمون الشِّعْر إكراماً وتعظيماً لشَأن الأرباب، ويَرمون به أمام الأصنام تَعظيماً لها [2]. حيث إنه عند حلَق الشَّعْر أو تَقصيره، يرتبط الإنسان الحَيّ بالمَيت برابِطة قَويّة، ومن هنا كان الجاهليون يَجُزون ناصِية الأسير وبخاصة إذا كان من المُلوك أو الأمراء، لأنها تُشكِّل مِنطَقة القُوَّة والنُّفوذ لديَه [3].

وهذا ما حصل مع اليَربوعيين حين وَردوا الماء على بَكر، فوَثبوا عليهم فلم يَتركوا في لِحاهُم شَعرة إلا نَتَفوها، وقال لهم اليربوعيون " إنا تَحَرمنا بطَعامكم يا بكر بن وائل" [4].

وعن أهمِيَّة الرأس فقد ذكر صموئيل كريمر أن أهل الشَرق القديم كانوا قد اعتادوا قَطْع الرُؤوس والأيدي؛ كي يَحْصُلوا ويَفخَروا بضَحاياهم من قَتلى المَعارك، فكانَت الرُؤوس والأيدي رُموزاً للنَصْر[5].

وجاء في نسخة العهد الذي بعثه النبيّ _ عليه الصلاة والسلام_ ما نَصه:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ إذ سألهُ سلمان وصية بأخيه ماهاذرفروخ، وأهل بيته، وعقبه من بعده،، وجاء فيه " فمَن قُرئ عليه

---

[1] المرجع نفسه، 415/1_416.

[2] ينظر: علي، جواد:**المفصل**، 161/5_165.

[3] أبو الرب، إبتسام نايف: **رسالة صور الحرب وأبعادها الأسطورية في الشِّعْر الجاهلي**، إشراف إحسان الـديك، 2006، ص 35. (أبو الرب، صور الحرب فيما بعد).

[4] جاد المولى،محمد أحمد وآخرون: **أيام العَرَب في الجاهِلِيَّة**، بيروت، دار الجيل، 1981، ص 222. (جاد المولى، أيـام العَرَب فيما بعد).

[5] كريمر، صموئيل نوح: **أساطير العالم القديم**، ص 173.

كتابي هذا من المؤمنين والمؤمنات، فعليه أن يَحْفظهم، ويُكْرِمَهُم، ويَبَرّهم، ولا يتَعَرض لهُم بالأذى والمَكروه، وقد دَفَعْت عنهم جَزّ النَّاصيَة، والجِزية، والحَشر والعَشر، وسائِر المُؤَن والكلف ثم إن سألوكم فأعطوهم، وإن استَغاثوكم فأغيثوهم، وإن استَجاروا بكم فأَجيروهم...[1].

وجاء في المُستطرف قولهم: " يا مبارك النَّاصِيَة " [2]. وفي هذا إشارة إلى أن النَّاصِيَة مِثلما كانت وسيلة للإذلال عِند العَرَب، استُخدِمَت كذلك في المَدح والدعاء؛ إذا أرادوا الدُعاء أو مَدح شَخص له مَنْزِلته بِنَظَرِهِم.

الأمثال

المَثَلُ الشيء الذي يُضرَب لشيء مثلاً فيجعل مِثْلَه [3]. ذكر ابن منظور في مادة ضَرَب: أن ضَرْبُ الأَمْثالِ وهو اعْتبارُ الشيء بِغيره وتمثيلُه به [4]. كما توزع معنى كلمة المَثل على المَعاجم اللُغوية بين ما هو مَحسوس وما هو مُجَرد، إذ قال المُعجميون عن المثل: " هو الشَبه والنَظير، والتَسوية والمُماثلة، والصِفة، والنِدّ، والعُقوبة والتَنكيل، والفِراش، والمِقدار، والوَصف والإبانَة.... " [5].

يُعدّ أسلوب المثل من أبرَز الأساليب ذات التَأثير الشَديد في النَفْس، بما يَسْتَحضِره من مَواقِف وما يجَسِّده من مبادئ وقيم، والمَثل هو " قول مَحكي سائِر، يُقْصَد به تَشبيه حال الذي حُكي فيه بحال الذي حكي لأَجله " [6]. كما يعد من قَبيل القِياس العَقلي الذي يُقدِّمه المُتكلم ليُدلِّل على الشيء المُراد التَصديق به، وأكثر ما كان المُراد في القرآن هو إثبات عَقيدة التوحيد، التي تمثل الأس الذي تَنطَلق منه مَوضوعات الخِطاب العَقلي ومُستوياته [7].

---

[1] ابن حيان الأنصاري: **طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها**، ط 2، تحقيق عبد الغفور البلوشي، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1992، 232/1.

[2] الأبشيهي: **المستطرف**، 382/1.

[3] ابن منظور: **اللسان**، مادة (مثل).

[4] المرجع نفسه، مادة (ضرب).

[5] ابن دريد: **جمهرة اللغة**، مادة (مثل)، والأزهري: **تهذيب اللغة**، مادة (مثل)، ابن فارس: **معجم مقاييس اللغة**، مادة (مثل)، والزمخشري: **أساس البلاغة**، مادة (مثل).

[6] القطان: **الشريعة والفقه في الإسلام**، بيروت، مؤسسة الرسالة، د ت، ص 282.

[7] القضاة، فريال محمد: **الخطاب العقلي في القرآن الكريم (دراسة في علم تحليل الخطاب)**، ط 1، دار العالم العَرَبي للنشر للنشر والتوزيع، دبي، 2009، ص 145.(القضاة، الخطاب العقلي فيما بعد)

وما من شَك أن للأمثال مَكانة بارزة في سِياق الكَلام، وإني لأراها دُرّةٍ جَميلة يَكتَمِل عِقد الكلام بها، وليس ذلك على صَعيد الشَكْل فَحَسب؛ بل تَتعدى أهمية الأمثال إلى أبعد من ذلك، فهي تُساعِد على اكتِمال المُراد من الكلام، وتَوصيلِه إلى لُبّ الآخر بأيسَر الطُرق.

وعن أهميّة الأمثال وفَرط الحاجَة إليها يقول العسكري: " ثم إني ما رأيت حاجَة الشَريف إلى شيء من أدبِ اللسان بعد سَلامَته من اللحْن، كحاجَته إلى الشاهِد والمَثل والشذرة، والكَلمة السائرة؛ فإن ذلك يَزيد المَنطِق تَفخيماً، ويُكْسِبه قُبولاً، ويَجْعل له قَدْراً في النُفوس، وحَلاوَة في الصُدور ويَدعو القُلوب إلى وَعيه، ويَبعثها على حِفظه، ويأخذها باستِعداده لأوقات المُذاكرة، والاستِظهار به أوان المُجاولة في مَيادين المُجادلة، والمُصاولة في حَلبات المُقاولة، وإنما هو في الكَلام كالتَفصيل في العقد والتَنوير في الروض والتَسهيم في البُرد، فيَنبَغي أن يَستكثر من أنواعه؛ لأن الإقلال منها كاسمه إقلال، والتَقصير في التماسه قُصور، وما كان منه مثلاً سائراً فمَعرِفته ألزَم لأن مَنفعته أعَم والجَهْل به أقبَح" [1]. ولقد كانت الأمثال جِسْراً مَتيناً وصَلنا من خِلاله كل ما اتَسَم به العَرَب من حِكْمة كانت نِتاج تَجاربهم في الحَياة وفَلسَفَتِهم [2].

ويَخْلصُ الترمذي إلى القول إن " الأمثال نموذجات الحِكمة، لِما غاب عن الأسماع والأبصار؛ لتَهدي النُفوس بما أدركت عَياناً، فمن تدبير الله لعباده، أن ضَرَب لهم الأمثال من أنفسهم لحاجتهم إليها؛ ليَعقلوا بها، فيُدركوا ما غاب عن أبصارهم وأسماعِهم الظاهِرة، فمن عَقِل الأمثال سَمَّاه الله تعالى في كتابه عالِماً [3] لقوله تعالى: **" وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون "** (العنكبوت|43).فالمثل محفِّز على النظر, وباعث على التأمل والتفكير .

أي هذه الأمثال، وهي الأشباه والنَظائر نَضرِبها للناس يقول: نُمثلها ونُشَبِّهها ونحتج بها للناس [4]، كما قال الأعشى:

---

[1] العسكري: **جمهرة الأمثال**، 4/1.

[2] ينظر: الساعاتي، حسن: **حكمة لبنان (تحليل اجتماعي لأمثالــه)**، ط 1، بيــروت، دار النهضـــة العَرَبيـــة، 1980، ص 11_13. (الساعاتي، حكمة لبنان فيما بعد).

[3] الترمذي، أبو عبد الله محمد بن علي الحكيم: **الأمثال من الكتاب والسنة**، تحقيق السيد الجميلي، د ط، بيــروت، دمشــق، دار ابن زيدون، دار أسامة، د ت. 14/1. (الترمذي، الأمثال فيما بعد).

[4] الطبري: **تفسير الطبري**، 154/20.

(المنسرح)

هـــل تَـــذْكُرُ العهـــدَ فـــي تَلَمُّـــصَ إذْ تَضْـرِبُ لـــي قاعـــداً بهـــا مَـــثلا[1]
مَــــــــــــــــــــــــثلا[1]

"وما يعقلها إلا العالمون ": أي وما يعقل أنه أصيب بهذه الأمثال التي نَضْربها للناس، منهم الصَواب والحَق فيما ضُربت له مَثَلاً إلا العالمون بالله وآياته [2].

وقد كانت كتب الأمثال، وما زالت أحد أهم المَصادِر التي نَلْتمس من خلالها صُور الحياة الجاهِلِيَّة؛ لأن الأمثال تَبقى المادة الأقرَب إلى الحَياة، كما تَبقى في الوقت عَينه المادة الأبعَد عن عَبث العابثين، أي أنها تُشَكل مَصدر ثِقة لا بأس به [3].

ويلخص إبراهيم النظّام[4] الصِفات التي يَستَأثِر بها المَثَل دون سائِر أنواعِ الكَلام قائلاً:" قائلاً:" يَجتَمِع في المَثَل أربَعة لا تَجْتَمِع في غَيره من الكلام: إيجاز اللَفظ، وإصابَة المَعنى، وحُسن التَشبيه، وجَودَة الكِناية؛ فهو نِهاية البَلاغَة "[5].

وللأمثال في حياة الشعوب بُعدان: بُعد سُكوني وبُعد مُتَحرك، وكلاهما مُرتَبط بالآخر أيَّما ارتباط، البُعد الأول: تَبدو الأمثال مرآة الشُعوب التي تَرتَسم فيها تَجاربها، وصفوة جزء كبير من حَضارتها، أما البُعد الثاني: فنرى الأمثال ليست مُتَلقِّياً فحَسب، بل تَغدو قُطباً فاعِلاً في حياة الناس، وفي كثير من المُجتمعات والحقب التاريخية تصادر الأمثال دور الأيدولوجيا، وتدخل في عمق الأنا الأعلى للفرد، وللجماعة، وتُوَجِّهها كما تشاء [6].

إن من يَقرأ كتاب الله _عزَّ وجلّ _ يَلمس بِشَكل واضِح مَدى استخدامِه للأمثال، وتَوظيفه لها في غير مَوضع، وذلك بضرب أمثلة تَرتبط بوضوح بحَياة العَرَب في الجاهِلِيَّة،

---

[1] الأعشى: **الديوان**، ص 138.

[2] **تفسير الطبري**، 144/10.

[3] ينظر: توفيق أبو علي، محمد : **الأمثال العَرَبية والعَصْر الجاهلي**، ط 1، بيروت، لبنـــان، دار النفـــائس، 1988، ص 8. (توفيق أبو علي، الأمثال العَرَبية فيما بعد).

[4] إبراهيم النظّام: هو إبراهيم بن سيار أبو إسحاق النظام، ورد بغداد وكان أحد فرسان أهل النَظر والكلام علـــى مـــذهب المُعتزلة، وله في ذلك تصانيف عدّة، وكان أيضا مُتأدبا وله شِعر دقيق المعاني على طريقة المُتَكلمـــين. للمزيـــد أنظـــر: الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد**، د ط، بيروت، دار الكتب العلمية، د ت، 97/6.(الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد فيما بعد).

[5] الميداني: **مجمع الأمثال**، 6/1.

[6] أبو علي، محمد توفيق: **الأمثال العَرَبية والعَصْر الجاهلي (دراسة تحليلية)**، ص 7.

وتُحاكي ثقافتهم الشائعة آنذاك. وقد فسرّ المَثل في القُرآن الكريم " بخَمسة أوجه: بالشَبَه، والسيرة، والعِبرة، والعَذاب، والوَصْف " [1].

ومن أغراض المَثَل في القُرآن الكَريم: إبراز المَعقول في صورة مَحسوسة. ومَدح المُمَثَل، أو ذَمه وتَحْقيره.إضافة إلى إبراز الأدلة العَقْلية، وفَتح مَجال التَفْكير والتَأمُل، وُصولاً للحَقيقة. وكذلك التَشويق والتَرْغيب في الأُمور الحَسَنة، إضافة إلى الإيمان باليَوم الآخر والإيمان بالقَدَر [2]. وهذا ما سنلحظه في الآيات الكريمة الآتية:

قال تعالى: " وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَاذَا الْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُمْ بِأايَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُبْطِلُونَ " (الروم|58)

" مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَى شَىْءٍ ذالِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذالِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ " (ابراهيم|18_20)

"تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون " (ابراهيم|25)

" فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ " (الأعراف|176)

ومن الأدلة على اعتماد الأمثال في القرآن الكريم وسيلة من وسائل القياس العقلي، اقتران المثل مع عدد من الصيغ العقلية واشتقاقاتها، كقوله تعالى: يعقِلون [3]، ويتفَكرون [4]، ويتَذكرون [5]، ويَعلَمون [6].

وإن في كَثْرة استخدام الأمثال في القرآن الكريم، ما يُدَلِّل على اهتِمام العَرَب بها. فهي من صُلب ثقافتهم الحياتية، التي غذّتها ظروف حياتهم اليَومية، وأثراها طول تَجاربهم، وفَلسفتهم

[1] مرسي، محروس سيد: **التربية والعقيدة في السور المكية**، مجلة كلية التربية، أسيوط، مصر، ع 6، مج 1، يناير، 1990، ص 339. (مرسي، التربية والعقيدة فيما بعد).

[2] ينظر: مرسي، محروس سيد: **التربية والعقيدة في السور المكية**، ص 340.

[3] ينظر: **العنكبوت**/43، **والروم**/28.

[4] ينظر: **الأعراف**/176، **يونس**/24، **والحشر**/21.

[5] ينظر: **هود**/24، **إبراهيم**/24_26، **الزمر**/**27**.

[6] ينظر: **الزمر**/29، **النحل**/76/75/74، **العنكبوت** /43/41.

للأمور، وعلى الصَعيد الآخر استَطعنا من خلال تلك الأمثال المَطروحة في القرآن الكريم استشفاف المزيد من صور حياتهم، فعرَفنا مَثلاً أدوات الكِتابة عند الجاهليين، حيث جاء ذكرهم للأحجار التي كانوا يَكتِبون عليها (أبقى من وحي في حجر) [1]، وكذلك الصحائِف (صَحيفة المتلمس) [2]. ولم يكن النطق بالأمثال في العَصْر الجاهلي إلا لمن امتلك الملكات العقلية التامة والبلاغة، فجاء المثل على ألسنة أرباب الكلام كالشِّعْراء والخُطَباء والكهَّان، وفُصحاء الأمة، وحُكَمائها.

كثيرة هي المواضع والآيات التي ذكرت فيها الأمثال وضربت، ومن تلك الأمثلة قوله تعالى:" **وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَ يْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ** " (النحل |91_92). لقد فسر الفرّاء الآية الكريمة مُعتَمِداً ومُوظِفاً للمَوروث القَصصي الجاهلي؛ للتَعْبير عما يَحمله من مَبادئ وتعاليم إسلامية، ذلك أن الفراء يرى أن المَوروث الجاهلي يَملك أن يُزودنا بِمفاتيح للمَعاني [3] _وهذا ما لمسته بشدة من خلال قراءتي للقرآن الكريم وبعض تفاسيره، مَسبوقاً باطلاع على الحياة الجاهِلِيَّة وصورها المختلفة _؛ فقِصَة السَيدة التي كانَت تغزل صوفها ثم تَنْقضه نَكْثاً ، وهي قِصة مَعْروفة في المَوروث القَصَصي الجاهلي، جاءت في سِياق تَثبيت مَبدأ أخلاقي ركَّز عليه الإسلام ودَعا إليه، وهو الوَفاء بالعُهود. يقول الفرّاء: إن هذه المَرأة كانت تَغْزِل الغَزْل من الصوف، فتَبرمه ثم تَأمر جارية لها بنَقْضهِ، ويقال إنها تُدعى ريطة [4].

وعندما أراد سبحانه وتَعالى أن يُصوّر للكُفار وهَن دينهم الذي هم عليه (وهو عبادة الأوثان)، ضَرب لهم مَثلاً مَلموساً، يرونه بعُيونهم، ويَعون كُنهه، شبه لهم أعمالهم ببَيت العَنكبوت الواهي الذي لا يَقي شيئاً، فقال عزَّ وجلّ: **" مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا**

---

[1] الزمخشري: **المستقصى**، 27/1.

[2] الميداني: **المجمع**، 399/1.

[3] ينظر: شهيد، علاء عبد الأمير: **رسالة أثر السياق في توجيه المعنى في كتاب (معاني القرآن) للفراء**، إشـــراف جـــواد كاظم عناد، كلية الآداب، جامعة القادسية، 2007، ص 52_57. (شهيد، أثر السياق في توجيه المعنى فيما بعد).

[4] الفراء: **معاني القرآن**، 112/2_113.

يَدْعُونَ مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ " (العنكبوت |41). فقد شَبَّه الله الذين اتخذوا من دونه أولياء بالعَناكِب الضَئيلة الواهِنة التي لَجأت إلى بَيت كَبَيْت العَنكَبوت الذي هو أضأَل وأوهَن، فَضافوا إلى وهَنهم وضَعفهم ضَعفاً.

ويُشير المُفَسرون إلى أن الغَرض من استِخدام هذا المَثَل، هو تَشبيه ما اتَخَذوه مُتَكلّاً ومُعْتَمَداً في دينهم، وتولوه من دون الله بما هو مثل عند الناس في الوَهن وضَعْف القوّة وهو نَسْج العنبكوت [1]. أما عن حِكْمة اختيار هذا المَثَل (بيت العَنكبوت) خاصة، ودون سائِر الأمثال فيَرُون "أن له وجوهاً مُتَعَدِدة منها: الأول أن البَيت يَنبَغي أن يكون له أُمور حائِط حائِل, وسَقف مُظِّل، وباب يُغلَق، وأمور ينتفع بها ويرتفق، وإن لم يكن كذلك فلا بد من أحد أمرين: إما حائِط حائل يَمنُع من البَرْد، وإما سَقف مُظل يَدفَع عنه الحرّ، فإن لم يَحصل منهما شيء، فهو كالبَيداء، ليس بِبَيت؛ لكن بَيت العَنْكبوت لا يجنها ولا يكنها، وكذلك المَعبود يَنبغي أن يكون منه الخَلق، والرزق وجر المَنافِع، وبه دَفع المَضار، فإن لم تَجْتمع هذه الأمور، فلا أقل من دَفع ضَر، أو جر نَفْع، فإن من لا يكون كذلك فهو والمَعْدوم بالنِسبة إليه سَواء، فإذن كما لم يَحصُل للعَنْكَبوت باتخاذ ذلك البَيت من مَعاني البَيت شيء، كذلك الكافِر لم يَحصُل له باتخاذ الأوثان أولياء من مَعاني الأولياء. شيء ثانٍ: هو أن أقل درجات البَيت أن يَكون للظل فإن البَيت من الحَجَر يُفيد الاستِظلال، ويَدفع أيضاً الهَواء والماء والنار والتُراب، والبَيت من الخَشَب يُفيد الاستِظلال، ويَدفَع الحَر والبرد، ولا يَدفع الهواء القَوي ولا الماء ولا النار، والخِباء الذي هو بَيت من الشِّعْر، أو الخَيْمة التي هي من ثَوب إن كان لا يَدفَع شَيئاً، يُظِلُّ ويَدفَع حَرّ الشَمس؛ لكن بيت العَنْكَبوت لا يُغْني من حَرّ ولا من قَرّ، ولا من مَطَر ولا من رِياح، وهو ضَعيف لتَفاهَتِه وحَقارتِه، المَسألة الثالثة: فإن بَيت العَنكبوت إذا هبّت ريح، لا يُرى منه عَين ولا أثر بل يَصير هَباءً مَنثوراً، فكذلك أعمالهم للأوثان كما قال تعالى : **" وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُورا "** (الفرقان |23)

المسألة الرابعة قال: **" مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء"**، ولم يقل آلهة؛ إشارة إلى إبطال الشِرك الخَفي، كما أن من عَبد الله رياء لغيره، فقد اتّخَذ ولياً غيره، فمَثَلُه مَثَلُ العَنكبوت يتَخذ نَسجه بَيتاً [2].

---

[1] الزمخشري: **الكشاف**، 458/3.

[2] القرطبي: **تفسير القرطبي**، 345/13، الرازي: **التفسير الكبير**، 60/25_61، الفيروز آبادي: **تنوير المقباس**، 335/1.

هذا حَسب ما وَرد في التَفاسير، أما إذا نَظَرنا إلى الناحِية العِلْمِية، وحَسب ما جاء في عِلم الحَشَرات، فقد جاء في أبحاث كُلية العُلوم في جامِعة القاهرة، أن في قوله تعالى: كمَثَل العَنْكَبوت اتخَذ بَيتاً، إعجازاً عِلْمياً، حَيث إن التي تَبْني البَيْت هِي الأُنثى، والأُنثى هي التي تَغْزلُ البَيت، وهي التي تُرَغِّب الذَكَرْ في الدُخول إلى البَيت، حيث تَقوم أمامه بحَرَكات مُغْرية، وتُسْمِعه بَعْض الألحان الطَنَّانَة، فيَأوي إلى بَيْتها، وبَعْد التَلْقيح تَأكله إن لم يَفِرّ ويَهْرب وتَفْتَرسه وتَأكُل أولادها من بَعد إن لم يَفروا، ويأكلُ بَعض أولادها بَعضاً، فضُعف بَيت العَنكبوت إضافة إلى ضُعف بُنْيته هو ضَعيف في عَلاقاته الداخِلية، وقد يَجمع الضعفان في ضعف واحِد [1]. سُبحانه جلَّت قُدْرَتُه، أثبتَ مُنذ أكثر من 1400 عام، من الأمور التي بَدأ العِلم حَديثاً بالكَشْف عَنها.

ومن الأدلة التي تُؤكد مَعرفة العَرَب قبل الإسلام بماهِية بيت العَنْكبوت، استخدامهم لهذا المَثَل في حَياتهم اليَومية، وذلك إذا أرادوا التَدليل على وَهن شَيء وضَعفه، حيث جاء في أمثالهم: (أوهَن من بَيت العنكبوت) [2].

قال تعالى: **" يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْداث كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ"** (القَمَر|7)

شبههم بالجراد في خُروجهم من الأرض، فكأنه استدلال على البعث كالاستدلال بخروج النبات، وقيل: إنما شَبَّهَهم بالجراد في كَثرتهم، وأن بعضهم يموج في بعض [3].

وقيل إنما شَبَّهَهُم بالجَراد في كَثرتهم وأن بَعضهم يَموجُ في بَعض [4]. ويقول بعض المُفسرين "إن ذلك التَشبيه بُغية الإشارة إلى كَيفية خُروجهم من الأَجْداث وضُعفهم [5]. في الكثرة والتموج والانتشار في الأمكنة "[6].

إضافة إلى أسلوب ضَرب الأمثال، استَخدَم القرآن الكَريم أسلوب التَصوير، وقد أشارَ سيد قطب إلى ذلك قائلاً: "إن التَصوير هو الأداة المُفَضلّة في أسلوب القُرآن الكريم "[7]. يظهر في

[1] النابلسي: **الإعجاز العلمي**، ص 416.
[2] النيسابوري: **مجمع الأمثال**، 382/2.
[3] ابن الكلبي: **التسهيل**، 80/4.
[4] الكلبي: **التسهيل لعلوم التنزيل**، 80/4.
[5] الرازي: **التفسير الكبير**، 31/29.
[6] البيضاوي: **تفسير البيضاوي**، 264/5.
[7] قطب، سيد: **التصوير الفني في القرآن**، ص 56.

الآية الكريمة السابقة صورة تَصويرية لنَقل مَشاهِد يَوم القِيامة، وهو مَشْهد من مَشاهد الحَشْر، مُختَصَر سَريع، لكنّه شاخِصٌ مُتَحَرك مُكتَمل السِمات والحَرَكات، حَيث يُصوِّر الجُموع الخارِجة من الأَجْداث بِمَشْهد مَعْهود للعَرب في الجاهِلِيَّة اعتادوا رُؤيته باستِمرار، وهو مشَهد جُموع الجَراد التي تَنتشِرُ آتية على كُل ما يُصادِفها.

كذلك في قوله تعالى: **" فإذا انشقت السماء فكانت وردةً كالدهان"** (الرحمن|37)

لا شك أن الطبيعة الحياتية كما الطبيعة الاعتقادية، جعلت العَرَبي يرتبط بالفَرَس ارتباطاً وثيقا، فهو أنيسه في المُغامرة، وصاحبه في السّرى، ورفيقه في الحل والترحال [1].

يستَعين الفراء هنا بالمَوروث الثقافي الجاهلي في استِخراج دلالة الورد _ وهو ما أميلُ إلى الأخذ به، ويدعمني في ذلك ما بلغه العَرَب من تعظيم الخيل، إذ كان لهم من التباهي والتفاخر والتنافس ما لم يوجد عند غيرهم من الأمم الأخرى _، ولا ننسى هنا ما ذكره ابن رشيق من أن العَرَب لم تكن تهنئ إلا بثلاث: غلام يولد، أو شاعر ينبغ، أو فرس تنتج [2].وقد جاء أن أشراف العَرَب كانوا يفتخرون بأن يقوموا على خدمة خيولهم بأنفسهم، حتى إنهم عدوا ذلك من المفاخر التي يفتخرون بها، وكانوا يسقونها الماء الدافئ في الشتاء، ويصتعون لها النعال لتقي حوافرها ضد الصخور الصلبة، ويلبسونها غطاء على الرأس من شدة عزتها [3].واقترن نزول المطر في اعتقادهم بها [4]. يقول الفراء: (أراد بالوردة الفَرَس، الوردة تكون في الربيع وردة إلى الصفرة، فإذا اشتد البرد كانت وردة حمراء، فإذا كان بعد ذلك كانت وردة إلى الغبرة، فشبه تلون السماء بتلون الورد من الخيل، وشُبِّهت الوردة في اختلاف ألوانها بالدهن واختلاف ألوانه)[5]. فهو في ذلك يَستَحضِر من الذاكرة العَرَبية الجاهِلِيَّة صورة الخيل الورد، وأوصافها ليوظفها في نقل الدلالة العَقلية للتشبيه إلى الدلالة الحسية، المُستحضرة الصورة، فالتشبيه صائب جداً، في تَصوير هول ذلك الموقف، وأحوال السماء فيه؛ لما جعل المُشبه به حالة مُشاهدة

---

[1] الحسين، قصي: **أنثربولوجية الأدب (دراسة الآثار الأدبية على ضوء علم الإنسان)**، ص 232.

[2] القيرواني: **العمدة**، 29/1.

[3] القيسي: **الطبيعة في الشِّعْر الجاهلي**، ص 109.

[4] الحسين، قصي: **انتربولوجية الصورة والشِّعْر العَرَبي قبل الإسلام**، ط 1، لبنان، 1993، ص 252. (الحسين، انتربولوجية الصورة والشِّعْر العَرَبي فيما بعد).

[5] الفراء: **معاني القرآن**، 117/3.

مَحسوسة [1]، على نحو يزرع الهَلع في النفس من مَسْلك لطيف جاءها من حيث ألِفَت. ثم جعل تعالى من هذه الصورة الحسية مشبهة في سيولتها بالدهان[2]؛ إذ تشقق السماء فتصير كالوردة في الاحمرار ثم تجري كالدهان.

أما المَفسرون فعندهم في إبراز دلالة هذا التَشبيه في (الوردة) معنيان آخرآن: أولهما، هو الفُرْس الوردة المُتغيرة اللّوْن، كما الفرّاء. والثاني، أنها وَردة النبات وهي حمراء، وقد تَختلف ألوانها [3]. فصارت مُلونة كالدهان كألوان الدهن، ويقال وردة كألوان الورد ويقال كالأديم المغربى، أي حمرة مع السواد [4]. وقيل هو من الفُرْس الورد[5]، فمِنهن ورد خالِص وورد مَصامص وورد أَغبس، فأما الورد الخالص فورد المتنين تعلوه جدة حَمراء في كدرة من كتفه إلى ذنبه، وهو ورد المتنين والحشا، وصفقي العنق والجران والمراق والأوظفة، وأما الورد المَصامص، فتستقري سراته جدة سوداء ليست بالحالكة، لونها السواد، وهو ورد الجِنّبين، وصفقى النعق والجران والمراق. وأما الورد الأَغبس فهو الذي تدعوه الاعاجم السمند، وهو الورد الذي لا تخلص حمرته، عليها حمرة ليست بالصافية وتُخالطها شَعرة من السواد فيها حُمرة وهي غَبساء [6].

ويَنحازُ محمد راتب النابلسي إلى التَفسير العِلمي، الذي أيّدَته المُكتشفات العِلمية الحَديثة، والذي ذَكرَه كذلك بَعض المُفَسرين، من أن انشِقاق السَماء يُشبِه الوردة الجورية، ويقول: " إنه وفي 1990م عرَضت إحدى وكالات الفَضاء في العالم، من خلال مرصَد عملاق عبْر موقعها المَعلوماتي، صورة لا يشك الناظر إليها لَحظَة، أنها وردة جورية ذات أوراق حَمراء قانية، مُحاطة بِوريقات خَضراء زاهية، وفي الوَسَط كَأس أزرَق اللّوْن، أما حَقيقة هذه الصورة فَهي

---

[1] ينظر: الرماني: **النكت في إعجاز القرآن (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني، والخطابي، وعبد القاهر الجرجاني)** تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول، ط 3، القاهرة، دار المعارف، 1976، ص 77.(الرماني، النكت فيما بعد).

[2] الدهان: قيل هو دردي الزيت، والمدهن ما يجعل فيه الدهن. للمزيد أنظر: الحين بن محمد، أبو القاسم: **المفردات في غريب القرآن**، 173/1.

[3] ينظر: **جامع البيان**، 173/17، **ومجمع البيان**، مج 6، 98/27. **وزاد المسير**، 117/8_118، **والبحر المحيط**، 195/8.

[4] الفيروزي: **تنوير المقباس**، 452/1.

[5] الكلبي: **التسهيل**، 85/4.

[6] النحوي، أبو عبيدة: **الخيل**، ص 168.

صورة لانفِجار نَجم عِملاق اسمه (عَين القط)، يَبعد عنا ثلاثة آلاف سنة ضَوئية [1].وهذا فعلا ما شاهدته كصورة مَنشورة على المَواقع الإلكترونية؛ إلا أنني مع ذلك أنحاز للتَفسير المُتوافق مع المَوروث الجاهلي.

يَحار القارئ بين الأَخذ بما ذَهَب إليه الفرّاء، أو بما جاء به غَيْره من المُفَسرين، وما أيّدَته الكُشوف العِلْمية، ويبقى الله وحده الأَعلَم.

إذن لم يَكُن استِخدام القُرآن الكريم للأمثال عَبَثاً _أستَغفِر الله العَظيم_ فهو كِتاب الله المُنَزّه عن الزلَلِ والخَطَأ، بل إن في استِخدامه تَوظيفاً لأحَد وُجوه الثَقافَة الجاهِلِيَّة، وهي الأمثال، خاصة إذا عَرَفنا المَكانَة التي احتَلَتْها الأمثال في حَياة عَرب الجاهِلِيَّة.

العقل

يقول الأصمعي نقلاً عن إياس قوله: " من عدمِ فضيلة العقل، فقد فُجِع بأكرم أخلاقه" [2].

يُعدُّ القُرآن الكريم في جُمْلته خِطاباً عَقْلياً، يَتَماهى فيه الخِطاب النَفْسي والوِجداني، وإذا أراد الوِجْدان أن يَتَأثر فإنه يَنْبَغي للعَقْل أولاً أن يُدْرِك [3]. إذ نَجِد أن آيات القرآن الكريم في خِطابها غير المُباشِر تَتَوجه إلى الذين يَعقِلون[4]، والذين يَتَفَكَرون [5] _والتَفَكُّر عِبادَة؛ لأنه الوَسيلة الوَسيلة العُظْمى للتَّعَرف على الله، والتَّقَرب منه _، وإلى الألباب [6]، وأُولي النُهى[7].

استُخدِم الفعل (عقل) بتَصريفاته المُختلفة في تِسع وأربعين آية من القُرآن الكَريم، ونَنْطَلق في تناولنا هذا من كَون القرآن الكريم قد استَخدم كلام العَرَب لتَوصيل مَراميه إلى العَرَب، ومنها إلى الإنسانية، الأمر الذي يعني أن هذا الاستخدام قد اقتَضَته الإمكانية التَعبيرية

---

[1] النابلسي، محمد راتب: **موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (آيات الله في الآفاق)**، ص 71_72.

[2] الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان: **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، ط 1، تحقيق عمر تـدمرى، لبنان، بيروت، دار الكتاب العَرَبي، 1987، 42/8.(الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير فيما بعد).

[3] القضاة، فريال محمد: **الخطاب العقلي في القرآن الكريم (دراسة في علم تحليل الخطاب العقلي)**، ص 15.

[4] ينظر مثلا: **الجاثية/5، والزخرف/3.**

[5] ينظر: **النحل/69.**

[6] **الزمر/21، يوسف/111. وص/29.**

[7] **طه/54.**

التي تَكتَنزها المُفردة العَرَبية، كما اقتَضته الإمكانية العَلامية التي تَنطَوي عليها هذه المُفردة لدى العَرَب[1].

وإذا وقفنا على المَعنى المعجمي للَّفْظة، نجد قول ابن الأنباري: " رجل عاقل وهو الجامِع لأمره ورَأيه، مَأخوذ من عقَلت البَعير، إذا جَمَعْت قوائمه " [2].أما العَقل لدى الفيروز آبادي فهو:" العلم بصِفات الأشياء، من حُسنها وقُبْحها، وكَمالها ونُقصانها، أو العِلم بخَير الخيرّين، وشر الشَرّين، أو مُطلق لأمور، أو لِقُوَّة يَكونُ بها التَمييز بين القُبح والحُسْن " [3]. ويضيف الزبيدي أن " العَقْلُ يقال للقُوّةِ المُتَهَيِّئَةِ لقَبول العِلم [4]. عقل: العَقْلُ الحِجْر والنُّهى ضِدُّ الحُمْق، والجمع عُقولٌ، ورَجُل عاقِلٌ وهو الجامِع لأَمره ورَأْيه مأْخوذ من عَقَلْتُ البَعيرَ إِذا جَمَعْتَ قوائمه، وقيل العاقِلُ الذي يَحْبِس نفسه ويَرُدُّها عن هَواها، أُخِذَ من قولهم قد اعْتُقِل لِسانُه إِذا حُبِسَ ومُنِع الكلامَ والمَعْقُول ما تَعْقِله بقلبك، والعَقْلُ التَّثَبُّت في الأُمور والعَقْلُ القَلْبُ، والقَلْبُ العَقْلُ، وسُمِّي العَقْلُ عَقْلاً لأَنه يَعْقِل صاحبَه عن التَّوَرُّط في المَهالِك أَي يَحْبِسه وقيل العَقْلُ هو التَمييز الذي به يتميز الإِنسان من سائِر الحيوان[5].

والعَقْل في كلام العَرَب الدِّية سُمِّيت عَقلاً؛ لأن الديَة كانت عند العَرَب في الجاهِلِيَّة إبِلاً، وكانَت أموالَ القَوم التي يَرقئون بها الدِماء؛ فسُمِّيت الدية عَقْلاً؛ لأنّ القاتل كان يُكلَّف أن يَسوق إبل الديَّة إلى فِنَاء ورَثَة المقتول، ثم يَعقلها بالعُقُل ويُسَلِّمها إلى أوليائه، وأصل العَقل مَصْدَر عقلت البَعْير بالعِقال أعقله عَقْلاً، والعِقال حبل يُثنَى به يد البعير إلى رُكبَتَيه فيشدُّ به [6].

والمُلاحَظ هنا أن لفظة العقل ومُشتقاتها تدور حول مفاهيم مُعينة تتمثل في الحَبس والمَنعِ بالإطلاق.

---

[1] كموني، سعد: **العقل العَرَبي في القرآن**، د ط، الدار البيضاء، المركز الثقافي العَرَبي، 2005، ص 59.(كموني، العقل العَرَبي فيما بعد).

[2] ابن منظور: **اللسان**، مادة (عقل).

[3] الفيروز آبادي: **القاموس المحيط**، مادة (عقل)

[4] الزبيدي: **تاج العروس**، مادة (عقل).

[5] ابن منظور: **اللسان**، مادة (عقل).

[6] الأزهري: **تهذيب اللغة**، مادة (عقل).

واستِخدام القرآن الكريم لمُفردة العَقل، جاء في غير مَوضِع، وإننا عند التَمَعُّن في ألفاظ العَقل الواردة في القرآن الكريم، نلاحظ بِشَكل جليّ ارتباطها من الناحِية الدَلالية بالعِلم والمَعرفة[1].

ففي قوله **" فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَاذَا الاٌّ دْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لاَّ يِقُولُواْ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ وَالدَّارُ الاٌّ خِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ "** (الأعراف|169)، يشير الكَموني إلى أن استخدام العقل في الآية الكريمة جاء بحيث إن العقل يأخذ معنى الإجراء الذي يوفر الالتزام بالميثاق، ويَبتعد عن الافتراء [2]. كما أن العَقل هو المُوجه لكافة الحَواس والجَوارح، ولعل في الربَط الوثيق بين ألفاظ الجَوارح وألفاظ العَقل ما يؤَكّد ذلك [3].

أما في قوله تعالى: **" وَهُوَ الَّذِى أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالاٌّ بْصَارَ وَالاٌّ فْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ وَهُوَ الَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى الاٌّ رْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ وَهُوَ الَّذِى يُحَاىِ وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ"** (المؤمنون|78) والعقل هنا هو الإجراء المَنهجي للتَعامل مع المَوجودات، وقوامه الملاحظة. أما في سورة العنكبوت فقد جاء العقل بمَعنى الاعتبار من أحداث التاريخ، فقال تعالى: **" إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزاً مِّنَ السَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ "** (العنكبوت |34)

وقد رصد الكموني استِخدامات القرآن الكريم للفظَة العقل، بتَصاريفها المُختلفة، وما حَمَلت من دَلالات كثيرة، نذكر منها:

1. " ربط العِلة بالمعلول من خلال النَظر في عامل الزمن. وذلك في قوله تعالى: **" وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَآ إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الاٌّ خِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ "** (الأنعام |32)

---

[1] ينظر: **رسالة ألفاظ العقل والجوارح في القرآن الكريم**، إشراف يحيى جبر، 2007، ص 30.

[2] كموني: **العقل**، ص 99.

[3] ينظر: **رسالة ألفاظ العقل والجوارح في القرآن الكريم**، ص 34.

2. مُحاصَرة الأهواء والإعراض عَنها، ورَصد الظَواهر الاجتِماعية، في قوله تعالى: **" ضَرَبَ لَكُمْ مَّثَلاً مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الاٌّ يَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ "** (الروم|28)

3. سلوك دَرب اليقين عن طَريق النَظر. وذلك في قوله تعالى: **" وَسَخَّرَ لَكُمُ الَّيْلَ وَالْنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالقَمَر وَالْنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ "** (النحل|12)

4. تمكن الإنسان من نَفسه فيَمنعها سَلبيات اللعب واللهو. في قوله تعالى: **" وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَآ إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الاٌّ خِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ "** (الأنعام |32) " [1].

وقديماً العَرَب قالت: (طول التجارب زيادة في العقل) [2]. وإنني لأجد أن هنالك تَقاطعاً في الدلالة بين المَثل المذكور، وبين قوله تعالى: **" وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِى إِلَيْهِمْ مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى الاٌّ رْض فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الاٌّ خِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَواْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ "** (يوسف|109)، ففي الآية الكريمة حث على الإفادة من الأحداث السابِقة، وكذلك فإن في المثل المذكور سابقاً، إشارة إلى أن التَجارب هي التي تَصقل العَقل، وتُنَمّيه .

وقد أشار الزمخشري إلى أن " أهل قُرَيْش كانوا يُدعَون أهل الأحلام والنهي " [3]. "وليس القرآن الكريم كتاب خِطابة يلقي بالقَول على عَواهنه، وإنما هو كتاب الله الذي لا يَأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. وقد وصف القرآن الكريم العَرَب الذين نزل فيهم هذا الكتاب بالعَديد من الصفات كالطول في البلاغة والتَفوق في البيان والسبق في الحكمة، والله عزَّ وجلّ عندما تحدى العَرَب أن يأتوا بمثله، لم يلق هذا التحدي على أناس فارغين من الفصاحة والبلاغة، وذرابة اللسان، والأدب، إذ كيف يلقى على قوم ذوي عي وحصر، وضعف في المِنَّة العقلية" [4]، وهنا تجلت عَظمة التَحدّي، إذ كيف عَجز مثل أولئك الذين تَوافرت لديهم كل تلك الصِفات، ومع ذلك عجزوا تماماً عن الإتيان ولو بآية من مثله.

---

[1] الكموني : **العقل العربي في القرآن الكريم** , ص 128_131 .

[2] الميداني: **مجمع الأمثال**، 442/1.

[3] الزمخشري: **الكشاف**، 416/4.

[4] ينظر: عرجون، صادق ابراهيم: **الحياة الأدبية عند العَرَب قبل الإسلام**، 1936، ص 19.(عرجون، الحياة الأدبية عند العَرَب فيما بعد).

وكما وصفهم عزَّ وجلّ بأنهم أولوا أحلام، **" أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَاذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ "** (الطور|32).

ومن معاني العقل الحجر [1]، قال الله _عزَّ وجلّ_: **" هل في ذلك قسم لذي حجر "** (الفجر|5). أي هل في ذلك قسم لذي عَقْل، لذي رأي، لذي قُدرة، لذي نهى [2].

وتخلص القضاة للقول: " بأن العَقل قدرة فِطرية واعِية، ومُميزة، ومُوَجهة، ورادِعة، ومُنتجة، وقابِلة، للتَزود بالعُلوم والمَعارف المُكتسبة، وأن الخِطاب القرآني يَحمل رِسالة تَهدف إلى التأثير على عُقول الناس وقُلوبهم في كل زَمان ومَكان، وتَوجيههم إلى الاعتراف بهذه الرسالة، وهو يقوم على جَوانب عَقلية فِكْرية، ونَفسية ومَعرفية، واجتِماعية بتَشَكّلات أسلوبية مُؤثِرة [3].

عرف العَرَب مَعنى العَقل، وأدركوا أهَميته، واعتَبَروه مِقياساً للإعجاب بالشَخص، واستِحقاقه للمَنازل الرَفيعة.

ها هو طَرَفةُ بن العبد يَستَخْدم مُفرَدة العقل بوَصفها مِعياراً للإعجاب بالإنسان أو عَدَمه، فيقول:

(المتقارب)

وكــــم مِـــن فَتًـــى ســـاقِطٍ عَقْلُـــهُ ... وقـــد يُعْجَـــبُ النـــاسُ مـــن شَخْصِـــهِ

وآخَـــــــرَ تحســـــــبهُ أنْوَكـــــــاً ... ويأتيِـــكَ بـــالأمرِ مِـــنْ فَصّـــهِ

لبِسْـــــتُ اللَّيـــالي فـــأفْنَيْتَني ... وســـربلَني الـــدهرُ فـــي قُمصـــهِ[4]

فالعقل بحَسب رؤية طَرَفة هو الإحاطة بالأمر أصلاً وحقيقة، فهو إجراء ذِهني، يَهدف إلى تَمكين الفَرد من السَيطرة على الأُمور من خلال تَحصيلها أصلاً وحَقيقة [5].

---

[1] ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق: **إصلاح المنطق**، ط 4، تحقيق أحمد محمد شاكر، وعبد السلام، القاهرة، دار دار المعارف،17/1. (ابن السكيت، إصلاح المنطق فيما بعد).

[2] المخزومي، مجاهد بن جبلا التابعي: **تفسير مجاهد**، تحقيق عبد الرحمن السورتي، بيروت، د ط، المنشورات العلميـة، 576/2. (المخزومي، تفسير مجاهد فيما بعد).

[3] القضاة: **الخطاب العقلي في القرآن الكريم**، ص70_ 71.

[4] طَرَفةُ بن العبد: **الديوان**، ص 60.

[5] ينظر: كموني: **العقل العَرَبي**، ص 78.

أما عنترة بن شداد فقد استَخدم العقل بوَصفه التصرف الذي يُمَكِّن الفرد من مُواجهة المَصاعب في حياته، وهذا التَصرف يَستند إلى ما يتَمَتع به الفَرد من رَشاد، فيقول:

(الطويل)

ولاَ تسـقني كـأْسَ المـدامِ فإنَّهـا يَضلُّ بهـا عقـلُ الشُّـجَاع وَيـذهَبُ[1]

وَيــــــــذهَبُ[1]

أما زهيرُ بن أَبي سُلمى فيَستخدم مفردة العقل بمعنى (ودى)، قائلاً:

(الطويل)

لَعَمْـرُكَ مـا جَـرّتْ عَلَـيهِمْ رِمـاحُهم دمَ ابـنِ نهيـكِ أو قتيـلِ المـثلمِ

وَلا شارَكَتْ فـي المَـوْتِ فـي دَمِ نَوْفَـلٍ وَلا وَهَـبٍ منهـا وَلا ابـنِ المُخَـزَّمِ

فكُـلاًّ أراهُـمْ أصـبَحُوا يَعقِلُونَـهُ صَـحيحاتِ مـالٍ طالِعـاتٍ بمَخـرِمِ[2]

بمَخــــــــرِمِ[2]

استخدم زهيرُ بن أَبي سُلمى العقل بصيغة المُضارع للدَلالة على حُدوث أمر عزيز، وهو ودي القتلى، أي دفع حَق القتيل، وفي هذا الاستِخدام تأكيد بأن العَقل لا يكون إلا بوجود نقيضه، فالعَقل هنا إجراء يتَمثل في وَضع حد نِهائي للتَفَلّت، والتَسيّب القائِم من جَراء المُتَحكم برِقاب الناس [3]. والعَقل في اللسان أيضاً الديّة، وعقل القتيل يعقله عَقلاً: وداه. ويقال: اعتَقل فلان من دَم دَم صاحبه ومن طائِلته إذ أخذ العقل [4].

أما الشَّنْفَرى فيَستَخدم مُفردة العقل للدَلالة على قُدرة الرشد والوَعي، فيقول:

(الطويل)

لعمركَ مـا فـي الأرضِ ضـيقٌ علـى امـرىء سَرَى رَاغِبـا أو رَاهِبـا وهـو يَعْقِـلُ[5]

يَعْقِــــــــلُ[5]

---

[1] عنترة: **الديوان**، ص 11.

[2] زهيرُ بن أَبي سُلمى: **الديوان**، ص 69.

[3] كموني: **العقل العَرَبي في القرآن**، ص 85.

[4] ابن منظور: **اللسان**، مادة (عقل).

[5] الشَّنْفَرى: **الديوان**، ص 1.

والنَظَر العقل، والعقل الشد، ومنه يقال عَقل الرجل إذا شَدّ نَفسه، وكَفَّها عن القَبائح [1]، والعقل التَدبُّر، ومنه قول لبيد :

(الرمل)

اِعقِلـــي إن كُنـــتُ لَمّـــا تَعقِلــــي ولَقَـــد أَفلَـــحَ مَـــن كـــانَ عَقَـــل[2]

فلبيد هنا يطلب إلى عاذلته، وقيل إلى نفسه أن تَعقل، وعَقَلت الشَئ عَقلاً إذا تَدَبرته.

وجاء في الأمثال: دِعَامَةُ العَقْلِ الحِلْم [3]. والعَقْلُ يُهابُ ما لا يُهَابُ السَّيف [4].

إذن فقد كان العَرَب في الجاهِلِيَّة يُدركون ماهية العقل وأهميته، وبأنه من الأمور التي تَرتفع بمن يَمتلكها إلى المراتب العالية، وأن العقل بمثابة عصا سِحرية، تُذلل أمام من يَمتلكها كافة الصعاب ويتَجاوزها، وهو مِفتاح يَستطيع المَرء من خلاله أن يَعي الأموركافة. وأن يُمسِك نفسه من الوقوع في الغيَّ والضَلال. وبناء على ذلك فقَد حرِص القرآن الكريم على توجيه آياته إلى أصحاب العُقول النَيِّرة والقلوب المَفتوحة، والذين يَعون دَور العَقل في مَعرِفة الصَواب والرُشد. فقد كان القرآن الكريم دوماً يُوجِّههم نحو تَحريك جوارحهم من سَمْع وبَصَر..وغير ذلك، إضافة إلى تَوجيه بصائرهم وقلوبهم لتَتَفتح أمام دَعوى الهِداية والنور.

الرحب

(رحب) الرُّحْبُ بالضم السَّعةُ رَحُبَ الشيءُ رُحْباً ورَحابةً فهو رَحْبٌ ورَحِيب ورُحابٌ وأَرْحَبَ اتَّسَعَ وأَرْحَبْتُ الشيءَ وسَّعْتُه ومَرْحَباً أَيْ صادَفْتَ أَهْلاً ومَرْحَباً وقالوا مَرْحَبَك اللّهُ ومَسْهَلَكَ وقولهم مَرْحَباً وأَهْلاً أَي أَتَيْتَ سَعةً وأَتَيْتَ أَهْلاً فاسْتَأْنِس ولا تَسْتَوْحِشْ [5]، لا مرحباً بك أي لا رحبت عليك بلادك قال: وهي من المَصادِر التي تَقَع في الدُعاء للرجل وعليه [6] .

---

[1] الدقيق النحوي، سليمان بن بنين، **اتفاق المباني وافتراق المعاني**، ط 1، تحقيق يحيى جبر، الأردن، دار عمـــان، 1985 176/1. (الدقيق النحوي، اتفاق المباني فيما بعد).

[2] لبيد بن ربيعة: **الديوان**، ص 122.

[3] الميداني: **مجمع الأمثال**، 274/1.

[4] المرجع نفسه، 55/2.

[5] ابن منظور :**اللسان**، مادة رحب.

[6] الزبيدي: **تاج العروس**، مادة رحب.

قال تعالى: **"هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم إنهم صالوا النار"** (ص|59)، أجمَع المُفسرون على أن (لا مرحباً) استُخدمت في الآية الكريمة للدُعاء على الكُفار بضيق لا سعة بعده. ففي تفسير الجلالين فسرت بأن لا سِعَة عليهم [1]، وفي التسهيل لعلوم التنزيل: جاءت بمعنى بمعنى أن لا يلقون رحباً ولا خيراً [2]. كما جاء في قصة المثل (أتجر من عقرب) وهو تاجر من من تجار المدينة، وكان أمطل الناس؛ فعامله الفضل بن العباس ابن أبي لهب وكان اشدُ الناس اقتضاء، فلما حل المال، قعد الفضل بباب عقرب يقرأ، وعقرب على شاكلته في المطل غير مكترث به فلما أعياه قال يهجوه:

(السريع)

قـــد تجـــرت فـــي ســـوقنا عقـــرب   لا مَرْحَبَـــــا بـــــالعقربِ التـــــاجرة[3]

كذلك جاء في الشِّعْر ليؤَكَّد بأن (لا مرحباً) كانت تُستَخدم عند العَرَب كأسلوب للدُعاء إما للشَخص وإما عليه، من ذلك ما قاله النابغة الذبياني داعياً أن لا يأتي اليوم الذي فيه فراق أحبته، يقول:

(الكامل)

لا مَرْحَبَـــــاً بغَـــــدٍ ولا أَهـــــلاً بِـــــه   إن كان تَفْرِيـــقُ الأحِبّـــةِ فـــي غَـــدِ[4]
غَـــــــــــــــــــــــــــــــــــــدِ[4]

وقد ذكر العسكري أن أول من قال مرحباً وأهلاً هو سيف بن ذي يزن، إذ قالها لعبد المطلب بن هاشم لما وفد إليه مع قُرَيْش ليهنئوه برجوع الملك إليه، وذلك أن عبد المطلب قال بعد أن دعا له وهنأه: نحن أهل حرم الله وسدنة بيته أشخصنا إليك الذي أبهجنا لك، فنحن وفد التهنئة لا وفد المرزئة فقال: وأيهم أنت؟ فقال: عبد المطلب. قال: مرحباً وأهلاً وناقة ورحلاً

---

[1] المحلي والسيوطي: **تفسير الجلالين**، 604/1.

[2] ابن الكلبي: **التسهيل لعلوم التنزيل**، 188/3.

[3] العسكري،: **جمهرة الأمثال**، 281/1.

[4] النابغة الذبياني: **الديوان**، شرحه حمدو طماس، ط2، بيروت، لبنان، دار المعرفة، 2005، ص 38. (النابغـــة الـــذبياني، الديوان، فيما بعد).

ومناخاً سهلاً وملكاً ربحلاً يعطي عطاء جزلاً. ومعنى مرحباً وجدت رحباً أي سعة وأهلاً، أي وجدت أهلاً كأهلك [1].

يتبين لنا مما سبق أن القرآن الكريم استخدم مذهباً من مذاهب الدعاء التي جرت العَرَب على استخدامها، مما يساعد في تقريب المعنى إلى أذهانهم، عند سماع آيات الذكر الحكيم.

أمه هاوِيَة

هويت أهوي هويا إذا سقطت من علو إلى أسفل، قال: والهاوِيَة: اسم من أسماء جهنم، والهاوِيَة كل مهواة لا يدرك قعرها [2].

قال تعالى: **" أُمُّهُ هاوِيَة "** (القارعة|9).لقد فسرت أمه هاوِيَة من وجوه عدة فهي في تفسير الجلالين: مسكنه الهاوِيَة [3]. وفي تنوير المقباس: جعل أمه ومأواه ومَصيره الهاوِيَة، ويقال ويقال يهوي في النار على هامته[4]. أما التفسير الكبير ففيه وجوه: اولا: أن الهاوِيَة من أسماء النار وكأنها النار العميقة يهوي أهل النار فيها مَهوى بعيداً. والمَعنى فمأواه النار وقيل للمأوى أم على سبيل التشبيه بالأم التي لا يقع الفزع من الولد إلا إليها. الثاني: أم رأسه هاوِيَة في النار، وقد ذكره الأخفش والكلبي وقتادة، وقال: لأنهم يهوون في النار على رؤوسهم. أما الثالث: أنهم إذا دعوا على الرجل بالهلاك قالوا هوت أمه لأنه إذا هوى أي سقط وهلك فقد هوت أمه حزنا وثكلا[5]. وأم الشيء ذاته وصميمه. هذا وقد استخدم تعبير أمه هاوِيَة في الشِّعْر الجاهلي، يقول كعب بن سعيد الغنوي يرثي أخاه:

(الطويل)

---

[1] العسكري، أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل: **الأوائل**، وضع حواشيه عبد الرزاق المهدي، ط 1، بيروت، لبنان، دار دار الكتب العلمية، 1997، ص 59. (العسكري، الأوائل فيما بعد).

[2] ابن منظور: **اللسان**، مادة هوي.

[3] المحلي، محمد بن أحمد،السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر : **تفسير الجلالين**، ط1، القاهرة، دار الحديث، د ت، ص819.(المحلي، الجلالين، فيما بعد).

[4] الفيروز أبادي: **تنوير المقباس**، د ط، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، د ت، 518/1. (الفيرزو أبادي، تنوير المقباس، المقباس، فيما بعد).

[5] الرازي، الفخر : **التفسير الكبير**، ط2، طهران، دار الكتب العلمية، 74/31. (الرازي، التفسير الكبير، فيما بعد).

هوت أمــه مــا يبعــث الصــبح غاديــا وماذا يــؤدي الليــل حــين يــؤوب[1]
يــــــــــــــــــــــــؤوب[1]

وورد اللفظ ذاته في قول غريقة بن مسافع العبسي:

(الطويل)

هـــوت أمـــه مـــاذا تضـــمن قبـــره مـــن الجـــود والمعـــروف حـــين ينـــوب[2]
ينــــــــــــــــــــــــــوب[2]

كما واستخدم العَرَب تعبير (هوت أمه) في أمثالهم، وذلك للدُعاء على الرجل إذا فعل فعلة منكرة[3].

والمعنى هلكت أمه. من الواضح أن تعبير (أمه هاوِيَة) كان يستعمل عند العَرَب قبل الإسلام بمثابة الدعاء، وحقيقة أنني أكثر ترجيحاً للوجه الثالث من التفسير الكبير، ذلك أن من يهلك حتماً سيكون مصير أمه أن تهوي وتهلك من الحزن عليه، والظاهر هنا أنه لم يطرأ تغيير على دلالة هذا التعبير في القرآن عما كان عليه في العَصْر الجاهلي، فكان يصب في باب الهلاك لمن حاد عن طريق الحق هلاكاً لا يقتصر عليه بل ذويه أيضا خاصة أمه؛ ذلك أن الأم أكثر الناس التصاقاً بولدها، وأكثر الناس تألماً لألمه.

هيهات

هيهات: كلمة معناها البعد، وقيل هيهات كلمة تبعيد. قال تعالى: **" هَيْهات هَيْهات لِماتُوعَدون"**(المؤمنون|36)، وفسرها ابن عباس: بعيداً بعيداً لا يكون هذا،[4]أما البيضاوي ففسرها ببعد التصديق أوالصحة، أو بعدما توعدون [5].

قال الشَّنْفَرى يصف خُروجه وأَصحابه إلى الغَزْوِ وأَنَّهم أَبعَدوا المَذْهَبَ

---

[1] الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك: **الأصمعيات**، تحقيق أحمد شاكر وعبــد الســلام هــارون، ط7، مصر، دار المعارف، 1993، ص 95. (الأصمعي، الأصمعيات، فيما بعد).

[2] المصدر نفسه، ص 99.

[3] الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر: **المستقصى من أمثال العَرَب**، ط2، بيروت، دار الكتب العلمية، 1987، 1987، 401/2 (الزمخشري، المستقصى، فيما بعد).

[4] الفيروزآبادي: **تنوير المقباس**، 287/1.

[5] البيضاوي: **تفسير البضاوي**، 154/4.

(الطويل)

خَرَجْنا من الــوادي الــذي بــينَ مِشْــعَلٍ   وبــينَ الجَبَــا هَيْهــاتَ أَنْسَــأْتُ سُــرْبَتي[1]

وأَنْسَأْتُ سُرْبَتي: أَبعَدتُ مذهَبي.

يقول الحرث بن حلزة:

---

[1] الضَّبِّيَّ: **المفضليات**، ص27.

(الخفيف)

فَتَنَـــــوَّرْتُ نَارَهَــــا مِـــــنْ بَعِيــــدٍ بِخَـــزازَى هيهـــاتَ منـــكَ الصِّـــلاءُ[1]
الصِّـــــــــــــــــــــــلاءُ[1]

نلاحظ مما سبق توظيف القرآن الكريم لأسلوب من أساليب العَرَب قبل الإسلام في الخطاب، وهو لا شك جزء من ثقافتهم، حيث استخدم تعبير هيهات، وهو أسلوب لغوي استعمله العَرَب في أحاديثهم وفي أشعارهم للتعبير عن بعد الشيء، واستحالته.

_ ما يتصل بالحيوان

شُرْبُ الهِيم

الماءُ هو سر من أسرار الحياة والبَقاء لدى الكائنات كافة، كان على الدَوام هَدَف الحُروب والهِجْرات، وهو رمز الخِصْب والنماء، وقد نَظَر العَرَب في الجاهِلِيَّة إلى الماء نَظْرَة غَلَّفَهَا التَقْديس، إذْ أجمعَ المُؤَرخون والباحثون على أن جَزيرة العَرَب كانت تَخْتَلِف اختِلافاً كلياً من حَيث وَفرَة المِياه، والخِصْب وكَثرة الأمطار [2]. فبَينَما كان هنالك بَعض المَناطق التي تَغْمُرها تَغْمُرها مياه الأمطار حتى تَغدو سُيولاً تأتي على ساكِنيها، كان هنالك مَناطق أخرى يُطاردُ سُكَانها شَبَحُ الجَدْب والعَطَش، الذي قد يَفْتك بالإنسان والحَيَوان والنَبات.

وإن اهتمام العَرَب بالماء دفعهم إلى الاهتمام بماء المَطر والسَحاب، لذا فقد سَعى العَرَبي إلى مَعْرفة أوقات نزول الأمطار، فاستعان بالكَهنة والقافة؛ لمَعْرفة أوقاتها، وحينما يَنْقَطِعُ المَطر كان العَرَبي يَسْعى إلى استِرضاء القُوى المُهَيمِنة على المَطَر بطُقُوس الاستِمطار [3].

---

[1] الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم: **شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات**، تحقيق عبد السلام هارون، ط2، مصر، دار دار المعارف، د ت، ص 437. (الأنباري، شرح القصائد السبع، فيما بعد). يقول تنورت نارها أي نظرت إلى سناها في الليل، والتنور نظرك إلى النار، وتأملك أين هي، قريبة كانت أم بعيدة، وخزاز جبل بين العقيق وشخصين،كانوا يوقدون عليه غداة الغارة، ثم إنه أطمع نفسه في اصطلائها فظن أنها قريبة، فلما علم أنها بعيدة، قال: هيهات منك الصلاء، أي ما أبعده منك.

[2] القيسي:**الطبيعة**، ص 41.

[3] المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد: **الأزمنة والأمكنة**، د ط، بيروت، دار الكتب العلمية، 1996، ص 354. (المرزوقي، الأزمنة والأمكنة فيما بعد).

وقد كان العَرَب يَنْشدون الأراجيز في أثناء حَفر الآبار، ولَعَلَّ الحِرمان ونُدْرَة المِياه وجَدْب الأرض، هو الذي جَعَلَهم يُبالِغون في تَقدير الخِصْب، ويَرون له رونقاً في هذه البيئة الجَرداء، وهم لم يَكْتفوا بِتقدير الخِصْب وحده، وإنما قَدَّسوا مَواطِن المِياه القَديمة، واعتقدوا فيها أسراراً غامِضة، وأضفوا عليها من القُوى الخَفِية ما لم يُضفوه على غيرها من الأماكن، حتى كان إذا غَم عَليهم أمر الغائب، جاؤوا إلى بِئْر قديمة، نادوا يا فلان أو يا أبا فلان ثلاث مرات، فإن كان ميتاً لم يسمعوا في اعتقادهم صَوتاً[1]. ومنه قول شاعرهم:

(الوافر)

وكـــم ناديتـــه فـــي قَعـــر ســـاج بعـــادي البئـــار فمـــا أجابـــا[2]

وبلغَ تَقديرهم للماء والمَطر مَبلغاً عظيماً، حتى أصبح غاية دُعائهم للمرجو والمشكور أن يقولوا سَقَاك الله، فإذا تَذَكَّروا أياماً طابت لهم قالوا: سَقى الله تِلك الأيام، وربما دعوا لدِيار المَحْبوب بالسُقيا [3] كما في قول طَرَفَةُ بن العبد:

(الكامل)

فَسَـــقى ديـــارَكِ غيـــر مُفْسِـــدها صـــوبُ الربيـــع وديمـــةٌ تَهمـــي[4]

ومنه قول حاتم الطائي:

(الطويل)

سَـــقى اللهُ ربُّ النـــاس سَـــحّاً[5] وديمـــةً جنوبَ السَّرَاة مـــن مَـــآبٍ إلـــى زُغَـــر[6]
وديمـــــــــــــــــــــــــــــةً زُغَـــــــــــــــــــــــــــر[6]

ويُضيف الثعالبي أن العَرَب تَستعيرُ في كَلامها الماء لكلِ ما يَحسُن مَوقِعه ومَنْظَره، ويَعْظُم قَدْره ومَحَله، فتقول: ماءُ الوَجْه، وماءُ الشَباب، وماءُ السَيْف، وماءُ الحَيَاء، وماءُ النَعْيم [1].

.[1]

---

[1] القيسي: **الطبيعة**، ص 41_45.
[2] الألوسي: **بلوغ الأرب**، 3/3.
[3] الثعالبي: **ثمار القلوب**، 563/1.
[4] طَرَفَةُ بن العبد: **الديوان**، ص 82.
[5] السح: المطر الغزير.
[6] حاتم الطائي: **الديوان**، ص 27.

وما ذلك إلا تَقْديراً مِنْهم لِلماء، الذي كان وجودهم يَقتَرِن بِوجوده، والعكس صحيح.

ولا يختلف الوضع في أيامنا هذه عَما كان عند العَرَب في الجاهِلِيَّة، فيما يَتعلق بِشُح المِياه، إذ إننا نَجدُ أن المَناطق التي تُعاني من قِلَّة المِياه، قد يَضْطَّر أصحابها إلى شُربِ المِياه المالِحة.

يضاف إلى ذلك القيمة الدينية التي احتلَها الماء لدى جَميع الشُعوب السامية، فالماء مَهبط عَرش الآلهة السامية جميعها، خاصة إيل _ أو كبير الآلهة كرونس_ القاسم المشترك الأعظم لآلهة الشعوب السامية كلها، وكان عرشه على الماء، وصنوه المتوحد به إبراهيم الخليل [2].

ولعَل في الرابِطة القَوية التي رَبطَت بين الماء والطَبيب والعَرَّاف، في الحَضارَة السُومَرية ما يُفْصحُ عن مَكانةِ الماء لَدَى الثَقَافات المُخْتَلِفة، فقد عُرِفَ الطَبيب في السومَرية ب(آزو **azu**) وتَعْني حَرْفِياً العارِف بالماء، أو الشَخْص الذي يَكْتَشِفُ المَعْرِفَة من الماء، وتَأتي هَذه القَرينة بين الطِب والماء من حَقيقَة أن الطِب يَعني الحَياة، والماء هو مَصْدَر الحَياة [3]. قال تعالى: **" وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ "** (الأنبياء|30)، سُبْحانَه وتَعالى ما أعظَمَه.

كان العَطَش أحد أبرَز العَلامَات التي وُصِف بها الكَافِرون يوم القِيامة، يقول تعالى: **"وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمِئِذٍ زُرْقاً "** (طه|102)، ويُفَسِّر الطبري سَبَب زُرقة أجسادهم هُو" ما يَظْهر في أَعينهم من شِدَة العَطَش الذي يَكونُ بِهم عِندَ الحَشْر" [4].

وكان الماء أكثر ما يَطْلُبون، قال تعالى: **" وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَآءِ "** (الأعراف|50).

ويا لسوء ما يُلاقون جَرَّاء أعمَالهم، قال تعالى: **" لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ "** (الأنعام|70).

---

[1] الثعالبي: **ثمار القلوب**، 563/1.

[2] عبد الحكيم، شوقي: **موسوعة لفولكلور والأساطير العَرَبية**، ص 601.

[3] الماجدي: **بخور الآلهة**، ص 142.

[4] الطبري: **تفسير الطبري**، 455/8.

كما أن الرَّي وعَدم الظَمأ، من الأُمور التي قَدَّمها _عزَّ وجلّ_ لآدم وحواء عِنْد دُخولهما الجنّة، بل كان من وعود الله_سبحانه وتَعالى _ لهما ألا يَشْعُرا بظَمَأ، قال تعالى: **" وَأَنَّكَ لاَ تَظْمَؤُا فِيهَا وَلاَ تَضْحَى "** (طه|119).

ومن الآيات التي أشارت إلى العَطَش، الذي يَلحقُ بالعُصاة والكُفار يوم القيامة، قوله تعالى: **" فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الهِيم "** (الواقعة|54)

تحكي الآية السابقة عن ذلك اليوم حيث يَخلد العُصاة في نارٍ لا تُطفئ، يُهلِكُهم ظَمأٌ مُلتَهِب، وكيف لا يَجِدون ما يَروي عَطَشهم إلا شَراب من حَميم، وكيف يَستَزيدون من شَرابهم هذا، كما الإبل الهِيم، التي لاتَروى من الماء، فتَشَرب حتى تَهلك، أو أنها تَسْقم سَقماً شديداً، أو يكون شرابهم كما الرَمل الخَشن الذي لا يُستَساغ في شُرْبه.

ويذكر المُعْجَميون أن " الهُيامُ داءٌ يَأْخُذُ الإبلَ فتَهيم في الأَرضِ، لا تَرْعى، يقال: ناقة هَيْماء قال: والهُيامُ بالضم أَشدُّ العَطَش، يقول ابنُ برّي:

(الطويل)

يَهِـــيمُ ولـــيس اللهُ شـــافٍ هُيامَـــه بِغَـــرّاءَ مـــا غَنَّـــى الحَمَـــامُ وأَنْجَـــدا[1]

وقيل: "الهيام داء يُصيبُ الإبل عن بَعضِ المِياه بتُهامَة، يُصيبها مِنه مِثل الحُمَّى، وقال الهجري هو داءٌ يُصيبها عن شُربِ النَّجْل إذا كَثر طُحلبه، واكتنفت الذِبان به. وقال بَعضهم: الهِيم الابلُ الظِّماءُ، وقيل هي المِراض التي تَمُصُ الماءَ مَصَّاً، ولا تَرْوى، ويقول الأصمعي: الهيام للإبل داء شَبيه بالحُمَّى تَسخُن عليه جُلودها، وقيل: إنها لا تَروى إذا كانت كذلك، ومَفازة هَيماء لا ماء بها"[2].

---

1 ابن منظور: **اللسان**، مادة (هيم).

2 **اللسان**، مادة (هيم).

ويقول ابن شميل: الهُيامُ نحو الدُوار جُنون يَأخذُ البَعير حتى يَهلك، والهِيم داء يأخذُ الإبل في رُؤوسها، والهائمُ المُتحيِّر. وفي حديث الاستسقاء إذا اغْبَرَّت أَرضُنا وهامَت دوابُّنا، أي ذهبت على وجهها جوعاً وعطَشاً [1].

يقول الفراء إثر استعانته بالموروث الجاهلي: شُرب الهِيم، قال: الهِيم الإبل التي يُصيبها داء، فلا تَروى من الماء. ويقال إن الهِيم الرَّمْلُ، يقول عزَّ وجلّ: يَشْرَبُ أَهلُ النار كَما تَشربُ السِّهْلَةُ [2].

وجاء في صحيح البخاري: أن (هيم) جمع أهيم وهو العَطْشان الذي لا يَروى، والمُؤنَث هَيماء. وقيل الهِيم من الهيام، وهو داء يُصيبُ الإبل فيَسْخُن جِلْدها ويَنْحَل جِسْمها ويُصيبها شَرَهٌ لِلماء، وقيل: هو داء يَكونُ مَعَه الجَرَب [3].

والهِيم: الإبل العِطاش، قال عكرمة وقتادة: الهيام داء يصيب الإبل لا تروى معه، ولا تزال تَشْرب حتى تَهْلك، يقال: جَمَلٌ أهْيَم، وناقةٌ هَيْماء، والإبل هيم، وقال الضحاك وابن عيينة: الهِيم الأرض السَهلة ذات الرَمْل[4]. والأخبار تَدلُ على أن العَطَش يَعُمُّ الناس في ذلك اليوم، إلا أن المُجْرِمين لا يَسْكنُ عَطَشهم، و لكنه يَزداد حتى يوردوا النار فَيَشربون الحَميم شُرب الهِيم، نعوذُ بالله من عذاب الله، و أما المُتَقون ومن شاء الله من المُخلطين المُؤمنين، فإنهم يُسقَونَ من حَوض نَبينا صلى الله عليه وسلم.

كما جاء في أمثال العَرَب ما يعُبِّرُ عن شُربِ الهِيم، ومَرارَة هذا العَطَش، فقالوا "أشرَب من الهِيم" [5]

وقالوا: "ويأكل أكل الفيل من بَعْدِ شَبعه، ويشربُ شربَ الهِيم من بعد أن يروى" [6]

---

[1] ابن منظور: **اللسان**، مادة (هيم).

[2] الفراء: **معاني القرآن**، 128/3.

[3] البخاري: **صحيح البخاري**، 740/2.

[4] البغوي: **تفسير البغوي**، 286/4.

[5] الميداني: **جمهرة الأمثال**، 538/1.

[6] الزمخشري: **المستقصى في أمثال العَرَب**، 6/1.

ولم يَعْمَد القرآن الكريم إلى تَوظيفِ عَطَش الهيم، في التَعْبير عن عَطَشِ أُولئك الكُفار إلا لبَلاغَة وحِكمَة مُعَينة، نُدرِكها عند التَدقيق في المَعْنى اللُغوي لكَلمة (هيم)، وكذلك الرُجوع إلى المَعرفة الدقيقة التي يَمْتَلكها البَدوي عن سَفينة الصَحراء، فالقُرآن الكَريم وَظَّف ثَقافة هذا العَرَبي عن الإبل.

لا شك أن الجَمَل من أعظَم الحَيوانات نَفْعاً للبَدوي، يتخذ من شعره ووبره خيمته، وهو أداة انتقالِه، وهو نَقده الذي يَتَبادل السِلَع بوساطَته، وهو فوق ذلك وِحْدة القِياس لِمَهْر العَروس، ودِيَّة القَتيل،ووحدة المَيْسِر_أو القمار_ والتَضحِية والفداء، والجَمل رَفيق البَدوي، وصنو نَفسه، وحاضِنَته التي تُرْضِعه فَيَشرَب لَبَنه بَدَل الماء (الذي يُوفره للماشية)، ويَجْعل طَعامَه من لَحْمه، وكساءه من جِلْده، ويَحوكُ خَيْمَته من وَبَره، ويَتَخِذُ رَوثَه وقوداً، وبَوْله عِلاجاً لِتَقْوِية الشِّعْر، ودَواء يَسْتَشْفي به، ويُشير موزل انكَ تَكادُ لا تَجِد أحداً في قَبيلة الرولة لم يَشْرَب في مُناسَبة ما الماء من جَوْف الجَمَل، وإذا دَعَت الحَاجَة، فإنهم يَذبَحُون جَمَلاً مُسِنَّاً، أو يَدفَعون عَصَاً في حَلقِه، ليَتَقَيَّأ ما في جَوفِه من المَاء، فإذا كان الجَمَل قد شَرِبَ قَبلَ يَومين، فالمَاء الذي يُستَخْرَجُ من جَوْفه يَشْرَبه البَدوي [1].

ومن القِصَص التي تَناقلتها الأخبار عن عَطَشِ الهيم، أن أمية بن الأسكر[2] كانت له إبل إبل هائِمة أي أصابَها الهيام، وهو داء يُصيب الإبل من العَطَش، فأخرَجَتْه بَنو بكر مَخافةَ أن يُصيبَ إبلهم، فقال لهم: يا بني بكر إنما هي ثَلاث ليال؛ ليلة بالبقعاء، وليلة بالفرع، وليلة بلقف في سامر من بني بكر، فلم يَنْفعه ذلك وأخرجوه فأتى مزينة فأجاروه وأقام عِندَهم إلى أن صَحَّت إبله وسَكَنَت فقال يمدح مزينة :

(الوافر)

تكنّفهـــــا الهُيـــــام وأخرجوهــــــا　　　فمـــا تـــأوي إلـــى إبـــل صِـــحاحِ

---

[1] حتي، فيليب: **تاريخ العَرَب (مطول)**، ص 26.وعبد الحكيم، شوقي: **موسوعة الفولكلور والأساطير العَرَبيــة**، ص 212. 212. والعشماوي، محمد زكي: **قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث**، دار النهضة العَرَبية، بيروت، لبنان، 1979، ص 127.

[2] أمية بن الأسكر(? – 20 هــ / ? – 641 م) هو أمية بن حرثان بن الأسكر الجِنّدعي الليثي الكناني المصري. شــاعر فارس مخضرم، أدرك الجاهِلِيَّة والإسلام، وكان من سادات قومه وفرسانهم، له أيام مذكورة، وهو من أهل الطائف وانتقل إلى المدينة، عاش طويلاً حتى خرف، ومات في خلافة عمر.للمزيد أنظر: الجمحي، ابن سلام: **طبقات فحــول الشِّــعْراء**، 189/1. والأصفهاني: **الأغاني**، 14/10.

**فكـــان إلـــى مُزَيـنـــةَ منتهاهـــا		على مـا كـان فيهـا مـن جُنـاح**[1]

ومثلما عَمد القرآن الكريم إلى تَوظيف (شرب الهِيم) للتَعبير عَمّا سَيَلحَق بالعُصاة من عَذاب يوم القيامة، كان العَرَب في الجاهِلِيَّة حَريصين على الإفادة من أوصافِ الإبل، ومتعلقاتها في أدقّ تَفاصيل حَياتهم، ولَعلّ في الشِّعْر الجاهلي ما يؤَكِّد ذلك، من ذلك ما قاله مُتحدثاً عن الحرب، والتَهيؤ لها:

(البسيط)

**أو أن تشـــمر حـــرب بعـــدما لقحـــت		حتى تشـــوب لكـــم شـــيباء مـــذكارا**

فالتشمير الذي يقصده الشاعر هو التَهَيؤ للحرب، ويَستَعير الشاعر هذا اللفظ لدلالته، فهو اسم مُرتبط بالناقة من الاستِعداد والسَير، كذلك فإن لَفظ اللقاح لَفظ مُرتَبط بالناقة، فالناقة تلقح بمولودها، وكذلك الشاعر يُصوّر الحرب التي تم التَهيّؤ لها بعد أن لقحت بأسبابها بالناقة التي تلقح بمولودها [2].

---

[1] الأصفهاني: **الأغاني**، 18/10.

[2] ينظر: عبد الله، سناء: **توظيف الموروث في شعر عدي بن زيد العبادي وأُمَيَّة بن أَبي الصَّلْت (رسالة ماجستير)** ، إشراف إحسان الديك، نابلس، جامعة النجاح الوطنية، 2004، ص 267_268. (عبد الله، توظيف الموروث فيما بعد).

الفصل الرابع

ما يتصل بالهيئة
والأنواع والأجرام السماوية

_ اليمين والشمال

_ تغليب الليل على النهار

الفصل الرابع

ما يتصل بالهيئة والأنواع والأجرام السماوية

اليَمْين والشِمَال

اليمين: اليَمِينُ يَمِينُ الإنسانِ وغيرِه [1]. ويَتَجَلى في القرآن الكريم دلالة جِهة اليَمين، حيث إن أَصحاب السَعد والمَرضِيِّ عَنهم هم أَصحاب اليَمين، وهم من يَحمِلون كِتابهم بِيَمينهم.

قال تعالى: **" وأما من كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين "** (الواقعة|90_91) ، نلاحظ في الآية السابقة ارتِباطِ اليَمين بالفَوزِ والفَلاح.

ومنه قوله تعالى **" فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَآؤُمُ اقْرَؤُاْ كِتَابِيَهْ "** (الحاقة|19) ، وذلك كناية عن السعدِ، وحُسْنِ الخاتمة.

ومقابل ذلك وفي سبيل التَنفير من الشمال المُعاكس لليَمين، جاء في الحديث الشريف أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: " لَا يَأْكُلْ أحدكم بِشِمَالِهِ ولا يَشْرَبْ بِشِمَالِهِ فإن الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ وَيَشْرَبُ بِشِمَالِه " [2] .

أما فيما يتعلق بالجانب الأسطوري " فلَعل أجلى صورة للتَمييز بين قِيمَتي اليمين والشمال الدلالية الأسطورية ما نجده في أَرجاز العَرَب، وفي الكَهَانَة قبل الإسلام، وفي صورة مشهد الحِساب والعِقاب. اليمين ومنه اشتق اليمن السعيد _ وهو إلى يَمين الشمس _ذو صلة دلالية باليُمن والبَرَكة والخير، ومن العِبارات اللَصيقة بها تيامن أي ذهب في اتجاه اليمين، وتشَاءم أي ذَهب في اتجاه الشمال، والأعسر وهو الذي يَستعمل يده اليُسرى كما في المثل (ثكلت الأُعيسر أمه لو كان يدري لطال غمَه) [3]، تدل على معنى الصُعوبة، وربما ضَنك العَيْش، لأن العُسر مقابل اليُسر، وهو السُهولة سهولة العَيش والغِنى " [4].

---

[1] ابن منظور: **اللسان**، مادة (يمن).

[2] الترمذي:**الجامع الصحيح سنن الترمذي**، 257/4.

[3] الميداني: **مجمع الأمثال**، 291/1.

[4] عجينة، محمد: **موسوعة أساطير العَرَب من الجاهِلِيَّة ودلالاتها**، 2ط 1، بيروت، لبنان، العَرَبية للنشــر والتوزيــع، دار الفارابي، 1994، /183.(عجينة، موسوعة الأساطير فيما بعد).

ويضيف جواد علي قائلاً: " ومن اليمين تنول اليُمن، يقال: هو مَيمون النقيبة أي مُبارك، والمَيمنة ناحية اليمين، واليمين في الحلف مستعار من اليد اعتباراً بما يَفعله المُعاهد والمُحالف وغيره، وقد كان لَهم عادات وتقاليد في مَجالس الشَراب وفي مَجالِس الطعام، فكان من عادة مُلوك الغَساسنة والمناذرة، إجلاس السادة والرُؤساء، والمُقَربين إليهم على يَمينِهم، وعلى مَقرُبة مِنهم تعظيماً لشَأنهم، ودلالة على مَكانة الشخصِ عِنْدَهُم، فإذا قُدَّمَ الشراب أو الطعام قُدِّمَ إلى المَلك أولاً، فإذا شَرب مِنه أو ذاقه، أمر فَقَدَّم الشراب أو الطَعام إلى من هو في يَمينه " [1].

يقول عمرو بن كلثوم:

(الوافر)

صَـــددْتِ الكـــأسَ عَنَّـــا أمَّ عمـــروٍ وكـــان الكـــأسُ مَجْراهـــا اليَمينـــا[2]

اليَمينـــــــــــــــــــــــــــا[2]

ولِليَمين عِند بدء خروج الخَلق من ظَهر آدم دلالة ومعنى، يقول السري: " أخرج الله آدم من الجِنّة ولم يُهْبِطْهُ إلى الأرض من السماء، ثم مَسحَ صفحة ظَهره اليُمنى فأَخرج ذرية كهيئة الذر بيضاء مثل اللؤلؤ، فقال لهم: ادخلوا الجِنّة برحمتي، ومسح صفحة ظهره اليُسرى فخرج منها كَهَيئة الذَر سوداء فقال: ادخلوا النار ولا أُبالي، فذلك حين يقول أَصحاب اليَمين وأَصحاب الشمال، ثم اخذ منهم الميثاق فقال: ألستُ برِبَكُم؟ قالوا: بَلى فأَعطوه الميثاق طائفة طائعين، وطائفة على وَجه التَقية"[3].

وإذا نظرنا إلى الشعائر والطقوس قبل الإسلام من خلال الحج، كما كان يُمارسه العَرَب القدامى، ولا سيما الحمس منهم _ وهم أهل قُرَيْش وكنانة وخزاعة _ تبين لنا " أن الطائف منهم كان ينطلق من الحجَر الأسود، أي من الشَرق، ثم يبدأ بأَساف ونائلة، فيستلمه، ثم يستلم الرُكن

---

[1] جواد علي: **المفصل**، 39/5.

[2] عمرو بن كلثوم: **الديوان**، جمعه وحققه وشرحه إميل بديع يعقوب، ط 1، بيروت، لبنان، دار الكتاب العَرَبـــي، 1991، ص 65. (عمرو بن كلثوم، الديوان فيما بعد).

[3] ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني: **الكامل في التاريخ**، تحقيق عبد الله القاضي، القاضي، ط 2، بيروت، دار الكتب العلمية، 1415 ه، 37/1.(ابن الأثير، الكامل فيما بعد).

الأسود، ثم يأخذ عن يمينه، فإذا خَتم طَوافه سبعاً استلم الركن، ثم استلم نائلة فيَختم بها طوافه"[1]

طوافه"[1]

وفي تفسير الرُؤيا ذكر مُفَسرُو الأَحلام أن ما يَرَاه النائِم وهو نائِم على جَنْبِه اليَمين يتَّسم بالصِدق "واعلم أن أَصدق الرُؤيا إذا نِمْتَ على جَنْبِكَ الأَيمن " [2]

ويقال: يا فلان شائم بأصحابك أي خذ بهم شأمة أي ذات الشمال والعَرَب تقول لليد الشمال الشُؤمى، وللجانب الشمال الأَشأم، وكذلك يُقال لما جاء عن اليَمين اليُمْن، ولما جاء عن الشمال الشُؤْم، وقال ابن عباس السدي: أصحاب المَيمنة هم الذين كانوا عن يَمين آدم حين أُخْرِجَت الذُرية من صُلْبه، فقال الله لهم: هؤلاء في الجِنّة ولا أبالي.[3]

وحتى في غزوات العَرَب وحُروبهم، فقد كان لليمين واليسار مُعتقد خاص، وفَلسفة مُعَينة، فكانوا يُفَضِلُون إتيان أَعدائهم من الشِق اليَمين، ويذكر الجاحظ إلى أن عِلة ذلك " لعلمِ العَرَب بأن طَبع الإنسان داعيةٌ إلى الهَربِ من شِقِّ الشِمال، يُحِبُّون أن يأتوا أعداءهم من شِقِّ اليمين قال: ولذلك قال شُتيم بن خُويلد: وأما روايةُ أصحابنا فهي فجِئناهُم من أَيمنِ الشق عِندهم الأعسر من الناس واليَسَر وإذا كان أكثُر عَمَلُ الرجُل بيَسارِه كان أعسَر، فإذا استوى عملاً بهما قيل أَعسرُ يسَرَ، فإذا كان أعسر مُصْمَتاً فليس بمُستَوى الخلق، وهو عِندَهُم إذا كان كذلك فلَيس بمَيْمون الخُلُق، ويَشتقُّون من اليد العُسْرى العُسْر والعُسرة، فلما سمَّوها الشِّمال أجْرَوْها في الشؤْم وفي المشؤُوم على ذلك المعنى، وسموها اليَدُ اليَسارَ، واليدَ اليسرى على نَفْي العُسر والنكَد، كما قالوا سَليم ومَفازة، ثم أَفصحوا بها في موضعِ فقالوا اليَد الشؤْمَى "[4].

كذلك فإن الريح التي كانت تَهب من جِهة الشمال، كان لها معنى خاصاً في نُفوسهم، فقد كانوا يَتشاءَمون بالشمال، ويعتبرونها مَثلاً للشَر، ومن ذلك قَول زهيرُ بن أَبي سُلمى:

---

[1] الأَزْرَقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد: **أخبار مَكَّة** وما جاء فيها من الآثار، مطبعة المحروسة، 1857، 178/1. 178/1. (الأَزْرَقي، أخبار مَكَّة فيما بعد).

[2] الإحسائي، أبو بكر محمد بن عمرو: **جامع تفاسير الأحلام (تنبيه الأفهام بتأويل** الأحلام)، ط 1، الدوحة، قطر، دار الثَقافَة، 1988 م، 8/1.(الأحسائي، جامع تفاسير الأحلام فيما بعد).

[3] القرطبي: **الجامع**، 170/17.

[4] الجاحظ: **الحيوان**، 515/5_516.

(الوافر)

فلمـــا أنْ تحمَّـــل أهـــلُ ليلـــى جـــرتْ بينـــي وبيـــنهمُ الظبـــاءُ
جـــرتْ سُـــنُحاً فقلـــتُ لهـــا أَجِيـــزِي نَـــوىً مشـــمولةً فمتـــى اللقـــاءُ[1]

وقد بلغَ من شِدّة تَشاؤمهم بالريح الشمالية أن رَبطوا بَينها وبين الغُراب –وقد مرَّ في مادة التَّطَيُّر مَبْلَغ تشاؤمهم وتَطيرهم من الغراب– ومن ذلك ما قاله عَبِيد بن الأَبْرَص عندما هدّد بنو جديلة قومه بني أسد، بالإغارَة عليهم، وقد تعرض قومه عندها لخسائر، فقال عبيد هذه القصيدة مُذكِّراً بني جديلة بخَسائِرهم الفادِحة في الأرواح، التي أصابَتهم على أيدي قومه في مَعارك سابقة:

(الكامل)

وَأَبو الفِـراخِ[2] عَلـى خَشـاشِ[3] هَشـيمَةٍ[4] مُتَنَكِّبـاً[5] إِبـطَ الشَـمائِلِ[6] يَنعَـبُ[7]
هَشـــــــــــــــــــــــيمَةٍ[4] يَنعَـــــــــــــــــــــــبُ[7]

كما كان من أكثر ما يثير الخوف في قلوب العَرَب، الرياح الشمالية الشرقية، إذ كان هبوبها نذيرا بالقحط والجَدْب؛ لذلك فقد وجدوا الكرم عند هبوبها مكرمة يفتخرون بها [8]، وها هو هو الأسعر الجعفي يفتخر بأنه مأوى الضيفان في اللَّيالي الباردة:

(الكامل)

باتَـــــت شَـــــآمِيَةُ الرِيـــــاحِ تَلُفُّهُـــــم حَتّى أَتَونـا بَعـدَ مـا سَـقَطَ النَـدى
فَنَهَضتُ في البَـركِ[9] الهُجـودِ وَفـي يَـدي لَـــــدْنُ[10] المَهَـــــزَّةِ ذو كعـــــوبٍ
يَـــــــــــــــــدي كَـــــــــــــــــالنَوى
أَحـــذَيتُ رُمحـــي عائِطـــاً مَمكـــورَةً كَوماءَ أَطـرافُ العِضـاهِ لَهـا خَلـى

---

[1] زهيرُ بن أَبي سُلمى: **الديوان**، شرحه حمدو طماس، ط 2، لبنان، بيروت، دار المعرفة، 2005، ص 10.
[2] أبو الفراخ: الطير، وهنا يريد الغراب تحديداً.
[3] الخشاش: الحيوان الذي لا عظم له مثل الحَيَّةُ.
[4] الهشيم: الشجرة اليابسة.
[5] متنكباً: مجتنباً.
[6] ابط الشمائل: جنبها، أي مال عن جهة الريح الشمالية.
[7] عَبِيد بن الأَبْرَص: **الديوان**، بيروت، دار صادر، 1964، ص 28.
[8] ينظر: القيسي: **الطبيعة**، ص 54.
[9] البرك: جماعة الإبل الباركة.
[10] لدن : اللين من كل شيء .

وتجلى ذلك في أمثالهم فقالوا: (أقرى من مَطاعيم الريح)، وقيلَ إنهم أربعة: أَحَدهم عم أبي محجن الثقفي، ولم يُسَمِّ الباقين، وقال أبو النَدى: هم كنانة بن عبد ياليل الثقفي عم أبي محجن، ولَبيد بن ربيعة وأبوه، كانوا إذا هَبت الصبا أَطعموا الناس، وخَصوا الصبا؛ لأنها لا تَهبُ إلا في جَدْب[1]، قالت بنت لبيد:

(الوافر)

إِذا هبّــــت ريـــاحُ أبـــي عقيـــلٍ دَعَوْنـــا عِنـــدَ هبّتهـــا الوَليـــدا[2]

وقد قرن العَرَب بين ريح الشمال وما يتشاءم به وبين ريح الجِنّوب وما يتفاءل به [3]، ومن ذلك قول أبو ذُؤيب الهذلي:

(الطويل)

إِذا كانَ عــامٌ مــانِعُ القَطــرِ ريحُــهُ صَــباً وَشَـــمالٌ قَـــرَّةٌ وَدَبـــورُ[4]

ذلك أن العَرَب تجعل الجِنّوب فقط هي التي تُنْشِئ السحاب، وتستدِره بإذن الله، بينما تصف باقي الرياح بقِلَةِ المَطر، والهُبوب في سِنِيْ الجَدْب [5].

ومن جهة أخرى يقول لبيد بن ربيعة العامري:

(الكامل)

مَــرَتِ الجنــوبُ لَــهُ الغَمــامَ بِوابِــلٍ وَمُجَلجِــلٍ قَــرِدِ الرَبــابِ مُــديمِ[6]

---

[1] الميداني: **مجمع الأمثال**، 127/2.

[2] الأصفهاني: **الأغاني**، 359/15.

[3] الدينوري، أبي محمد عبد الله بن مسلم: **الأنواء في مواسم العَــرَب**، د ط، بغــداد، دار الشــؤون الثقافيــة، 1988، ص 165.(الدينوري، الأنواء فيما بعد)

[4] المنظمة العَرَبية للتربية والثَقافَة والعلوم، الخطة الشامِلَّة للثقافة العَرَبية: **ديوان الهذليين**، ط 2، تــونس، إدارة الثَقافَــة، 139/1.(المنظمة العَرَبية، ديوان الهذليين فيما بعد).

[5] ابن قتيبة: **الأنواء**، ص 168.

[6] لبيد بن ربيعة: **الديوان**، ط 1، بيروت، دار الكتاب العَرَبي، 1993، ص 246.(لبيد بن ربيعة، الديوان فيما بعد).

وهو هنا قد أسند مر السحاب إلى الجنّوب، وللدلالة على ذلك فقد سمّوا بَناتَهم على اسم تلك الريح؛ لاقترانها باللين والخَير، ومن ذلك جنوب بنت العجلان [1]. وجنوب الهذلية الشاعرة[2]. الشاعرة[2]. وجنوب صاحبة عبد الله بن سلمة التي ذكرها في شعره، حيث قوله:

(الوافر)

كَـــأَنَّ بَنـــاتِ مَخـــرٍ رائحـــاتٍ جَنـــوبُ وَغُصـــنُها الغَـــضُّ الرَطيـــبُ[3]
الرَطيـــــــــــبُ[3]

ومن المواقف التي تَعكس مَوقفهم من ريح الشمال، ذلك المَوقف المُقتَرِن بالكَراهية والشُؤم، قول طَرَفَةُ بن العبد:

(الطويل)

فَأَنــتَ علَــى الأَدنــى شَــمالٌ عَرِيَّــةٌ شَــآمِيَّةٌ تَــزوي الوُجــوهَ بَليــلُ[4]

وهو هنا شبهه في إضرَاره بأَقربائِه، بريح الشمال الباردة التي تَقْشَعُ السُحُب، وتَحْولُ دونَ المطر، وتَضْطَر المرء إلى أن يَزوي وجهه اتقاءً لها.

ويشيرُ يحيى جبر إلى أن سَبب ذلك من الناحية الجغرافية، أن ريح الشمال تَهبُ شتاء وتكون باردةً، وغالباً ما يُصاحِبها القَحط والجَدْب، ذلك أن السُحب التي تقلها ما إن تَبلُغ أطراف الجَزيرة الشمالية، حتى تَكون قد أَراقت ماءها على السواحل الشَرقية من البَحر المُتوسط فيخف السحاب، وتَنخرق الرياح مسرعة فيَزدادُ البرد، فهي تُضيف إلى شُح المَطر برداً شديداً، أما الجِنّوب فهي على العكس من ذلك، إذْ تَهُّبُ صَيَفاً، أي في الفَترة التي تَهطُل فيها الأمطار

---

[1] ابن بنين، أبو الربيع سليمان تقي الدين المصري: **اتفاق المباني وافتراق المعاني**، تحقيق يحيى جبر، عمان، دار عمان، عمان، 1985، 129/1.(ابن بنين، اتفاق المباني فيما بعد).

[2] ينظر: **ديوان الهذليين**، 120/3.

[3] الضَّبِّيَّ: **المفضليات**، ص 25.

[4] طَرَفَةُ بن العبد: **الديوان**، اعتنى به وشرحه عبد الرحمن المصطاوي، ط 1، لبنان، بيــروت، 2003، ص 74.(طرفــة، الديوان فيما بعد).

المَوسِمية على جنوب الجَزيرة العَرَبية، إلى مَكَّة المُكرمة، فبالإضافة إلى ما يصاحبها من مطر عادة، فهي تلطف الجو [1].

ولقد أشار ابن قتيبة إلى أن العَرَب كانت تَنْسِب الفَضل في المطر إلى الرِياح، وتجعل السَحاب نفسه لقاحاً للرياح؛ لأَنها تُنشئ السحاب، وتقلبه وتصرفه، حيث اعتقدوا أن الرِياح تُلَقِحُ السحاب، ومن ذلك الرِياح اللواقح، وهي التي تَسبق المطر، والريح العَقيم وهي الشديدة التي تسفر السحاب، وقد جاء شيء من ذلك في القرآن الكريم، حيث قوله تعالى: **" وأرسلنا الرياح لواقح "** (الحجر|22)، وكذلك قوله تعالى: **" وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم "** (الذاريات|41)، وعنها قال المفسرون: "وهذه لا تلقح ولا تحيي هي عقيم ليس فيها من الخير شيء إنما هي عذاب لا تلقح شيئا" [2]. ومن هذا المُنطلق فقد نَعَت العَرَب الرياح بما تَنعت به الماشية في هذا المَجال، فقالوا ريح حائِل، والحائل الأُنثى مِن أَولاد الإِبل ساعةَ تُوضَع وشاة حائل ونخْلة حائل، وحالت النَّخْلة حَمَلَتْ عاماً ولم تَحْمِل آخر[3]. ومن ذلك قول الطِّرِمَّاح بن حكيم[4] :

(مجزوء الكامل)

قَلِـــــــقٍ لِأَفنـــــــانِ الريـــــــح لِلاقِـــــحٍ مِنهـــــا وَحائِـــــلْ[5]

وقد كانت العَرَب تسمي ريح الجنّوب (اليمانية)، وأكثر ما وردت في أشعارهم هو أن تُنسب للسُرعة، وقد تكون كذلك قبل المَطر، أو بعده، قال أبو ذُؤيب الهذلي:

(الوافر)

وَلا مُتَحَيِّـــــرٌ باتَـــــت عَلَيـــــهِ ببَلقَعَـــــةٍ يَمانِيَـــــةٌ تَفـــــوحُ[1]

---

[1] جبر، يحيى: **نحو دراسات وأبعاد لغوية**، ط 1، سلسلة أسفار العَرَبية، نابلس، ص 101_102. (جبر، نحـو دراسـات وأبعاد فيما بعد).

[2] الطبري: **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، بيروت، دار الفكر، 1405، 468/11. (الطبري، جامع البيان فيما بعد). بعد).

[3] ابن منظور: **اللسان**، مادة (حال).

[4] الطِّرِمَّاح بن حكيم: **الديوان**، حققه عزة حسـن، دمشـق، مطبوعـات مديريـة إحيـاء التـراث القـديم، 1986، ص 355.(الطِّرِمَّاح، الديوان فيما بعد).

[5] الحائل من الرياح عندهم: ريح الشمال لأنها لا تنشئ سحاباً.

هي سريعة، وباتت عليه: إما بالمطر أو بما تذروه عليه من قمش الأرض ودقاقها.

ويشير يحيى جبر إلى تَحَبُبِ العَرَب لريح الجنّوب، متكِئاً على الدلالة اللَفظية، حيث يقول: " أما الجنوب، فكانت مُحببة إليهم، ومن الأَدلة على تَيَمُنِهِم بالجنّوب، ومَكانَتها القَريبة من نُفُوسهم، إطلاقهم اسم (النعامى) وهو مُشتق من المادة (نعم)، ومنها النِعْمَة والنُعُومة والنَعيم، وهي مَعان محبوبة، أما تراهم يُسَمون بناتهم (نَعيمة)، وبالمقابل هناك علاقة لَفظية بين كلمة الشمال التي تطلق على اليد اليُسرى، وشمل وشأمل وشمأل، فهي جميعاً من مادة (شمل) فيما قد يبدو، ويناظر هذه العلاقة اللفظية علاقة دلالية مَعنوية بينهما، فقد تَبَين أن العَرَب كانت تكره ريح الشمال وتَتَشاءم بها، ولم تذكرها بِخير، ذلك أنها تسفر السحاب، وتأتي بالبَرد الشَديد، وقلما تَجيءُ بالمطر، كما تَكره الشمال، وتُعَبِر بها عن المَعاني المكروهة "[2].

وكثير ما ارتبطت كلمة الشمال بالإضافة إلى الجِهة اليَسار، بالخَراب، ونَحو ذلك، على العَكس من كلمة اليَمين، ولم يَقتَصِر الأَمر على العَرَب حَسب، بل وُجد عِندَ غَيرهم من الشُعوب الأخرى.

تغليب الليل على النهار

الطَبيعة هي السُلطة الوحيدة التي يتضاءل البدائي أمام وجهها العابس، ويَخضع أمام سُلطانها ويعجز عن تفسيرها، فعلى الرغم من كونها وجوداً مادياً، وعيانات قائمة تُدركها الحواس، فإنه يظل يَعتَقد ويحدس بقُوى خفية، وأسرار غامضة تَكمن وراء ظواهرها [3].

الليل من الظواهر الطبيعة التي تحرك الوجدان، وتفتح أمام العقل آفاقاً واسعة للتَأمُّل: اللَّيْلُ عقيب النهار ومَبْدَؤُه من غروب الشمس، واللَّيْلُ ظلام الليل، واللَّيْل اسم لكل ليلة وجمعها

---

[1] السكري، أبو السعيد الحسين بن الحسين: **شرح أشعار الهذليين**، تحقيق عبد الستار فراج، القاهرة، مكتبة دار العروبـــة، ص 172.(السكري، شرح أشعار هذيل فيمل بعد).

[2] جبر، يحيى عبد الرؤوف: **نحو دراسات وأبعاد لغوية**، ص 107.

[3] إبراهيم، نوال مصطفى: **الليل في الشِّعْر الجاهلي**، د ط، الأردن، عمان، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، 2009، ص 15.(إبراهيم: الليل في الشِّعْر الجاهلي فيما بعد).

لَيال وليلة لَيْلاءُ ولَيْلى طويلة شديدة صعبة وقيل هي أَشد لَيالي الشهر ظلمة, وبه سميت المرأَة ليلى وقيل اللَّيْلاء ليلة ثلاثين تقول العَرَب هذه لَيْلةٌ لَيْلاءُ إِذا اشتدَّت ظُلمتها[1].

الليل ظاهرة طبيعية صامتة، احتلت مكانة مميزة في وجدان الجاهلي وثقافته، ارتبط بجمِلَّة من الأمور، ترجمها عرب الجاهِلِيَّة عبر أشعارهم وأمثالهم، وممارسات حياتهم. ومن أمثالهم التي وظفوا الليل فيها قولهم: باتت بليلة حرة [2]، ويضرب للعفة والطهارة، إذ إن العَرَب تسمي الليلة تفترع فيها المرأة ليلة شيباء، وتُسمى الليلة التي لا يَقدر الزوج فيها على افتضاضها ليلة حرَّة، فيقال باتت فلانة بلَيلة حرة إذا لم يغلبها الزوج في أول ليلة, وباتت بليلة شيباء إذا غلبها فافتضها يضربان للغالب والمغلوب[3].

ومن ذلك ما قاله النابغة الذبياني:

---

[1] ابن منظور: **اللسان**، مادة (ليل).

[2] الميداني، **مجمع الأمثال**، 101/1.

[3] الميداني : **مجمع الأمثال** , 101/1.

(الكامل)

شُــمُسٌ[1] مَوانِــعُ كُــلِّ لَيلَــةِ حُــرَّةٍ يُخلِفــنَ ظَــنَّ الفــاحِشِ المِغيــارِ[2]

وارتبط الليل لديهم بالظلم، لما يَستر ويُخفي من أهل الريبة، فقالوا: أظلَم من لَيل [3]، وهذا وهذا يراد به أفعل من الظلم لا من الظلمة وإنما نسب إلى الظلم لأنه يَستر السارق، وغيره من أهل الريبة.

وضربوا المَثَل فيمن يتَخبط ولا يدري ما يقول، فقالوا: أخبَط من حاطب ليل [4]؛ لأن الذي يحتطب ليلاً يجمع كل شيء مما يحتاج إليه، وما لا يحتاج إليه فلا يَدري ما يجمع. وعن ذلك قال عمرو بن شأس :

(الطويل)

إِذا قُلتَ فَــاِعلَم مــا تَقــولُ ولا تَكُــن كَحاطِــبِ لَيــلٍ يجمَــعُ الــدِقَّ والجَــزلا[5]
والجَــــــــــــــزلا[5]

واقترن الليل لديهم بالشَرّ، إذ ارتبط بإعداد العدة للحروب والغزو، التي لا تخلو من شر، فقالوا: أصبح ليل [6]، وفيه يقول بشر بن أبي خازم:

(الوافر)

فَبــاتَ يَقــولُ أَصــبِح لَيــلُ حَتّــى تَجَلّــى عَــن صَــريمَتِهِ الظَــلامُ[7]

وفي التحذير والأمر بالحَزم قالوا: أهلك والليل، أي اذكر أهلك وبعدهم عنك، واحذر الليل وظلمته [8].فاللَّيالي في اعتقاد العَرَب لا يمكن أن يُطمأن لها، ولا أن يُوثق بها، وقد نَسبوا

---

[1] شمس: أي نافرة من الفواحش

[2] النابغة الذبياني: **الديوان**، ص 57.

[3] الميداني: **مجمع الأمثال**، 447/1.

[4] المرجع نفسه، 261/1.

[5] ابن المبارك: **منتهى الطلب من أشعار العَرَب**، 55/8.

[6] العسكري: **جمهرة الأمثال**، 11/1.

[7] بشر بن أبي خازم: **الديوان**، ص 205.

[8] الميداني: **مجمع الأمثال**، 52/1.

لها تبدل الحال والتَلون أكثر من النَهار [1]. وعن سرعة تَحَول اللَّيالي وتغيرها يقول عَبِيد بن الأَبْرَص:

(الطويل)

فَإن تَــكُ غَبــراءُ الخُبَيبَــةِ أَصــبَحَت   خَلَت مِــنهُمُ وَاِســتَبدَلَت غَيــرَ أَبــدالِ[2]

أَبـــــــــــــــــــــــدالِ[2]

بِما قَــد أَرى الحَــيَّ الجَميــعَ بِغِبطَــةٍ   بِهــا وَاللَّيــالي لا تَــدومُ عَلَــى حــالِ

وعن رهبة الليل، وقُدرته على الإخفاء، قال أكثم بن صيفي عندما سألوه أن يَصف لهم العمل في الحرب قال: "أقِلُّوا الخلاف على أُمرائكم فلا جماعةَ لمن اختُلف عليه..... وادّرِعوا اللّيْلَ فإنه أخْفَى للوَيل وتحَفَّظوا من البيات " [3].

ولم تَخل نظرة العَرَب لليل من شك وحذر وريبة، فاللَّيالي لديهم قوية غادرة لا يُؤمن جانبها، يقول الأفْوه الأودي:

(السريع)

وَالمَــــرءُ مــــا تُصــــلِح لَــــهُ لَيلَــــةٌ   بِالسَــعدِ تُفسِــدُهُ ليــالي النُحــوس[4]

النُحـــــــــــــــــــوس[4]

ويبدو أن ارتباط الليل بالشر قديم في الفِكر الإنساني ومتأصل، فالليل يعني انتشار الظلمة، والظلمة خالقة الشر في بعض العقائد القائلة بالأصلين النور والظلمة أو الخير والشر، ويزعم أصحاب هذه العقيدة أن الخير من فعل النور، وأن الشر من فعل الظلام [5].

ولقد التقى القرآن الكريم مع الثَقافَة الجاهِلِيَّة في التَخوّف من شر الليل والاستعاذة منه، إذ قال تعالى: **" وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ "** (الفلق|3) وقد جاء في تفسير الآية الكريمة ثمانية أقوال:

---

[1] علي: **المفصل**، 152/6.

[2] عَبِيد بن الأَبْرَص: **الديوان**، ص 105.

[3] الأندلسي، أحمد بن عبد ربه: **العقد الفريد**، 94/1.

[4] الأفوه الأودي: **الديوان**، ص 87.

[5] علي: **المفصل**، 691/6.

الأول: أنه الليل إذا أظلم، وهذا قول الأكثرين؛ وذلك لأن ظُلمَة الليل ينتشر عندها أهل الشر من الإنس والجنّ، ولذلك قال في المثل الليل أخفى للوَيل، الثاني: أنه القَمَر الثالث: أنه الشمس إذا غَربت، والظُلمة ، الرابع: أن الغاسق النهار إذا دخل في الليل، وهذا قريب من الذي قبله، الخامس: أن الغاسِق سُقوط الثريا، وكانت الأسقام والطاعون تَهيج عنده، السادس: أنه الذكر، السابع: قال الزَمخشري يجوز أن يُراد بالغاسق الأسود من الحيَّات، ووقبه ضربه، الثامن: أنه إبليس [1].

غلَّبَت العَرَب اللَّيالي على الأيام في التَاريخ؛ لأَن لَيلة الشَهر سَبَقَت يَوْمه، ولم يَلدها وَولَدته، ولأن الأَهِلَّة لليالي دون الأيام، وفيها دُخول الشَهر، والعَرَب تَستَعمل الليل في الأشياء التي يُشاركها فيها النَهار دون النَهار؛ لاستِثقالهم الليل، فيَقولون أدركَني الليل بِمَوضِع كذا لهَيبته[2] لهَيبته[2] يقول النابغة الذبياني:

(الطويل)

فإنّــكَ كاللّيــلِ الــذي هــو مُــدْرِكِي وإنْ خِلْــتُ أَنَّ المُنْتَــأَى عنــك وَاســـع[3]
وَاســـــــــــــــــــــــــــع[3]

فالليل كما يقول التيفاشي: " يَجلِسون فيه للسَمر، ويَهديهم السُبل في سرى الليل في السَفَر، ويُزيل عَنهم وَحْشَة الغاسق، وينم على المُؤذي والطارق " [4].

وليس من الغريب أن يُغَلّب العَرَب الليل على النَهار، وذلك لسَببين: الأول أنهم اعتَمَدوا التقويم القَمَري في حِساباتهم، والثاني: أن الليل كان يَحظى بِمَكانة عند العَرَبي في الجاهِلِيَّة، خاصة أن نَهاره في الصَحراء كان نَهاراً شَديد الحرّ، لا يَتْرك في النَفْس وَقعاً جيداً، بينما كان يُمْضي لَيله ساهِراً مُتَأَمِلاً في رَوْعة الصَحْراء المُمُتدة، التي يُزين سَماءها قَمَر يَبْعث على الاستِمتاع، ويَدفَع الشِّعْراء لنَظم الشِّعْر الرائِع.

---

[1] ابن الكلبي: **التسهيل**، 225/4. والبيضاوي: **تفسير البيضاوي**، 551/5.

[2] الألوسي: **بلوغ الأرب**، 215/3.

[3] النابغة الذبياني : **الديوان** , ص 78 .

[4] التيفاشي، أبو العباس أحمد بن يوسف: **سرور النفس بمدارك الحواس الخمس**، تحقيق إحسان عبـــاس، ط 1، بيـــروت، المؤسسة العَرَبية للدراسات والنشر، 1980، ص 72. (التيفاشي، سرور النفس فيما بعد).

يقول المُهَلْهِل:

(الوافر)

وَلَســـتُ بِخـــالِعٍ دِرعـــي وَسَـــيفي   إِلـــى أَن يَخلَـــعَ اللَيـــلَ النَهـــارُ[1]

ويقول امرؤ القيس:

(الطويل)

أَلا أَيُّهــا اللَيــلُ الطَويــلُ أَلا اِنجَلــي   بِصُــبحٍ وَمــا الإِصــباحُ مِنــكَ بِأَمثَــلِ[2]

وارتبط الليل بالكرم، يقول الطائي شَيخ كرماء العَرَب:

(الوافر)

كَـــريمٌ لا أَبيـــتُ اللَيـــلَ جـــادٍ[3]   **أُعَـــدِّدُ بِالأَنامِـــلِ مـــا رُزِيـــتُ**[4]

ولقد حدد العَرَب الوقت وزمن الإقامة في المَكان باللَّيالي، وترى نوال إبراهيم أن سَبَب ذلك قد يكون له علاقة بطَبيعة البدو غير المُستقرة، خاصة في النهار فكان المَبيت ليلاً _ وفيه معنى الاستقرار هو المُنطلق في تحديد الزمن، يقول النابغة الذبياني:

(البسيط)

باتَـــت ثَـــلاثَ لَيـــالٍ ثُـــمَّ واحِـــدَةً   بِـــذي المَجـــازِ تُراعـــي مَنـــزِلاً زِيَمـــا[5]

واستخدم العَرَب الليل كذلك في كلامهم في تَحديد الوحدة الزَمنية في تَقدير المسافة بين المَواضع، ومن ذلك ما قاله الشَّمَّاخ الذبياني:

---

[1] المُهَلْهِل بن ربيعة: **الديوان**، ص 34.

[2] امرؤ القيس: **الديوان**، ص 49.

[3] الجادي: هو السائل.

[4] حاتم الطائي: **الديوان**، ص 10.

[5] النابغة الذبياني: **الديوان**، ص 103.

(الطويل)

سَــرَت مِــن أَعــالي رَحرَحــانَ فَأَصــبَحَت بِفَيــدٍ وَبــاقي لَيلِهــا مــا تَحَسَّــرا[1]

كان الليل بالنسبة للإنسان القديم هو الأصل، والنهار هو الفَرع، فالليل هو الأزلي، والنَهار هو الحادِث، وقد كانت الميثولوجيا القَمَرية سابقَة على الميثولوجيا الشَمسِية، في مُعْظَم الثَقافات، إضافة إلى أسبَقية الديانة القَمَرية على الدِيانة الشَمْسية [2].

وقد جاء في القرآن الكريم ما يؤَكِّد أسبقِية الليل على النهار في تَفكير العَرَب، إذ إن القرآن الكريم كان يَحْرِص على الدوام على مُخاطبة العَرَب من صُلْبِ معارفهم وثقافتهم قال تعالى: **" سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ "** (الحاقة|7)

قال تعالى : **" وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً ءَامِنِينَ "** (سبأ|18)

ولأن القَمَر من النجوم التي تعد من عناصر الليل، فقد كان لها حضور مُميز في حياة العَرَب في الجاهِلِيَّة، إذ اقترن سُقوط نجم أو كوكب، أو خُسوف القَمَر، أو كُسوف الشَمس بموت عزيز في قومه أو مَلك من المُلوك، وترى نوال إبراهيم بأن لمَكانة النُجوم في حَياتهم، وشدة حاجَتهم إليها علاقة بهذا الرَبط النَفسي والشُعوري بين سُقوط النجم وسُقوط السيِّد، من حيث التَهاوي والفَقد والشُعور بالفراغ [3]، وفي ذلك يقول عنترة:

(الخفيف)

خُسِــفَ البَــدرُ حــينَ كــانَ تَمامــاً وَخَفــي نــورُهُ فَعــادَ ظَلامــا[4]

---

[1] الشَّمَّاخ بن ضرار الذبياني: **الديوان**، تحقيق وشرح صلاح الدين الهادي، د ط، مصر، دار المعــارف، د ت، ص 139. 139. (الشماخ، الديوان فيما بعد).

[2] السواح، فراس: **مدخل إلى نصوص الشرق القديم**، ط 1، دار علاء لدين، دمشق، سوريا، 2006، ص 203. واشــتية، فؤاد يوسف: **رسالة القَمَر في الشِّعْر الجــاهلي**، إشراف إحسان الديك، 2010، ص 6.(فؤاد، القَمَر في الشِّعْر الجاهلي فيما بعد).

[3] إبراهيم: **الليل في الشِّعْر الجاهلي**، ص 31.

[4] التبريزي: **شرح ديوان عنترة**، ص 138.

أما أنا فأعتقد –والله أعلم– أن سبب رَبطهم بين سقوط النجم وموت السيد أو المَلِك، هو أنهم – كما ذكرت سابقا في حديثي عن تَقديس الملوك–كانوا يعتقدون أن مُلوكهم وأسيادهم هم مُمثلو الآلهة على الأرض، وطبيعي أن يكون مقر الآلهة في السماء، لذا فقد كان من الطبيعي أن يربطوا بين تهاوي النجم وموت الملك أو السيد.

وقد وجد ما يشابه ذلك عند غير العَرَب، ففي الحضارة السومرية مثلاً اعتُبر خُسوف القَمَر فألاً سيئاً، يمكن أن يعقبه هزيمة أو موت... [1].

كان للقَمر بالغ التأثير في حياة العَرَبي منذ القِدم، فهو يُضيء له مَضارب أقدامه في القِفار الموحِشة، رامياً أشِعته الفِضية إلى قَلب الصَحراء، حيث تَمتَزج رِمالها العَسجَدية، وتَنعكس في نفس البَدوي أنواراً للطمأنينة، فهو يَحدو الإبل في اللَّيالي الصَحراوية المُخيفة [2]. وكعادة العَرَب في الجاهِلِيَّة، نَسج الخُرافات العديدة حول مظاهر الطَبيعة المُمتدة، والتي تُعد بحق الملهم الأول للإنسان الذي بات يَشعر بهَيبة تلك الظَواهر الطَبيعية، بل الخَوف منها أحياناً كثيرة، من تلك الخرافات أنهم آمنوا بقدرة القَمَر على خَتن المواليد، وأن الولد الذي يولد في الليلة القَمَراء يختنه القَمَر [3].

أدى القَمَر دوراً أساسياً في التقويم الجاهلي، إذ سَيطر على مواعيدهم وتَقويمهم، وأصبح تَقويمهم قمرياً بشكل تام، ولعل السبب أن التقويم القَمَري يتَطلب دقة في الحساب، وهو لا يحتاج إلى تَصحيح مُستَمر، إذ تبين لهم ما يتَمتع به من قدرة كبيرة على تَقْسيم دورة الأرض إلى اثنتي عشرة ساعة، وعلى كفاءة عالية في قِياس الزمن [4]. وبلغ من شِدَّة معرفة العَرَب بالليل، وأهميته في حَياتهم أن قسموه إلى اثنتي عشرة ساعة ذكرها ابن قتيبة، إذ يقال مَضَى هَزِيعٌ من الليل، وهُدْءُ من الليل، وذلك من أوله إلى ثلثه، وجَوْزُ الليل: وسَطه، وجُهْمَةُ الليل: أول مآخيره والبُلْجَة: آخرهُ وهي مع السَّحَر، والسُّدْفَة مع الفجر والسُّحْرَة: السَحَر الأعلى والتَّنْوِير: عند

---

[1] دياكونوف: **تاريخ الشرق القديم،** 345/2.

[2] داود، جرجس: **أديان العَرَب قبل الإسلام،** ط 1، ص 339.

[3] ينظر: يحيى جبر: **التكون التاريخي لاصطلاحات البيئة والفلك،** ط 1، نابلس، الدار الوطنية، 1996، ص 12. (جبر، التكون التاريخي فيما بعد).

[4] ينظر: زكي: **الأساطير دراسة حضارية مقارنة،** ص 104.

الصلاة، والخيط الأبيض: بياض النهار، والخَيط الأسود سَوَاد الليل والضحى: من حين تطلع الشمس إلى ارتفاع النهار، وبعد ذلك الضَّحَاءُ – ممدود – إلى وقت [1].

وقد نَظَّم العَرَب حَرَكة القَمَر وسيره في السماء في مَنازل مَعروفة مَحدودة، يَجْري القَمَر بينها في نظام مَعروف مَحدود، وراحوا يَنسبون حوادث الطَبيعة إلى طُلوع هذه المَنازل وغُروبها وقت الفَجْر [2].

قال تعالى: **" وَءَايَةٌ لَّهُمُ الَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ "** (يس|37) يقول مصطفى الدباغ: إن في هذه الآية الكريمة حقيقة مفادها أن الليل هو الأساس، حيث أن الآية تجعله الأساس الذي ينسلخ منه النهار فيعود الظلام، وهذا ما أكده العلم الحديث، وذلك بأن الكون غارق في ظلام دامس، وإذا لاقت أشعة الشَمس المِظلة الأرضية من الهواء تَشَتت أشعتها وانتَشرت، فالفَضاء الكَوني مُظلم أصلاً، وضوء النهار يأتي بِسَبب اعتراض الغلاف الجوي الأرضي لأشعة الشَمس، وهذا ما أكَّده قوله تعالى: **" إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِى الَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالقَمَر وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ "** (الأعراف |54)، حيث إن في قوله تعالى: يغشي الليل النهار دليل على أن الليل هو الفاعل في النهار [3].

جاء في كتاب الحيوان " وسُئِلَت أَعرابيَّة فقيل لها أتعرفين النُجوم قالت: سبحانَ اللّه أما أعرف أشباحاً وُقوفاً عليَّ كلَّ ليلة " [4].وعن ذلك يتَحدث نلّينو قائلاً: وقد كان أهل البادية من أحوج الناس إلى معرفة الكواكب الثابتة الكبرى، ومواقع طُلوعها وغُروبها؛ لأنهم كثيراً ما اضطروا إلى قطع الفيافي والقفار ليلاً، مُهتَدين برؤية الدراري، فلولاها لضَلَّت جيوشهم، وهلَكت قوافلهم في الكُثبان [5]، وهو ما تُرجِم في قوله تعالى: **" وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا**

---

[1] الدينوري: **أدب الكاتب**، 74/1.

[2] الدينوري، ابن قتيبة: **الأنواء**، ص 7.

[3] الدباغ، مصطفى: **وجوه من الإعجاز القرآني**، ط 1، الأردن، مكتبة المنار، 1982، ص 83. (الدباغ، وجوه من الإعجاز فيما بعد).

[4] الجاحظ: **الحيوان**، 31/6.

[5] نلينو، كارلو: **علم الفلك تاريخه عند العَرَب في القرون الوسطى**، ط 2، الدر العَرَبية للكتاب، القاهرة، 1993، ص 107. (نلينو، علم الفلك فيما بعد).

فِى ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الاٌّ يَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ " (الأنعام|97) كذلك فإن عناية العَرَب بالنجوم التي تصنع أنواؤها المطر قديمة فمنذ زمن (آزر) أبي إبراهيم _عليه السلام_ صورت الأفلاك وعملت لها الآلات [1].

ومن الظواهر التي وجدت عند العَرَب _ والتي تدل على حضور القَمَر في نفوسهم _ تسمية قبائلهم وبعض بطونهم باسم القَمَر، تيمناً وتبرُكاً به، فكان من أحيائهم بنو قمر، ومن بطونهم بنو قمير [2]. كما تَجَلَّى حضور القَمَر في ثقافتهم الدينية، إذ جاءت أسماء مَعبوداتهم ذات صلة بالتقويم القَمَري، فقد ورد في النقوش العَرَبية الجنّوبية اسم (ورخن)، وهو يدل على الهلال، واستعملت في اللغات السامية كلها تقريباً ألفاظ مُشابهة لهذه اللفظة؛ لما تحْمله من دلالات مُتصلة بالهلال منها: (برح) بالعَرَبية، و (برحا) بالسريانية والآرامية، و(أرخو) بالأشورية، وأرح بالبابلية، ورخ بالعَرَبية اليمنية، والحبشية، وكلها تحمل معاني القَمَر والهلال والشهر، ومنها جاء الفعل أرخ بالعَرَبية الفُصحى، أي حسب الأيام والشهور على دورة القَمَر[3].

كما وكانت الشُهور عندهم مَبنية على مَسير القَمَر، ومُستَخرجة من حركاته المُختلفة [4]. إذ ارتبط الزمن في فكر الجاهليين بالقَمَر، و كانوا يستَخدمون اختلاف منازله، واختلاف نوره وظلامه في قياس الوقت [5]. ومن المَظاهر التي تُؤكد سَيطرة القَمَر المُطلقة على الزَمن النظر إليه كخالق وسيِّد للزَمن، ورب للفصول التي هي نِتاج لدَورته الشَهرية [6].

وقد ترجم اهتمام العَرَب بالأنواء والكواكب عبر أمثالهم، فقالوا:

---

[1] ينظر: الشهرستاني: **الملل والنحل**، 2/51_52. والصائغ، عبد الإله: **الزمن عند الشِّعْراء العَــرَب قبــل الإســلام**، د ط، الجمهورية العراقية، دار الرشيد للنشر، 1982. ص 40.(الصائغ، الزمن فيما فيما بعد).

[2] الحوت، محمود سليم: **في طريق الميثولوجيا عند العَرَب**، ص 97.

[3] مهران، محمد بيومي: **مصر والشرق الأدنى القديم**، د ط، القاهرة، دار المعرفة الجامعيــة، 1999، 342/7. (مهــران، مصر والشرق الأدنى فيمل بعد).

[4] البيروني، أبي الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي: **الآثار الباقية من القرون الخالية**، د ط، بيروت، دار صــادر، دت، ص 5. (البيروني، الآثار الباقية فيما بعد).

[5] المرزوقي: **الأزمنة والأمكنة**، ص 45.

[6] السواح: **لغز عشتار (الألوهة المؤنثة)**، ص 82.

"أريها السها وتُريني القَمَر"، يُضرب لمن يُغالط فيما لا يخفى [1].

وكذلك ظهرت ثقافتهم في الأنواء ضمن أسجاعهم، وقد رصد ابن الأجدابي مَجموعة منها، فقالوا:

إذا طَلَعت الأشراط نقَصَت الأنباط.

إذا طلع الإكليل، هاجَت الفُحول، وشمرت الذيول، وتَخوفت السيول.

إذا طلع البطين برد ماء البئر و العَيْن.

إذا طلعت الثريا عشيا، ابتغى الراعي كسيا.

إذا طلع الحوت خرج الناس من البيوت.

إذا طلع سعد الأخبية، دهنت الأسقية، ونزلت الأحوية [2].

وجدير بالذكر أن معرفة العَرَب في الجاهِلِيَّة بموضوع الأزمنة والأنواء، كانت معرفة عملية قائمة على التجربة المُستمِرة خلال السنين، ومَبنية على مُجرد العيان، غير مُستَنبطة بالبَحث العلمي، أو النَظر العَقلي [3].

وعند الحديث عن القَمَر فلا بد لنا من التَطَرق إلى الناحية الدينية، خاصة إذا علمنا أن أكثر ما في ثقافة أهل الجزيرة العَرَبية القديمة يتمثل في نشاطاتهم الدينية، شأنهم في ذلك شأن الأقوام القديمة فكانت ديانة عرب الجاهِلِيَّة قائِمة على الوثنية، وهي نفس ديانة السُكان القدماء في الأقطار الأخرى، وقد جاؤوا بها إلى مستعمراتهم الجديدة مع لغتهم وثقافتهم الأدبية والمادية حاملين معهم آلهتهم، وأهمها الإله القَمَر (سين)[4]. وقد شكل الثالوث جوهر الحَياة الدينية والعبادة

---

[1] الميداني: **مجمع الأمثال**، 291/1.

[2] ابن الأجدابي، أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل: **الأزمنة والأنواء**، ط 2، حققه عزة حسن، دار أبـي رقـراق للطباعة والنشر، المملكة المغربية للطباعة والنشر، الرباط، 2006، ص 177_ 180. (ابن الأجدابي، الأزمنة والأنواء فيما بعد).

[3] البيروني: **الآثار الباقية**، ص 238_239.

[4] سوسة، أحمد: **مفصل العَرَب واليهود في التاريخ (حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الأثرية)**، ط 5، الجمهورية العراقية، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثَقافَة والأعلام، 1981، ص 286.(سوسة، مفصل العَرَب واليهـود فيما بعد).

والعبادة عند عرب الجاهِلِيَّة، وغيرهم من الأمم الأخرى، فقد عبد العَرَب القَمَر تحت اسم (المقة)، واعتَبَروه إلههم الكبير، والمُقدَّم على سائر الآلهة، وكان المُلوك يتَقربون له بالأدعية، ويتوسلون إليه في كل ملمة تنزل بهم [1].

وعبدت طائفة من العَرَب الكواكب والنجوم، كالشمس والقَمَر والزهرة، وكواكب أخرى، كالدبران والعيوق، والثريا، والشِّعْرى، والمرزم، وسهيل، فكنانة كانت تَعْبد القَمَر والدبران، وجرهم كانت تَسجد للمُشتَري، وطيء عَبدت الثريا، والمرزم وسهيل، وبعض من قبائل لَخم وخُزاعة وقُرَيْش، عبَدت الشِّعْرى العبور [2]. وانتشرت عِبادة الشمس والقَمَر في أنحاء الدولة اليَمنية أيضاً؛ إلا أنهم كانوا يقدمونه على الشَمس باعتباره زَوجاً وأباً [3].

أما عن مصدر معرفة العَرَب بالأنواء فقد أخذوا شَيئاً من مَعارفهم في الأزمنة والأنواء من جيرانهم من الأمَم السابِقة الساكنة في البلاد الواقعة في شمال جزيرة العَرَب، لا سيما أهل بابل من الكلدان، فقد بَرَع هؤلاء في معرفة النُجوم، وحَرَكات الكَواكب السيارة، لأنهم كانوا أهل زِراعة ورِي، وكانوا على مَبلغ كَبير من الحَضارة، وكانت القَبائل العَرَبية الضارِبة في بوادي نَجد والحِجاز القريبة من سواد العراق، على علاقات وَثيقة بسكان السواد منذ القِدم [4]. وأن تَقْديم اللَّيالي على الأيام من مَظاهر تأثر العَرَب بكلدة وآشور، لأن شهورهم مَبنية على مَسيرة القَمَر، مقيدة بحركاته، وهو ما يتفِّق ونظرة الكلدان، ويختلف مع نظرة الروم والفُرْس [5].

استعمل العَرَب في الجاهِلِيَّة السنة القَمَرية التي تدور شهورها في أيام السنة، ولا تثبت لنقصان أيامها عن أيام السنة الشمسية، فكان الشَهر من شهورهم يدور في فصول السنة المختلفة، خلال دورة زمنية مَعلومة، وقد كَبس العَرَب سَنَتَهم القَمَرية بطريقة خاصة لتُوافق شُهورهم أيام السنة الشمسية، وأُعلِموا ذلك من اليهود الذين وفدوا إلى الحِجاز، واستَوطَنوه بعد

---

[1] ينظر، علي، جواد: **المفصل في تاريخ العَرَب قبل الإسلام**، 296/6.

[2] سالم، السيد عبد العزيز: **دراسات في تاريخ العَرَب قبل الإسلام**، 426/1. وسليم، أحمد أمين: **معالم تاريخ العَـرَب قبـل الإسلام**، د ط، بيروت، مكتب كريدية إخوان، د ت، ص 205. (سليم، معالم تاريخ العَرَب فيما بعد).

[3] خان، عبد المعيد: **الأساطير العَرَبية قبل الإسلام**، ص 110.

[4] نلينو، كارلو: **علم الفلك (تاريخه عند العَرَب في القرون الوسطى)**، ص 121_122.

[5] سالم، السيد عبد العزيز: **التاريخ السياسي والحضاري للدولة العَرَبية**، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 2004، ص 32.سالم، التاريخ السياسي فيما بعد).

زوال دَولتهم في بَيت المقدَّس على أيدي الرومان، وتفَرقوا في الأرض [1]. اعتُمِد القَمَر مِقياساً للتَقويم السومري، ولم تُؤخَذ الشَمس في ذلك لثَباتها على الرغم من تَفوقها عليه في الحجم، وهذا يعود إلى اعتِماد الناس قَديماً على الشَهر القَمَري في التَقْويم، فهم يُقدّمون الليل على النهار في توقيتهم [2].

وقد سلكت العَرَب مسلكاً خاصاً في استعمال منازل القَمَر، وذلك أن غرض سائر الأمم من إثباتها، كان تعيين مواضع الأجرام السماوية بقِياسها بمَواضع المَنازل أو أنهم استخدموها لاستِخراج الاختيارات (وهي نوع من أحكام النجوم) من موضع القَمَر في إحدى المنازل في الوقت المفروض أما العَرَب القدماء؛ فاستَعملوها لمَعرفة أحوال الهواء، وحوادث الجو في فُصول السنة؛ لأَنهم كانوا ينسبون تلك الحوادث إلى طُلوع المنازل وغُروبها وقت الفَجر حين تَطلع الشمس [3].

وكعادة الإنسان، فقد درج على نِسبة ما يُصيبه من خَير أو شَر إلى الظواهر الطَبيعية، ومن هنا أسند البابليون ظُروف حياتهم بخَيرها وشرها، إلى مجموعة من الآلهة الفلكية (سين وشمش وعشتار) " فنَسب لها الأحداث السَعيدة والسيئة التي تحصل في البلاد، مثل الحملات الحربية، والغزوات، ومرَض الأمير أو مَوته والقَحط والفَيضان " [4].

كان خُسوف القَمَر من الظواهر التي تَشاءم بها القُدماء إذ اعتقدوا أن أرواحاً شِريرة تَهجم عليه مُحتَجبة، لذا كانوا يُصلون للآلهة وقت الخُسوف، ويُقربون القرابين، حتى يَظهر مُضيئاً مرة أخرى، بعد أن يَقهر الشَياطين والمَوت ويتغلَّب عليهما [5].

---

[1] ابن الأجدابي: **الأزمنة والأنواء**، ص 12_13.

[2] علي، فاضل عبد الواحد: **الشمس والقَمَر والزهرة والزهرة في ضوء النصوص السومرية والبابلية**، مجلة الأقلام، بغداد، عدد2، 63/2000. (علي، الشمس والقَمَر والزهرة فيما بعد).

[3] نلينو، كارلو: **علم الفلك تاريخه عند العَرَب في القرون الوسطى**، ص 122.

[4] دلو، برهان الدين: **حضارة مصر والعراق (التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي)**، ط 1، بيروت، دار الفارابي، 1989، ص 387. (دلو، حضارة مصر والعراق فيما بعد).

[5] باقر، طه: **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، ط 2، بغداد، شركة الطباعة والتجارة، 251/2. (باقر، مقدمة في تاريخ تاريخ الحضارات القديمة فيما بعد).

كما اقترنت حياة المرأة الفيزيولوجية بالطَبيعة القَمَرية، فهي تَرتبط بدورة شَهرية مُعادلة لدَورة القَمَر، وهذا التَناغم ما بين الدورتين لاحَظه القُدماء وفَطِنوا إليه [1].

وكان للقَمَر دور كبير في الحِسابات الزراعية لدى الشعوب القَديمة، وذلك لإنجاح المَوسم الزراعي، والحصول على نتائج أفضَل، فحَسبوا على أساس أن أول خَمسة أيام مَلأى، ويليها خَمسة فارغة، ويعاد أربعة أيام مَلأى، وأربعة أيام فارغة، ثم ثلاثة أيام ملأى، وثلاثة فارغة، ويليها اثنان مَليآن واثنان فارغة، ثم يوم مَلآن ويوم فارغ حتى تتم أيام الشهر القَمَري الثلاثون[2].

---

[1] _ ينظر: القمني، سيد: **الأسطورة والتراث**، ط 2، القاهرة، المركز المصري لبحوث الحضارة، 1999، ص 303. (القمني، الأسطورة والتراث فيما بعد).

[2] _ ينظر: نعمة، حسن: **موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات القديمة**، د ط، بيروت، دار الفكر اللبناني، 1994، ص 33.

الخاتمة

وهكذا، وبعد استعراضي لمادة البحث، لا بد من الوقوف على بعض النتائج التي آمل من الله _عزَّ وجلّ_ أن تكون قريبة من الصواب، وأهمها:

1. إن الله عزَّ وجلّ عندما أنزل كِتابه العزيز على العَرَب في جاهِليتهم الأولى لم يَكن لينزله إلا لعِلْمٍ بما كانوا عليه من أحوال وثقافة؛ لذا كان السر في مُعارضَتهم لهذا الكتاب، فهم أهل الجَدل والحِوار، ولدَيهم من المَعارف ما يُمَّكنهم من فَهم كِتاب بِهذا الإعجاز، ولولا ذلك ما قاوَموه وعارضوه بهذه الشدة .
2. إن العَرَب قبل الإسلام كانوا أهل عِلم ودِراية، ولم يَكونوا على ما نَعَتَهم به بعضهم من التَخَلُّف والعِماية، إلا أن هذا لا يَنفي أنهم كانوا يُعايشون حالةً من التَشَتت لعَدِم اهتدائِهم إلى الواحِد الأحد الفَرْد الصَمَد، المُستَحِق وَحده للعِبادة دون وَسيط أو شَريك.
3. برع القرآن الكريم في توظيف الثَقافَة الجاهِلِيَّة، والإفادة منها في غير مَوضع، إذ وظفها تارة مُؤيداً لما هم عليه من خلفيات ثقافية، كقِصة الحسَد و العَيْن، كما في قوله تعالى: " وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ " (القلم|51)، وموضوع الفِراسَة الذي بَرعوا فيه وتَفَوَّقوا، قال تعالى: " إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ " (الحجر|75) وتارة معارضاً ونافياً، كما هو الحال في قَضية شياطين الشِّعْراء، واتهام النبيّ _عليه الصلاة والسلام_ بأنه شاعر، قال تعالى: " وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ " (الحاقة|41)
4. ما لاحظته من خلال البَحْث أن مَواضع تَوظيف القرآن الكريم للثقافة الجاهِلِيَّة، وعدَم نَفْيها، بل الإفادة مِنها في تَقريب المَعْنى إلى أذهانهم وقُلوبهم، كانت أكثَر من المَواضِع التي رَفَض فيها القُرآن الكَريم تلك الأنماط الثَقافية، والمُمارَسات العَمَلية السائدة لدَيهم.
5. من خِلال استِقْرائي للأنماطِ الثَقافية السائِدة لَدى بَعْض الشُعوب والحَضارات الإنسانِيَّة، بِما فيها العَرَب قبل الإسلام (في العَصْر الجاهلي)، وجدت أن هنالك تشابهاً وتَقارُباً كبيراً فيها، وهذا ما يُعَزِّز مَقولَة أن المَوروث الإنساني مَوروث جَمْعِي.

المسارد

مسرد الآيات القُرآنية الكريمة

الصفحة	رقمها	السورة	الآية
227	109	يوسف	وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ
29	111		لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لاوْلِي الأَلْبَابِ
70	3	الرعد	وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي
218	18_20	إبراهيم	مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ
96	24_25		أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ
218	25		تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال
67	46		وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبال
247	22	الحجر	وأرسلنا الرياح لواقح
194	29		فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ
88	45		إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ
199	72		لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ
199	75		إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ
95	11	النحل	يُنبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ
227	12		وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالْنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ وَالْنُّجُومُ
70	15		وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِي أَن تَمِيدَ بِكُمْ
24	16		وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً
9	22		إِلَهُكُمْ إِلاهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم
62	47		أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ
91، 95	67		وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا
181	90		إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَآءِ ذِي الْقُرْبَى
219	91_92		وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ
61	103		وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ
11	120_123		إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ
140	13	الإسراء	وكلَّ إِنْسانٍ أَلْزَمْناه طائرَه في عُنُقِه
34	31		وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم
68	37		وَلَن تَبْلُغَ الجبال طُولاً
97	90_91		وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ	الإسراء	91	96
أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار يحلون	الكهف	31	51، 101
وَاضْرِبْ لَهُمْ مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ		32	87، 96
الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِي "		101	166
إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ		107	88
فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً فَأَجَآءَهَا الْمَخَاضُ	مريم	23	98
وَهُزِّى إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيًّا		25	98
فَكُلِى وَاشْرَبِي وَقَرِّى عَيْناً		26	98
وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ	طه	22	113
قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ		71	97
وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً		102	236
يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً		102	123
وَأَنَّكَ لاَ تَظْمَؤُا فِيهَا وَلاَ تَضْحَى		119	237
وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ	الأنبياء	30	236
إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى	الحج	17	46
فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ	المؤمنون	19	96
هَيْهات هَيْهات لِماتُوعَدون		36	133
وَقَالُواْ إِنْ هِىَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ		37	13
وَهُوَ الَّذِى أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً		78	226
وَقُلْ رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ		97	190
وَقَالُواْ مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِى	الفرقان	7	14
قُلْ أَذَالِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِى وَعِدَ الْمُتَّقُونَ		15	88
وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُورا		23	220
واجعلني من ورثة جنة النعيم	الشِّعْراء	85	88
نَزَلَ بِهِ الروح الأمين على قَلْبِكَ		193_ 194	194
إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزاً مِّنَ السَّمَآءِ "	العنكبوت	34	226

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ	العنكبوت	41	220
وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون		43	216
ضَرَبَ لَكُمْ مَّثَلاً مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّن مَّا مَلَكَتْ	الروم	28	227
وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ		58	218
فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ	السجدة	17	87
سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً	سبأ	18	254
إنما يخشى الله من عباده العلماء	فاطر	28	67
وَءَايَةٌ لَّهُمُ الَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ	يس	37	256
وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِىَ خَلْقَهُ قال من يحيي العظام		78	14
بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ	الصافات	46	113
كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ		49	112
طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ		65	187
هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم إنهم صالوا النار	ص	59	230
لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ	غافر	16	153
وَمِنْ ءَايَاتِهِ الَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالقَمَر لاَ تَسْجُدُواْ	فصلت	37	48
لا يَأتيه الباطِل مِن بَيْنِ يَدَيه ولا مِنْ خَلفِه تنزيل		42	1
ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد		82	88
وَمِنْ ءَايَاتِهِ الْجَوَارِ فِى الْبَحْرِ كَالأَعْلَامِ	الشورى	32	72
وَلَوْ نَشَآءُ لأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ	محمد	30	199
إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الحَمِيّة حَمِيَّةَ الجاهِلِيَّة	الفَتح	26	8
وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ "	ق	10	95
وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم "	الذاريات	41	247
فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلاَ مَجْنُونٍ	الطور	29	178
أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ		32	228
عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى	النجم	15	88
وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى		49	15
" يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْداث كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ"	القَمَر	7	221
" تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ "		14	166

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
تنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ	القَمَر	20	95
إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ يَوْمَ يُسْحَبُونَ		48_47	51
وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَئَاتُ فِي الْبَحْرِ كَالأَّ عْلَامِ	الرحمن	24	72
فإذا انشقت السماء فكانت وردةً كالدهان		37	222
مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ		76	101
وَبُسَّتِ الجبال بَسًّا فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا	الواقعة	6_5	68
فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الهِيم		54	237
وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ		23_22	111
وأما من كان من أصحاب اليمين فسلام لك		91_90	242
لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْءَانَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً	الحشر	21	67
ما أنتَ بِنِعمَةِ رَبكَ بِمَجْنُون "	القلم	2	178
وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ		51	168
سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا	الحاقة	7	95، 254
فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَآؤُمُ اقْرَؤُواْ كِتَابِيَهْ		19	242
وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ		41	177
وَتَكُونُ الجبال كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ	المعارج	9	68
يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْداث سِرَاعاً كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ		43	133
وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ	الجنّ	6	19
يَوْمَ تَرْجُفُ الأَّرْضُ وَالجبال وَكَانَتِ الجبال كَثِيباً مَّهِيلاً	الزمل	14	68
وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ	المدثر	4	129
وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ	القيامة	22	112
وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ		27	203
عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً	الإنسان	6	166
وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً		17	128
عَلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ		21	101
وَإِذَا الجبال نُسِفَتْ	المرسلات	10	68
وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا		27	70
وَالجِبال أَوْتَاداً	النبأ	7	69

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
وَالجِبال أَرْسَاهَا	النازعات	32	70
وأما من جاءك يسعى وهو يخشى	عبس	8_9	67
فأنبتنا فيها حبا.وعنبا وقضبا وزيتونا ونَخلا		27_29	95
وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا		29	95
وَإِذَا الجِبال سُيِّرَتْ	التكوير	3	68
كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَّ بْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ	المطففين	18	88
لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ	الغاشية	6	127
أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَآءِ		17_19	68
هل في ذلك قسم لذي حجر	الفجر	5	228
لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَة نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ	العلق	15	209
وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدّينَ حُنَفَاء	البيّنة	5	11
أُمُّهُ هاوِيَة	القارعة	9	232
إِيلَافِ قُرَيْش إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَآءِ وَالصَّيْفِ	قُرَيْش	4	41
وَمِن شَرّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ	الفلق	3	251
وَمِن شَرّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ		4	202
وَمِن شَرّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ		5	168

مسرد الأحاديث النبوية الشريفة

مسرد الأشعار

أول البيت	آخر البيت	البحر	القائل	الصفحة
تخوف السير	السفن	البسيط	تميم بن أبي	63
وجَبَلاً طَالَ	الدَّهَر	الرجز	أبو النجم العجلي	66
أَللبأْسِ أَمْ لِلْجُودِ	الرَّواسيا	الطويل	صريع الغواني	67
وَالبَيتُ لا يُبتَنى	أوتادُ	البسيط	الأفوه الأودي	69
ضَرَبَت دَوسَرُ	مُستَقِر	السريع	المُثَقِّبِ العَبْدِي	70
إنَّ لي همةً	الجِبال	الخفيف	عنترة بن شدّاد	70
سابكيهما واللهِ	الرّواسِيَا	الطويل	الخنساء	70
وَقَد يَعقِلُ	طَلّاعَ أَنجُدِ	الطويل	علقمة الفحل	71
أَنا اِبنُ جَلا	تعرفوني	الوافر	سحيم الرياحي	71
وَإِنّي لَقَوّالٌ	لِلمُشَبِّبِ	الطويل	الكُمَيْتُ الأَسَدِي	71
تَوَقَّى بأَطْرافِ	الأَجادِلُ	الطويل	أبو ذؤيب الهذلي	72
رَبّاءُ شَمّاءُ	السَبَلُ	البسيط	المُتَنَخِّل اليشكري	72
وَمَهمَهٍ مُقفِرٍ	منزاحِ	البسيط	عَبِيد بن الأَبْرَص	72
لَيسَت بِراجِعَةٍ	الأعلام	الكامل	المُهَلْهِل بن ربيعة	73
فإني والذي	حراء	الوافر	شاعر	74
بَلينا وَما تَبلى	المصانِعُ	الطويل	لبيد بن ربيعة	75
إِن يَكُن في	الإنظارُ	الخفيف	لبيد بن ربيعة	76
أَرى الأَيّامَ	الرِقاق	الوافر	عدي الأزدي	76
أَلا لا أَرى	الرواسيا	الطويل	زهيرُ بن أَبي سُلمى	76
فَالضَيفُ وَالجارُ	أهضامُها	الكامل	لبيد بن ربيعة	77
قَوْمي أوُلَئك	خِيمُ	الكامل	لبيد بن ربيعة	77
لو يوزنون	أُحُدُ	البسيط	بشر بن أبي خازم	77
وَلَوَ اِنَّ ما	فِندا	مجزوء الكامل	الحارث بن حلزة	78
وَتَطلُبُ أَن	الثقيل	الوافر	عنترة بن شداد	78
وَآخُذُ مالَنا	الراسيات	الوافر	عنترة بن شداد	78
شمُّ الأُنوفِ	أركانُ	البسيط	حسان بن ثابت	78
فَإِن يَكُ عِزٌّ	أسقُفِ	الطويل	عنترة بن شداد	79
وَإِنَّ صَخراً	نارُ	البسيط	الخنساء	79

أول البيت	آخر البيت	البحر	القائل	الصفحة
وَعَلَوتُ مُرتَبِئاً	مَثمِلِ	الكامل	أبو كبير الهذلي	79
رَبّاءُ مَرقَبَةٍ	أقرانِ	البسيط	أَبو المُتَلَّم الهُذَلي	80
حلفتُ بربٍّ	كبكبُ	الطويل	أوس بن حجر	82
كَأنّ عَيْنيّ	سُحُقَا	البسيط	زهيرُ بن أَبي سُلمى	88
وَأَيّامَ حَجرٍ	أَرقَمِ	الطويل	الأعشى	90
وَإِنَّ امرأً	خَيبَرا	الطويل	النابغة الجعدي	90
وَالمانِحُ المِئَةَ	يَثرِبِ	الكامل	بشر بن أبي خازم	91
وَأَوهَبَ لِلكومِ	مَلهَمِ	الطويل	بشر بن أبي خازم	91
أَلَم تَرَ أَنَّ	فَصافِصا	الطويل	الأعشى	91
مُتَعَوِّدٌ لَحِنٌ	وَبانِ	الكامل	لبيد بن ربيعة	991
وَفَرعٍ يزينُ	المُتَعَثكِلِ	الطويل	امرؤ القيس	92
هَل عَلِمتُم	عُواءُ	الخفيف	الحارث بن حلزة	93
وَالخَيلُ عاكِفَةٌ	الجُرّامِ	الكامل	عَبيد بن الأَبْرَص	93
وَقَتلى كَمِثلِ	مُنهَمِر	المتقارب	أوس بن حجر	93
وَطَرَحتُهُم فَوقَ	المحجَرِ	الرجز	عنترة بن شداد	93
أَترابُ مَيٍّ	المُغَيّرُ	الرجز	ذو الرمة	105
فَشُبِّهتهُم في	مُقَيَّرا	الطويل	امرؤ القيس	107
رِقاقُ النِعالِ	السبايب	الطويل	النابغةالذبياني	108
قامَتْ تراءى	بالأسعُدِ	الكامل	النابغة الذبياني	112
وَبَيضَةِ خِدرٍ	مُعجَلِ	الطويل	امرؤ القيس	115
أَغَرُّ أَبيَضُ	الرِبَقا	زهير	زهيرُ بن أَبي سُلمى	115
أتاكَ بقَوْلٍ	ناصعُ	الطويل	النابغة الذبياني	115
تُعَيِّرني العِدى	السَّوادا	الوافر	عنترة بن شداد	116
خيلاً كأمثال	**شوس**	الكامل	مالك الأشتر	116
بِأَنّا نورِدُ	روينا	الوافر	عمرو بن كلثوم	116
بِيضُ الوجوهِ	الأوّلِ	الكامل	حسان بن ثابت	116
وقضَت علينا	سُودَها	الكامل	عنترة بن شداد	116

أول البيت	آخر البيت	البحر	القائل	الصفحة
وَوَجهاً كالفتاق	سودُ	الوافر	الأعشى	117
منْ كلِّ بيضاءَ	كَاللَّبَنْ	المتقارب	الأعشى	117
أو دُميَةٍ	قرمدِ	الكامل	النابغة الذبياني	117
مِنَ البِيضِ	الرَّوَاني	الطويل	امرؤ القيس	117
فنَبْعٌ ف النبيّعُ	سِخَالُ	الوافر	لبيد بن ربيعة	118
زُجَلاً كأنَّ	آرَامُهَا	الكامل	لبيد بن ربيعة	118
وسَبَيْنا من	الرُّضابِ	الخفيف	زهيرُ بن أَبي سُلمى	118
وَأَنكاسٌ غَداةَ	الخُدورا	الوافر	بشر بن أبي خازم	118
إِذ تَستَبيكَ	المَطعَمِ	الكامل	امرؤ القيس	119
فَصَبّحَهُ عِنْدَ	سِنِبِسِ	الطويل	امرؤ القيس	119
قبلَ ما اليومِ	إباءُ	الخفيف	الحارث بن حلزة	122
لَقَد زَرِقَت	أزرقُ	الطويل	سويد اليشكري	123
ولا عَيْبَ	عيونها	الطويل	صحار العبدي	124
بنواظر زرق	المنجل	الكامل	عنترة بن شداد	125
مُغَرَّثَةً زَرقا	عِضرِسِ	الطويل	امرؤ القيس	125
فحبسن في	حرود	الكامل	قيس بن عيزارة	128
كَأَنَّ جَنِيّاً	مَشورا	المتقارب	الأعشى	129
ولكنني أقْصي	دَسم	الطويل	راشد اليشكري	130
فَشَكَكْتُ بالرُّمْح	بِمُحَرَّم	الكامل	عنترة بن شداد	130
أطَرَدْتَني حَذَرَ	ما تَئِلُ	الكامل	المتلمس الضبعي	132
حلفتُ بأنصابِ	القملُ	الطويل	زهيرُ بن أَبي سُلمى	132
يُطيفُ بنُصبِهِمْ	تَشيبُ	الوافر	المُثَقِّبِ العَبْدِي	133
فزلَّ عنها	النسكُ	البسيط	زهيرُ بن أَبي سُلمى	133
جَرَى بفِرَاقِ	تُبْدِي	الطويل	شاعر	141
حَرِق الجنّاح	مُولَع	الكامل	عنترة بن شداد	142
فما بالعارِ	الخَبيص	الوافر	وعلة الجرمي	142
وَإِذ لِمَّتي	لَإِعجابِها	المتقارب	الأعشى	142

أول البيت	آخر البيت	البحر	القائل	الصفحة
زعموا بأن	الأحباب	الكامل	شاعر	145
أحب الفأل	عاجز	الوافر	شاعر	145
ولَسْتُ بِهَيَّابٍ	حاتم	الطويل	خثيم بن عدي	146
أَمَاوِيَّ إمَّا	الزَّجْرُ	الطويل	حاتم الطائي	147
وَقَد أَغتَدي	فَعمِ	الطويل	امرؤ القيس	148
وَقَدْ أغْتَدي	هيكل	الطويل	امرؤ القيس	148
أربحيٌّ صلتٌ	للهلال	الخفيف	الأعشى	154
فَلَمّا أَتَانَا	َعمَارَا	المتقارب	الأعشى	155
بُناةُ مَكارِمٍ	الشِفاءُ	الوافر	شاعر	155
وداويتُهُ مما	واقفُ	الطويل	عاصم بن القِرِّيَّة	156
ظَلَّ مَقاليتُ	مِئزَرُ	الطويل	بشر بن أبي خازم	156
أَلَم أُقسِم	الهُمامُ	الوافر	النابغة الذبياني	157
مُباركُ الأمرِ	خطرُ	البسيط	رفيقة بنت نباتة	158
قاتلي القوم	فشلُ	الخفيف	الشداخ الكناني	159
حَبَشيٌّ له	إفالا	الخفيف	أبو المقدام	165
يَتقارَضونَ إذا	الأقدام	الكامل	شاعر	168
قد كان قومُك	معيون	الكامل	شاعر	168
يَزينُها للناظِرِ	بالحِْيرانِ	الرجز	ابن الأعرابي	169
وهبتها وأنت	البعران	الرجز	شاعر	170
تُعَوَّذُ بالرُّقى	التَّميمُ	الوافر	سلمة بن الخرشب	170
ولو أنني	لأبياتي	الطويل	البسوس	174
وقَد هَرَّت	يلينا	الوافر	عمرو بن كلثوم	175
إني وكل شاعر	ذكر	الرجز	أبو النجم الرجاز	176
لا أَسرِقُ	شعري	الكامل	حسان بن ثابت	176
كَأَنَّ صَليلَ	بِعَبقَرا	الطويل	امرؤ القيس	177
نَأَتْ بِسُعاد	رَهينُ	الوافر	النابغة الذبياني	183
أَيَقتُلُني والمَشْرَفِيُّ	أغوال	الطويل	امرؤ القيس	189/184

الصفحة	القائل	البحر	آخر البيت	أول البيت
188/185	شاعر	الرجز	أعرَف	عَنْجَرِدٌ تَحْلِفُ
185	حميد بن ثور	الطويل	مُحْكَمَا	فلمّا أَتَتْه
185	شاعر	الطويل	قَفْرِ	تُلاعِبُ مَثْنَى
186	أُمَيَّة بن أَبي الصَّلْت	الخفيف	والأغلالِ	أَيُّمَا شاطِنٍ
187	منظور بن رواحة	الطويل	الخَمْر	ولما أتاني
193	شاعر	المنسرح	الخَبَر	لا تسأل المَرءَ
198	الأعشى	السريع	صابري	اِنظُر إلى كَفٍّ
199	القتّال الكلابي	الكامل	الأَلْبَاب	ولَقَدْ لَحَنْتُ
202	شاعر	المتقارب	المُعْضِهِ	أَعُوذُ بِرَبِّي
202	متمم بن نويرة	السريع	الحاسد	نفثت في الخيط
205	علقمة الفحل	الطويل	مُجْلَب	بغَوْجٍ لَبانُه
205	المُهَلْهِل بن ربيعة	الخفيف	معلاق	إن تحت
206	عنترة بن شداد	الوافر	الفُقودُ	فَإن يَبرَأ فَلَم
210	زهيرُ بن أَبي سُلمى	الطويل	يَتَثَلَّمِ	أَثافِيَّ سُفعاً
210	الأعشى	المتقارب	تُكَنْ	يُسافِعُ ورْقاءَ
211	جنادة بن عامر	الوافر	سفاعا	كأَنَّ مُجَرَّباً
211	حميد بن ثور الهلالي	الكامل	سافِع	قَومٌ إِذا سَمِعُوا
211	الخنساء	المتقارب	تُجَزّا	جَزَزنا نَواصِيَ
212	بشر بن أبي خازم	الوافر	الوثاق	فَإِذ جُزَّت
212	أم قيس الضَّبِّيَّة	البسيط	مَشْهُود	وَمَشْهَدٍ قَدْ
213	مُحْرِز بن مُكَعْبَرٍ الضَّبِّيَّ	الطويل	تُكفَرُ	إذا كُنتَ في
الصفحة	**القائل**	**البحر**	**آخر البيت**	**أول البيت**
217	الأعشى	المنسرح	مثلاً	هل تذكر
228	طرفة بنالعبد	المتقارب	فصة	وآخر تحسبه
228	طَرَفَةُ بن العبد	المتقارب	شَخْصِهِ	وكم مِن فَتًى
229	عنترة	الطويل	يذهبُ	ولاَ تسقني
229	زهيرُ بن أَبي سُلمى	الطويل	المثلم	لَعَمْرُكَ ما جَرّتْ

أول البيت	آخر البيت	البحر	القائل	الصفحة
لعمركَ ما	يَعْقِلُ	الطويل	الشَّنْفَرى	229
اِعقِلِي إِن	عَقَل	الرمل	لبيد بن ربيعة	230
قد تجرت	التاجرة	السريع	الفضل بن عباس	231
لا مَرْحَبَاً بغدٍ	غَدِ	الكامل	النابغة الذبياني	231
هوت أمه	يؤوب	الطويل	كعب بن سعيد الغنوي	232
هوت أمه	ينوب	الطويل	غريقة بن مسافع العبسي	232
خَرَجْنا من	سُرْبَتي	الطويل	الشَّنْفَرى	233
فَتَنَوَّرْتُ نَارَهَا	الصِّلاءُ	الخفيف	الحارث بن حلزة	234
وكم ناديته	أجابا	الوافر	شاعر	235
فَسَقى ديارَكِ	تَهمي	الكامل	طَرَفَةُ بن العبد	235
سَقى اللهُ	زُغَر	الطويل	حاتم الطائي	235
يَهِيمُ وليس	وأَنْجَدا	الطويل	ابن بري	237
تكنّفها الهُيام	صِحاحِ	الوافر	أمية بن الأسكر	239
أو أن تشمر	مذكارا	البسيط	عدي بن زيد	240
صَدَدْتِ الكأسَ	اليمينا	الوافر	عمرو بن كلثوم	243
فلما أنْ	الظباء	الوافر	زهيرُ بن أَبي سُلمى	244
وأَبو الفِراخِ	يَنعَبُ	الكامل	عَبِيد بن الأَبْرَص	245
باتَت شَآمِيَةٌ	الندى	الكامل	الأسعر الجعفي	245
إذا هبّت	الوليدا	الوافر	ابنة لبيد بن ربيعة	246
إِذا كانَ	دَبورُ	الطويل	أبو ذؤيب الهذلي	246
مَرَتِ الجنّوبُ	مُديم	الكامل	لبيد بن ربيعة	246
كَأَنَّ بَناتِ	الرَطيبُ	الوافر	عبد الله بن سلمة	246
فَأَنتَ عَلى	بَليلُ	الطويل	طَرَفَةُ بن العبد	247
قَلِقٍ لِأَفنانِ	حائل	مجزوء الكامل	الطِّرِمَّاح بن الحكيم	248
وَلا مُتَحَيِّرٌ	تفوحُ	الوافر	أبو ذؤيب الهذلي	248
شُمُسٌ مَوانِعُ	المغيارُ	الكامل	النابغة الذبياني	250
إِذا قُلتَ	الجزلا	الطويل	عمرو بن شأس	250

مسرد الأمثال

المثل	الصفحة
إذا طلع الحوت خَرج الناس من البُيوت	258
إذا طَلع سعد الأخبية، دهنت الأسقية، ونَزلت الأحوية	258

مسرد الألفاظ

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الكتاب المقدَّس

إبراهيم، نبيلة: **الدراسات الشَعبية بين النَظرية والتَطبيق**، د ط، مكتبة القاهرة الحديثة، د ت.

إبراهيم، نوال مصطفى: **الليل في الشِّعْر الجاهلي**، د ط، الأردن، عمان، دار اليازوري العلمية للطباعة والنشر، 2009.

الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد: **المستطرف في كل فن مستظرف**، تحقيق مفيد محمد قمحية، د ط، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 1986.

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني: **الكامل في التاريخ**، تحقيق عبد الله القاضي، ط 2، بيروت، دار الكتب العلمية، 1415ه.

ابن الأجدابي، ابو اسحاق إبراهيم بن إسماعيل: **الأزمنة والأنواء**، حققه عزة حسن، ط 2، المملكة المغربية، الرباط، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، 2006.

الإحسائي، أبو بكر محمد: **جامع تفاسير الأحلام (تنبيه الأفهام بتأويل الأحلام)**، ط 1، الدوحة، قطر، دار الثَقافَة، 1408 ه، 1988م.

أرمان، أدولف: **ديانة مصر القديمة نشأتها وتطورها ونهايتها في أربعة آلاف سنة**، ترجمة عبد المنعم أبو بكر ومحمد أنور شكري، ط 1، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1995.

الأزدي، سليمان بن الأشعث أبو داوود السجستاني: **سنن أبي داود**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.

الأَزْرَقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد: **أخبار مَكَّة وما جاء فيها من الآثار**، مطبعة المحروسة، 1857.

الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد: **تهذيب اللغة**، تحقيق محمد مرعب، ط 1، بيروت، دار إحياء التراث العَرَبي، 2001.

الأسد، ناصر الدين: **مصادر الشِّعْر الجاهلي وقيمتها التاريخية**، د ط، دار القلم، بيروت، لبنان، د ت.

أسعد، ميخائيل يوسف: **معتقدات وخرافات**، د ط، القاهرة، دار النهضة العَرَبية، 1980.

الأصبحي، مالك بن أنس أبو عبد الله: **موطأ الإمام مالك**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، د ط، مصر، دار إحياء التراث العَرَبي، د ت.

الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله: **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، ط 4، بيروت،ة دار الكتاب العَرَبي، 1405 ه.

الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق محمد سيد كيلاني، لبنان، دار المعرفة.

________: **الذريعة في مكارم أهل الشريعة**، تحقيق أبي اليزيد العجمي، ط 1، دار السلام، القاهرة، 2007.

________: **محاضرات الأدباء ومحاولات الشِّعْراء والبلغاء**، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1961.

الأصفهاني، أبو الفرج: **الأغاني**، ط 2، بيروت، دار الفكر، د ت.

الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك: **الأصمعيات**، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، ط 7، دار المعارف، مصر، 1993.

الأعشى: **الديوان**، د ط، بيروت، لبنان، الشركة اللبنانية للكتاب، 1968.

الأفوه الأودي: **الديوان**، تحقيق محمد التونجي، ط 1، بيروت، دار صادر، 1998.

الألوسي، محمود شكري بن عبد الله: **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العَرَب**، شرحه وصححه وحققه محمد الأثري، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ت.

الألوسي البغدادي، أبو الفضل شهاب الدين محمود: **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، د ط، بيروت، دار إحياء التراث العَرَبي، د ت

أمين، أحمد: **فجر الإسلام**، ط 10، دار الكتاب العَرَبي، بيروت، لبنان، 1969

امرؤ القيس: **الديوان**، اعتنى به وشرحه عبد الرحمن المصطاوي، ط 2، بيروت، لبنان، دار المعرفة، 2004.

أُمَيَّة بن أَبي الصَّلْت: **الديوان**، بيروت، لبنان، المكتبة الأهلية، 1934.

الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم: **شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات**، تحقيق عبد السلام هارون،، ط 2، مصر، دار المعارف، د ت.

الأندلسي، أبو سعيد: **نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العَرَب**، تحقيق نصرت عبد الرحمن، ط 1، عمان، مكتبة الأقصى، 1982.

الأندلسي: أحمد بن عبد ربه: **العقد الفريد**، ط3، لبنان، بيروت، دار إحياء التراث العَرَبي، 1999.

الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية: **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، ط 1، لبنان، دار الكتب العلمية، 1413ه، 1993م.

الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم: **جمهرة أنساب العَرَب**، د ط، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، 1382ه.

أوس بن حجر: **الديوان**، ط 3، تحقيق محمد يوسف نجم، بيروت، دار صادر، 1979.

الباش، حسن و السهلي، محمد توفيق: **المُعتقدات الشَعبية في التراث العَرَبي**، دار الجليل، 1980.

باقر، طه: **ملحمة جلجامش**، ط 4، دار الحرية للطباعة، 1980.

باقر، طه: **مُقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، ط1, دار الوراق للنشر , 2009 .

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي: **صحيح البخاري**، تحقيق مصطفى ديب البغا، ط 3، دار ابن كثير، بيروت، 1987.

بدران، إبراهيم، والخماش، سلوى: **دراسات في العقلية العَرَبية والخرافة**، ط 3، بيروت، دار الحقيقة للطباعة والنشر، 1988.

البستاني، فؤاد افرام: **الشِّعْر الجاهلي (نشأته فنونه صفاته)**، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، 1937.

بشر بن أبي خازم: **الديوان**، دمشق، تحقيق عزة حسن ,مديرية إحياء التراث، 1960.

البصري، صدر الدين علي بن الحسن: **الحَماسة البصرية**، تحقيق مختار الدين أحمد، د ط، بيروت، 1983.

البيضاوي، ناصر الدين: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، د ط، دار الفكر، بيروت، د ت.

البغدادي، عبد القادر بن عمر: **خَزانة الأدب**، تحقيق نبيل طريفي، إميل اليعقوب، دار الكتب العلمية، 1998.

البغوي: **تفسير البغوي**، تحقيق خالد عبد الرحمن العك، بيروت، دار المعرفة.

البكري، عبد الله عبد العزيز الأندلسي أبو عبيد: **مُعجم ما استَعجَم من أسماء البلاد والمواضع**، تحقيق مصطفى السقا، ط3، بيروت،عالم الكتب , 1403.

ابن بنين: أبو الربيع سليمان تقي الدين المصري: **اتفاق المَباني وافتراق المَعاني**، تحقيق يحيى جبر، عمان، دار عمان، 1985.

البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي: **الآثار الباقية عن القُرون الخالية**، بيروت، دار صادر.

التبريزي: **ديوان الحماسة**، د ط، بيروت، دار القلم، د ت.

الترمذي السلمي، محمد بن عيسى أبو عيسى: **الجامع الصحيح سنن الترمذي**، د ط، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين، بيروت، دار إحياء التراث العَرَبي، د ت.

الترمذي، أبو عبد الله محمد بن علي الحكيم: **الأمثال من الكتاب والسنة**، تحقيق السيد الجميلي، د ط، بيروت، دمشق، دار ابن زيدون، دار أسامة، د ت

أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي: **ديوان الحماسة**، مصر، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، 1955.

التميمي، أحمد بن علي الموصلي: **مُسند أبي يعلى**، تحقيق حسين سليم أسد، ط 1، دار المأمون للتراث.

التوحيدي: **الهَوامل والشَوامل**، تقديم صلاح رسلان، د ط، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثَقافَة، د ت.

توكاريف، أ سيرغي: **الأديان في تاريخ شعوب العالم**، ترجمة أحمد فاضل، ط 1، سوريا، دمشق، الأهالي للتوزيع، 1998.

توفيق أبو علي، محمد: **الأمثال العَرَبية والعَصْر الجاهلي**، ط 1، دار النفائس، بيروت لبنان، 1988

التيفاشي، أبو العباس أحمد بن يوسف: **سُرور النفس بمدارك الحواس الخمس**، تحقيق إحسان عباس، ط 1 بيروت، المؤسسة العَرَبية للدراسات والنشر، 1980.

الثعالبي، أبو منصور بن عبد الملك: **ثِمار القلوب في المُضاف والمنسوب**، د ط، دار المعارف، القاهرة، د ت.

الثعلبي، أبو اسحاق أحمد بن محمد إبراهيم: **قصص الأنبياء (عرائس المجالس)**، د ط، القاهرة، نشر عبد الحميد أحمد حنفي، 1376 ه .

الجابري، محمد عابد: **المَسألة الثقافية**، ط 1، مركز دراسات الوحدة العَرَبية، بيروت، لبنان، 1994

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: **البيان والتبيين**، تحقيق فوزي عطوي، د ط، دار صعب، بيروت

______: **الحَيوان**، تحقيق عبد السلام هارون، ط 3، دار إحياء التراث العَرَبي، بيروت، لبنان، 1969.

الجارم، نعمان: **أديان العَرَب في الجاهِلِيَّة**، ط 1، مطبعة السعادة، مصر، 1923.

جاد المولى، محمد أحمد وآخرون: **أيام العَرَب في الجاهِلِيَّة**، بيروت، دار الجيل، 1981.

جبر، يحيى: **التكون التاريخي لاصطلاحات البيئة الطبيعية والفلك**، ط 1، نابلس الدار الوطنية، 1996.

______: **نحو دراسات وأبعاد لغوية**، ط 1، نابلس، سلسلة أسفار العَرَبية.

الجبوري، يحيى: **قصائد جاهلية نادرة**، ط 2، مؤسسة الرسالة، 1988.

جرجس، داود: **أديان العَرَب قبل الإسلام ووجهها الحَضاري والاجتماعي**، ط 1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1981.

الجزري، أبو السعادات المبارك بن محمد: **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، د ط، ومحمود الطناحي، بيروت، المكتبة العلمية، 1399ه، 1979م، د ت.

الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر: **أحكام القرآن**، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العَرَبي، بيروت، د ت.

جعفر، غسان: **علم الفِراسَة**، بيروت، لبنان، رشاد برس، 2006.

جفري، بارندر: **المُعتقدات الدينية لدى الشُعوب**، ترجمة إمام عبد الفتاح، وعبد الغفار مكاوي، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1996.

الجمحي، أبو عبد الله محمد بن سلام: **طَبقات فُحول الشِّعْراء**، القاهرة، مطبعة المدني، 1874.

جودي، محمد حسين: **تاريخ الأزياء القديم**، ط 1، عمان، دار صفاء، 1997.

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن: **نزهة الأعين النَواظر في علم الوجوه والنظائر**، تحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي، ط 1، لبنان، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1404 ه، 1984م.

الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد: **زاد المسير في علم التفسير**، ط 3، بيروت، المكتب الإسلامي، 1404.

الجوهري، محمد: **علم الفُولكلور**، القاهرة، دار المعارف، 1980.

حاتم الطائي: **الديوان**، شرحه أحمد رشاد، ط 3، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 2002.

ابن حبيب، أبو جعفر محمد : **المحبر**، د ط، المكتب التجاري، بيروت، 1942

حتي، فيليب: **تاريخ العَرَب (مطول)**، ترجمة إدوارد جرجي وجبرائيل جبور، د ط، دار الكشاف، بيروت، 1952.

حسان بن ثابت الأنصاري: **الديوان**، بيروت، دار صادر.

حسن، إبراهيم حسن: **تاريخ الإسلام السِياسي والديني والثَقافي والاجتماعي**، ط 5، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1959.

أبو الحسين الرازي، أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب: **الإتباع والمزاوجة**، تحقيق كمال مصطفى، د ط، القارة، مصر، مكتبة الخانجي، د ت.

الحسين، قصي: **أنثربولوجية الأدب (دراسة الآثار الأدبية على ضوء علم الإنسان)**، ط 1، بيروت، دار ومكتبة الهلال، 2009.

________: **انتربولوجية الصُورة والشِّعْر العَرَبي قبل الإسلام**، ط 1، لبنان، 1993.

حمور، عرفان محمد: **أسواق العَرَب: عَرض أدبي تاريخي للأسواق الموسمية عند العَرَب**، بيروت، دار الشورى .

الحموي، ياقوت بن عبد الله: **مُعجم البلدان**، د ط، دار الفكر، بيروت، د ت.

حميد بن ثور الهلالي: **الديوان**، تحقيق عبد العزيز الميمني، د ط، الدر القومية للطباعة والنشر.

الحوت، سليم: **في طريق المِيثولوجيا عند العَرَب (بحث مُسهب في المُعتقدات والأساطير العَرَبية)**، ط 1، بيروت، مطبعة دار الكتب، 1955.

الحوراني، يوسف: **البُنية الذهنية في الشرق المتوسطي الآسيوي القديم**، بيروت، دار النهار، 1978.

أبو حيان التوحيدي، محمد بن يوسف: **البَحر المحيط**، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، شارك في التحقيق زكريا عبد المجيد النوقي، وأحمد النجولي الجمل، ط 1، لبنان، بيروت، ددار الكتب العلمية، 1422ه، 2001م.

أبو حيان الأنصاري: **طَبَقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها**، تحقيق عبد الغفور البلوشي، ط 2، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1992.

خان، محمد عبد المعيد: **الأساطير العَرَبية قبل الإسلام**، القاهرة، مكتبة الثَقافَة الدينية، 2005.

الخربوطلي، علي حسني: **الحَضارة الإسلامية**، القاهرة، دار المعارف، 1977.

خشبة، دريني: **أساطير الحُب والجَمال عند اليونان**، ط 1، بيروت، دار أبعاد للطباعة والنشر، 1983.

الخطيب البغدادي، أحمد بن علي أبو بكر: **تاريخ بغداد**، د ط، بيروت، دار الكتب العلمية، د ت.

الخطيب التبريزي: **شرح ديوان عنترة**، ط 1، قدمه مجيد طراد، بيروت، دار الكتاب العَرَبي، 1992.

ابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد الحضرمي: **المُقَدِّمة**، د ط، مطبعة التقدم، مصر، 1904.

خلف الله، محمد أحمد: **الفن القَصصي في القرآن الكريم**، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1957.

خليل، خليل أحمد: **مُعجم المصطلحات الدينية**، ط 1، بيروت، لبنان، دار الفكر اللبناني، 1995.

الخنساء، تماضر بنت عمر: **الديوان**، شرحه حمدو طماس، ط 2، بيروت، لبنان، دار المعرفة، 2004.

الخوري، لطفي: **مُعجم الأساطير**، ج2، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، 1990.

داود، جرجس: **أديان العَرَب قبل الإسلام**، ط 1، بيروت، المؤسسة الجامعية.

الدباغ، مصطفى: **وجوه من الإعجاز القرآني**، ط 1، الأردن، مكتبة المنار، 1982.

دروزة، محمد عزة: **تاريخ الجِنّس العَرَبي في مختلف الأطوار والأدوار والأقطار**، بيروت، المكتبة العَصْرية.

ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي: **الإشتِقاق**، تحقيق عبد السلام هارون، بغداد، مكتبة المثنى، 1979.

ابن دريد، محمد بن الحسن الأزدي القحطاني: **جَمهرة اللغة**، تحقيق رمزي بعلبكي، ط 1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1987.

دغيم، سميح: **أديان ومُعتقدات قبل الإسلام**، ط 1، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، 1996.

دلو، برهان الدين: **حَضارة مصر والعراق (التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي)**، ط 1، بيروت، دار الفارابي، 1989.

دملخي، إبراهيم: **الأَلْوان نظرياً وعملياً**، حلب، دار القلم العَرَبي، 1983

الدميري، كمال الدين: **حياة الحيوان الكبرى**، القاهرة، المطبعة الأميرية.

دياكونوف ي. م و أفاناسيفا ف. ك و ماسون ف. م وياكوبسون ف. أ و كوشناريفا. خ : **تاريخ الشَرق القديم (نُشوء المُجتمعات الطَبقية القديمة والمواطن الأولى للحضارات العبودية)**

الجزء الأول (الميزوبوتامية)، ترجمة محمد العلامي، ط 1، حلحول، مطبعة بابل الفنية، 2003.

دير لاين، فريدريش فون: **الحِكاية الخُرافية**، نشأتها، مناهج دراستها، فنيتها، بيروت، دار القلم، 1973.

الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة: **الأنواء في مَواسم العَرَب**، د ط، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، 1988.

______ : **أدب الكاتِب**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط 4، مصر، مكتبة السعادة، 1963.

______: **تأويل مُشكل القرآن**، القاهرة، دار التراث، 1973.

______: **الأشرِبة**، تحقيق حسام البهنساوي، د ط، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، د ت.

______: **الشِّعْر والشِّعْراء**: تحقيق عمر الطباع، ط 1، بيروت، لبنان، دار الأرقم، 1997

ديورانت، ول: **بلاد ما بين النهرين (الحَضارات البابلية والأشورية)**، ط 1، القاهرة، مكتبة الآداب.

______: **قصة الحَضارة**، ترجمة زكي نجيب محفوظ، ط 3، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1965.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان: **تاريخ الإسلام ووفيات المَشاهير والأعلام**، تحقيق عمر تدمري، ط 1، لبنان، بيروت، دار الكتاب العَرَبي، 1987.

الرازي، أبو حاتم محمد بن ادريس: **الزينة في الكلمات الإسلامية العَرَبية**، ط 2، مصر، دار الكتاب العَرَبي، 1957.

الرازي، فخر الدين: **الفِراسَة**، إعداد وتقديم عبد الحميد صالح، عالم الكتب، 2002.

الرازي، الفخر: **التَفسير الكبير(مَفاتيح الغَيب)**، ط 1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2000.

الرافعي، مصطفى صادق: **تاريخ آداب العَرَب**، ط 1، مصر، المنصورة، مكتبة الإيمان، 1997.

الرفاء، أبو الحسن السري بن أحمد الكندي: **المحب والمحبوب والمشموم والمشروب (**كتاب المحب**)**، تحقيق مصباح غلاونجي، د ت.

رياض، عبد الفتاح: **التكوين في الفنون التشكيلية**، القاهرة، دار النهضة العَرَبية، 1983.

الرماني، الخطابي، الجرجاني: **النكت في إعجاز القرآن**، ط 4، القاهرة، دار المعارف، د ت.

الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني: **تاج العَروس من جواهر القاموس**، تحقيق مجموعة من المحققين، د ط، دار الهداية، د ت.

الزرعي، محمد بن أبي بكر أيوب: **زاد المَعاد في هُدى خَير العِباد**، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، ط 14، بيروت، الكويت، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، 1986.

الزرقاني، محمد عبد العظيم: **مَناهل العِرفان في عُلوم القرآن**، ط 1، لبنان، دار الفكر، 1996.

الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله: **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، د ط، بيروت، دار المعرفة، 1391ه.

الزركلي: **الأعلام**، ط 4، دار العلم للملايين، 1979.

زكري، أنطون: **الأدب والدين عند قدماء المصريين**، القاهرة، مطبعة المعارف، 1923.

زكي، أحمد: **الأساطير دراسة حضارية مقارنة**، بيروت، دار العودة، 1979.

أبو زلال، عصام الدين عبد السلام: **ألفاظ الأَلْوان في القُرآن الكريم (دراسة في البنية والدلالة)**، الإسكندرية، دار الوفاء، 2006.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر: **أساس البَلاغة**، د ط، دار الفكر، 1979.

________: **الكَشّاف عن حَقائق التَنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق عبد الرزاق المهدي،، د ط، بيروت، دار إحياء التراث العَرَبي، د ت.

________: **المُستَقصى من أمثال العَرَب**، ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987.

زهيرُ بن أَبي سُلمى: **الديوان**، شرحه حمدو طماس، ط 2، لبنان، بيروت، دار المعرفة، 2005.

الزوزني أبو عبد الله الحسين بن أحمد: **شرح المُعلقات السبع**، تحقيق لجنة التحقيق في الدار العالمية، د ط، الدار العالمية للنشر، د ت.

زيدان، جرجي: **العَرَب قبل الإسلام**، ط 2، مطبعة الهلال، مصر، 1922.

________: **تاريخ التَمَدّن الإسلامي**، د ط، دار ومكتبة الحياة، بيروت، د ت.

الزين، سميح عاطف: **الثَقافَة والثَقافَة الإسلامية**، ط 1، دار الكتاب العَرَبي، بيروت، 1973.

_ زيني، شادية حسن عبد الرحمن: **وصف الجنّة في القرآن الكريم وأثره في الشِّعْر الإسلامي حتى نهاية العَصْر الأموي**، ط 1، مصر، دار القاهرة، 2004،

الساعاتي، سامية حسن: **السِحر والمجتمع**، ط 2، دار النهضة العَرَبية للطباعة والنشر، 1983.

الساعاتي، حسن: **حكمة لبنان (تَحليل اجتماعي لأمثاله)**، ط 1، بيروت، دار النهضة العَرَبية للطباعة والنشر، 1980.

سالم، السيد عبد العزيز: **تاريخ شبه الجزيرة العَرَبية**، د ط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1999.

السجستاني، سهل بن محمد بن عثمان: **النَّخْلة**، تحقيق حاتم الضامن، ط 1، بيروت، لبنان، دار البشائر الإسلامية، 2002.

السجستاني، أبو حاتم: **المُعمرون والوصايا**، القاهرة، دار إحياء الكتب العَرَبية، 1961.

سرور، جمال: **قيام الدولة العَرَبية الإسلامية في حياة محمد عليه الصلاة والسلام**، القاهرة، دار الفكر العَرَبي، 1946.

سقال، ديزيه: **العَرَب في العَصْر الجاهلي**، ط 1، بيروت، لبنان، دار الصداقة العَرَبية، 1995.

السكري، أبو السعيد الحسين بن الحسين: **شرح أشعار الهذليين**، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، القاهرة، مكتبة دار العروبة، 1965.

ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب ابن اسحاق: **إصلاح المَنطِق**، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام، ط 4، القاهرة، دار المعارف.

سليمان عامر، والفتيان، أحمد مالك: **مُحاضرات في التاريخ القديم (موجز تاريخ العراق ومصر وسوريا وبلاد الرافدين والرومان القديم)**، الموصل، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، 1978.

سليم، فاروق أحمد: **الانتِماء في الشِّعْر الجاهِلي**، اتحاد الكتاب العَرَب، 1998.

سليم، أحمد أمين: **معالم تاريخ العَرَب قبل الإسلام**، د ط، بيروت، مكتب كريدية إخوان، د ت.

السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي: **الروض الأنف في شَرح السيرة النبوية لابن هشام**، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب الإسلامية، 1967.

السواح، فراس: **كُنوز الأعماق (قراءة في ملحمة جلجامش)**، ط 1، نيقوسيا، قبرص، سومر للدراسات والنشر والتوزيع، 1987.

السواح، فراس: **مَدخل إلى نُصوص الشَرق القديم**، دمشق، دار علاء الدين، 2006.

________: **دين الإنسان (بَحث في ماهِية الدين)**، ط 4، سورية، دمشق، منشورات دار علاء الدين، 2002.

________: **مُغامرة العقل الأولى (دراسة في الأسطورة)**، بيروت، دار الكلمة للنشر، 1980.

سوسة، أحمد: **المُفصل في تاريخ العَرَب واليهود (حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الأثرية)**، ط 5، الجمهورية العراقية، دار الرشيد للنشر، 1981.

أبو سويلم، أنور: **المَطر في الشِّعْر الجاهلي**، ط 1، دار الجيل للطبع والنشر، 1987.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر : **المُزهر في علوم اللغة والأدب**، تحقيق فؤاد منصور، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998.

________: **لُباب النقول في أسباب النُزول**، د ط، بيروت، دار إحياء العلوم، د ت.

________: **طَوق الحَمامة**، تحقيق مصطفى عاشور، القاهرة، مكتبة القرآن، د ت.

الشاطبي، أبو إسحاق: **المُوافقات في أصول الشَريعة**، ط 2، المكتبة التجارية الكبرى، مصر و 1975.

الشريف، أحمد إبراهيم: **مَكَّة والمدينة في الجاهِلِيَّة وعهد الرَّسُول**، د ط، دار الفكر العَرَبي، د ت.

شلبي، أحمد: **مُقارنة الأديان (اليهودية)**، ج 1، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1996.

الشماخ بن ضرار الذبياني: **الديوان**، تحقيق وشرح صلاح الدين الهادي، د ط، مصر، دار المعارف، د ت.

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجِنّكي: **أضواء البَيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، تحقيق مكتب البحوث والدراسات، بيروت، دار الفكر، 1415ه، 1995.

الشيباني، أحمد بن حنبل أبو عبد الله : **مسند أحمد بن حنبل**، د ط، مصر، دار قرطبة، د ت.

شيخو، لويس: **شعراء النصرانية قبل الإسلام**، ط 4، دار المشرق، بيروت، 1991.

______**النصرانية وآدابها بين عرب الجاهِلِيَّة**، ط 2، بيروت، لبنان، دار المشرق، 1989.

الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم: **المِلل والنِحَل**، د ط، دار المعرفة، بيروت، 1979.

الشيخ، حسين: **العَرَب قبل الإسلام**، د ط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1993.

الصائغ، عبد الإله: **الزَمن عند الشِّعْراء العَرَب قبل الإسلام**، الجمهورية العراقية، دار الرشيد للنشر، 1982.

الصفدي، أبو الصفاء خليل بن أيبك: **صَرف العَيْن**، تحقيق محمد لاشين، ط 1، مصر، القاهرة، دار الآفاق العَرَبية، 2005.

الضَّبِّيَّ: **المُفَضَلِيَّات**، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، ط 6، القاهرة، دار المعارف، د ت.

ضيف، شوقي: **تاريخ الأدب العَرَبي (العَصْر الجاهلي)**، ط 24، دار المعارف، القاهرة، مصر، 2003.

طالو، محيي الدين: **الرسم واللّوْن**، ط 1، دار دمشق للنشر،

الطبراني، أبو القاسم سليمان: **المُعجم الأوسط**، تحقيق طارق بن عوض الله وعبد المحسن الحسيني، القاهرة، دار الحرمين، 1415 ه.

______: **المُعجم الكبير**، تحقيق حمدي السلفي، ط 2،.

______: **مُسند الشاميين**، تحقيق حمدي السلفي، ط 1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1405ه، 1984م.

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد: **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، د ط، بيروت، دار الفكر، 1405 ه.

طَرَفةُ بن العبد: **الديوان**، اعتنى به وشرحه عبد الرحمن المصطاوي، ط 1، بيروت، لبنان، 2003.

الطِّرِمَّاح بن حكيم: **الديوان**، تحقيق عزة حسن، دمشق، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، 1986.

ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر: بلاغات النساء، بيروت، دار الحداثة، 1987.

الظاهري، خليل بن شاهين: **الإشارات في علم العِبارات**، بيروت، دار الفكر.

عاقل، نبيه: **تاريخ العَرَب القديم وعصر الرَّسُول دمشق**، دار الفكر للطباعة والنشر، 1975.

العايب، سلوى بالحاج صالح: **المسيحية وتطوراتها من نشأتها إلى القرن الرابع الهجري|العاشر الميلادي**، دار الطليعة للطباعة والنشر، 1998 .

عبد الرحمن، نصرت: **الصورة الفنية في الشِّعْر الجاهلي في ضوء النقد الحديث**، عمان، مكتبة الأقصى، 1976

عبد الوهاب، لطفي: **العَرَب في العصور القديمة**، د ط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د. ت.

عبد الحكيم، شوقي: **موسوعة الفولكلور والأساطير العَرَبية**، مطبعة أطلس، القاهرة.

عبد الباقي، محمد فؤاد: **المُعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، مصر، دار الكتب المصرية، 1364ه.

عبد الرازق، جمال الدين: **مصر القديمة التاريخ والحضارة**، 2009.

عبودي، هنري. س: **مُعجم الحضارات السامية**، ط 2، طرابلس، لبنان، جروس برس، 1991م.

عَبِيد بن الأَبْرَص: **الديوان**، بيروت، دار صادر، 1964.

عثمان، سهيل، والأصفر، عبد الرازق: **معجم الأساطير اليونانية والرومانية**، ط 1، دمشق، وزارة الثَقافَة والإرشاد القومي.

عجينة، محمد: **موسوعة أساطير العَرَب من الجاهِلِيَّة ودلالاتها**، ط 1، بيروت، لبنان، العَرَبية للنشر والتوزيع، دار الفارابي، 1994.

عدامة، صلاح: **حَضارات عالمية**، ط 1، فلسطين، جامعة القدس، مكتبة دار الفكر، 2003.

عرجون، صادق إبراهيم: **الحياة الأدبية عند العَرَب قبل الإسلام**, طنطا.1936 .

عسكر، قصي الشيخ: **الأساطير العَرَبية قبل الإسلام وعلاقاتها بالديانات القديمة**، د ط، دمشق، دار معد، 2007.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل: **جَمهرة الأمثال**، د ط، دار الفكر، لبنان، بيروت، 1988.

______: **الأوائل**، وضع حواشيه عبد الرزاق المهدي، ط 1، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 1997،

العشماوي، محمد زكي: **قَضايا النَقد الأدبي بين القَديم والحديث**، بيروت، لبنان، دار النهضة العَرَبية، 1979.

العقاد، عباس محمود: **إبليس (بَحث في تاريخ الخَير والشَر وتمييز الإنسان بينهما من مَطلع التاريخ إلى اليوم)**، القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، 1985.

عكاشة، ثروت: **الإغريق بين الأسطورة والإبداع**، د ط، القاهرة، دار المعارف.

عكاشة، ثروت: **الفن العراقي (سومر وبابل وآشور)**، ط 1، القاهرة، المؤسسة العَرَبية للدراسات والنشر.

علقمة بن عبدة: **الديوان**، بيروت، دار صادر، 1996.

علي، جواد: **المُفصل في تاريخ العَرَب قبل الإسلام**، ط 1، دار العلم للملايين، بيروت، 1971.

علقمة الفحل: **الديوان**، شرحه سعيد نسيب مكارم، ط 1، بيروت، لبنان، دار صادر، 1996.

علي، فاضل عبد الواحد: **حضارة العراق**، بغداد، 1985.

أبو علي، محمد توفيق: **صورة العادات والتقاليد والقيم الجاهلِيَّة في كتب الأمثال**، ط 1، 2001.

عمر، أحمد مختار: **اللغة واللّوْن**، ط 2، القاهرة، عالم الكتب، 1997.

عمرو بن كلثوم: **الديوان**، تحقيق إميل بديع يعقوب، ط 1، بيروت، لبنان، دار الكتاب العَرَبي، 1991.

عنترة: **شرح ديوان عنترة**، د ط، شرحه عبد المنعم شلبي، المكتبة التجارية، القاهرة، د ت.

العودات، حسين: **المَوت في الديانات الشرقية**، ط 4، دمشق، الأهالي للطباعة والنشر، 1995.

عياد، شكري: **البَطل في الأدب والأساطير**، ط 2، دار المعرفة، 1971.

غزالة، هديب: **الدولة البابلية الحديثة**، ط 1، دمشق، الأهالي للطباعة والنشر،2001.

غليونجي: **الطب عند قدماء المصريين**، ط 2، بيروت، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، د ت.

غويدي، أغناطيوس: **مُحاضَرات في تاريخ اليمن والجزيرة العَرَبية قبل الإسلام**، ترجمة إبراهيم السامرائي، ط 1، لبنان، بيروت، دار الحداثة للطباعة والنشر، 1986.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: **مَقاييس اللغة**، تحقيق عبد السلام هارون، ط 2، بيروت، لبنان، دار الجيل، 1420 ه، 1999م .

______: **الصاحبي في فِقه اللغة وسُنَن العَرَب في كلامها**، تحقيق مصطفى الشويمي، د ط، مؤسسة بدران للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1963.

______: **الاتباع والمُزاوجة**، د ط، تحقيق كمال مصطفى، مصر، مطبعة السعادة.

ف ر. بالمر: **عِلم الدلالة (إطار جديد)**، ترجمة إبراهيم السيد، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1995.

فخري، أحمد: **دراسات في تاريخ الشرق القديم**، ط 2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 1963.

الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد الحنبلي: **معاني القرآن**، تحقيق محمد علي النجار، ط 2، القاهرة، بيروت، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الدر المصرية للتأليف والترجمة، عالم الكتب، 1980.

فرج الله، يوسف جبريل: **النَّخِيل في الجاهِلِيَّة وصدر الإسلام وفي الأدب والتاريخ في شبه الجزيرة العَرَبية**، ط 1، القاهرة، دار الأنصار، 1978.

فرانكفورت، هنري، وآخرون: **ما قبل الفلسفة (الإنسان في مغامراته الفكرية الأولى)**، تحقيق جبرا إبراهيم جبرا، ط 2، المؤسسة العَرَبية للدراسات والنشر، 1980.

فروخ، عمر: **تاريخ الأدب العَرَبي**، د ط، د ت

فريزر، جيمس: **أدونيس أو تموز** (دراسة في الأساطير والأديان الشرقية القديمة)، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، ط 2، بيروت، المؤسسة العَرَبية للدراسات والنشر، 1979.

فريزر، جيمس: **الفولكلور في العهد القديم**، ترجمة نبيلة إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974.

فهد، توفيق: **الكَهَانَة العَرَبية قبل الإسلام**، ترجمة حسن عودة، ورندة بعث، بيروت، شركة قدمس للنشر والتوزيع، 2007.

الفوال، صلاح مصطفى: **سوسيولوجيا الحضارات القديمة (آفاق سوسيولوجية من الشرق والغرب)**، دار الفكر العَرَبي، القاهرة، 1982.

الفيروزآبادي: **تنوير المقباس من تفسير ابن عباس**، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ت.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: **الجامع لأحكام القرآن**، د ط، القاهرة، دار الشعب، د ت.

القزويني، محمد بن يزيد أبو عبد الله : **سنن ابن ماجة**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، د ط، بيروت، دار الفكر.

القزويني، زكريا بن محمد: **آثار البلاد وأخبار العباد**، بيروت، دار العودة، 1979.

القضاعي، محمد بن سلامة بن جعفر: **مسند الشهاب**، تحقيق حمدي السلفي، ط 2، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، 1986.

القضاة، فريال محمد: **الخطاب العقلي في القرآن الكريم (دراسة في علم تحليل الخطاب)**، ط 1، دبي، دار العالم العَرَبي، 2009.

القطان، مناع: **التشريع والفقه في الإسلام تاريخا ومنهجا**، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1982.

قطب، سيد: **التصوير الفني في القرآن**، بيروت، دار الشروق، 1979.

قطرب، أبو علي محمد بن المستنير: **الأزمنة وتلبية الجاهِلِيَّة**، تحقيق حاتم الضامن، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1985.

القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد: **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، تحقيق عبد القادر زكار، د ط، وزارة الثَقافَة، دمشق، 1981.

القمني، سيد: **الأسطورة والتراث**، ط 2، القاهرة و المركز المصري لبحوث الحضارة، 1999.

القيرواني، ابن رشيق: **العمدة في محاسن الشِّعْر وآدابه ونقده**، تحقيق محمد عبد المطلب، ط 1، دار الطلائع، القاهرة، 2006.

القيسي، نوري حمودي: **الطبيعة في الشِّعْر الجاهلي**، بيروت، دار الإرشاد، 1970.

______: **تاريخ الأدب العَرَبي**، بغداد، دار الحرية للطباعة، 1979.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر: **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**، تحقيق محمد الفقي، ط 2، بيروت، لبنان، دار المعرفة، 1975.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي أبو الفداء: **تفسير القرآن العظيم**، د ط، بيروت، دار الفكر، 1401ه .

كحالة، عمر رضا: **معجم قبائل العَرَب القديمة والحديثة**، دمشق، المكتبة الهاشمية، 1949.

كريمر، صموئيل نوح: **من ألواح سومر**، ط 1، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، 1905.

______: **أساطير العالم القديم**، ترجمة أحمد عبد الحميد يوسف، مراجعة عبد المنعم أبو بكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974.

الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد السائب: **الأصنام**، تحقيق أحمد زكي باشا، ط 2، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1924.

الكلبي، محمد بن أحمد الغرناطي: **التسهيل لعلوم التنزيل**، ط 4، دار الكتاب العَرَبي، لبنان، 1983.

كموني، سعد: **العقل العَرَبي في القرآن**، د ط، الدار البيضاء، المركز الثقافي العَرَبي، 2005.

الكوفي، أبو بكر عبد الله بن أبي شيبة: **مصنف بن أبي شيبة**، تحقيق كمال الحوت، ط 1، الرياض، مكتبة الرشد، 1409 ه.

كونتينو، جورج: **الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور**، تحقيق سليم التكريتي، ط 2، دار الشؤون الثقافية العامة جروس برس، 1986.

لبيد بن ربيعة: **الديوان**، ط 1، دار الكتاب العَرَبي، بيروت، 1993.

الماجدي، خزعل: **المعتقدات الكنعانية**، ط 1، عمان، الأردن، دار الشروق، 2001.

_______: **الدين المصري**، عمان، دار الشروق، 1999.

_______: **بخور الآلهة (دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين)**، ط 1، الأردن، عمان، الأهلية للنشر والتوزيع، 1998.

_______: **متون سومر**، ط 1، الأردن، عمان، الأهلية للنشر والتوزيع، 1998.

ابن المبارك، محمد بن ميمون: **منتهى الطلب من أشعار العَرَب**، تحقيق محمد الطريفي، ط1، بيروت، لبنان، دار صادر للطباعة والنشر، 1999.

المُثَقِّب العَبْدِي: **الديوان**، تحقيق حسن الصيرفي، د ط، جامعة الدول العَرَبية (معهد المخطوطات العَرَبية) 1971.

مجمع اللغة العَرَبية: **المعجم الكبير**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب و 1982.

المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم: **ديوان الهذليين**، د ط، الدارالقومية للطباعة والنشر، القاهرة.

المحلي، محمد بن أحمد، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر: **تفسير الجلالين**، ط 1 و دار الحديث، القاهرة، د ت.

المتلمس الضبعي: **الديوان**، تحقيق حسن الصيرفي، جامعة الدول العَرَبية (معهد المخطوطات العَرَبية)، 1970.

مراد، يوسف: **الفِراسَة عند العَرَب وكتاب الفِراسَة لفخر الدين الرازي**، ترجمة وتقديم مراد وهبة، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1982.

المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى: **معجم الشِّعْراء**، تحقيق عباس هاني الجراح، بيروت، دار الكتب العلمية، 2010.

المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن: **الأزمنة والأمكنة**، بيروت، دار الكتب العلمية، 1996.

مروة، حسين: **النزعات المادية في الفلسفة العَرَبية**، بيروت، دار الفارابي، 1978

المسعودي، أبو الحسن: **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، د ط، الشركة العالمية للكتاب، مكتبة المدرسة، دار الكتاب العالمي، الدار الإفريقية العَرَبية.

المسيري، عبد الوهاب محمد: **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، بيروت، القاهرة، دار الشروق، 1999.

مصطفى، إبراهيم، والزيات، أحمد، عبد القادر، حامد، النجار محمد: **المعجم الوسيط**، تحقيق مجمع اللغة العَرَبية و دار الدعوة.

مظهر، سليمان: **قصة الديانات**، ط 2، القاهرة، مكتبة مدبولي، 2002.

معلوف، شفيق: **عبقر**، ط 3، البرازيل، سان باولو، منشورات العصبة الأندلسية للطباعة والنشر، 1949.

المغربي، أبو يعقوب: **مواهب المفتاح في شرح تلخيص المصباح**، تحقيق عيسى البابي الحلبي، مصر، د ت.

المقدَّسي، المطهر بن طاهر: **البدء والتاريخ**، د ط، مكتبة الثَقافَة الدينية، بور سعيد، د ت.

المناوي، عبد الرؤوف: **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، ط 1، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، 1356ه .

المنظمة العَرَبية للتربية والثَقافَة والعلوم: **الخطة الشامِلَّة للثقافة العَرَبية**، ط 2، إدارة الثَقافَة، تونس، 1990.

ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي المصري: **لسان العَرَب**، ط 1، دار صادر، بيروت، د ت.

المُهَلْهِل بن ربيعة: **الديوان**، شرح وتقديم طلال حرب، د ط، الدر العالمية، د ت.

مهران، محمد بيومي: **مصر والشرق الأدنى القديم**، د ط، القاهرة، دار المعرفة الجامعية، 1999.

الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد: **مجمع الأمثال**، تحقيق محمد محيي الدين، د ط، دار المعرفة، بيروت، د ت.

ميديكو، ديل: **اللالئ من النصوص الكنعانية**، نقلها إلى العَرَبية مفيد عونوق، ط 2، بيروت، لبنان، دار أمواج للطباعة والنشر، 1989.

ميخائيل، نجيب: **مصر والشرق الأدنى القديم**، ترجمة فؤاد حسنين علي، القاهرة، مطبعة لجنة البيان العَرَبي، د ت.

النابغة الذبياني: **الديوان**، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، ط 2، دار المعارف، القاهرة، د ت.

النابلسي، محمد راتب: **موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (آيات الله في الآفاق)**، ط 4، سوريا، دمشق، دار المكتبي للنشر والتوزيع، 2010.

النابلسي، عبد الغني النابلسي: **تعطير الأنام في تعبير المنام**، بيروت، دار الفكر.

ناصر، إبراهيم: **الانثربولوجيا الثقافية (علم الإنسان الثقافي)**، ط 2، الأردن، جمعية عمال المطابع التعاونية، 1985.

النجفي، محمد كاظم الملكي: **المعجم الزوولوجي الحديث**، ط 1، 1957.

نعمة، حسن: **موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات القديمة**، د ط، بيروت، دار الفكر اللبناني، 1994.

النعيمي، أحمد إسماعيل: **الأسطورة في الشِّعْر العَرَبي قبل الإسلام**، ط 1، القاهرة، سينا للنشر، 1995.

نلينو، كرلو: **علم الفلك تاريخه عند العَرَب في القرون الوسطى**، ط 2، القاهرة، الدار العَرَبية للكتاب، 1993.

نوفل، يوسف حسن: **الصورة الشِّعْرية والرمز اللّوْني**، مصر، دار المعارف، 1995.

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ط 1، مطبعة دار الكتب المصرية، 1923.

نيدهام، جوزيف: **موجز تاريخ العالم والحضارة في الصين**، ترجمة محمد غريب جودة، مصر، مكتبة الشروق (الهيئة المصرية العامة للكتاب)، 1995.

النيسابوري، محمد بن عبد الله وأبو عبد الله الحكم: **المستدرك على الصحيحين**، ط 1، تحقيق عبد القادر عطا، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 1980.

ابن هشام، عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري: **السيرة النبوية**، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، ط 1، دار الجيل، بيروت، لبنان، د ت.

الهمذاني، لسان الدين الحسن بن أحمد بن يعقوب: **صفة جزيرة العَرَب**، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، ط 1، صنعاء، اليمن، 1990.

الهمذاني، لسان الدين الحسن بن أحمد بن يعقوب: الإكليل،

الواحدي، علي بن أحمد: **تفسير الواحدي**، تحقيق صفوان داوودي، ط 1، دار القلم، بيروت، دمشق، الدار الشامية، 1415ه.

اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح: **تاريخ اليعقوبي**، د ط، بيروت، دار صادر، د ت.

يونس، عيد سعد: **التصوير الجمالي في القرآن الكريم**، ط 1، القاهرة، عالم الكتب، 2006.

الرسائل الجامعية

الأسمر، سهام محمد أحمد: **رسالة ألفاظ العقل والجوارح في القرآن الكريم** (رسالة غير منشورة)، إشراف يحيى جبر، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين،، 2007.

اشتية، فؤاد يوسف: **القَمَر في الشِّعْر الجاهلي** (رسالة غير منشورة)، إشراف إحسان الديك، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2010.

دراغمة، مريم هاشم: **ألفاظ الألْوان في اللغة (دراسة دلالية في علم اللغة الاجتماعي والنفسي)**، (رسالة غير منشورة)، إشراف يحيى جبر، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين،، 1999

أبو الرب، إبتسام نايف: **صورة الحرب وأبعادها الأسطورية في الشِّعْر الجاهلي** (رسالة غير منشورة)، إشراف إحسان الديك، نابلس، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2006.

شهيد، علاء عبد الأمير: **أثر السياق في توجيه المعنى في كتاب (معاني القرآن) للفراء**، إشراف جواد كاظم عناد، كلية الآداب، جامعة القادسية، 2007.

عبد الله، سناء أحمد سليم: **توظيف الموروث في شعر عدي بن زيد العبادي وأُمَيَّة بن أَبي الصَّلْت** (رسالة غير منشورة)، إشراف إحسان الديك، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين،، 2004

أبو عون، أمل محمود: **اللّوْن وأبعاده في الشِّعْر الجاهلي (شعراء المعلقات نموذجا)**، نابلس، جامعة النجاح الوطنية، 2003.

عيسى، عبد الخالق عودة: **رثاء الممالك والملوك في الشِّعْر الجاهلي** (رسالة غير منشورة)، إشراف عادل أبو عمشة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 1999.

فؤاد يوسف: **رسالة القَمَر في الشِّعْر الجاهلي** (رسالة غير منشورة)، إشراف إحسان الديك، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2010.

القرعان، فايز عارف سليمان: **رسالة الوشم والوشي في الشِّعْر الجاهلي** (رسالة غير منشورة)، جامعة اليرموك، الأردن، 1984.

الكيلاني، سمر فهد علي: **رسالة ماجستير (مخطوطة) تأثير اللّوْن في إدراك البنية المبنية**، الجامعة الأردنية، الأردن، 1997.

محمود سمارة، محمد صالح: **الجبل في الشِّعْر الجاهلي** (رسالة غير منشورة)، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين،، 1999.

أبو محيي الدين، وائل عبد الله: **دلالة النص الشِّعْري في تفسير النص القرآني** (رسالة غير منشورة)، إشراف يحيى جبر، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2004.

غيث، خالد يوسف محمد: **الطقوس في الشِّعْر الجاهلي** (رسالة غير منشورة)، إشراف إحسان الديك، جامعة القدس، فلسطين، 2005.

الدوريات والمجلات

الألوسي، محمود شكري: ***رسالة في الأَلْوان***: **مجلة مجمع *اللغة العَرَبية***، دمشق، 1|كانون الثاني 1921|.

جبر، يحيى: ***خرزات العَرَب***، **مجلة التراث الشعبي**، العراق | 1984.

_______: ***العَيْن بين العلم واللغة***، **مجلة اللسان العَرَبي**، الرباط، 1432ه.

الجزيري، محمد مجدي: ***الأسطورة والتجديد***، **مجلة فكر للدراسات والأبحاث**، عدد 15، القاهرة | 1989.

الحجاجي، أحمد شمس الدين: ***الأسطورة والشِّعْر العَرَبي:*** *المكونات الأولى*، **مجلة فصول**، مج 4، ع 2، القاهرة، يناير | 1984.

الديك، إحسان: ***الهامة والصدى (صدى الروح في الشِّعْر الجاهلي)***، **مجلة جامعة النجاح الوطنية للأبحاث**، مج 13، عدد 2 |1999.

علي، فاضل عبد الواحد: ***الشمس والقَمَر والزهرة في ضوء النصوص السومرية والبابلية***، بغداد، **مجلة الأقلام**، عدد 2 |2000|6.

قصار، مروان جميل: ***تسمية الأشهر***، **مجلة التربية**، الإمارات، ع 35، ديسمبر | 1984.

كريم، سيد: ***تفسير الأحلام عند المصريين القدماء***، **مجلة الهلال**، ع 10، السنة 1983، اكتوبر |1975.

______: ***السحر والسحرة عند قدماء المصريين***، **مجلة الهلال**، ع 1، السنة 1983، يناير |1975.

مرسي، محروس سيد: ***التربية والعقيدة في السور المكية***، **مجلة كلية التربية**، أسيوط، ع 6، مج 1، يناير |1990.

المعطاني، عبد الله سالم: ***قضية شياطين الشِّعْراء وأثرها في النقد الأدبي***، **مج فصول**، م 10، ع 1_2، القاهرة | 1991.

النجار، عبد المجيد: ***تأثير الشِّعْر في النفس وانعكاسه على المجتمع***، **مجلة التربية**، ع 90، الإمارات، س 12 | 1991.

باقر، طه: ***النَّخْلة شجرة العراق المباركة***، **مجلة التراث الشعبي**، مج 2، عدد 1، السنة 2، أيلول | 1970.

مواقع الإنترنت

http || www.alwaraq.net

http//www.alnoor.se\article.

http: \\ www.tebyan.net \ index.asp

http: \\annales.univ-mosta.dz\texte\ap01\12loulaci.htm

http: \\www.diwanalarab.com

http://bafree.net.

http://hirmagazine.com.

http://sites.google.com.

http://www.egyptosns.com\misr\archive\index.php

http://www.rc4js.net.

http:\\blogs.najah.edu\staff\yaha_jaber\articale\42

http||www.islam4u.com.

Theses.univ_batna..dz/index

www.de/dw/article..

AN-Najah National Universty
Faculty of Graduate Studies

Manifectations of Culture in the Jahliyyeh (before Islam) Period in the Languge of meccan Qur'an Surahs (Verses)

By
Mannal Ya'qob Abdul Raheem Ya'qob

Supervised By
Prof. Yahia Abdul Ra'ouf Jaber

This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree Master of Arabic Language, Faculty of Graduate Studies, An-Najah National University, Nablus, Palestine.
2012

Manifectations of Culture in the Jahliyyeh (before Islam) Period in the Languge of meccan Qur'an Surahs (Verses)

By

Mannal Ya'qob Abdul Raheem Ya'qob

Supervised By

Prof. Yahia Abdul Ra'ouf Jaber

Abstract

This study discusses the emerging of the Jahelieh culture in the Mekah Chapters of the Holy Qur'an . It consists of introduction and four chapters.

The introduction contains the connotative and denotative meanings of the culture and the Jahelieh Age, the study subject. Also, the introduction contains the purpose of the study, the statement of importance, objectives , methodology and the obstacles that the researcher faced.

Chapter one has two sections. The former discusses the Jaheliah life with its religious, political, intellectual, social and economical features. The cultural patterns of the people are also included. The later discusses the means and features of the cultural communication among Jaheliah people and how these means helped to spread of these patterns to the other nations.

Chapter two specializes in emphasizing the natural silent utterances of the Jahelieh environment like mountains and date trees and their emerging in the Mekah Chapters.

Chapter three clarifies the living utterances of the natural environment that deals with both human beings and animals exemplified by

idols, immolations and pessimism for human beings , drink habits for animals and their emerging in the Mekah Chapters.

The last chapter emphasizes the utterances of the shape , kinds and galaxy planets and there emerging in the Holy Qur'an by right and lift words and day and night.

Finally, the conclusion summarizes the study results and some notes that could be nearly correct.